

سفر برلك وجلاء أهل المدينة المنورة

إبان الحرب العالمية الأولى

١٣٣٤هـ - ١٣٣٧هـ

تأليف

د. سعيد بن وليد طوله



إبان الحرب العالمية الأولى

١٣٣٤هـ - ١٣٣٧هـ

الطَّبعَةُ الثَّانِيَةُ
مَزيدَة وَمُنَقَّحَة

سفر برلك
وجلاء أهل المدينة المنورة

إبّان الحرب العالميّة الأُولى

١٣٣٤هـ - ١٣٣٧هـ

تأليف
د. سعيد بن وليد طوله

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـدَاء

إلى روح جدي لأمي الشريف حمزة بن عبد السلام صيرفي (ت ١٤٣٥هـ)، الذي غرس في قلبي حب المدينة المنورة وما يتعلق بها، والذي أفاض عليّ من موروثاتها التاريخية الشيء الكثير.

وإلى روح شيخي الأستاذ الشاعر حسن بن مصطفى الصيرفي (ت ١٤٢٩هـ)، الذي كان لي نبراساً في تاريخ المدينة المنورة، وشجّعني على المضي قدماً في البحث والكتابة، ولم يبخل عليّ بأي شيء أحتاجه.

فإليهما أهدي هذا الجزء اللطيف في تاريخ المدينة، وأسأل الله أن يتغمدهما بواسع رحمته، ويسكنهما فسيح جناته.

سعيد

تَوْطِئَة

بقلم

الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان
رئيس نادي المدينة المنورة الأدبي

التاريخ صدى السنين وصورة ناطقة بما يعج في الكون من أحداث وأحوال، ورصد لسير الأشخاص والرجال، وهو سجل حياة الماضي واستشراف الحاضر لبناء المستقبل، وما أكثر صنوف وألوان وأشكال تلك الصور التي ينهض برسمها وتلوينها ووضعها في إطارها الصحيح رواة وأخباريون نذروا أنفسهم لتتبع ورصد ما يجري في آفاق المعمورة براً وبحراً، وتركوا لنا تراثاً ثراً من المؤلفات التاريخية، وتأتي في طليعتها كتب السيرة النبوية، وتعدّدت اتجاهات ومناحي هذه الكتب؛ فمنها ما هو خاص بسيرة الرسول ﷺ بعامة، ومنها ما يتحدث عن شمائله وأخلاقه وخصائصه وبيان هديه في الأمور كلها، وهناك كتب في التاريخ العام التي تتناول بالحديث فترة زمنية ساردة جل ما يتعلق بها من أحداث، وإلى جانبها كتب التراجم وتاريخ المدن والبلدان، وغير ذلك من صنوف التاريخ وأنواعه المعروفة لدى المعنيين به.

ومن له أدنى إلمام بحركة التأليف في التاريخ يجد أن المؤرخين صدروا في مؤلفاتهم عن مناهج متعددة لا يتسع المقام للحديث عنها، غير أنه لا بد من

التأكيد على هذه الحركة وقد أدام النظر فيها علماء مدقّقون تأمّلوا مناهج المؤرخين ورأوا أن الحاجة ماسة لوضع أصول لتدوين التاريخ صدروا فيها عن دقة متناهية تفصح عن المنهج الصحيح لتلقي الأخبار والروايات التاريخية وطرائق تمحيصها، وبعض من ألّف في منهج التاريخ أفاد من بعض قواعد علماء أصول الحديث في حدود ما يقتضيه المقام، مع ملاحظة الفرق في تطبيق هذه الأصول بشكل حازم في الحكم على نصوص الحديث النبويّ دراية ورواية، وبين الأخبار والروايات التاريخية؛ حيث يسمح مجال التاريخ في قدر كبير من أخباره ورواياته بشيء من التسامح والتساهل في تطبيق هذه الأصول كما أثر عن الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ في (طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى الفراء ١/١٧١) حين قال: "إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام شددنا الأسانيد، وإذا روينا عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد".

على أن الملامح البارزة في منهج البحث التاريخي تميّزه بمساحة كبيرة من المرونة والبعد عن التشدد، والطرح الذي يوحي بالتعصّب والتوّتر المذهبي، وتوخّي الأحكام المبنية على اتجاه معيّن يسعى صاحبه إلى إظهاره على حساب غمط الآخرين ورفض ما لايتفق مع التوجّه والهوى مما يتنافى مع الموضوعية، وتقرير الحقائق بدون تزييف ومغالطات، وما أحرى من أراد أن يتناول قضايا التاريخ أن يلتزم بالمنهج الصحيح لكتابته.

وتاريخ المدينة المنورة حظي بعناية فائقة من المؤرخين والباحثين قديماً وحديثاً، وتعددت المؤلفات في جوانب عديدة تتعلق بالمدينة المنورة تاريخياً وجغرافياً واجتماعياً وأدبياً واقتصادياً وسياسياً، وقد رصدتُ حركة التأليف هذه في كتابي «المدينة المنورة في آثار المؤلفين والباحثين قديماً وحديثاً».

ومدينة الرسول ﷺ معينٌ ثرٌ لكل باحث يعنى بدراسته تاريخها من جوانبه المتعددة التي يجد فيها الباحثون مادة غزيرة تساعدهم على تحقيق ما يطمحون إليه

من موضوعات، كلٌ فيما يختص به من تلك الجوانب، ولا يحتاج الأمر إلى أكثر من أن يجند الباحث قدراته ومواهبه العلمية لاستجلاء ما يتجلى في المدينة المنورة من روائع وقضايا وعطاءات ومنجزات حضارية عبر تاريخها المشرق الممتد من عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا .

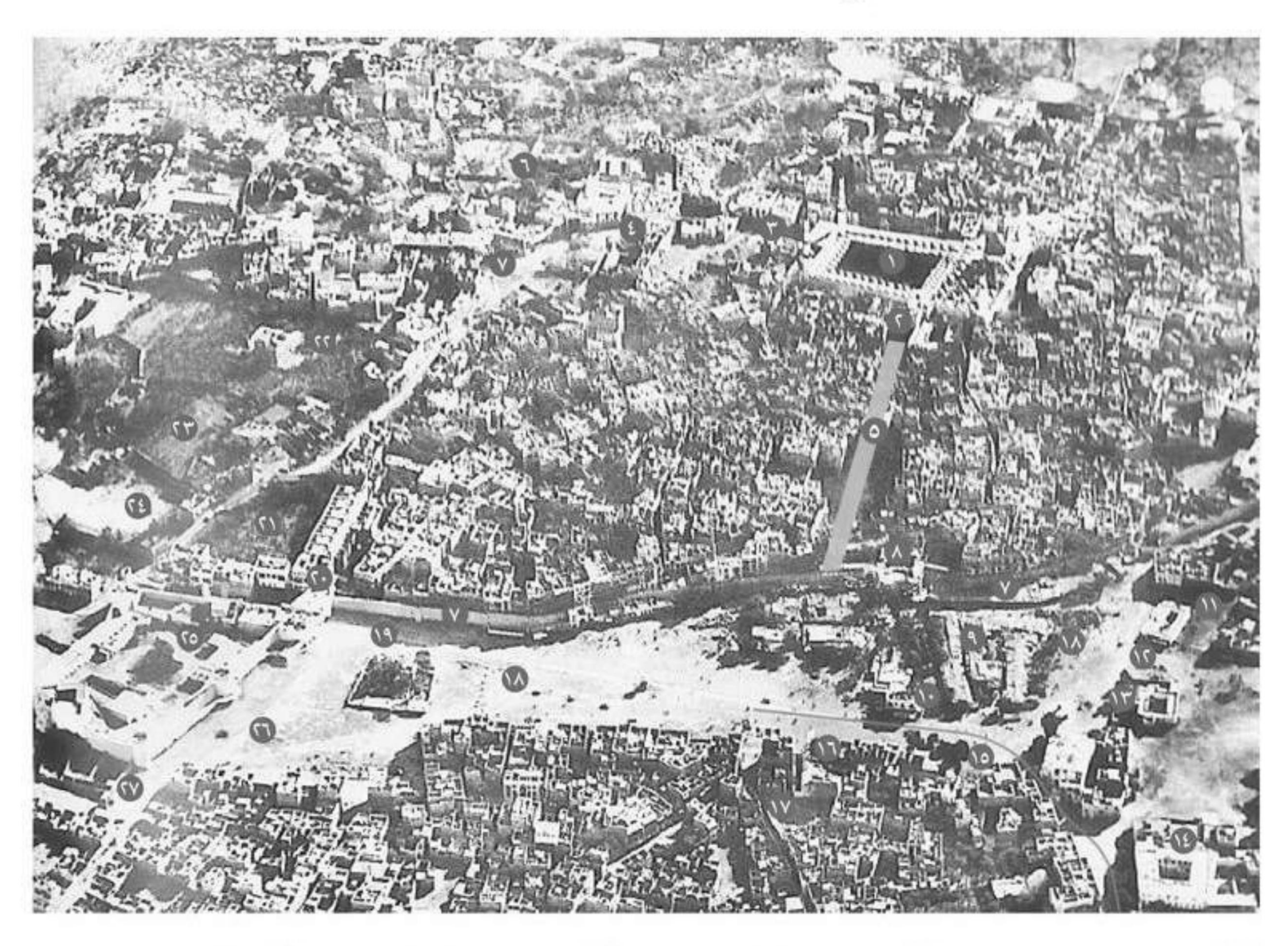
وتعد حادثة سفربرلك من الحوادث البارزة في تاريخ المدينة المنورة من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد تعدّدت البحوث والدراسات حول هذه الحادثة في المصادر المعاصرة التي تتناول تاريخ المدينة المنورة، وتفاوتت هذه البحوث بين إعطاء الموضوع حقّه من التقصّي والتمحيص، وبين استيفاء ذلك، وبين يديّ كتاب الدكتور سعيد بن وليد طوله والذي حمل عنوان (سفربرلك وجلاء أهل المدينة المنورة إبان الحرب العالمية الأولى ١٣٣٤هـ ـ ١٣٣٧هـ) وقد غاص الباحث في أعماق المصادر التاريخية المعاصرة، وفي الوثائق والمخطوطات العربية والتركية؛ ليستجلي بوضوح ما يتعلق بحادثة على جانب كبير من الأهمية فيما مرّ على المدينة المنورة من أحداث، وكان الباحث ملتزماً بمنهج يعتمد على تمحيص الروايات وتدقيق النظر، ولا سيما أن هذه الحادثة كثرت حولها الروايات وتعددت، وانقسم الباحثون فيها بين متساهل غير محقّق، وبين متسرّع في أحكامه واستنتاجاته، ولم يكتف الباحث بما تحت يديه من مصادر مطبوعة ومتاحة وصلت ثمانية وعشرين وثلاثمئة مصدر، كما سعى للحصول على بعض الوثائق العثمانية التي تكشف عن جوانب مهمة حول موضوع بحثه، ولم يغفل تلقّي الروايات الشفهيّة ممّن شهدوا الحادثة ووعوها حقّ وعيها، ودقّق النظر فيما تناوله بعض المتحدّثين عن هذه الحادثة بدون روية أو تحقيق .

وتسنى للباحث أن يستفيد ممّا أفضى به بعض من اطلع على الطبعة الأولى من ملحوظات وما جدّ لديه من معلومات أفاد منها في الطبعة الثانية وأضافها إليها .

واشتمل الكتاب على مباحث عديدة أشير إلى بعضها؛ حيث بدأ الكتاب بتعريف المراد بسفربرلك، ومهّد لذلك بما ورد من أحاديث نبويّة ذات علاقة بموضوعه، وتحدّث عن سكة حديد الحجاز، وفتنة عثمان باشا، وعهد السلطان محمد رشاد، والاتحاديين في المدينة، والجامعة الإسلامية في المدينة، وحال أهل المدينة في أواخر العهد العثماني، ورحلات رجالات الحكومة العثمانية إلى المدينة، والثورة العربية الكبرى وسفربرلك، وفخري باشا في المدينة، واستغلال فخري باشا لشباب المدينة، ونفي وجهاء وعلماء المدينة المنورة، والأمر بإجلاء أهل المدينة، ومأساة التهجير الإجباري، ونقل نفائس الحجرة الشريفة، وفخري باشا والملك عبد العزيز، وإشاعات تهديد فخري باشا بتفجير الحجرة الشريفة، وتسليم فخري باشا للمدينة، وعودة أهالي المدينة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وغير ذلك من المباحث، وقد قام نادي المدينة المنورة بإصدار الطبعة الأولى من الكتاب، وها هو يتولى إصدار الطبعة الثانية المزيدة والمنقحة بعد أن نفدت الطبعة الأولى، والله ولي التوفيق .



صورة جوية للمدينة المنورة زمن سفر برلك



١ المسجد النبوي الشريف.
٢ باب السلام.
٣ الشرشورة.
٤ مكائن إضاءة الحرم النبوي الشريف.
٥ تخطيط لشارع العينية.
٦ ميدان باب المجيدي.
٧ سور المدينة الداخلي.
٨ باب المصري.
٩ الأسواق.
١٠ البلدية.
١١ شارع مناخة الحطب.
١٢ اللاسلكي.
١٣ الشرطة.
١٤ دار الحكومة.
١٥ مسجد سيدنا أبو بكر.
١٦ مسجد سيدنا علي.
١٧ مقبرة القشاشية.
١٨ ميدان المناخة.
١٩ شارع باب الشامي.
٢٠ باب الوسط.
٢١ بلاد السلطانية.
٢٢ بستان الفاروزية.
٢٣ بستان بضاعة.
٢٤ بستان السبيل.
٢٥ قلعة باب الشامي.
٢٦ مناخة ديرو.
٢٧ باب الكومي.

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الثَّانِيَة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نِعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على صفوة الله من خلقه، سيد ولد آدم، محمد النبي الأمي، وعلى آله وذريته الطيبين، وأزواجه وصحابته أجمعين.

وبعد: فبين يديك أخي القارئ، الطبعة الثانية من هذا السِّفر الموسوم بـ (سفر برلك وجلاء أهل المدينة المنورة إبان الحرب العالمية الأولى)، في حلّته الجديدة بعد أن تمم الله فضله على عبده، فأعان على إخراج الطبعة الأولى ونفادها في وقتٍ وجيز، مما حدا بي إلى إعادة النظر في إعداد طبعة أخرى بعد أن تزايد الطلب، والحمد لله على منّه وإحسانه.

إن مما لا يخفى على المؤرخين عامة، والمعتنين بتاريخ المدينة خاصة مدى أهمية هذا الموضوع التاريخي على المناحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، إذ يُعتبر حداً فاصلاً بين فترتين مهمتين، ونقطة تشترك فيها مجموعة من الأمصار والولايات المهمة في ذلك العهد.

وقد مرّت على المدينة حِقبٌ كان الاستقرار أصعب ما يمكن تطلّبه فيها، وما زالت تعاني في أواخر عهودها من تقلبات سياسية واضطرابات أمنية كانت سبباً في ضياع الكثير من آثارها المكتوبة، حتى شاء الله لها أن تدخل في حُكم المؤسس لكيان هذه الدولة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى سنة

١٣٤٤هـ، فاستعادت أهم ما كانت ترتجيه من الاستقرار والأمن، ودخلت مرحلة جديدة من التطور والعمران.

وقد رزئت المدينة في القرون الأخيرة بكُتبها، فتكاسل الناس عن تدوين الأخبار، وضاعت العديد من الأسفار، ولولا بقية باقية من متأخري العلماء والأدباء المدنيين نبغوا في أزمنة متفاوتة كان عليهم المعوّل خاصة في بداية العهد السعودي، لعانت المدينة من فراغ مطبق لا تملؤه المصنفات، يعرف ذلك كل من كابد النظر في تاريخ طيبة والكتابة فيه.

ولما كان الأمر كذلك، رأيت لزاماً عليّ إظهار ما دقّ وخفي، وتبيين ما غمض من الغابر في تاريخ المدينة، وقد صرّح غير واحد من العلماء بأن علم التاريخ من فروض الكفايات[1].

وإن مما يدخل في هذا الباب، هذا الجزء المرقوم في (سفر برلك)، وقد حاولت فيه سد الثغرة التي تركها السابقون متفرقة تتناقلها الأفواه وترويها الألسن.

وقد راعيت في هذا الكتاب السير على خطى ونهج المؤرخين غير أني اتخذت لنفسي موقف الحياد، وذلك لما رأيت الموضوع تتنازعه الأطراف، بين فئتين متخاصمتين من أبطال هذه الرواية الواقعية، وهما: العثمانيون والأشراف. ورأيت جمهرة من الناس قد انطلقوا من تصوّر واحد وحكم مسبق، تشوبهما العاطفة ويتخللهما الهوى، فحاولوا أن يخضعوا التاريخ إلى ما تمليه أنفسهم لأنهم لم يحتملوا أن تكون الصورة على غير ما يعرفون. فعمدتُ إلى قراءة المصادر التاريخية وفحصها من غير إطلاق الأحكام ولا الانحياز تجاه إحدى الطائفتين الآنف ذكرها، مكتفياً بحكاية الواقع وذكر الأحداث وملء الثغرات حسب المعطيات والشواهد التاريخية، بعيداً عن إطلاق حكم معيّن على هذه الفِرقة أو تلك، إذ التاريخ في

---

(١) «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» للسخاوي، ص ١٧٤.

أصله معرفة حوادث الماضي التي ألمّت بالأفراد والشعوب واستقصائها[١] كما حدثت لا كما يريدها الناس، فلا حاجة في اختراع حقائق أو إخفاء أخرى لإرضاء ذوق الجمهور.

على أن أصل هذا الكتاب وأساسه كان تصويراً لمعاناة المدنيين وحكاية لمأساتهم ورواية لأخبارهم، لكني لم أجد بداً من اقتحام جانب من جوانب تاريخ الثورة العربية الكبرى، وسوْق روايات الأطراف المتنازعة مع اطّراح أحكامهم لأنها خارج محل البحث، ولن يعدم الباحث في تلك الحقبة أعذاراً لكثيرٍ من ردود أفعال الناس، مما لا يُثرّب عليهم، إذ ربما كان الظرف القائم آنذاك أصعب من تفسيرنا له اليوم، وكثيرٌ من أواخر الأمور لا تبقى على وفق طلب أوائلها، بل تنسلّ عن الضبط، كما قال الإمام الغزالي[٢].

ومن البدهي أن غياب التاريخ المدوّن يفسح المجال للروايات الشفهية أن تكون مصدراً من مصادر البحث، لكن لا يؤمن جانبها أن تتحول إلى أساطير إن لم تندرج تحت شروط الرواية، من الوثاقة والعدالة والضبط، مع فحصها إلى غير ذلك مما هو معلوم عند أهل الفن. والشرَهُ في الإغراب لا سيما إن صادف أغراضاً نفسية، كثيراً ما يؤدي إلى تهويل القصص مما يشكك الناس في أصلها وربما أفضى إلى إفساد الحقيقة.

وعلى هذا الأساس فقد عمدت إلى الروايات الشفهية التي قيدتها عندي مما سمعته من أفواه أشياخي وأساتذتي ومن أدركت وشهدت، فاجتبيت منها ما غلب على يقيني صدقه، واصطفيت ما اتفق عندي مع السياق التاريخي، ونقدت منها ما ترجح لي بطلانه، ولي في ذلك أسوة بالمؤرخين والأسلاف من أمثال الإمام ابن خلدون وغيره.

---

(١) «منهج البحث التاريخي» للدكتور حسن عثمان، ص ١٢.

(٢) «الاقتصاد في الاعتقاد» ص ١٣١.

وليُعلم أخي القارئ أن هذه الطبعة قد امتازت عن سابقتها، بمزيدٍ من المباحث التي رأيت من المستحسن إضافتها، وتصحيحٍ لبعض الأوهام التي زلّ فيها القلم، وتفصيلٍ في بعض المواضع التي اختصرتها أو مررت عليها مروراً. وقد استفدت في جلّ ذلك من ملاحظات إخواني من الأصدقاء والمعتنين، كما ضربت صفحاً عن النقدات غير العلمية، كمن يزعم أن تهجير أهل المدينة لم يحدث قط أو أن الجوع لم يكن بالصورة المشتهرة، وأن كل ذلك مجرد مزاعم أطلقها العوام، متغافلاً عن استفاضة الخبر وتواتره، وتعاقُب المؤرخين على نقله، مما يجعل اطّراح مثل هذه الآراء الشاذة أمر لا بد منه.

هذا وإن من أهم مصادري في تاريخ هذه المأساة، ما نثره المدنيّون المعاصرون من أحوالهم في مذكراتهم التي نشروها على هيئة كتب أو مقالات، أو ما زالت خطية لم يكتب لها الطباعة بعد، ومنها:

- **ذكريات العهود الثلاثة**: وهو كتاب منشور للأستاذ محمد بن حسين زيدان، وهو أديب ومؤرخ، عاصر هذه الأحداث في صباه، وسمع وتبيّن الكثير من مشايخه وأهله.
- **حياتي مع الجوع والحب والحرب**: وهو كتاب منشور للأستاذ عبد العزيز ابن ضياء الدين بن زاهد، الأديب الكاتب المعتني، وكان معاصراً لهذه الأحداث كلها في صباه، وقد أفاض في هذه السيرة الذاتية جوانب مهمة عن سفر برلك بين المدينة والشام.
- **حلقة هامة من تاريخنا القريب**: وهي سلسلة مقالات للشيخ عبد الحق ابن عبد السلام النقشبندي، وهو شيخ فاضل واسع الاطلاع، أدرك هذه الأحداث واكتوى بحرّها، وسمع من شيوخه وأهله.
- **صور وأفكار**: وهي مقالات للرائد الصحفي السيد عثمان بن عبد القادر حافظ، جمعها في كتاب، وضمّن آخرها ذكريات عن حياته، وفيها من أخبار سفر برلك، وقد أدرك هذه الأحداث وكان صبياً مميزاً.

* **المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي** : وهي ذكريات أملاها عليّ أستاذنا الشيخ الشاعر حسن بن مصطفى الصيرفي في أخريات حياته، وقد ولد في أثناء هذه الأحداث، لكنه سمع ووعى من أبيه وأهالي المدينة وبالأخص من الأستاذ عثمان بن عبد السميع حلمي الساعاتي، أمين سر فخري باشا.

١٨

١٤

الفصل التاسع
حارات المدينة المنورة

الحارة أو الحي أو المحلة ما هذه الأسماء الثلاثة كلها
لمسمى واحد تطلق على مساحة من الأرض عامرة بالمساكن
والشوارع والأحوشة والأزقة ومنهل لماء الشرب والإضاءة
ويسمى في المدينة المنورة (شيخ الحارة)
انت تعرف مما سلف ان السور الجواني في العامة تطلقه
(الصور) يحيط بثلاث حارات وهي حارة الساحة وحارة الأغوات
وحارة ذروان مع جوّه المدينة وكانت كلمة جوه المدينة تطلق
على سوق المدينة الرئيسي من باب المصري الى باب السلام بجميع
ما يتفرع منه من اسواق وازقة ووكالات التجار وسوق الشروق
الذي كان متصلا بسوق القفاصين قبل احداث شارع العينية
حوالي عام ٥٥ اثناء الحرب العالمية الأولى قلت وما يتفرع منه ومنها
زقاق العينية وعقد بني حسين وقد ادركت الناس يقولون
انه فيه سقيفة بني ساعدة خلافا لما ذهب اليه الفاضلان
عمر المعروف الأنصاري واحمد ياسين خياري رحمهما الله عبد الكريم ...

صفحة من ذكريات حسن الصيرفي بخط يده

- **مذكرات الشريف إبراهيم العياشي** : وهي أوراق مخطوطة للمؤرخ الشريف إبراهيم بن علي العياشي العلوي، سماها: «من طقطق لسلام عليكم»، وقد ضمن أجزاء منها عن حياته أثناء سفر برلك، وكان صبياً مدركاً مميزاً.
- **تذكار وتاريخ ما حصل في المدينة أو أحداث عاصرتها** : وهو كتاب مخطوط للمعمّر خضر بن عبد الله الفارسي، مدّني به ابنه الأستاذ حسين نفع الله به، والمؤلف كان معمرّاً قد جاز المئة، وأملى كتابه هذا على رجل بخاري سنة ١٣٨٩هـ، وقد تحدث فيه عن الأحداث التي عاصرها منذ عهد عثمان باشا إلى دخول المدينة المنورة تحت حكم الملك عبد العزيز، وفيه أخبار عن سفر برلك، وكان شاهد عيان ومعاصراً للحوادث كلها، قال في آخر كتابه: "كنت أنا الجامع لهذه الفصول، والتي حصلت بشكل واقعي وعملي، عاشرتها بنفسي أنا: خضر بن عبد الله الفارسي".
- **من أعلام المدينة المنورة** : وهي سلسلة مقالات في تراجم أعيان المدينة المنورة، خطتها يد الشيخ المؤرخ محمد بن محمد سعيد دفتردار، ونشرها في جريدة المدينة المنورة، ومجلة المنهل، حوت طائفة من أخبار الحادثة وما يتعلق بها، وما زال أصل الكتاب الخطي محبوساً عند أبنائه منذ أزيد من أربعين سنة، لم يكتب له الخروج.
- **مذكرات السيد حمزة غوث** : وهي أوراق مخطوطة للسيد حمزة بن إبراهيم غوث، ضمّنها ابنه السيد خالد في كتاب مطبوع، أطلق عليه اسم: «من رجال المدينة المنورة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري السيد حمزة بن إبراهيم غوث»، وصاحب هذه المذكرات رجل معدود من أهل السياسة، مقرّبٌ من القادة، وله مشاركة في الكثير من الأحداث.
- **ذكريات غير منسية** : للرائد الشيخ عبد القدوس بن القاسم الأنصاري، وهما مقالتان نشرهما في مجلته المنهل، ذكر فيهما شيئاً من معاناته في سفر برلك.

◎ **عقد الزمرد والزبرجد في ترجمة الابن والوالد والجد** : وهو كتاب مرقوم على الآلة الكاتبة للعلامة السيد محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني، أرسله لي ابن حفيده صاحبنا السيد الدكتور حمزة بن علي بن المنتصر بن الزمزمي الكتاني، حفظه الله ورعاه، والمؤلف أحد العلماء المشهورين، وكان في المدينة وقت الحرب العالمية الأولى، وهو ممن هاجر إلى الشام، وسجل في كتابه هذا بعض مشاهداته.

ولهؤلاء نظراء وأكفاء كتبوا مذكراتهم لكن لم يصلنا منها شيء، مثل العالم الشيخ حميدة بن الطيب الإبراهيمي، فقد كتب بعض هذه المعاناة في كتاب سماه: «آراء في أحوال أهالي طيبة ودمشق الفيحاء»[1]، وكذلك الشيخ عبد الحكيم بن أحمد عثمان الشامي (ت ١٤١٢)، فقد أخبرني الشيخ خليل ملا خاطر أن له مذكرات بأحداث سفر برلك، اطلع عليها وقرأها عليه واستفاد منها.

كما اعتمدت في هذه الصفحات على المصادر والمراجع التركية التي تصوّر الأوضاع من وجهة نظرهم، وتظهر بعض الحقائق، وتعرض موقفهم من الأحداث، وفيها توثيق لكثير من تاريخ المدينة في هذه المدة، ومن أهمها:

◎ **الدفاع عن المدينة المنورة أو كيف انفصل عنا الحجاز** : للضابط ناجي ابن كاشف كجمان التركي، ويمتاز هذا المؤلَّف بأن صاحبه كان ضابطاً في حامية المدينة المنورة، وخطّ كتابه هذا بتصديق من فخري باشا وفيه وثائق مهمة، وشيء من مذكرات فخري التي لم يحتفظ إلا بدفتر أو دفترين منها. وقد ترجمه الأستاذ أديب عبد المنان، ونُشر جزء منه في مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، في العدد السابع منها، إلا أنه اختُصر اختصاراً شديداً مزرياً بالمعنى والسياق أحياناً، لذا استعنت بالترجمة

---

(١) كنت قد سألتُ عن هذا الكتاب حفيده الأستاذ أحمد بن محمد بن حميدة الطيب، حفظه الله، فأخبرني أن كتب جده في عداد المفقودات، ولا يُعرف لها أثراً.

الأصلية المحفوظة بالمركز ولم أعتمد عليها كلياً لما احتوته من ضعف، وقد ظهر ذلك بعد مراجعة الأساتذة من متقني اللغتين العربية والتركية.

- **دفاع فخر الدين باشا عن المدينة آخر الأتراك في ظل رسولنا ﷺ** : للمحامي فريدون بن علي فخري قاندمير التركي، وكان أحد المنتسبين إلى قوات الحملة الحجازية إذ كان يعمل في مستشفى الهلال الأحمر، وله صلة وطيدة بفخري باشا، وتولى رئاسة الاستخبارات بعد ذلك. وقد احتوى كتابه على تفاصيل ووقائع حول الدفاع عن المدينة، ووثائق في غاية الأهمية، كما أنه التقى فخري باشا بعد خروجه من المنفى وأرّخ له، وسجّل آراءه.
- **أمير العرب الأمير الشريف علي حيدر** : للإنجليزي جورج ستيت، وقد كتب هذا الكتاب باللغة الإنجليزية، وضمّنه مذكرات الشريف علي حيدر باشا بن جابر بن عبد المطلب التي كتبها بالتركية، وفيه فصل مهم عن ولايته وبقائه في المدينة.
- **مذكرات جمال باشا السفاح** : وهي مذكرات لقائد الجيش الرابع أحمد جمال باشا، الذي كانت حامية المدينة المنورة كلها تحت إشرافه وقيادته، وهو الرجل الثالث في الدولة العثمانية، وقد سجل في مذكراته أخباراً كثيرة حول ما حدث وتعليلاته لها.

كما اطلعت على عدد من الدراسات التي نشرت عن حامية الدفاع عن المدينة المنورة، مثل: «فخر الدين باشا والدفاع عن المدينة» باللغة التركية، لسليمان ياطاق، و«موقف الحامية العثمانية في المدينة المنورة من ثورة الشريف حسين» لمريم بنت فريح المهوّس، وقد نشرَت جزءاً منه في مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

خطاب فخري باشا إلى ناجي كاشف كجمان يخوله بتأليف كتابه

(المرجع: Medine Mudafaasi: (Naci Kasif Kiciman)

ولم يعزب عن ذهني مصادر ومراجع الثورة العربية الكبرى المتوافرة مما ستجده في هذا الكتاب، مثل: «الثورة العربية الكبرى» للمؤرخ أمين سعيد، و«الثورة العربية الكبرى» لقدري قلعجي، و«مذكرات الملك عبد الله بن الحسين»، و«مذكرات نوري السعيد»، و«المعارك الأولى، الطريق إلى دمشق» لصبحي العمري، و«أعمدة الحكمة السبعة» ومختصره «ثورة في الصحراء» للإنجليزي توماس لورنس، وغيرها، وأهم من هذا كله جريدة القبلة الصادرة عن الحكومة الهاشمية، التي قدمت تصوراً للحرب والحصار والثورة من زاوية أخرى.

كما أن للوثائق دور كبير لا يمكن إغفاله في تاريخ هذه الفترة، وقد استفدت في جمع بعضها من دارة الملك عبد العزيز، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، فالشكر موصول لهم.

وقد كلّفت نفسي عن عمدٍ ألا أترجم لجميع الشخصيات الحجازية الوارد اسمها في الكتاب، ولم يصرفني عن ذلك إلا أنه سيزيد من حجمه، ويخرج به عن موضوعه، لا سيّما أني ضمّنت معظم تراجم المدنيين هؤلاء في مؤلف كبير أنهيت جلّه، سميّته: «سبحة العقيق الثمينة في سير أعيان المدينة»، يسّر الله نشره.

ولا يفوتني في هذا الموضع أن أتقدم بشكري إلى كلّ من ساندني وآزرني وأنهى إليّ بخبر أو معلومة أو تصحيح أو استدراك، وما المرء إلا بإخوانه، وأخص منهم أستاذي الأديب الدكتور عاصم بن حمدان على توجيهه وتشجيعه، وصديقي الأستاذ الباحث عبد الله بن محمد كابر الحسني على ما أولاني به من نظرٍ وعناية، وصديقي الرحالة الأديب نواف بن محمد بن عبد الله آل رشيد على ما مدّني به من فوائد جمّة وعزيزة.

كما أزجي شكري وتقديري للشيخ عبد الرحمن بن يوسف عثمان الأيبيري الشنقيطي، والأستاذ أبي الفضل محمد بن عبد الله القونوي، على ما أعاناني في ترجمة النصوص التركية وفهمها، وكذلك الدكتور حمد بن عبد الله العنقري، والأستاذ خالد بن سليمان الخويطر على ما تكرّما به من دلالتي وإمدادي بما يخص هذا البحث من وثائق ومصادر. ولا أنسى توجيه الشكر الجزيل إلى الأستاذة آلاء بنت عبد العزيز الحسن على قراءتها للكتاب وتدقيقه لغوياً.

وختاماً، فأحمد الله الذي يسّر إخراج هذه الطبعة الثانية على هذه الهيئة، مع ضيق الوقت وانشغال الذهن، وما المرء إلا ابن وقته وساعته، وكل ينفق على قدر وسعه واستطاعته، ولم آلُ جهداً في سبيل جمع واختصار ما تيسر بين دفتي هذا الكتاب، والله المستعان، وعليه التكلان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين.

سعيد بن وليد طوله

المدينة المنورة

٥ شعبان ١٤٣٨هـ

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الأُولَى

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين.

وبعد؛ فإن (سفر برلك) أو التهجير القسري الجماعي لأهل المدينة (١٣٣٤هـ- ١٣٣٧هـ) يعدّ نقطة تحوّل مهمة في تاريخ الحجاز عموماً والمدينة المنورة خصوصاً من الناحيتين الاجتماعية والسياسية. ومع أهمّية هذه الحادثة على الصعيد التاريخي إلا أنها افتقرت إلى الكتابات والتآليف التي تستحقها، ولعل ذلك يعود إلى قلّة ما كُتب من جهة، وإلى كثرة الروايات الشفهية المتضاربة.

إن حادثة كبيرةً بحجم (سفر برلك) لم تكن وليدة وقتها، بل سبقتها تداعيات وإرهاصات عظيمة، تمخّضت فولدت لنا هذه المأساة التي ارتبطت ارتباطاً وطيداً بالحرب الكونية العالمية الأولى، ونتج عنها سقوط الإمبراطورية العثمانية العظمى التي كانت تعتبر منذ قرون عديدة دولة الخلافة التي تجمع معظم المسلمين تحت راية واحدة.

لم تكن حادثة (سفر برلك) منعطفاً سياسياً فحسب، بل كانت مأساة نُقشت في أذهان المدنيين وطُبعت في نفوسهم، حتى صارت حديث المجالس بينهم، وجعلوها عنصراً أساسياً تُعزى إليه الأسباب، وحدثاً يؤرخون به أحوالهم، ومأساة

يرويها الرجال والنساء في قصة (سينمائية) عجيبة، يزيدون أحياناً كثيرة وينقصون، ليحكوا لأولادهم قصص الثكالى واليتامى والأُسَر التي تبددت بالرحيل والجوع والوباء والموت.

كل هذه التحولات التي صاحبت هذه الحادثة جعلتنا نعدّ هذه المأساة أعظم المآسي التي مرّت بها المدينة المنورة في القرون المتأخرة، وقد اعتبرها بعض العلماء علامة من علامات آخر الزمان، وإشارة نبوية أخبر بها النبي ﷺ في الأحاديث الشريفة.

إن الكثير ممن تطرّق إلى هذا الموضوع في كتبه لم يلتفت إلى ما عاناه أهل المدينة من عذاب وتشرّد وجوع وفقر وما نتج عن ذلك من تبعات أثّرت كثيراً في شريحة المجتمع المدني فغيّرت ملامح حياتهم الاجتماعية والثقافية، ناهيك ببلد كان يعجّ بآلاف السكان وقد تحوّل خلال أربع سنوات إلى مكان خالٍ ليس فيه إلا مئات من الناس، وجالت فيه الكلاب والهوام، فيما اكتفى معظم الكتّاب بذكر تلك الحوادث من الناحية السياسية ضمن حوادث الحرب العالمية الأولى والثورة العربية الكبرى.

وقد عُنِيْتُ في هذا الكتاب بتصوير هذه المعاناة وإبرازها بشكلٍ أساسي، وإلقاء الضوء على جوانب المأساة مع إيراد نماذج حيّة لأناس عايشوا ورأوا وسمعوا تلك الأحداث، مستنداً في ذلك على كتابات المدنيين وما نثروه في كتبهم ومقالاتهم ومذكراتهم المطبوعة والخطية التي لم يكتب لها الخروج إلى حيّز النشر والطباعة والانتشار.

ومن أشهر من كتب في هذا المجال من المدنيّين الأساتذة الفضلاء: محمد حسين زيدان، وعبد الحق النقشبندي، وعزيز ضياء، والسيد عثمان حافظ، وحسن مصطفى صيرفي، والشريف إبراهيم العياشي، وغيرهم ممن ذكرته في هذا الكتاب.

كما اعتمدت على الروايات الشفهيّة التي انتقيتها انتقاءً، وحاولتُ قدر الإمكان والمستطاع أن أتحرّى الدقة والصحة في هذه الروايات، فلم أورد كل ما وقعت عليه، بل اخترتُ ما صحّ عندي وتوافق مع السياق التاريخي، وأعرضتُ عن المبالغات والقصص الأسطورية، ونسبت كل قولٍ لقائله، وكل فكرةٍ لصاحبها، ونقلتُ النصوص كما هي وإن شاب بعضها انحياز إلى فئة من الفئات السياسية، فإن هذا الخلاف لا بد منه في كل الأحوال والحروب والحوادث المشابهة. وغرضي هنا إثبات أمر واقع، وحقيقة ماثلة، وعرضُ تاريخ من غير تحيُّزٍ مني إلى الطرف العثماني أو الطرف الهاشمي.

ومن البدهي أن يختلق الناس الإشاعات والمبالغات، كل فئة حسب ما يميل قلبها إليه أو يدل عقلها عليه، لذا فإنه لا يخلو كتاب من تحليلاتٍ تأخذ طابع الانحيازية سواءً إلى ثورة الشريف الحسين أو إلى الدفاع عن الدولة العثمانية، فالفرقة الأولى ترى أن الثورة العربية قامت ضد ظلم الاتحاديين الذين غصبوا الحكم من العثمانيين وانتهجوا سياسة التتريك ونشر مبادئ الطورانية، ولا يُستبعد أن ترى من يطلق عبارات التكفير على جميع المنتسبين إلى جمعية الاتحاد والترقي بزعم أنها جمعية يهودية صهيونية ماسونية إلى آخر ذلك من الأوصاف، فيلبسونها على كل فرد أو قائد منهم.

والفرقة الأخرى ترى في خروج الشريف الحسين على الحكومة العثمانية خلعاً للطاعة، وفي تخليه عن الجهاد وتعاونه مع العدو الإنجليزي الكافر لتوطيد حكمه وتنصيبه ملكاً على العرب خيانةً عُظمى، وذلك في أمس ما تكون الدولة المسلمة في حاجته.

ومن خلال هاتين الرؤيتين كان الاختلاف الشديد بين العلماء والكتّاب بناءً على مجريات الأحداث وقتها، ويظهر ذلك جليّاً في فتاوى العلماء المتباينة من قطر لآخر، ففي مكة المكرمة وقّع ٣٦ عالماً من أكابر علمائها على منشور وفتوى

خلع طاعة الحكومة التركية ومبايعة الشريف الحسين ملكاً على البلاد العربية، ووجهوا خطاباً إلى العالم الإسلامي يندِّدون فيه بمظالم الاتحاديين[1].

ومن جهة أخرى فقد أصدر علماء الشام فتوى ضد ثورة الشريف الحسين، واعتبروا خروجه على سلطان المسلمين محمد رشاد مخالفاً للقرآن والسنة النبوية، وأن التجاءه للإنجليز موجبٌ لسخط الله ورسوله ﷺ، ووقع على هذه الفتوى ٥٢ عالماً[2]، وقد شاركهم في هذا الرأي جماعات من علماء الهند والمغرب.

ولم تكن الحال في المدينة المنورة بمعزل عن هذه الآراء المتباينة، بل حدثت الاختلافات والفرقة واتُّهم الكثير بموالاة الثورة العربية ونُفيَ أكثر من ١٧٠ شخصاً إلى بلدان متفرقة، بيْد أن حادثة الإجلاء والتهجير أشغلتهم عن الخوض في هذه الأمور، لكن بقيت آثار معاناتهم يتوارثونها لتتضح جليّة في شخص بطل هذه المأساة، وهو حاكم المدينة التركي فخري باشا، الذي حيكت حوله الروايات الكثيرة والإشاعات المتعددة، فاختلفوا في الحكم عليه، بين من يعدّه ظالماً غشوماً ومسؤولاً رئيساً عن كل ما حصل، وبين من يراه بطلاً فعل ما بوسعه كي ينقذ المدينة، وما حادثة التهجير هذه إلا قرارٌ اضطُرَّ إليه لينقذ أهالي المدينة المنورة من الجوع الناتج بسبب الحصار.

ومن هذا المنطلق اعتمدت في صفحاتي هذه على المذكرات التركية التي كتبها الضباط أو المرافقون لفخري باشا خاصةً في أيامه الأخيرة؛ لأنها تتحدث عن أمور لم يشهدها أحد سواهم، وفيها تفاصيل ووقائع تفند الكثير من الإشاعات، وتبيّن بعض الحقائق من وجهة نظر فخري باشا، وأهم هذه المذكرات كتاب: (الدفاع عن المدينة أو كيف انفصل عنا الحجاز) للضابط ناجي كاشف كجمان، وكتاب:

---

(١) «جريدة القبلة» ع ٢٧، ص ١-٢.

(٢) «الشريف حسين والخلافة» لنضال المومني، ص ١٠٥- ١٠٦.

(دفاع فخر الدين باشا عن المدينة: آخر الأتراك في ظل رسولنا ﷺ)، لفريدون قاندمير.

ولم أغفل أيضاً الأخبار الصادرة من قِبل الحكومة الهاشمية، وخاصة جريدة القبلة الناطقة باسمها، إلى غير ذلك من مراجع الثورة العربية الكبرى التي تشرح الأمر من زاوية أخرى مختلفة.

والغرض من جمع هذه الأخبار واختيار ما وافق منها العقل والمنطق والسياق التاريخي أن نحاول قدر الإمكان الوصول إلى الحقيقة التاريخية حسب المعطيات والآثار المتوافرة؛ لأن الكثير من النصوص التاريخية تتخللها الأغراض والمصالح والنزعات الإنسانية، ويروق لي هنا كلام الأمير شكيب أرسلان رحمه الله، إذ يقول: (قد علّمت الخلقَ التجارب، إنه كلما تطاولت الأيام وتراخت الآماد على الحوادث، زيد في الأخبار ونقص منها، وما زالت تعتورها التصورات بالقلب والإبدال إلى أن تصبح الأخبار في وادٍ، والحوادث الحقيقية في وادٍ، ويعود التاريخ قصصاً موضوعاً، فالخبر أمانة في ذمة المعاصر للحادث، ولا سيما المطالع والمشاهد، ينبغي أن تؤدى تلك الأمانة على أصلها، نصحاً بالرواية وحرصاً على التحقيق)[1].

فإليك أيها القارئ هذا الجزء اللطيف في تاريخ أعظم مأساة مرت بها المدينة المنورة منذ قرون طويلة، ليشكّل مدخلاً مفيداً لمن أراد التوسّع في دراسة هذه الحادثة وما صاحبها من ظواهر مترامية الأبعاد، وليُعلم أن أصل هذا الكتاب مبحث من مباحث كتابي: (صفحات من التاريخ العلمي والاجتماعي في المدينة المنورة)، وهو في الأصل محاضرة ألقيتها في النادي الأدبي في ١٥ ذي القعدة سنة ١٤٣٥هـ.

(١) «حاضر العالم الإسلامي» لشكيب أرسلان، ٢: ٥٤٥.

وقد طلب مني أخي المفضال الأديب الأستاذ نايف بن فلاح الجهني المدني، أن أستلّ هذا الفصل الخاص بـ (سفر برلك) وأفرده في كتاب، فلبّيت طلبه، ورتبته وأضفت إليه بعض ما له تعلق بالموضوع، فله الشكر والفضل إذ كان سبباً في إخراج هذا السِّفْر.

وأود أن أشكر في هذا المقام الأستاذ الأديب محمد علي بن عمر كاتبي على مراجعته للكتاب وإفاداته وتصحيحاته المهمة، وأخي الباحث عبد الله بن محمد كابر على اقتراحاته التي أفاد بها، والصديق السيد محمد بن عمر الكاف على تنسيقه وترتيبه ومراجعته للكتاب.

وأيضاً أقدم شكري للباحث في تاريخ المدينة الأستاذ عبد العزيز بن إبراهيم بالي(١) على إمدادي بمجموعة الصور الخاصة بفخري باشا(٢)، والأستاذ محمد براء بن محمد منير الملقي على إمدادي ببعض الصور الخاصة بالمدينة المنورة.

---

(١) هو الأستاذ الفاضل المعتني عبد العزيز بن إبراهيم بن سالم بن عباس بن سالم بن عمر بن محمد أمين بالي، ولد في المدينة المنورة سنة ١٣٨١هـ لأسرة مدنية عريقة كان فيها الإفتاء والإمامة والخطابة، وتدرج في التعليم فأنهى الابتدائية في المدرسة المنصورية، والمتوسطة في مدرسة عبادة بن الصامت، ثم انتقل إلى ثانوية طيبة فثانوية قباء التي تخرج فيها سنة ١٤٠٠هـ، والتحق بجامعة الملك عبد العزيز في تخصص الإعلام والعلاقات العامة وتخرج سنة ١٤٠٦هـ، وعمل مديراً لمكتب مدير التلفزيون مدة ٥ سنوات، ثم انتقل إلى الإعلام الخارجي وتدرج فيه حتى عُيّن مديراً عاماً للإعلام الخارجي في المدينة المنورة سنة ١٤٢٩هـ وما زال على وظيفته إلى أن توفي، وبيني وبينه صحبة وقد أفادني في كثير من الأمور التاريخية ولم يكن يكتم من العلم شيئاً، وكان رحمه الله عالماً بخصوص معالم الحرم النبوي الشريف، وله نشاط ملموس في التعريف بها، وكان يعدّ برنامجاً تلفزيونياً خاصاً في ذلك في آخر حياته. توفي فجر السبت في ٣ ذي القعدة سنة ١٤٣٧هـ عن ٥٦ عاماً وصلي عليه بعد الظهر في الحرم النبوي الشريف ودفن في بقيع الغرقد، تغمده الله بواسع رحمته.

(٢) هو الكتاب المسمى بـ (صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني: من ألبومات السلطان عبد الحميد الثاني ومجموعة فخر الدين باشا)، المطبوع في إسطنبول سنة ٢٠١٣م.

وقد استعنت بالأستاذين الفاضلين جهاد بن محمود الأماسي، والشيخ يوسف بن محمود كوندوز، لترجمة النصوص المهمة من الكتاب التركي: (دفاع فخر الدين باشا عن المدينة المنورة) لصاحبه فريدون قاندمير، ثم أعدت صياغته بعبارتي، ويعود الفضل في دلالتي على هذا الكتاب النفيس إلى الأستاذ أبي الفضل محمد بن عبد الله القونوي، وقد تكرّم صديقي المختار بن أحمد التاشدبيتي الشنقيطي- نزيل إسطنبول- بإرسال هذا الكتاب إليّ.

فلهم مني جميعاً الشكر الجزيل، والثناء الحسن، وخالص الدعاء، اعترافاً لهم بالفضل، ولا أوفيهم حقهم، فجزاهم الله عني وعن أهل المدينة خير الجزاء.

وختاماً، أتمنى أن أكون قد وفّقت في عرض هذه المادة المهمة في تاريخ المدينة المنورة، وحسبي أني بذلت جهدي في ذلك، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

سعيد وليد طوله

المدينة المنورة

١٠ محرم سنة ١٤٣٧هـ

التَّعريفُ بـ (سَفَرْبَرْلِك)

(سفر بَرْلِك) بفتح السين والفاء والباء، وكسر اللام، وتُكتب بالتركية: (*Seferberlik*)، وهي في الأصل تعبير تركي استمدت فيه التركية من العربية: (السفر)، و(برلك) وتعني: الجماعي، وترجمتها حرفياً: السفر معاً أو جماعة مهيأة للسفر.

ويقول الدكتور ف. عبد الرحيم: "ومعناها: تعبئة الجيش، وهي مكونة من ثلاثة عناصر، وهي (سفر) وهو عربي، و(بر) وهو فارسي، وهو مشتق من (بُردن) بمعنى حَمَل، و(لك) وهو كاسعة[١] تركية تحول الصفة إلى الاسم. فأصل معنى الكلمة بعناصرها الثلاثة: حمل الناس على السفر"[٢].

وقال الأستاذ أبو الفضل القونوي: "سَفَرْ: يستعملونها بمعنى: الارتحال، وبمعنى: المرة الواحدة، وخروج الجيش للحرب، ومنها الكلمة (سَفَرْ بَرْلكْ)، وهو النفير العام للحرب"[٣].

وأما معناها الاصطلاحي فيراد به: إعلان الدولة النفير العام والتأهب للحرب

---

(١) إذا كان المصطلح يتألف من مقطعين فإنه يطلق على الأول اسم بادئة (*Preffixe*)، وعلى المقطع الثاني اسم كاسعة أو لاحقة وهو ما يعرف بالإنجليزي باسم: (*Suffixe*). انظر: «المصطلح العلمي في اللغة العربية» ص ١٢٩.

(٢) «معجم الدخيل» ص١٢٢.

(٣) «كتاب إصطنبول، تكلم التركية بكلمات عربية» ص ٢٦٥.

عموماً[١]. وعليه فإن هذه العبارة يرُاد بها عموماً: كل نفير عام للجهاد في زمن الدولة العثمانية[٢].

وأما معناها عند أهالي المدينة المنورة والحجاز، فيتجه مباشرة إلى الحرب بين الدولة العثمانية والأشراف، والترحيل القسري الجماعي لأهالي المدينة المنورة إلى بلاد الشام وتركيا من قِبل الحاكم التركي فخري باشا، وهو المعنى المراد في عنوان هذا الكتاب.

وللكلمة دلالةٌ أخرى عند أهل الشام ولبنان إذ كانت تشير عندهم إلى معنى التجنيد القسري لجماعات من الشباب والفلاحين وتسجيلهم ضمن سلك الجيش العثماني والزج بهم في أتون الحرب العالمية الأولى[٣].

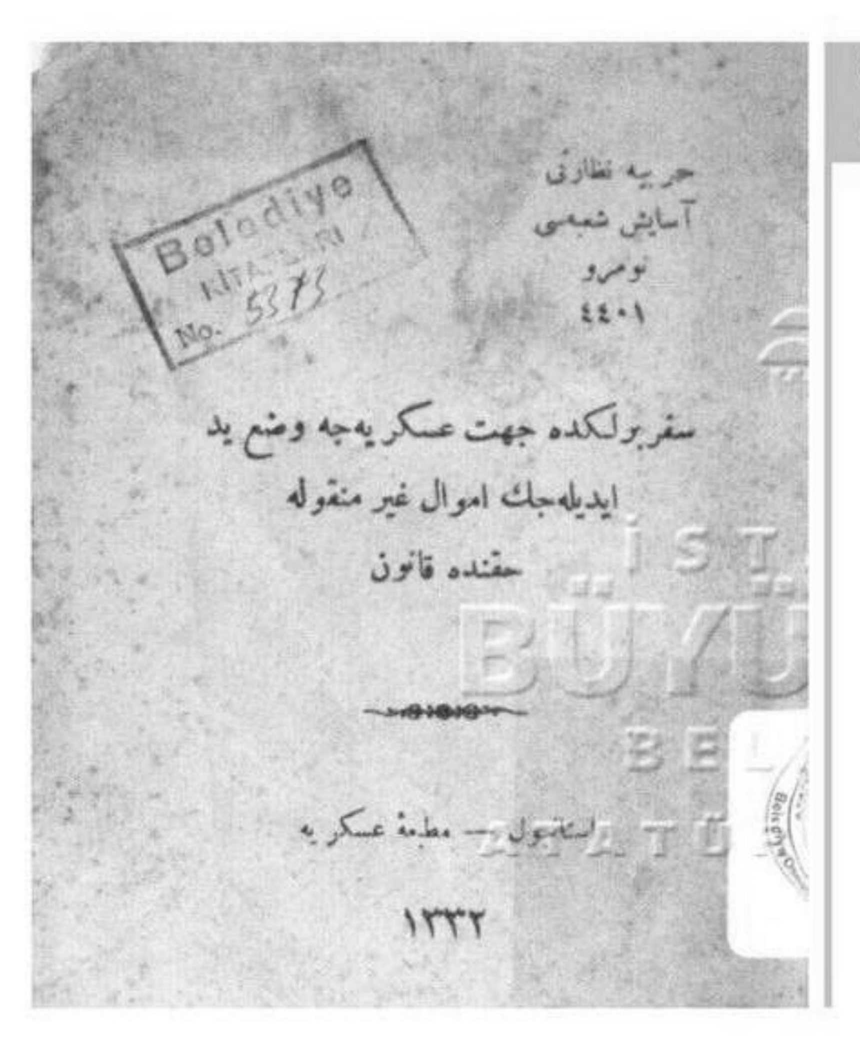


(١) أفاد بهذا المعنى والمعنى الحرفي لها، الشيخ علي رضا آق كون التركي، عن طريق أخي الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الشنقيطي جزاه الله خيراً.

(٢) نشر الأستاذ أحمد بن أمين مرشد مقالاً في جريدة مكة المكرمة يوم السبت ٦ ربيع الثاني سنة ١٤٣٧هـ، زعم فيه بأن كلمة (سفر برلك) معناها سفر البر، ويراد بها الرحلة العادية بالقطار، وأما الترحيل والتهجير فيطلق عليه: (سفر برلي). قلت: وهذا غير صحيح، إذ لا يعضده دليل من الناحية اللغوية ولا التاريخية، ولا تعرفه المصادر العربية ولا التركية، وجميعهم يثبتونها بالكاف سواء العرب أو الترك، لا يخالف في ذلك أحد، ولينظر أيضاً في معنى هذه الكلمة عند أهل المدينة كتاب: «معجم الألفاظ الواردة عند أهل المدينة المنورة» ص ١٨٢.

(٣) وقد عُرض فيلم لبناني قديم سنة ١٩٦٧م يحمل هذا الاسم (سفر برلك) من بطولة المغنية المعروفة فيروز، يتحدث عن أوضاع لبنان في هذه الأثناء.

غلاف كتاب (سفربلكده) المطبوع في اسطنبول


حربيه نظارتى
آسايش شعبه‌سى
نومرو
٤٤٠١

سفربرلكده جهت عسكريه‌جه وضع يد
ايديله‌جك اموال غير منقوله
حقنده قانون

استانبول — مطبعهٔ عسكريه

١٣٣٢

الإشَارَاتُ النَّبوِيَّةُ لحَادِثَة (سَفَربَرلِك)

جاءت بعض الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة مشيرة بصراحة إلى حوادث إجلاء أهل المدينة المنورة عنها، وقد حاول بعض العلماء إسقاطها على أحداث قديمة إلا أنها في الواقع أقرب إلى إسقاطها على حادثة سفر برلك، وإلى هذا ذهب بعض العلماء المعاصرين.

وخلاصة ذلك أن أهل المدينة المنورة سيتركونها مرتين أو أكثر وقد أشار إلى ذلك الإمام السمهودي فقال: "ورد ما يقتضي أن الترك للمدينة يكون متعدداً"(١)، وكذلك السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي في (الإشاعة) حين قال: "لكن إذا ثبت التعدد سهل الأمر بأن يقال: يخرجون منها ثلاث مرات، وإنما ذكر في الحديث مرتين إيجازاً واختصاراً"(٢).

ومما يدل على أن الخروج متعدد، ما رواه ابن شبّه بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إليها فيعمرونها حتى تمتلئ وتبنى، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبداً»(٣).

---

(١) «وفاء الوفا» ١ : ١٢٣.

(٢) «الإشاعة بأشراط الساعة» ص ٧٧.

(٣) «تاريخ المدينة» لابن شبّة، ١ : ٢٨٣، ورواه البزار في «مسنده» ١ : ٣٥٠، وأحمد في «مسنده» (١٤٧٣٥) إلا أنه ذكر في حديثه مكة مكان المدينة، ومدار أسانيد هذا الحديث

فأما الخروج الأول فيدل عليه ما رواه الإمام مالك بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لتتركن المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذّي[1] على بعض سواري المسجد أو على المنبر، فقالوا: يا رسول الله، فلمن تكون الثمار ذلك الزمان؟، قال: للعوافي: الطير والسباع»[2].

وروى أحمد والطبراني بسندهما عن محجن بن الأدرع رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، ثم عرض لي وأنا خارج من طريق من طرق المدينة، قال: فانطلقت معه حتى صعدنا أحداً، فأقبل على المدينة فقال: «ويل أمها قرية يوم يدعها أهلها كأينع ما تكون» – وفي رواية: كأعمر ما تكون، وفي أخرى: خير ما تكون-، قال: قلت: يا رسول الله من يأكل ثمرتها؟، قال: «عافية الطير والسباع»[3].

وروى الشيخان بسندهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي – يريد

على ابن لهيعة، وقد حسّن سنده الشيخ خليل ملا خاطر في «فضائل المدينة المنورة» ١: ٣٩٠، لكن الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» ٨: ١٩٢، والشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على «مسند أحمد» ٢٣: ٧٢، قالا: «إسناده ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة».

(١) أي: يبول بولاً متقطعاً، ويقال: غذى ببوله يغذي إذا ألقاه دفعة دفعة. انظر: «لسان العرب»، مادة غذا، ١٥: ١١٩.

(٢) «موطأ مالك»، كتاب الجامع، باب ما جاء في سكنى المدينة، ٢: ٨٨٨. وكذلك رواه الحاكم في «المستدرك» ٤: ٤٢٦، وصححه، وقد حكم الشيخ الألباني على هذا الحديث بالنكارة والضعف بزيادة جملة الكلب، إذ مدار الحديث على مالك عن ابن حماس عن عمه الذي لم يسم كما قال البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٧٥٦٩)، والحديث صحيح بدون زيادة الكلب. انظر: «السلسلة الضعيفة» ٩: ٢٨٩.

(٣) «مسند أحمد» (٢٠٣٤٧)، و«المعجم الكبير» (٧٠٦)، وكذلك رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» ١: ٢٧٤، والحاكم في «المستدرك» ٤: ٤٢٧، واقتصرا على الشطر الأول منه، وصححه الحاكم، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على «مسند أحمد» ٣٣: ٤٥٦: «حسن لغيره».

عوافي السباع والطير – ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشاً حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجوههما»[١].

وقد اختلف العلماء في هذا الخروج الوارد في الأحاديث السابقة هل وقع أم لم يقع؟، فذهب القاضي عياض والإمام القرطبي والزرقاني المالكيون، إلى أن هذا الخروج قد وقع في الماضي، قال القاضي:

"هذا فيما جرى في العصر الأول وانقضى، قال: وهذا من معجزاته ﷺ، فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة عنها إلى الشام والعراق، وذلك الوقت أحسن ما كانت الدين والدنيا، أما الدين فلكثرة العلماء وكمالهم، وأما الدنيا فلعمارتها وغرسها واتساع حال أهلها. قال: وذكر الإخباريون في بعض الفتن التي جرت بالمدينة، وخاف أهلها أنه رحل عنها أكثر الناس، وبقيت ثمارها أو أكثرها للعوافي، وخلت مدة ثم تراجع الناس إليها، قال: وحالها اليوم قريب من هذا وقد خربت أطرافها"[٢].

وبمثل هذا الوصف وصفها ابن بطال فنقل عن بعضهم، قال: "وفي هذا برهان من النبي عليه السلام، لأنه ذكر أهلُ الأخبار أنه قد رحل عن المدينة أكثر الناس في الفتن التي تعاورتها، وخاف أهلها على أنفسهم، وكانت في عهد الخلفاء أحسن ما كانت من البنيان والعمارة والغرس للنخيل والأشجار، فتركت للطير والسباع، وبقيت مدة على ذلك ثم عاد الناس إليها". قال ابن بطال: "وروي عن مالك في هذا الحديث «لتتركن المدينة خير ما كانت حتى يدخل الكلب، أو الذئب، فيغذي على بعض سواري المسجد» وأكثر المدينة اليوم خرابٌ لا يدخلها أحد منفردًا فيأمن، وهذا مما يلي القبلة والجوف، وليس لأبوابها ثقافٌ ولا غلق،

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة، (١٨٧٤)، و«صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب في المدينة حين يتركها أهلها، (١٣٨٩).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي، ٩: ١٦٠

وكذلك أبواب المسجد أكثرها لا تغلق وهي كبيرة. وقد رأى كثيرٌ من الناس الكلب يغذي على بعض سواري المسجد كما قال ﷺ"[١].

وقد أسقط السيد البرزنجي هذا الخروج على ما حدث أيام يزيد بن معاوية من وقعة الحرة الشهيرة، التي قتل فيها كثير من الصحابة والتابعين وخراب المدينة بعدها[٢].

لكن الإمام النووي الشافعي، والأبّي، وشيخَه ابنَ عرفة المالكيْن، ذهبوا إلى أن هذا الخروج سيكون في آخر الزمان، ولم يحدثْ في زمانهم، قال النووي: "وأما معنى الحديث فالظاهر المختار أن هذا الترك للمدينة يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة، وتوضحه قصة الراعيين من مزينة فإنهما يخرّان على وجوههما حين تدركهما الساعة وهما آخر من يحشر، كما ثبت في (صحيح البخاري) فهذا هو الظاهر المختار"[٣].

وسبب الخلاف هنا هو قوله ﷺ: «وآخر من يحشر راعيان من مزينة» هل هو مستقل بذاته ليس له تعلق بالذي قبله أم هو تتمة للحديث، وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر:

"هذا يحتمل أن يكون حديثاً آخر مستقلاً، لا تعلق له بالذي قبله، ويحتمل أن يكون من تتمة الحديث الذي قبله، وعلى هذين الاحتمالين يترتب الاختلاف الذي حكيته عن القرطبي والنووي والثاني أظهر"[٤].

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال، ٤: ٥٤٦.
(٢) «الإشاعة لأشراط الساعة» ص ٧٥.
(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي، ٩: ١٦٠.
(٤) «فتح الباري» ٤: ٩٠.

وبالتالي فالنووي والأبّي وابن عرفة، يرون أن هذا الخروج سيكون خروجاً واحداً في آخر الزمان، حيث جعلوا حديث الراعيين تتمة للحديث وبناء عليه رجحوا أن ذلك لم يقع بعد.

وقد ناقش الشيخ خليل ملا خاطر في كتابه: (فضائل المدينة المنورة) هذه الآراء، ورجّح بأن الخروج سيقع على الأقل مرتين، وأن الأول قد وقع، لا كما ذكر القاضي عياض والقرطبي، وإنما وقع أخيراً في حادثة (سفر برلك)، وأما الثاني والأخير فإنه لم يقع قطعاً.

قال الشيخ خليل ملا خاطر: "أما الثاني أو الأخير فإنه لم يقع قطعاً، وذلك لأن مدته ستكون أربعين سنة ... وهذا لم يقع قطعاً في تاريخ المدينة الطويل.

أما غيره فإنه وقع، لكن غير الذي ذكره القاضي عياض والإمام القرطبي رحمهما الله تعالى، وإنما وقع بعد ذلك بكثير وهو في القرن الماضي. وأما ما ذكره القاضي عياض ومن معه فإنه لم يقع الخلو من المدينة تماماً، فلم تخل من جميع سكانها مع غلبة الأعراب وأهل القرى عليها، وهذا لا يسمى خلواً إلا على المعنى المجازي باعتبار الأغلبية. أما الذي أقوله فقد وقع إذ لم يبق في المدينة إلا أقل من خمسين شخصاً[١]، ما بين ذكر وأنثى، كبير وصغير"[٢].

ومن الأحاديث التي تدل على أن هناك خروجاً آخر ما رواه أحمد وابن حبان والحاكم وابن شبة من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده عصا، وأقناء معلقة في المسجد، قنو منها حشف، فطعن بذلك العصا في ذلك القنو، ثم قال: «لو شاء رب هذه الصدقة فتصدق بأطيب منها، إن صاحب هذه الصدقة ليأكل الحشف يوم القيامة». ثم أقبل علينا فقال: «أما

---

(١) سيمر بنا مناقشة لهذا العدد في محله.

(٢) «فضائل المدينة المنورة» ١: ٣٨٦.

والله يا أهل المدينة لتدعنّها مذللة أربعين عاماً للعوافي، هل تدرون ما العوافي؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: الطير والسباع»[١].

فهذا الخروج سيكون في آخر الزمان وسيستمر أربعين عاماً، ولعله هو المقصود بالحديث الذي مرّ: «ثم يخرج راعيان من مزينة»، والله أعلم.

وممن أشار إلى أن الأحاديث السابقة يراد بها (سفر برلك) العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الحنفي رحمه الله (ت ١٤٠٢هـ)، قال: "وقد وقع خراب المدينة في عصرنا أيضاً في أثناء الحرب العمومي في السنين التي بين الثلاثين والأربعين بعد ثلاث مئة وألف، وأخرج منها السادات والأشراف بأمر الأمراء السوء، وقاها الله تعالى عن كل سوء وزادها شرفاً وكرامة"[٢].

وأما سبب خروج أهل المدينة المنورة منها فقد ورد في رواية الإمام مسلم بسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته عنه، إلا أني لم أسأله: ما يخرج أهل المدينة من المدينة»[٣].

لكن ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه توضيحاً لسبب هذا الخروج، فقد روى ابن شبّة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ليخرجن أهل المدينة من المدينة خير ما كانت، نصفاً زهواً، ونصفاً رطباً، قيل: من يخرجهم منها يا أبا هريرة؟،

---

(١) «صحيح ابن حبان» ١٥: ١٧٧، و«مسند أحمد» (٢٣٩٧٦)، و«المستدرك على الصحيحين» (٨٣٥٩)، «تاريخ المدينة» لابن شبّة، ١: ٢٨٣، وصححه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٤: ٩٠.

(٢) «أوجز المسالك إلى موطأ مالك» ١٥: ٦٠٦.

(٣) «صحيح مسلم» كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ بما يكون إلى قيام الساعة، (٢٨٩١)، ورواه أيضاً أحمد في «مسنده» (٢٣٢٨١)، والبزار في «مسنده» ٧: ٢٢٢.

فقال رضي الله عنه: أمراء السوء[١].

وهذا بالفعل ما حصل فإن أهل المدينة قد أُجبروا على الخروج بأمر من الحكام الأتراك نتيجة للحصار الذي ضربه الأمراء الأشراف المتحالفون مع الإنجليز على المدينة المنورة.

إسقاط فتنة السراء على الثورة العربية:

ومن غريب ما ورد في باب الفتن والملاحم إسقاط العلامة الشيخ خليل أحمد السهارنبوري الحنفي(ت ١٣٤٦هـ) حديث فتنة السراء على ثورة الشريف الحسين، وأصل ذلك ما رواه أبو داود وأحمد والحاكم وأبو نُعيم بأسانيدهم عن عمير بن هانئ العنسي، قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال «هي هربٌ وحربٌ، ثم فتنة السراء، دخنُها من تحت قدمَي رجلٍ من أهل بيتي، يزعم أنه منّي وليس منّي، وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورِكٍ على ضلعٍ، ثم فتنة الدُّهيْماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمانٍ لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده»[٢].

---

(١) «تاريخ المدينة» ١ : ٢٧٧، وفي سنده أبو جعفر الأنصاري المدني المؤذن، حكم ابن القطان بجهالته. انظر: «تهذيب التهذيب» ١٢ : ٤٨.

(٢) «سنن أبي داود» (٤٢٤٤)، و«مسند أحمد» (٦١٦٨)، و«حلية الأولياء» ٥: ١٥٨، و«المستدرك» ٤: ٤٦٦، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصحح سنده الشيخ أحمد شاكر في تعليقاته على «المسند» ٥: ٤١٠، والشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢: ٦٦٦.

وشاهد هذا الحديث فتنة السراء، قال الشيخ خليل أحمد السهارنبوري: "والذي يظهر لي أنها هي الفتنة التي حدثت في رمضان سنة ألف وثلاثمئة وأربع وثلاثين ١٣٣٤هـ، ومنشؤها أن الشريف حسين بن علي كان في زمان حكومة الأتراك شريفاً تابعاً لحكومتهم، ثم راسل إحدى سلطنة من[1] النصارى زمن الحرب الكبير، وكان الحرب بين سلطنة الأتراك وحكومة النصرانية، فلحق بالحكومة النصرانية سراً، ووافق معهم على حرب الأتراك، فقتل الأتراك الذين كانوا في مكة المكرمة من جند الأتراك، وسبى نساءهم، ثم تولى الحكومة بنفسه، وسمى نفسه: ملك الحجاز، وبقيت حكومته قريباً من عشر سنين، ثم اضمحل أمره واصطلح الناس على حكومة ابنه علي بن الحسين، ولم ينتظم له أمر فبقي كورك في ضلع.

وإنما سميت هذه الفتنة فتنة السراء، لأن مبناها وأسباب حديثها كانت في السر، فإن الحكومة النصرانية أمالته إليها، وأرسلت إليه من الجنيهات ألوفاً في السر[2]، ليبغي على حكومة الإسلام، وينحرف عنها، فقسم من هذه الجنيهات في أهل البدو، وتوافق معهم على قتال الأتراك المسلمين وكل ذلك في السر. واتفق أن قائد الأتراك الذي كان بمكة أخبر بشيء من هذه الفتنة، فسأل الشريف عنها، فحلف عند الكعبة أنه لا أصل لها حتى اطمأن قائد الأتراك، ثم وقع ما وقع من قتل المسلمين، وسبي نسائهم، وإرسالهم إلى الكفار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: إحدى سلطنات النصارى.

(٢) في الأصل: "فإن الحكومة النصرانية أماله إليها سراً، وأرسل إليها من الجنيهات ألوفاً في السر"، وهذا التعبير خاطئ بل فيه قلب للمعنى الذي أراده الشارح، والصحيح ما أثبته كما يوضحه السياق، لكن الشيخ رحمه الله غلبت عليه العجمة في العديد من عباراته في شرحه هذا، لذا وجب التنبيه.

ويحتمل أن يكون السراء من السرور، لأن في ذاك الزمان بعد الحصار والمضايقة الشديدة نثرت على العرب الجنيهات والحبوب وسائر الأطعمة بعد الفقر الشديد، حتى أن أحدهم من أفقر العربان لا يملك جنيهين مَلَك ثمانية وأربعين ألف جنيهاً، وهو عبيد الله بن هويمل الحازمي[١]، وكذلك غيره، سمعت هذا من أحد علماء المدينة كان موصوفاً بالثقة والإتقان»[٢].

وفي هذا النص يتجلى بوضوح ميل الشيخ السهارنبوري إلى الدولة العثمانية ورأيه في الأشراف، ونحن لا يعنينا رأي الشيخ المذكور هنا بقدر ما يهمنا إسقاطه الحدث على فتنة السراء المذكورة في الحديث. وأما ما ذكره من أحداث غريبة كسبي للنساء وما إلى ذلك فهو من قبيل المبالغات، ولا يصح من ذلك شيء.

وقد تبعه في هذا الإسقاط من المعاصرين العالم الفاضل السيد أبو بكر العدني ابن علي المشهور آل باعلوي، وفصل في ذلك وأسقط فتنة الأحلاس على مرحلة ضعف وانهيار الدولة العثمانية، وفتنة السراء على سقوط الدولة العثمانية بعد معاهدات بعضهم مثل الشريف الحسين مع الإنجليز [٣].



(١) الصحيح في اسمه: عبد الله بن هويمل الحازمي، وهو من شيوخ قبيلة الحوازم من حرب وكان يسكن في وادي الصفراء، وقد حدثني أستاذنا الدكتور عاصم بن حمدان بن علي عن أبيه أن ابن هويمل كان رجلاً ثرياً من قبل هذه الفترة، وكان موصوفاً بالكرم والشهامة، كما حكى زيدان في «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١١١، أن ابن هويمل أعطى صديقه مصطفى قبّاني ألف جنيه معونة له.

(٢) «بذل المجهود في حل سنن أبي داود» ٧: ١٣٤، ١٣٥.

(٣) «التليد والطارف» ص ٢٩٥، و«الأسس والمنطلقات» ص ٢٣٠- ٢٣٣.

مَدخَلٌ تَارِيخِيٌّ

شهدت المدينة المنورة في أواخر عهد العثمانيين أحداثاً جساماً كانت هي محورَها الأساسي، واصطلت بنار السياسة وأصابها جانبٌ عظيم منه، وكلما خمدت فتنة تلتها أخرى حتى كانت أعظم فتنة حدثت في المدينة تلك التي رافقت أحداث الحرب العالمية الأولى، وانتهاء الدولة العثمانية، وعرفت باسم: (سفر برلك).

ومع كل هذا فقد كانت المدينة محوراً رئيساً من محاور الحرب العالمية وخاصة بعد ارتباط إدارتها مباشرة بإدارة اسطنبول، فنالها الكثير من الاهتمام وعاش أهلها في رخاء بالغ قبيل هذه الحرب، ابتدأ في عهد السلطان عبد الحميد، ثم السلطان محمد رشاد وعهد الاتحاديين.

وفي هذا المدخل سأضع بعض النقاط الأساسية حول أهم المستجدات التي أسهمت في سير الأحداث في المدينة ومظاهر تكوين ثقافة مجتمع أهل المدينة ابتداءً من عهد السلطان عبد الحميد، فمحمد رشاد والاتحاديين إلى أحداث الحرب بين الأتراك والأشراف.

آثار السلطان عبد الحميد في المدينة:

كانت المدينة المنورة إحدى المدن التي أثّرت في أحوال الدولة العثمانية، وكانت حال الرفاهية باديةً على أهل المدينة منذ مستهل القرن الرابع عشر، في



السلطان عبد الحميد الثاني في شبابه

العهد الحميدي، ويصف ذلك الأستاذ محمد حسين زيدان [1] فيقول: "ما كاد يستهل القرن [الرابع عشر][2] في سنواته الأولى، وبعد سيل سنة سبع بعد الألف والثلاثمائة ١٣٠٧هـ، ما كاد ذلك يستهل إلا وقد بدأ الرخاء ينتشر وبدأ الفصام يضمحل بين الحاضرة داخل السور أو خارجه، كما انتهى الخصام بين الحاضرة

(١) ولد في المدينة المنورة سنة ١٣٢٥هـ، وطلب العلم فأخذ عن علماء المدينة من أمثال: السيد محمد بن صقر الجمازي، والعلامة محمد الألفا هاشم، والعلامة عبد القادر الشلبي وتخرج به. ودرس في المدرسة العبدلية وتخرج فيها سنة ١٣٤٢هـ، ثم عمل مساعداً لشيخه الشلبي في المدرسة الجوهرية، وعيّن بعدها مدرّساً في مدرسة دار الأيتام، والمدرسة الناصرية، وله رحلة إلى الهند. تدرج في المناصب حتى عين مديراً للمالية في مكة، فمديراً عاماً لشؤون الرياض، ثم مفتشاً للحج. كان فقيهاً مالكياً، وخطيباً مفوهاً، وكاتباً أديباً، واسع الاطلاع في التاريخ والأنساب، وله باع في الصحافة ورأس تحرير مجلة الدارة، له العديد من المؤلفات المنشورة، توفي سنة ١٤١٢هـ. انظر سيرته في كتابه: «ذكريات العهود الثلاثة».

(٢) في الأصل: الثالث عشر، وهو خطأ والصحيح ما ذكرته.

والبادية[١]، لا بدافع قوة الدولة ولا بوازع المصافاة، وإنما هو بتأثير الرخاء والتعامل بالحلف»[٢].

كما أن المدينة حظيت في عهد السلطان عبد الحميد بعناية بالغة وإصلاحات جليلة، كان من أهمها:

- تأسيس دائرة البريد بصورة رسمية سنة ١٣٠٠هـ[٣].
- إصلاح سور المدينة المنورة، وتجديد باب العنبرية سنة ١٣٠٥هـ تحت إشراف محافظ المدينة وشيخ الحرم الفريق عثمان باشا، وأقام على كل باب من أبواب السور مركز شرطة للحفاظ على الأمن الداخلي للمدينة[٤].
- إنشاء محطة اللاسلكي (الترسيس)[٥] بالمدينة في ١٥ رمضان سنة ١٣١٨هـ، وتقع شمالي المدينة على طريق العيون، وتبعد نحو ألف متر عن سور المدينة، وكان المسؤول الإداري عن المحطة علي ناصر[٦].

---

(١) ليس هذا على إطلاقه، فقد حدثت عدة معارك بين الحاضرة والبادية منها اشتباك حصل سنة ١٣٢١هـ قتل فيه جماعة من أهل المدينة، ومعركة أخرى سنة ١٣٢٤هـ تقريباً زمن عثمان باشا على أطراف المدينة دامت من الصباح إلى المساء قتل فيها الكثير، وأخيراً في العوالي دارت معركة بين العثمانيين والبادية في ٦ شوال سنة ١٣٢٦هـ اندحرت فيها قوات الأتراك، فاستعان الوالي سعيد باشا بأهل المدينة وحدثت معركتان إحداهما في بئر معاوية، والثانية عند مسجد الإجابة، وبعد هذه المعارك اتحد الفريقان وقلّت الصدامات بينهما. «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط، و«أحداث عاصرتها» مخطوط.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٨٧.

(٣) «حياتي» للشيخ عبد الرشيد إبراهيم، ص ١٧١.

(٤) «خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين» ص ١٢، «مرآة الحرمين» ١: ٣٨٣.

(٥) هكذا يلفظها أهل المدينة المنورة، وأصلها بالتركية: (تلسيس= *Telsiz*)، وهذه المحطة موجودة إلى الآن في أول طريق العيون وجُعل مبناها مركزاً لخدمات الحجاج.

(٦) «أحداث عاصرتها» مخطوط، ق ١٣، و«فصول من تاريخ المدينة» ص ٣٥٤، و«ذكريات العهود الثلاثة» ص ٣٦، و«المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط



باب العنبرية وأمامه بعض الأحجار المستعملة في بناء محطة سكة الحديد

(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)



جانب من سور اللاسلكي (التلسيس)

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

- إنشاء سكة حديد الحجاز، وهو أهم مشروع في تاريخ المدينة المنورة زمن الدولة العثمانية على الإطلاق.

سكة حديد الحجاز:

لم تكن فكرة إنشاء الخط الحديدي الحجازي بالأمر الجديد، بل إن هذا المشروع كان ضمن جداول أعمال الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز، لكن الوضع المالي والاقتصادي للدولة لم يكن يسمح بإنشائه، ولما تولى السلطان عبد الحميد أمور الدولة، اهتم بهذا المشروع اهتماماً بالغاً، وقد خصص ١٨٪ من ميزانية الدولة لإنشاء الخط، لكن الميزانية لم تكن كافية، فعملت الحكومة على عمل قطع إلزامي يوازي ١٠٪ من مرتبات موظفي الدولة من أجل توفير الموارد المالية. كما افتتح السلطان حملة التبرعات والتمويل، وتسابق المسلمون لهذه الدعوة من جميع أنحاء العالم الإسلامي[١].

وقد ذكر السباعي بأن الهنود وحدهم ألفوا ما يقارب (١٦٦) جمعية للتبرعات[٢]، وبلغ ما تبرعوا به ٥ مليون روبية[٣]، وقد شارك في حملة التبرعات بعض زعماء المسلمين كالخديوي عباس حلمي، وشاه إيران، والقعيطي وغيرهم[٤].

ولم تخل الحجاز من بعض الأحداث الغريبة في ذلك، فقد أمر الشريف عون الرفيق بجمع الإعانة للسكة الحجازية في مكة وقدّر على كل حاج غير معسر ريالاً، فأخذ المطوفون يجمعونها، لكن الشريف حبس الحجاج في مكة ومنعهم

---

(١) «الخط الحديدي الحجازي» ص ١٤- ١٥، وص ٢٩- ٣١، و«الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» ٣: ١٥٦.

(٢) «تاريخ مكة» للسباعي، ص ٥٧٧، و«الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» ٣: ١٥٦.

(٣) «الخط الحديدي الحجازي» ص ١١٣.

(٤) «مرآة الحرمين»: ١: ٧١.

إلى دمشق
معــان
غدير الحج
بئر شديا
العقبة الشامية
بطن الغول
وادي الرقم
تل شحم
رملة
المدورة
حالة عمار
ذات الحاج
بئر بن هرماس
الحزم
المحطب
تبــوك
وادي الأثل
خشم بيرك
دار الحج
المصطبغة
العوجرية
الأخضر
خميس
ديسعد
المعظم
خشم صنع
الدار الحمراء
المطلع
أبو طاقة
المزحم
مدائن صالح
وادي حشيش
العــلا
البدائع
مشهد
سهل المطران
زمرد
البئر الجديدة
الطويرة
وايبان
المدرج
هدية
جداعة
أبو نعام
اسطبل عنتر
البوير
بئر نصيف
بواط
الحفيرة
مخيط
المدينة المنورة
العقبة
ضبا
الوجه
أملج
ينبع
البحر الأحمر
تيماء
خيبر
صحـراء النفــود
N
مقياس الرسم
0 30 60 90 120
km

مسار سكة حديد الحجاز

(المرجع: The Hejaz Railway, james Nicholson)

من الخروج حتى ينهوا جمع التبرعات، فحصلت بعض مناوشات وتذمر شديد سطر كل ذلك رفعت باشا في كتابه[١].

ومن لطيف ما يذكر في حسن أدب السلطان عبد الحميد، أنه أمر بتركيب قضبان حديدية خاصة قبل الوصول إلى المدينة بنحو خمسة أو ستة كيلومترات، تخفيفاً للضوضاء الصادرة من القطار حين دخوله المدينة، كما أنه صدرت تعليمات خاصة بتسيير القاطرات في تلك المنطقة ببطئ قدر الإمكان[٢].

وكان البدء في تنفيذ المشروع في شهر شوال سنة ١٣١٨هـ[٣]، وأول دخولٍ لسكة الحديد إلى المدينة المنورة في ١٦ رجب سنة ١٣٢٦هـ[٤] وأُتمّ تفعيله في ٤ شعبان سنة ١٣٢٦هـ وكان يربط المدينة المنورة بدمشق، واحتفل به أهل المدينة احتفالاً كبيراً بل أقيمت عدة احتفالات بهذه المناسبة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي[٥]، وقد وصف أول دخول للقطار إلى المدينة السيد محمد الزمزمي الكتاني[٦] حيث كان حاضراً ذلك، فقال:

---

(١) «مرآة الحرمين» ١: ٧١- ٧٢.

(٢) «ذكريات السلطان عبد الحميد» لمراد دومان، ص ٣١٧.

(٣) «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» ٣: ١٥٧.

(٤) هذا هو الصحيح في تاريخ وصول القطار إلى المدينة كما نص على ذلك السيد محمد الزمزمي الكتاني في «عقد الزمرد والزبرجد» ص ١٩٠، والسيد جعفر بن حسين هاشم كما في «رسالة» له مخطوطة عن محطات السكة الحديدية الحجازية، وكلاهما ممن حضر هذا الحدث.

(٥) «الخط الحديدي الحجازي» ص ٤١.

(٦) ولد سنة ١٣٠٥هـ بفاس، وطلب العلم على والده، ورحل معه إلى الحجاز سنة ١٣٢١هـ وعاد، ثم هاجر مرة أخرى سنة ١٣٢٥هـ ثم المرة الثانية سنة ١٣٢٨هـ، وأخذ خلال هذه الرحلات على ثلّة من العلماء من أشهرهم: السيد علي الوتري، وفالح الظاهري، وحبيب الرحمن الكاظمي، وعمر بن حمدان المحرسي، وغيرهم. وخلال سفر برلك كان شاهد عيان لما يحدث فيها، ورحل إلى الشام مع والده بطلب من جمال باشا، وله رحلة إلى العراق والهند. كان عالماً جليلاً من كبار مشايخ العالم الإسلامي، وله رواية واسعة، توفي

"ولما كان قبيل مغرب يوم الخميس ١٦ رجب عام ١٣٢٦هـ وصل (بابور)[(١)] البر لمحطة المدينة المنورة لأحد أبوابها وهو باب العنبرية. واشترك في مصروف هذه السكة وإنشائها العالم الإسلامي كله، ولكن الفضل في ذلك كله يعود لآخر خلفاء المسلمين بالشرق المرحوم السلطان عبد الحميد العثماني، وقد دام العمل فيها من دمشق للمدينة المنورة سنين طويلة، وكان يوم دخولها يوماً مشهوداً، وتاريخاً عظيماً ملحوظاً، حضره سائر وفود العالم الإسلامي، ولا سيما ممالك الدولة العثمانية من علماء وأفراد ووزراء وأعيان، وغير ذلك من جميع من أمكنه الوصول، وقد زيّنت البلدة المباركة النبوية أحسن زينة، ولا سيما المحطة التي وصل إليها بالأعلام العثمانية وأقواس النصر البهية.

ولما أشرفت القاطرة على المحطة وصارت تتهادى وتميس في مشيها كهيئة الثمل السكران في زينة وبهرجة أطلقت المدافع ورميت الشهب والحراقات، وضج الناس بالتهليل والتكبير والدعاء بحياة السلطان عبد الحميد حتى بلغ الصراخ والتصفيق عنان السماء، وكانت ساعة تاريخية لم يسمع بمثلها"[(٢)].

وذكر الزمزمي أيضاً: أن القطار رئي مكتوباً عليه بأحرف عربية بارزة هذه العبارة بالتركية: (حريت، عدالت، مساوات، أخوت). أي الحرية والعدالة والمساواة والأخوة، وكان قد وصل مع القطار وفود كبيرة من أهل مصر والشام وتركيا، وصاروا يخطبون ويهتفون بهذه الكلمات الأربعة وأفرطوا في الدعاية إلى أن دخلوا الحرم النبوي الشريف، حتى قال فيهم السيد محمد بن جعفر الكتاني

سنة ١٣٧١هـ.. انظر: «إتحاف المطالع» ٢: ٥٣١، و«الأعلام» ٦: ١٣١.

(١) بابور أو وابور: كلمة تركية مأخوذة من الفرنسية أو الإيطالية، وتعني الباخرة ثم أطلقت على كل آلة بخارية أو كهربائية، ودخل في معناها القطار. انظر: «معجم الدخيل» ص ٢٢١.

(٢) «عقد الزمرد والزبرجد» للزمزمي الكتاني، ص ١٩٠. وهذا الكتاب أرسله لي ابن حفيد المؤلف، السيد حمزة بن علي بن المنتصر بن الزمزمي الكتاني حفظه الله وجزاه عني خيراً.

مستنكراً: "هؤلاء خطباء سوء ودجاجلة، وعملهم هذا في مثل هذه البقعة ينذر بقرب الساعة وخراب المعمور"[١].

وقد احتفل أهل المدينة بعد وصول القطار بمدة ليصادف احتفالهم ذكرى تولي السلطان عبد الحميد السلطنة وذلك في ٣ شعبان سنة ١٣٢٦هـ[٢] وحضر هذا الاحتفال مجموعة من علماء المدينة، وألقى شيخ الأئمة والخطباء يحيى بن محمد سعيد دفتردار (ت ١٣٤٥) وُصفت بأنها خطبة قوية رصينة، يقول حفيده الشيخ هاشم بن محمد سعيد بن يحيى دفتردار: "وقد بلغت حفلة افتتاح هذا الخط الحديدي في اليوم الثالث من شعبان عام ١٣٢٦هـ من الاحتشاد والروعة والأفراح، ما لم تبلغه حفلة يومئذ في العالم، وقد شهدها معظم الذين ساهموا بأموالهم ونفوذهم، وساعدوا السلطان في إنجاز هذا المشروع الخطير، كما شهدها كبار وزراء الدولة وعظماؤها، وقد ألقى كبير خطباء المسجد النبوي الشيخ يحيى دفتردار خطبة الافتتاح بأمر السلطان ... وقد رفع يديه في ختام الخطبة وهو يدعو للسلطان والذين ساعدوه بجزيل المثوبة من المولى الكريم"[٣].

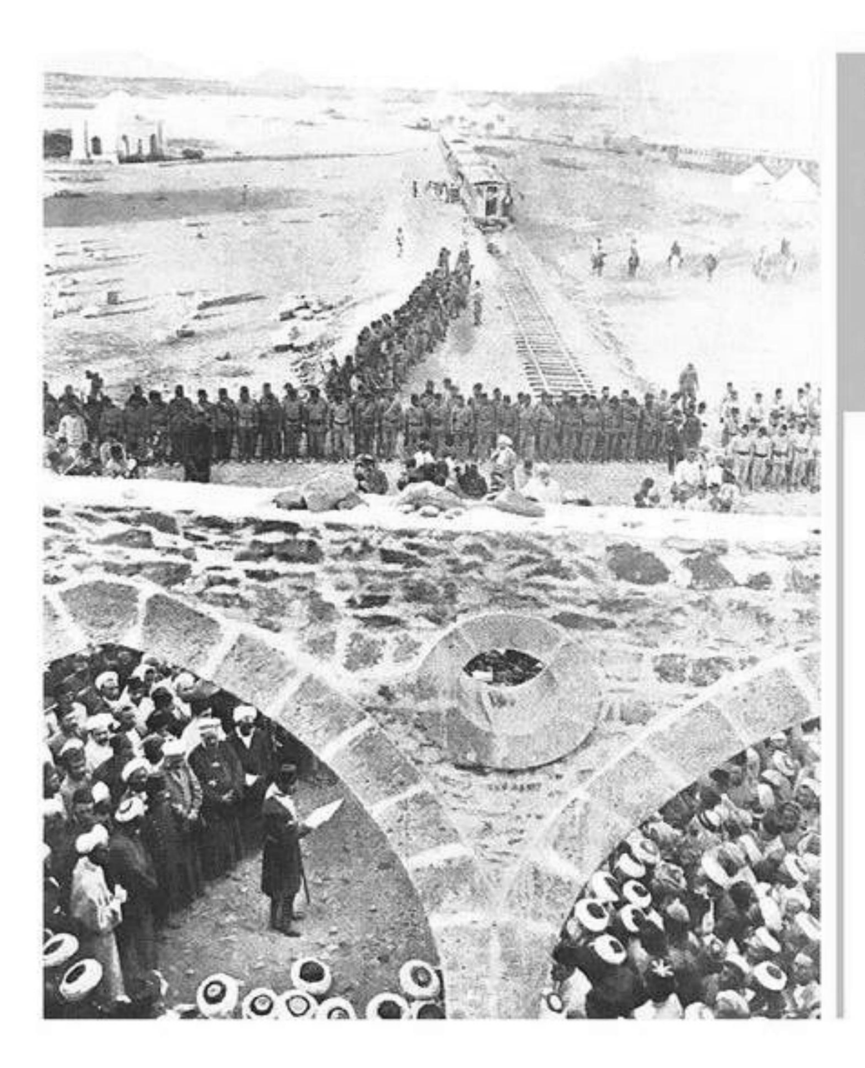
وكان قد حضر مع القطار ثلاثة من الباشوات، وهم كاظم وسعيد وعبد الله ومعهم جمع من الشخصيات البارزة، وبعد أن انتهى الدفتردار من خطبته طلب كاظم باشا من محافظ المدينة عثمان باشا إرجاء الحفل إلى صباح اليوم الثاني حتى يأتي الوفود الذين لم يصلوا، وهنا أنشد أحدهم:

---

(١) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ١٩١.

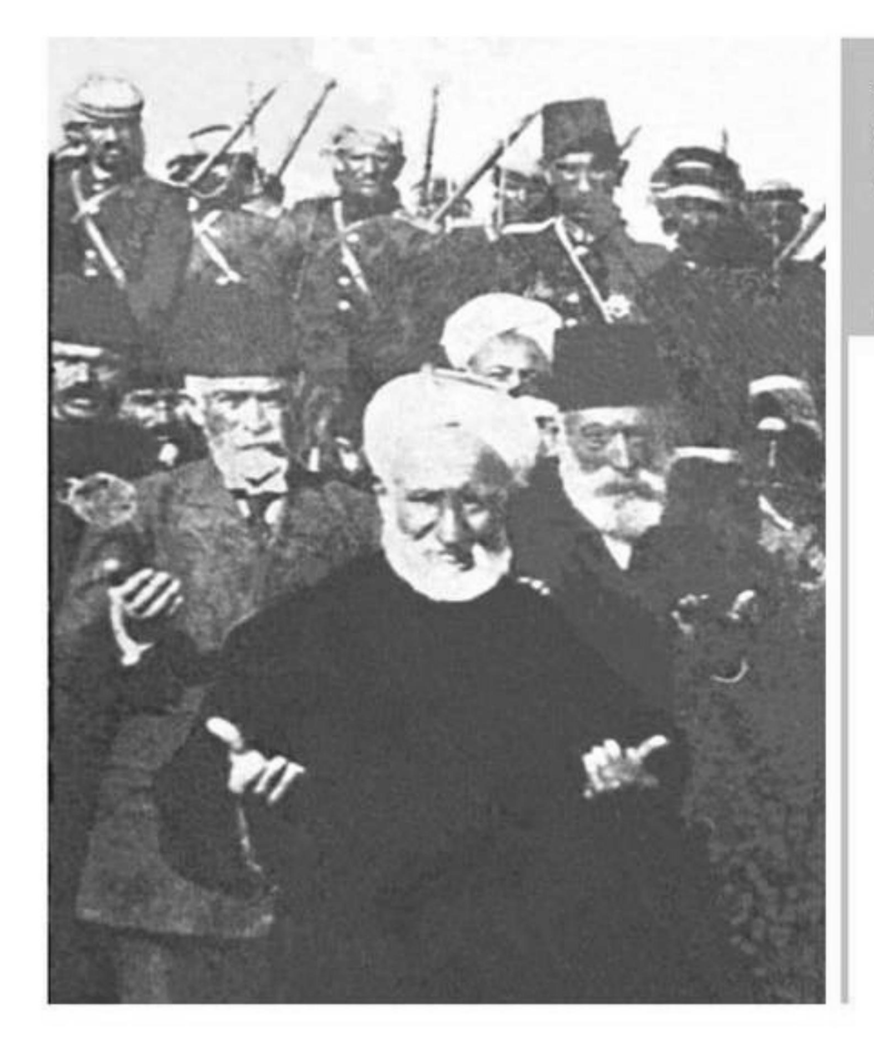
(٢) هذا التاريخ الصحيح كما نص عليه الشيخ هاشم دفتردار في «ذكريات طيبة» ص ١٩٦، وهو المقابل لـ ٣١ أغسطس والموافق للذكرى السنوية لاعتلاء السلطان عبد الحميد كرسي السلطنة، وأما تشغيل القطار رسمياً فكان في اليوم الذي يليه ١ سبتمبر ١٩٠٨ الموافق لـ ٤ شعبان ١٣٢٦هـ. انظر: *The Hejaz Railway, James Nicholson, p. 46*.

(٣) «ذكريات طيبة» ص ١٩٦- ١٩٧.



الاحتفال بوصول القطار في سكة الحديد وقراءة مختار باشا الرسالة السلطانية في محطة العنبرية.

(المرجع: المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين)



الشيخ يحيى دفتردار يخطب ويدعو أثناء افتتاح محطة سكة الحديد

(المرجع: ذكريات طيبة وبحوث حول أسرار الحج والزيارة)

الله أكبر نور الشرق قد ظهرا فأبصرَ الغربُ هذا النور فانبهرا
نور النبوة في نور الشريعة في نور الخلافة في نور الهدى انتشرا
أغنى الخليفة عن جيشٍ يعبئه وعن براكين لكن تقذف الشررا
لبيك لبيك يا مجد العروبة قد لباك غائبه قبل الذي حضرا

وفي اليوم الثاني الموافق ٤ شعبان اكتظ المكان بالخطباء والشعراء، فألقى السيد أحمد بن مصطفى صقر (ت ١٣٦٠هـ) خطبته، وألقى الشاعر عمر بن عبد المحسن كردي (ت ١٣٥١) قصيدة له، ثم تبعه الشيخ الطيب بن محمد العقبي (ت ١٣٧٩) وأنشد قصيدة مطلعها:

حي المدينة ما دامت تحيينا وانهض بشعب قضى في نومه حينا

ثم تكلم من الزوار جماعة منهم الأستاذ يوسف باشا صاحب جريدة المؤيد، وتلاه علي فهمي كامل[١]، فألقى كلمة أخيه مصطفى كامل[٢] الذي اخترمته المنية قبل أن يكتحل بصره بمرأى القطار، فرثاه شوقي بقصيدته المشهورة ومطلعها[٣]:

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مأتم والداني
يا خادم الإسلام أجر مجاهد في الله من خلد ومن رضوان
لما نعيت إلى الحجاز مشى الأسى في الزائرين ورُوِّع الحرمان
السكة الكبرى حيال رباهما منكوسة الأعلام والقضبان
لم تألها عند الشدائد خدمة في الله والمختار والسلطان

(١) أحد أعيان الوطنيين في مصر، ولد سنة ١٢٨٧هـ والتحق بالمدرسة الحربية وتخرج ضابطاً، توفي سنة ١٣٤٥هـ. «الأعلام» ٤: ٣٢٠.

(٢) أحد مؤسسي النهضة الوطنية في مصر، ولد سنة ١٢٩١هـ، وأحرز شهادة الحقوق بفرنسا، وقاوم الاحتلال الإنجليزي بخطبه ومقالاته، وأنشأ الحزب الوطني، توفي سنة ١٣٢٦هـ. «الأعلام» ٧: ٢٣٨.

(٣) «الشوقيات» ٣: ١١٢-١١٣.

يــا ليــت مكــة والمدينــة فازتا   في المحفلين بصوتك الرنان
ليرى الأواخر يــوم ذاك ويعلموا   ما فات عن قس وعن سحبان

وكان هناك العديد من المتذمرين وحصل نوع من التشويش والنقد كالغمغمة تسمعها بين البعض واتهموا السلطان عبد الحميد بأنه مستبد، إلى غير ذلك من التهم[١].

وبدأت المدينة المنورة عصراً جديداً بفضل السكة الحديدية، لكن هذا المشروع أقلق كثيراً من القبائل العربية الممتدة على طول الخط، فإنهم كانوا يرون في هذه السكة تهديداً لتجارتهم وقوافلهم المتمثلة في نقل الحجاج على دوابهم، والرسوم التي يأخذونها من القوافل للسماح لهم بعبور الطريق[٢]. ومن أهم القبائل التي اعترضت على هذا القرار ولد محمد والحوازم وبنو علي من قبيلة حرب، ومعهم عشائر من قبيلة جهينة فقاموا بعرقلة الإنشاء بالقرب من المدينة المنورة، بل قام بعضهم بهجمات ضد خطوط اللاسلكي، واتخذت الحكومة العثمانية التدابير حيال ذلك من تخصيص قوات عسكرية لحراسة منشآت الخط الحديدي[٣]، على أن هناك قبائل كانت موالية للحكومة العثمانية ووقفت بجانبها بفضل زعمائها مثل شيخ مشايخ قبيلة بلي سليمان باشا بن رفادة البلوي[٤].

وتدل الوثائق على وجود مطالبات من بعض علماء المدينة بمد سكة الحديد إلى مكة ثم جدة، كما نجده في تقرير العالم المدني الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن

---

(١) «سكة حديد الحجاز»، حسن الصيرفي، مجلة الإذاعة السعودية، سنة ١٣٨٠، ص ٣٤- ٣٥.

(٢) «مصوّر في الحج» ص ١١٣.

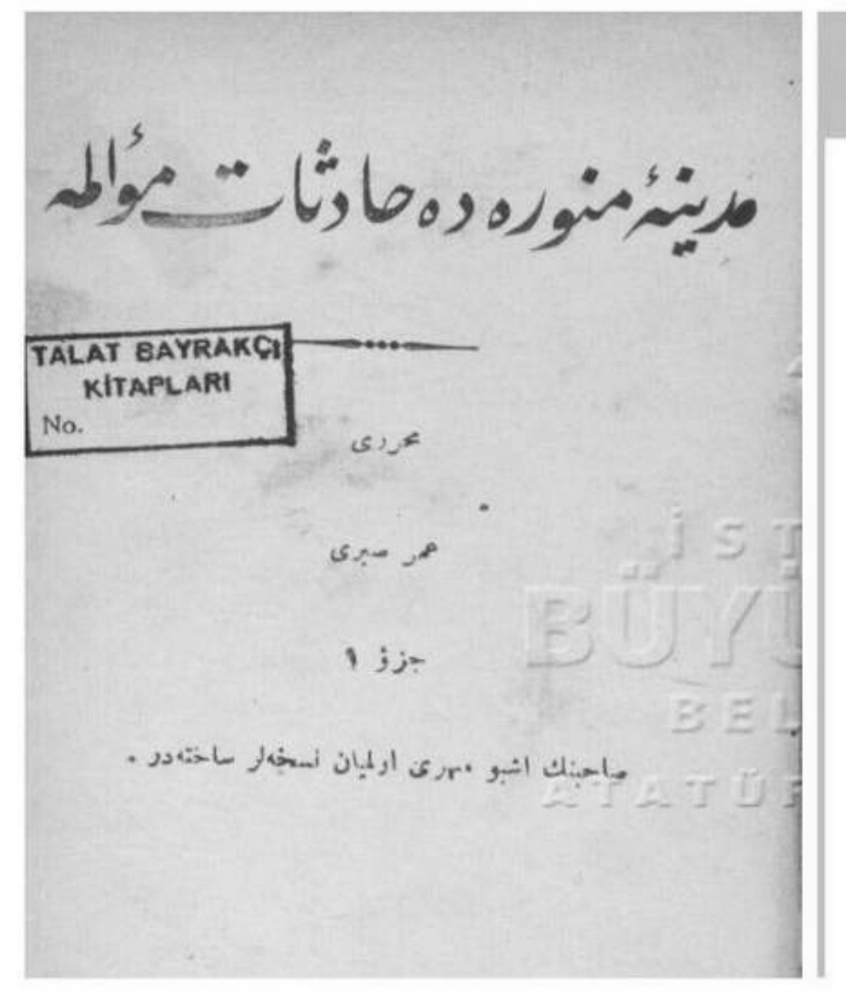
(٣) وقد ألف في ذلك عمر صبري رسالة باللغة العثمانية سماها: «مدينة منوره ده حادثات مؤالمه»، سجّل فيها تقريراً لثلاث مصادمات بين الجيش العثماني والقبائل المتمردة في ثكنات الجنود في ضواحي المدينة المنورة أثناء بناء سكة الحديد، منها مصادمة في عروة، وأخرى في بئر عباس.

(٤) «الخط الحديدي الحجازي» ص ١٢٠، ١٢٣، ١٢٩.



محطة سكة الحديد أثناء إنشائها في المدينة المنورة
(المرجع: Hicaz, Osmanli Devrinde)

غلاف كتاب (مدينه منوره حادثات مؤلمه).



مدينهٔ منوره ده حادثات مؤلمه

محرري

عمر صبري

جزؤ ١

صاحبنك اشبو مهري اولميان نسخه‌لر ساخته‌در .

عبد القادر إلياس، المدرس في الحرم النبوي الشريف والمفتش على المدارس الابتدائية في الجزيرة العربية، وهذا التقرير موجه إلى الباب العالي ممثلاً في الصدر الأعظم، وذلك في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٢٦هـ، وطالب بمده إلى مكة وجدة لعدة أسباب منها:

- أمن الحجاج والأهالي، أثناء سفرهم من عدوان أشقياء العربان ونهبهم لهم.
- تمدّن أهل الخطة الحجازية، وخروجهم من دائرة الجهل والتوحش إلى دائرة العلوم والمعارف والتمدن.
- معرفة عربان تلك الجهات بما يلزم لله ولرسوله وللدولة العثمانية وأمرائهم من السمع والطاعة.
- أنه لا تتم واردات سكة الحديد وتحصل الاستفادة منه للدولة وتزيد وارداته عليها إلا إذا جرى بين الحرمين الشريفين، وبين مكة وجدة.
- عدم وجود العربان الممانعين لإجراء سكة الحديد بين مكة المكرمة وجدة[1].

وقد عملت الحكومة التركية جادةً على إيصال سكة الحديد إلى مكة المكرمة ومنها إلى جدة[2]، وكانت هناك نية لإيصال هذه السكة إلى بلاد اليمن، لكن الشريف الحسين رفض كل ذلك خوفاً من سيطرة الأتراك على مكة، وقد تعذّر هو وحاكم مكة بوجود العقبات ومن أهمها عدائية القبائل المسلحين المعارضين لوجود سكة الحديد[3]. لكن الأمير شكيب أرسلان حكى ما يفيد عكس ذلك، فقال:

"ولما ذهبت إلى المدينة المنورة زائراً النبي ﷺ وذلك سنة ١٣٣٠هـ كنت أسمع أن عدم مد الخط الحديدي من المدينة إلى مكة نشأ عن اعتراض قبائل

---

(١) «مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني» ص ١٨٣، ١٨٥.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ١ : ٤٣٢.

(٣) «مصوّر في الحج» ص ١١٣، *Nicholson, p. 46*.

فخامتلو دولتلو افندم حضرتلري

ان مما يجب على كل فرد من افراد الملة عموما وعلينا زمرة العلماء خصوصا النصح في خدمة الدولة والملة وبيان ما لدينا من المعلومات مما
يعود نفعه على العموم لدولة فخامتكم للعلم بتوفيقاتكم الالهيه وتاييداتكم الصمدانية وبذلكم الجهد فيما ينفع الدولة والملة لا زلتم دائما
كذلك وعلى رغم الحسود والعدو وفوق ذلك امين

بناء على ذلك اعرض لمسامعكم الكريمه ان من اعظم ما يجب الاعتناء به الحرمين الشريفين والنظر فيما يجلب الراحة والأمن لاهلهما
ولعموم من يرد اليهما من الحجاج والزوار من جميع اقطار الدنيا من المسلمين وان اعظم ما يحصل به الأمن والراحة المشار اليهم هو اجراء
الشمندوفير بين مكة وجدة ثم بين مكة المشرفة والمدينة المنورة فيجب على الدولة العلية المبادرة الى انشائه لوجوه عديده
الاول حصول الأمن والراحة للأهالي والحجاج وامنهم على اموالهم ودمائهم واقواتهم من تسلط اشقياء العربان والشوقيين لهم الثاني تمدن
اهل الخطة الحجازية وخروجهم من دائرة الجهل والتوحش الى دائرة العلوم والمعارف والتمدن الثالث معرفة عربان تلك
الجهات بما يلزم لله ولرسوله وللدولة العلية واجراؤها عليهم من السمع والطاعة والانقياد وغير ذلك مما يلزم لهم وعليهم الرابع
انه لا تتم واردات الشمندوفير وتحصل الاستفادة منه للدولة العلية وتزيد وارداته على مصروفاته الا اذا جرى بين الحرمين الشريفين وبين
مكة المشرفة وجدة ثم ليعلم ان مما يجب لتسهيلات اجراء الشمندوفير بين الحرمين ان يكون الابتداء باجرائه بين مكة المشرفة وجدة
لوجوه الوجه الاول سهولة الارض بين مكة وجدة الثاني قرب المسافة بين مكة وجدة فأن المسافة التي بينهما عبارة عن عشرين ساعة
الثالث كثرة الواردات الحاصلة منه في اقرب مدة الرابع عدم وجود العربان المانعين لاجرائه بين مكة وجدة
بالبد الوسط لان مكة واد غير ذي زرع وجميع اقوات سكانها ... الخامس تأمين اهل مكة وسكانها على ارزاقهم واقواتهم من تعديات اشقياء العربان
السادس وجود الأمير والوالي الحاليين الذين جل قصدهم اجراء ذلك وليعلم ان في اجرائه مصلحة عظيمة وهي
ان عشائر العربان الذين بين الحرمين الذين يمانعون عن اجراء الشمندوفير بين الحرمين اذا علموا باجرائه بين مكة وجدة تيقنوا
انه لا بد من اجرائه بين الحرمين لا محالة فحينئذ يضعف تعصبهم ولا يبقى عندهم من التعصب مقدار ما هو موجود عندهم الآن
ويعلمون ان الدولة العلية ستجريه بين الحرمين وحينئذ يكون اجراؤه بين الحرمين باهون ما يكون وليعلم ان اجراء الشمندوفير
بين مكة وجدة اعظم تأثيرا من ان ترسل الدولة العلية عشرين طابورا لتأديب العربان الذين بين الحرمين ثم ليعلم ان الدولة العلية
ولا يلتفتون الى اقوال من يشوقهم لتعطيل الشمندوفير
اذا ارادت اجراء الشمندوفير بين الحرمين فليكن اجراؤه من الطريق السلطاني لما في ذلك من المنافع للشمندوفير وللدولة العلية ولكثرة المياه
والسكان هنالك ولنفع العربان الساكنين هناك فانه يمر على قرى مسكونة فيها انهار جارية ونخيل كثيرة منها قرية الحمراء الثانية قرية
الصفراء الثالثة قرية الخيف الرابعة قرية بدر وهذه الاربعة القرى كلها فيها انهار جارية ثم بعد ذلك قرية رابغ ثم قرية خليص
ثم قرية قديد ثم العظيمه ثم عسفان ثم قرى وادي فاطمه وفيها جملة انهار وهي بقرب مكة المشرفة بينها وبين مكة مرحلة صغيرة
... قبائل بني سالم حرب بنو عمرو والاحامده والحوازم والمحاميد وحرب وعوف وغيرهم وليعلم ان الطرق الموصلة
من المدينة المنورة الى مكة المشرفة اربعة طرق ثلاثة منها تخرج من غربي المدينة المنورة ... الطريق السلطاني وطريق الفرعي وطريق الغائر
ثم ان سكان الطريق السلطاني من المدينة المنورة الى ما قبل رابغ بمرحلة قبائل حرب مسروح وزبيد ... وهو طريق السلطاني طريقان احدهما
... ومن قبل رابغ بمرحلة الى وادي فاطمة سكانه حرب ... وفي وسط طريق السلطاني ... وقرية صفينه وقرية
وهذه الطرق كلها تجتمع في مديرية رابغ ثم يكون الطريق واحدا من رابغ الى مكة المشرفة ويمر على قرية السوارقيه وقرية ... السوارقيه
بتلال اللفة والثاني طريق النقب اما الطريق الشرقي فلا يخرج من شرقي المدينة المنورة لقبائل حرب مسروح ثم لقبائل مطير وفيها قرية ...
وادي الليمون والديار التي يمر منها ذلك الطريق اولها يقرب للمدينة المنورة لقبائل حرب ... سكانها من اشراف مكة المشرفة والطريق الشرقي ابعد
وصفينه واكثر سكان السوارقيه اشراف بني حسين ... وادي الليمون سكانها من اشراف ... وعلى احوال اهلها وليعلم انه متى
من السلطاني والفرعي باكثر من مرحلة وكل هذه الطرق بحمده تعالى سلكتها واطلعت عليها وعلى ... مما لم يطلع عليه غيري
ارادت الدولة العلية اجراء الشمندوفير بين الحرمين فان عندي من المعلومات ما يسهل اجراءه ان شاء الله تعالى ... والصلاح وعلى
... وانا الداعي مستعد لعرض ذلك عند اللزوم فنسأل الله ان يوفق لما فيه النجاح ويهدي الى ما به يكون النفع

العبد الداعي المخلص
عبد الرحمن بن احمد الياس المدني المدرس
... ذي الحجة ١٣٢٦

تقرير الشيخ عبد الرحمن إلياس حول مطالبته بمد سكة الحديد إلى مكة وجدة.

(المرجع: مكة المكرمة والمدينة المنورة بحوث ودراسات من واقع الأرشيف العثماني)

العرب من حرب وغيرها، وأنهم لا يسمحون بمرور الخط في أراضيهم، ففحصت عن القضية فوجدت أكثرها هراءً وافتراءً، وسألت شيوخ القبائل عما يقال من معارضتهم في إنشاء السكة، فقالوا: لو كنا معارضين لإنشائها لعارضنا ذلك من أول دخولها في أرض الحجاز، والحال أننا كنا مساعدين للحكومة على هذا المشروع بكل قوانا، فسألتهم التوقيع على عريضة للدولة يطلبون فيها تمديد هذا الخط من المدينة إلى مكة، فوقّع عليها جمٌّ من أولئك المشايخ، ولم تكن الدولة عهدت إليّ بهذه المهمة، وإنما قمت بها خدمةً للوطن وللملة"[1].

والذي تدل عليه بعض الوثائق البريطانية ومنشورات العثمانيين أن الشريف الحسين كان قد حرّض بعض القبائل الذين تتفق غايتهم مع غاية الشريف في ما يتعلق بسكة الحديد المزمع إنشاؤها من المدينة إلى مكة، وقد حدثت حالات هجوم من أفراد هذه القبائل، منها هجومهم على محطات اللاسلكي بين مكة وجدة، وتخريبها يومياً، ونهبهم البريد وقتلهم الجنود المرافقين، وهجومهم على ثكنات الجنود الأتراك[2].

ولما لم تفلح حيلة القبائل المعارضة في إيقاف مشروع سكة الحديد، بعثوا وفوداً إلى حاكم المدينة ليبلغوه اعتراضهم بحجة أن هذا المشروع سيجلب الأوروبيين إلى بلادهم!، فوعدهم بأن ذلك لن يحدث، فقرروا افتعال بعض العراك للحيلولة دون مد سكة الحديد إلى مكة، فأعرضت قبيلة بني علي عن حراسة الطريق المؤدية إلى سيدنا حمزة، وكانت هذه المهمة مناطة بهم، فحدث أن قُتل فيها رجلان على أيدي بعض اللصوص وذلك في رمضان سنة ١٣٢٦هـ[3]،

---

(١) «لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم» ص ١١٨.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ١: ٤٣١- ٤٣٠، و«أبو جهل القرن الرابع عشر» ص ١٥.

(٣) وهِم المعمر الشيخ خضر الفارسي في تاريخ هذه الحادثة، حيث نص على أنها كانت سنة ١٣٢٥هـ، والصحيح ما أثبته كما جاء في رحلة الإنجليزي آرثر ويفيل الذي حضر الحادثة، وكانت رحلته سنة ١٣٢٦هـ.



قافلة الحجاج المصريين في المناخة بانتظار الاذن للسفر بعد أن أجبرتها القبائل على التخلي عن سلوك طريق ينبع.

(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)

فأرسل إليهم الوالي بحري باشا[١] يأمرهم بدفع غرامة جزاء إهمالهم، فرفضوا ذلك وأعلنوا العصيان وأخلوا مسؤوليتهم من حماية هذا الطريق، وتجمعت القبيلة حول المدينة للهجوم، فأرسلت الحكومة العثمانية في ٣ شوال جيشاً قوامه ألف رجل لتفريقهم، وجرت معارك ومناوشات بين الفريقين في العوالي وأطراف المدينة[٢].

انتصرت القبائل على الجيش العثماني عند بلاد الأخوين[٣]، وقتلوا منهم ما يزيد

---

(١) بحري باشا هو الذي تولى محافظة المدينة المنورة بعد حسن حسني باشا سنة ١٣٢٦هـ، ولم يمكث طويلاً فقد عزل في نفس السنة في شوال ١٣٢٦هـ بسبب هذه الحادثة، وعيّن مكانه سعيد باشا. انظر: «مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني» ص ٦٢، و«حاج في مكة» لآرثر ويفيل، ص ١١٣، و«أحداث عاصرتها» ق ٨.

(٢) «حاج في مكة» لآرثر ويفيل، ص ٦٨-٦٩.

(٣) بستان يقع غرب مسجد بني ظفر أو البغلة، وشرقي البقيع، وموقعه الآن قرب مبنى مركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطريق الملك عبد العزيز.

على مئة جندي، فانسحبت القوات إلى المدينة، وجاء أمر الحكومة بعزل الوالي بحري باشا وتعيين سعيد باشا[١] مكانه، وحرّضت الحكومة أهل المدينة على التطوع في القتال[٢]، فدارت معركتان الأولى عند بئر معاوية، والثانية عند مسجد الإجابة، قتل فيها جماعة من أهل المدينة منهم: أحمد التحوتي، والحاج محمد ابن صالح المغربي، وأخوه عبد الله، ومحمد الصاوي، وبلال تحسين بك، وأصيب سالم عجاج ومحمد السناري بجراح[٣].

ويذكر الرحالة الإنجليزي آرثر ويفل في رحلته سنة ١٣٢٦هـ، وهو أحد من دخل المدينة متنكراً وحضر هذه الأحداث، أن المناوشات وصلت إلى أبواب المدينة وقتل فيها الكثير حتى أن رجلاً كان يحتسي القهوة في إحدى المقاهي، أصابته رصاصة أردته قتيلاً[٤].

ونتيجة لهذه المعركة أنشأ أهل المدينة تسعة مراكز حربية، وهي: بيت البصروي، وبيت أمين جرّاح، والبحيري، وبلاد السمّان، وبلاد صمغة الله، وبلاد شيخ السادة وراء البقيع، والعزّيّات، وبلاد الآغا في العنبرية[٥].

---

(١) تولى محافظة المدينة المنورة في شوال سنة ١٣٢٦هـ، وكان رجلاً مسناً جاوز السبعين من عمره، ويذكر الفارسي بأنه كان أديباً وسياسياً، وأدار شؤون المدينة بحكمة ولم يكلف الحكومة خسائر مادية. ومكث على رأس الحكم حتى عُزل بالمحافظ علي رضا باشا الركابي. «أحداث عاصرتها» ق ٨.

(٢) روى السيد محسن الأمين العاملي في كتابه: «أعيان الشيعة» ١٠: ٣٦٥، عن محمد علي الهاجوج النخلي أن أهل المدينة هم الذين طلبوا من الوالي سعيد باشا أن يجرد حملة على العوالي بغرض استئصالهم، والحق أن الأمر ليس كما صوره مما يوهم القارئ أن المعارك هذه قامت على أساس مذهبي طائفي، بل إن النخاولة كانوا أحلافاً لبعض قبائل حرب من أولاد علي، وكما هو معلوم فإن العوالي كانت تضم هؤلاء جميعاً.

(٣) «أحداث عاصرتها» ق ٩.

(٤) «حاج في مكة» لآرثر ويفل، ص ١٠٧.

(٥) «أحداث عاصرتها» ق ٩.

واستعرت معركة أخرى بين أهل المدينة وخصوصاً أهل حارة الأغوات بمساندة القوات العثمانية، وبين قبائل بني علي، وانتصر فيها العثمانيون وأهل المدينة، وممن ذهب ضحية هذه الأحداث الشيخ محمد أبو العلا، وأخيراً تم التوصل إلى اتفاق بين الأتراك وقبائل بني علي، ويروى أن هذه القبائل قطعت الطريق على كل ما يصل إلى المدينة فضاق الخناق على سعيد باشا وطلب الصلح، فتصالحوا على أن الدماء تذهب هدراً، وأن لا يطالب أحدٌ بما أُخذ من البضائع والسلاح، وهدأت الأمور(١).

ومن أكبر المعارضين لمدّ سكة الحديد بين الحرمين الشيخ حسين بن مبيريك الغانمي الحربي أمير رابغ، والشيخ دخيل الله الحاج شيخ قبائل الحمران(٢). وقد قدّم ابن مبيريك رسالة وقّعها هو مع خمسة عشر شيخاً من مشايخ القبائل سلّمها إلى والي الحجاز ومتصرف جدة، تتضمن اعتراضهم على السكة الحديدية المزمع إنشاؤها، وخشيتهم من أن تكون عقبة في طلب رزقهم ووسيلة عيشهم، وسبباً في هلاكهم من الجوع، وقد عقدوا العزم على أن يحاربوا الحكومة إن لزم الأمر ويموتوا موتاً مشرّفاً، وطلبوا رداً مقنعاً خلال عشرة أيام وإلا سيبدؤون القتال، وفي ١٨ ربيع الأول ١٣٣٢هـ جاء القرار بأن الحكومة تخلّت عن فكرة مد السكة الحديدية(٣).

ومع هذا فقد حاولت الحكومة العثمانية إقناع الشريف الحسين بشتى الوسائل وعرض وزير الداخلية طلْعت باشا(٤) على الأمير فيصل بن الحسين أن تكون أمارة

---

(١) «أحداث عاصرتها» ق ٩، و«حاج في مكة» لآرثر ويفيل، ص ٢٠٩، و«أعيان الشيعة» ١٠ : ٣٦٥.

(٢) «أبو جهل القرن الرابع عشر» ص ١٥.

(٣) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ١ : ٤٣٣- ٤٣٤.

(٤) ولد عام ١٨٧٤م، وكان أحد زعماء حزب تركيا الفتاة، وانضم إلى جمعية الاتحاد والترقي فصار رئيسها، وعيّن وزيراً للداخلية، ثم تولى الصدارة العظمى سنة ١٩١٧م، واستقال بعد هزيمة الدولة العثمانية، وهرب إلى برلين بألمانيا، وتوارى في مصحّة هناك، ثم دارت

مكة لأبيه الشريف الحسين وأولاده، ويعطونه ثلث دخل سكة الحديد وقوة كافية وربع مليون من الجنيهات ينفقها على القبائل العربية، لكن الشريف الحسين رفض كل ذلك واعتبرها رشوة[1].

وعلى أية حال فإن سكة حديد الحجاز كانت فاصلاً مهماً في تاريخ المدينة المنورة، حيث شهدت المدينة ازدهاراً عاماً لم يسبق أن حصل مثيله من قبل، فاتسعت التجارة وتوالت الأرزاق وتحسنت الأوضاع، فكان القطار يأتي محملاً من بلاد الشام بأنواع البضائع، من أدوات بناء ومكائن سحب الماء، والخردوات والأقمشة إلى غير ذلك من الفواكه والخضروات[2]، وبلغ عدد الزائرين القادمين من أنحاء العالم الإسلامي إلى المدينة المنورة حوالي ٣٠٠ ألف زائر[3].

الاتحاديون واللامركزية:

وهكذا حظيت المدينة المنورة بشيء من الرخاء في عهد السلطان عبد الحميد الذي بدأ سلطانه في ذلك الوقت يتزعزع، بعد استيلاء جمعية الاتحاد والترقي على مقاليد السلطة.

كانت هذه الجمعية سريةً في الأصل، أنشأها مجموعة من طلبة الكلية الطبية

أحداث حتى كان سنة ١٣٣٩هـ اغتاله رجل من الأرمن، وكان طلعت باشا هو صاحب قرار تهجير الأرمن، وقد جاءته رسائل تهديد لكنه تجاهلها، وبالعموم فقد كان رجلاً قومياً متطرفاً ذكياً طموحاً، جاهلاً من حيث العلم، وله مذكرات لم تنشر. انظر: «تاريخ الدولة العثمانية» لشكيب أرسلان، ص ٥٠١-٥١١، و«تاريخ الدولة العثمانية» ليلماز أوزتونا ٢: ٢٢٦، و«تاريخ الدولة المجهولة» ص ٤٧٠.

(١) «المراسلات المتبادلة بين الشريف الحسين والعثمانيين» ص ٩٨- ١٠٠.

(٢) «مأساة المدينة المنورة، من ذاكرتي قبل نصف قرن»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، جمادى الأولى سنة ١٣٨٢هـ.

(٣) «الخط الحديدي الحجازي» ص ١٨.

العسكرية سنة ١٣٠٦هـ، وكان هدفها الواضح مناهضة الحكم الحميدي، وقد انتبه السلطان عبد الحميد لحركة الجمعية، فأمر بالقبض على جماعة منهم فهربوا إلى باريس، وانضموا إلى جماعة: (تركيا الفتاة) لمؤسسها أحمد بن علي رضا[١]، ثم انضمت إلى (جمعية الحرية العثمانية) التي أسسها الأمير صباح الدين[٢]، وتكونت (جمعية الاتحاد والترقي)[٣].

وقد انضم إليها جماعات من كبار رجالات الدولة، وبعد فترة من إنشائها واتساعها لتشمل كل العثمانيين على اختلاف أجناسهم وأديانهم انضم إليهم أشخاص مرموقون من الجالية اليهودية، ومن المنتمين إلى الماسونية، وما زالوا بالدولة العثمانية حتى استطاعوا الانقلاب على السلطان عبد الحميد[٤].

---

(١) ولد سنة ١٨٥٩م في إسطنبول من أم مجرية اعتنقت الإسلام، وأب يلقب بالإنجليزي لإجادته اللغة الإنجليزية وتأثره بالمدنية الأوربية، درس الزراعة في فرنسا وعمل في وزارة الزراعة، ثم عين مديراً للتعليم في بورصة، وانتقل إلى فرنسا سنة ١٨٨٩م، وكان معارضاً لسياسة السلطان عبد الحميد، وأنشأ (جمعية الفتاة) ثم ترأس (جمعية الاتحاد والترقي العثمانية)، توفي سنة ١٩٣٠م. انظر: «الاتحاديون» للدكتورة نادية عبد، ص ١٧٤ وما بعدها، و«أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة» ص١٢٢-١٢٥.

(٢) هو الأمير صباح الدين بن الداماد محمود جلال الدين باشا، وأمه الأميرة سنيحة بنت السلطان عبد المجيد، وكان أحد علماء الاجتماع، توفي سنة ١٣٦٧هـ. انظر: «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» ٣: ٣٥٥.

(٣) يراجع في تاريخ وأفكار هذه الجمعية كتاب: «الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية» للدكتورة نادية عبد، ص ١٦٧ وما بعدها.

(٤) علاقة الاتحاديين بالماسونية أدت بالكثير إلى الظن بأن جمعيتهم هي في الأصل ماسونية يهودية صهيونية، وهذه الدعوى كما تقول د. نادية عبد اشتملت على مبالغة وتضخيم بل ومغالطة واضحة، وإن كانت هناك علاقة وانتماء أفراد وجماعات منهم إلى الماسونية لكنها محدودة، فأحمد رضا مثلاً كان رافضاً الانضمام إلى الماسونية لتعارضها مع نهج مدرسته الوضعية. وقد أعلن الماسونيون في تركيا في محرم ١٤٠٤هـ أسماء أعضاء جمعيتهم منذ العصر العثماني، وأوردوا من ضمن الأسماء: السلطان مراد الرابع، ومدحت باشا،



الأمير صباح الدين.



مدرسة ابتدائية تركية في المدينة المنورة.

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

ومبدأ الاتحاديين في الدولة مبنيّ على أساس المركزية التامة، أي حصر كل الإدارة في مركز الدولة، وبناء الإصلاحات كلها على هذا الأساس، ومن البدهي أن مبدأً كهذا سيعطي السيادة للعنصر التركي، الذي له المقام الأول في السلطنة[١].

وبالفعل فقد اتّبع الاتحاديون سياسة التتريك والنداء بالقومية الطورانية، وكان من نتاجها طغيان القومية التركية على القوميات الأخرى، ومنها العربية، وقد اعتمدت عدة مدارس في المدينة المنورة اللغة التركية لغة رسمية في مناهجها، وجعلت ذلك من أهدافها، وإن كانت بداياتها موجودة من قبل، فقد جاء في الوثيقة العثمانية الخاصة بإنشاء المدرسة الرشدية المؤرخة سنة ١٢٩٨هـ: "والحقيقة أن افتتاح مدرسة متوسطة في تلك الأماكن المقدسة سوف يساعد على تعميم انتشار اللغة التركية فيها"[٢].

ويذكر السيد عثمان حافظ[٣] شيئاً عن دراسته في هذه المدارس، أيام الاتحاديين

وطلعت باشا، وجمال باشا. وليس في تلك الأسماء: أنور باشا أو فخري باشا. والحقيقة أن مسألة الانتساب إلى الماسونية في ذلك العصر تحتاج إلى دراسة، فقد انتسب إليهم جماعات من العلماء من أمثال: شيخ الإسلام مصطفى كاظم أفندي، وشيخ الإسلام خيري أفندي، والسيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والأمير عبد القادر الجزائري وغيرهم. لذا لا يمكن الجزم بأن كل من انتسب إلى الماسونية هو يهودي أو صهيوني أو عدو للدين بالضرورة، فإن من أولئك من اغترّ بالجمعية ومنهم من غرّته المصالح، إلى غير ذلك. انظر: «الاتحاديون» للدكتورة نادية عبد، ص ٢٧٦- ٢٩٢، و«الدولة العثمانية المجهولة» ص ٤٩٦- ٤٩٧.

(١) «سيرة ذاتية» لشكيب أرسلان، ص ٦٥.

(٢) «نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز» ص ١٦٢.

(٣) ولد في المدينة المنورة سنة ١٣٢٨هـ، ودرس في كتّاب الطرودي، ورحل مع أهله إلى الشام أثناء سفر برلك، ثم عاد إلى المدينة المنورة، وطلب العلم على علماء الحرم النبوي الشريف مثل الشيخ عبد القادر الشلبي حيث لازمه وقرأ عليه في العلوم وأجازه، وأخذ أيضاً عن الشيخ محمد الطيب الأنصاري، وإبراهيم بري، والسيد أحمد صقر الجمازي،

فيقول: "والدراسة في المدرسة كانت باللغة التركية حتى الفقه والتوحيد باللغة التركية، وأنا أحفظ حتى الآن درساً من دروس التوحيد، أحفظ الكلمات ولا أعرف معناها تماماً وهي: (يري وكوكي يرده وكودة، الله بردر شريكي ونظري يوك تر)، هذه الكلمة أحفظها ولم أنساها[١] لكثرة تكراري لها ولكني لا أعرف ترجمتها بالضبط وإن كنت أعرف معناها وهو: إن الله تعالى واحد لا شريك له"[٢].

وكان لمنهج الاتحاديين في قوميتهم العلمانية وسياسة التتريك على جميع الولايات العثمانية الأثر الأكبر لنشوء فرقة مضادة من الأعراق الأخرى، فتألف حزب مكون من العرب والأرناؤوط والأروام والأرمن، وسمي بـ (حزب الأحرار)، وانضم إليه كثير من الأتراك المناوئين لجمعية الاتحاد والترقي.

وأما العرب فقد جمعتهم القومية أيضاً وكان عندهم غيرة من الترك، لأنهم كانوا أكثر عدداً، ولم تكن لهم نفس امتيازات الأتراك، في حين أن الترك كانوا يزعمون أن العرب لم يقوموا بما يجب عليهم تجاه الحكومة العثمانية حتى يتمتعوا بنفس القدر من المساواة مع الترك، وكثير من البلاد العربية لا يُلزم أهلها بالخدمة العسكرية الإجبارية، بل إن بعضها كلّف الدولة سوْق عساكر لإدخال أهلها في الطاعة، هذا مع ما قام به الاتحاديون من نشر مبادئ الطورانية، وتتريك الأقاليم

ومحمد سعيد نعمان وغيرهم. التحق بالمدرسة العبدلية والمدرسة الجوهرية للشيخ الشلبي. عين مدرساً بالمدرسة الابتدائية ثم معتمد المعارف بالمدينة وترقى في المناصب حتى عيّن مديراً لإدارة الحج في المدينة. كان رحمه الله أديباً صحفياً، أسس مع أخيه السيد علي حافظ جريدة المدينة المنورة، كما أسسا مدرسة الصحراء الخيرية في المسيجيد. وله العديد من المؤلفات من أهمها: «صور وأفكار» و«صور وذكريات» و«تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية». توفي سنة ١٤١٣هـ عن ٨٥ سنة. انظر سيرته في آخر كتابه: «صور وأفكار».

(١) هكذا وردت في الأصل، والصواب أن يقول: (ولم أنسها).

(٢) «صور وأفكار» ص ٣٤٠.

أسماء طلاب الصف الثاني في مدرسة دار المعلمين في المدينة المنورة سنة ١٣٣٠هـ.

(المرجع: المؤسسات التعليمية في المشرق العثماني)

العربية، مع سوء الإدارة في كثير من هذه البلاد، وكل ذلك أدى إلى النزاع الحاد بين الفئتين(١).

يقول شكيب أرسلان: "وهذا النزاع بين العرب والترك لم يكن ينتهي، بل كان يزداد بضعف الدولة، وقد كان يظهر في مواقع كثيرة، لكن كان المانع الوحيد من انفجار بركان الشر بين الفريقين، هو الخوف على بيضة الإسلام لا غير، إلا أن الإنجليز تمكنوا؛ قبل الحرب العامة، من استجلاب كثير من ناشئة العرب؛ منهم من استجلبوهم بالمنافع الخاصة، ومنهم من استجلبوهم بطريق الإقناع، وأوهموا العرب أنهم إنما يريدون ليجددوا دولة عربية كدولة بني العباس، أو دولة بني أمية مثلاً، ويساعدوا العرب على تجديد مجدهم القديم، وعلى عمارة بلادهم التي لم يحسن الترك إدارتها ولا عمارتها، فصار بين العرب حزب غير قليل ينزعون إلى الانفصال عن الدولة قلباً وقالباً، متوقعين لذلك أول فرصة.

(١) «سيرة ذاتية» لشكيب أرسلان، ص ٦٦-٦٧.

ولا يمكن أن يقال إن هذا كان رأي الجمهرة من الأمة العربية، بل في الحقيقة كان عقلاء العرب يفقهون أنه إذا وقع الانفصال بين العرب والترك تسقط بلاد العرب تحت حكم الإفرنج، فلذلك كانوا يختارون البقاء تحت حكم الدولة العثمانية خوفاً من حكم الأجانب واختياراً لأهون الشرّين»[١].

وبناءً على ما سبق فقد أسس العرب أحزاباً تنادي باللامركزية والقومية العربية، وكان أول ظهور هذه الأحزاب في القاهرة بواسطة بعض السوريين واللبنانيين المقيمين في مصر من أمثال: رفيق العظم، والسيد محمد رشيد رضا، والسيد محب الدين الخطيب، وشبلي شميل، وإسكندر عون، وغيرهم، فأنشؤوا: (حزب اللامركزية الإدارية العثماني) ومقره القاهرة، كما أسست عدة أحزاب أخرى عربية مثل: جمعية بيروت الإصلاحية، وجمعية البصرة الإصلاحية، والنادي الوطني العلمي ببغداد[٢].

وقد عقد فريق من الرجال العرب مؤتمراً في باريس دعوا إليه هذه الأحزاب العربية للمشاركة فيه، وليعملوا بناءً على أنظمة حزب اللامركزية، وعقد المؤتمر جلساته سنة ١٣٣١هـ، وطالب بقرارات سياسية من أهمها: إنشاء إدارة لا مركزية في كل ولاية عربية، وأن تكون اللغة العربية لغة رسمية في مجلس الولايات العربية، وأن يتمتع العرب بحقوقهم السياسية[٣].

وقد نتج عن هذا الاجتماع استجابة الحكومة الاتحادية إلى مطالبهم فانتدبت ممثلاً لها واجتمع برجال المؤتمر واتفقوا على البنود، واحتفلوا في إسطنبول على إزالة سوء التفاهم بين الترك والعرب، وما لبث أن اختلف الإصلاحيون

---

(١) «سيرة ذاتية» لشكيب أرسلان، ص ٦٧- ٦٨.

(٢) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد، ١: ١٤- ٢٤.

(٣) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد، ١: ٢٥-٤٠.

العرب فيما بينهم، وظهرت جمعية سرّية في إسطنبول تعرف بجمعية العهد، أسسها البكباشي عزيز علي المصري سنة ١٣٣٢هـ وانضم إليها نخبة من ضباط العرب، وبسبب هذه الجمعية عُقد اجتماع في دار وزارة الحربية بإسطنبول حضره الصدر الأعظم سعيد حليم باشا ومحافظ العسكرية جمال باشا[(١)] وأصدروا الأوامر بإقصاء الضباط العرب، وتولية البلاد العربية للضباط الترك، وتتريك العناصر، وإلغاء جميع الأحزاب العربية، وتعزيز نفوذ جمعية الاتحاد والترقي. وأخيراً ألقوا القبض على عزيز علي وحكموا بإعدامه واضطرت الحكومة إزاء ضغط الرأي العام والمظاهرات أن تعفو عنه[(٢)].

وكانت هذه الأحزاب تتطلع إلى الانفصال عن العثمانيين تماماً وتأسيس دولة عربية[(٣)].

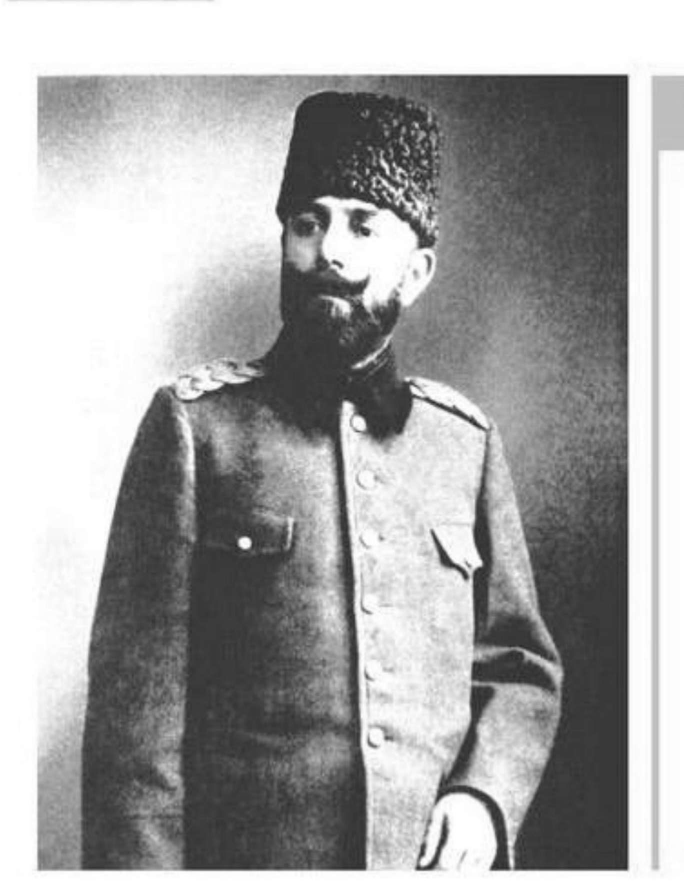
---

(١) ولد سنة ١٢٨٩هـ، تخرج في الكلية الحربية سنة ١٨٩٥م، ترقى في المناصب العسكرية حتى تولى ولاية أدرنة ثم بغداد، ووصل إلى نظارة الحربية، ثم قائداً للجيش الرابع، وكان من الذين انقلبوا على السلطان عبد الحميد، وهو أحد أشهر رجالات الاتحاد والترقي، وتولى زمام الحكم في سوريا، وآلت إليه إدارة البلاد العربية، وكان حازماً شديد البطش لا تحمد سيرته، ولأجل ذلك عرف بالسفاح، وثبت عنه انتسابه للماسونية، وأقام حملات تفتيش ضد العرب الذين يتعاونون مع بريطانيا وفرنسا، واتهم جماعات في دمشق ولبنان أصدر فيهم أحكاماً بالقتل، وقاد معارك تحرير السويس وهزم فيها، وبعد هزيمة الدولة العثمانية هرب إلى أوروبا، ومنها إلى أفغانستان حيث حظي عند ملكها، وتولى تنظيم الجيش الأفغاني، ثم عاد إلى ألمانيا ليطمئن على أسرته، وهبط في مدينة تبليسي في جورجيا، وهناك قتله اثنان من الأرمن سنة ١٣٤٠هـ. انظر: «تاريخ الدولة العثمانية» لشكيب أرسلان ص ٥١١ وما بعدها، و«الدولة العربية المجهولة» ص ٤٧٠.

(٢) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد، ١: ٤٦-٤٨.

(٣) يُنظر في أفكار اللامركزيين كلام الأمير شكيب أرسلان فقد أطال النفس في ذكر آرائهم ومناقشتهم في كتابه «تاريخ الدولة العثمانية» ص ٥٦٦.

جمال باشا



وكان لهذه الدعاوى وجود قديم جداً بين أفراد ووجهاء المجتمع المدني بل هو أقدم من نشأة الأحزاب العربية السابقة الذكر، وقد استُغِل هذا الموضوع أسوأ استغلال في بعض الأحداث التي لا شأن لها من قريب أو بعيد بالسياسة.

فتنة مرمحين باشا :

ومن أهم الأحداث التي كان لها تعلق بهذه الأفكار فتنة عام ١٣٢١هـ والتي طالت المدينة المنورة وسيق وجهاؤها إلى السجن وكاد يصدر فيهم حكم الإعدام، بتهمة الخيانة والسعي في إسقاط الخلافة العثمانية والمطالبة بحكم العرب، وملخصها:

أن محافظ المدينة المنورة التركي علي مرمحين باشا[١] أراد أن يفرض بعض الضرائب على الدكاكين، لأجل السّراج الذي يوقدونه والكنيس[٢]، ومرمحين هذا كان مولداً أسود، وقيل إنه كان شديد الغطرسة والاستبداد، فتعصّب بعضهم،

(١) تولى محافظة المدينة المنورة بعد أحمد شاكر باشا سنة ١٣٢٠هـ، ثم عزل بحسن حسني باشا سنة ١٣٢١هـ.

(٢) المراد هنا التنظيف.

وثارت ثائرة العوام، وأشعلوا فتنة ترأسها محتسب المدينة السيد أنور بن مصطفى عشقي (ت ١٣٣٦)، وهو أحد أدباء وشعراء المدينة، وحاولوا قتل علي مرمحين باشا محافظ المدينة المذكور في المناخة وهو خارجٌ من مقر الحكم، وأطلقوا عليه النار وطاردوه فاحتمى بمقر المحتسب (رئاسة البلدية)[١].

وهنا تدخل المفتي الشيخ تاج الدين بن مصطفى إلياس (ت ١٣٢٧) أحد وجهاء البلد، وحاول الصلح ودخل مقر المحتسب وصعد إليه، وأطل على المجتمعين وناشدهم الصلح إلا أن بعضهم ممن غلبت عليه الحمية أطلق عليه الرصاص، أو على جهته فأُطلق البوق (البورزان) وجاءت العساكر من كل مكان، وامتنع الضباط عن ضرب أهل المدينة، وخرج علي مرمحين باشا بحراسة قوية من العسكر، وكان الذين يطاردونه يهتفون: (مرمحين يا وجه القملة، مِين قالّك تعمل دي العملة)[٢].

فذهب أهل المدينة إلى مقر اللاسلكي، وطلبوا السلطان عبد الحميد فأبرق لهم الصدر الأعظم، فلم يقبلوا الكلام إلا مع السلطان، فأوصلهم به وأبرقوا له قائلين: المدينة لا يؤخذ منها رسوم، ورجوه عزل المحافظ، فأرسل السلطان تلغرافاً بالعفو عن الثوار، وعزلِ علي مرمحين باشا المذكور، وتعيين حسن حسني باشا، لكن أهل المدينة ثاروا عليه، ولم يمكث طويلاً حتى عينت الحكومة شيخ الحرم النبوي عثمان فريد بن حسن الشركسي[٣] محافظاً على المدينة المنورة في أواخر سنة ١٣٢١هـ.

---

(١) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٠، و«من أعلام المدينة المنورة، السيد أنور بن مصطفى عشقي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٢) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤١.

(٣) تولى محافظة المدينة مرتين، الأولى من سنة ١٣٠٥ إلى ١٣١٩هـ، والثانية من سنة ١٣٢١هـ إلى سنة ١٣٢٥هـ، حيث تولى بعده بحري باشا، ثم سعيد باشا ثم بصري باشا. كما تولى عثمان باشا مشيخة الحرم النبوي الشريف منذ فترته الأولى وبقي إلى سنة ١٣٢٦هـ ثم عُزل بعد إعلان الدستور، ومن آثاره: تجديد باب العنبرية سنة ١٣٠٥هـ، وبناء قلعة في وادي العقيق، وغرس

فتنة عثمان باشا :

لم يكن عثمان باشا غريباً عن المدينة المنورة، فقد تولى منصب محافظة المدينة المنورة من سنة ١٣٠٥هـ حتى سنة ١٣١٩هـ، وجمع إلى ذلك منصب مشيخة الحرم النبوي[١]، وقد اختلف الناس في وصفه، فمن قائلٍ إنه كان متواضعًا كاملاً حسن الخلق صاحب شدة ودهاء وسياسة[٢]، ومن قائل إنه كان مستبداً، طاغية، على كثير من الظلم، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب[٣].

وفي سنة ١٣٢١هـ تقريباً واجه عثمان باشا أثناء مشيخته للحرم النبوي الشريف، حملةً شرسة من جماعة من أهل المدينة، وقد ترأسها السيد عبد القادر بن عبد الله الكردي، الذي كان في إسطنبول ثم نفته الدولة إلى المدينة المنورة وصار من ذوي الوجاهة فيها[٤]، وتشير إحدى الوثائق إلى أن عدم حصوله على رواتبه المتأخرة لشهور عديدة، كان أحد أساس هذه الفتن[٥].

وقد أدى شغبه إلى صدور أمرٍ من الحكومة العثمانية بإخراج الكردي وعائلته إلى مكة، لكنه لم يخضع لذلك وفرّ إلى قبيلة بني علي، ويبدو أنهم حلفاؤه، وأخذ

أشجارٍ بالمناخة كي تظل النازلين بها. انظر: «مرآة الحرمين» ٢ : ٣٨٣، و«أحداث عاصرتها» مخطوط، و«مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني» ص ٢٨٤، و«الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز» ص ١١٨.

(١) هي الإدارة المسؤولة عن المسجد النبوي، ويرأسها شيخ الحرم النبوي، وكانت له صلاحيات إدارية وسياسية، وهناك العديد ممن جمعوا بين منصبي محافظ المدينة وشيخ الحرم النبوي. انظر: «الإدارة العثمانية في المدينة المنورة» ص ١٤٩.

(٢) «مرآة الحرمين» ١ : ٣٨٣.

(٣) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤١.

(٤) «مرآة الحرمين» ٢ : ١٠٥.

(٥) «تقرير أعضاء مجلس المدينة مؤرخ في ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ»، الوثائق العثمانية، الأرشيف العثماني، تصنيف: *I.HUS.R-1322/171*.

من خطابات عثمان باشا

(المرجع: Hicaz, Osmanli Devrinde)



عثمان فريد باشا

(المرجع: التاريخ الشامل للمدينة المنورة)

يرسل إلى الحكومة برقيات يرجو فيها السماح بعودته إلى المدينة حتى استجابت لذلك، وقد تعاطف مع الكردي جماعات من أهالي المدينة في حين ترصد له جماعات، كما تدل على ذلك وثيقة مرسلة من السيد حسن بن مصطفى أوليا (ت ١٣٥٠) في ١ جمادى الأولى سنة ١٣٢١هـ، يصدرها بدعوة للسلطان ابتهاجاً بقرار سماحه برجوع السيد عبد القادر الكردي إلى المدينة، وأن ما أذيع حوله إنما هو من قبيل الافتراءات، وذيّل وثيقته بتوقيع ٤٦ شخصاً من أهالي المدينة[1].

وقد حاول الرد على ذلك السيد محمد درويش بن حمزة مدني (ت ١٣٣٠)، فأرسل رسالة إلى الحكومة بنفس التاريخ يذكر فيها أن الكردي خالف الطاعة، وأثار الفتن، وحاشا للحكومة العثمانية أن تسمح بعودته، وأرسلها مذيلة بتوقيع ٣٠ رجلاً من أهالي المدينة[2].

بدأت الأحداث في الاحتدام بعد استقرار الكردي مرة أخرى في المدينة، وكثرت التظلمات من عثمان باشا، وحدث في هذه الفترة أن اصطدمت جماعة من قبيلتي بني علي وبني عوف مع بعض أهالي المدينة، وهجموا عليهم ونهبوا ما عندهم، وراح ضحية هذا الاعتداء بعض الرجال وامرأة من الأهالي لاقت حتفها عند باب المدينة، واتّهم عثمان باشا بالتواطؤ مع أفراد هذه القبائل[3]، وثارت ثائرة الناس يرأسهم عبد القادر الكردي وأعوانه وحصلت فتنة كبيرة، وحاصروا محافظ المدينة حسن حسني باشا، ومنعوه من الخروج، وسلموه ورقة ممهورة بختم عثمان باشا فيها تحريض للقبائل على مهاجمة المدينة المنورة، وكلّفوا المحافظ

(١) «خطاب من السيد حسن أوليا مؤرخ في ١٣ تموز ١٣١٩ رومي»، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV. 731/26*.

(٢) «خطاب من السيد محمد درويش مؤرخ في ١٣ تموز ١٣١٩ رومي»، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV.731/22*.

(٣) «خطاب من أبي البركات الأنصاري إلى الصدارة العظمى، مؤرخ في ١ شباط ١٣١٩ رومي»، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV.731/65*.



رسالة السيد حسن أوليا

(المرجع: دارة الملك عبد العزيز)

رسالة السيد محمد درويش مدني

(المرجع: دارة الملك عبد العزيز)

أن يعزل عثمان باشا من مشيخة الحرم النبوي، فامتنع، فطالبوا برفع الورقة إلى الحكومة العثمانية، فطمأنهم بأن الدولة سترسل محققين في هذه الحادثة، واتجه بعضهم إلى الحرم النبوي الشريف عند مقر المشيخة، وأحاطوا بعثمان باشا يريدون قتله، وعلت أصواتهم حتى منعهم بعض أعيان الأهالي من بيت أسعد وبيت مدني. ويذكر المفتي السيد محمد أسعد في خطاب له مؤرخ في ٥ ذي القعدة ١٣٢١هـ مفصلاً هذه الحادثة، بأن عبد القادر الكردي وأعوانه زوّروا هذه الورقة المنسوبة إلى عثمان باشا، وأنها لا تصح منه[١].

وعلى أية حال فإن هذه المحاولات في الإطاحة بعثمان باشا باءت بالفشل، بل صدر الفرمان السلطاني بعزل المحافظ حسن باشا وعُيّن مكانه عثمان باشا، فجُمعت له المحافظة ومشيخة الحرم، ولم يعجب هذا الثائرين عليه، فأرسل أبو البركات[٢] الأنصاري (ت ١٣٣٤) معروضاً باسم أهالي المدينة إلى الحكومة العثمانية في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣٢١هـ، يعترض فيه على تولية عثمان باشا ويشكو تعدياته، بيد أن القرار قد صدر[٣].

ويبدو أن أبا البركات الأنصاري قد تبيّن له شيئاً من مكائد الكردي خاصة لما أرسل هذا الأخير عدة تلغرافات يتهم فيها السيد عبد الله بن حمزة مدني (١٣٢٩)

---

(١) «وثيقة مرسلة من السيد محمد أسعد إلى الصدارة العظمى مؤرخة في ١٠ كانون الثاني ١٣١٩ رومي»، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV.731/61*، و«وثيقة مرسلة من ناظر وقف أشراف بني حسين الشريف عبد الحميد بن دوخي مؤرخة في ٨ كانون الثاني ١٣١٩ رومي»، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV.731/59*، و«وثيقة مرسلة من السيد محمد درويش مؤرخة في ١٠ كانون الثاني ١٣١٩ رومي»، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV.731/60*.

(٢) أبو البركات هو اسمه الكامل، ويختصره أهل المدينة فينادونه بـ: بركات، لذا يختلف اسمه من وثيقة إلى أخرى.

(٣) «خطاب من أبي البركات الأنصاري إلى الصدارة العظمى، مؤرخ في ١ شباط ١٣١٩ رومي»، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV.731/65*.

رسالة السيد محمد أسعد.

(المرجع: دارة الملك عبد العزيز)



رسالة السيد محمد درويش مدني إلى الصدارة العظمة.

(المرجع: دارة الملك عبد العزيز)



الشيخ أبو بكر بن محمد حماد، وابنه
(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)

بتهم عديدة، فكتب أبو البركات ومعه السيد إبراهيم الرفاعي إلى الصدارة العظمى يشكوان هذا الكردي، وأن ما تضمنته تلغرافاته في حق السيد المدني محض كذب وافتراء، وقالا في آخر معروضهما: "فإن عبد القادر كردي وعائلته ما داموا في المدينة، فإن الفساد لا يسكن"[١].

التفّ حول عثمان باشا أقوام من وجهاء البلد من أمثال: المفتي السيد محمد بن أسعد أسعد (ت ١٣٣٠)، والسيد محمد درويش مدني، وأخوه السيد عبد الله بن حمزة مدني (ت ١٣٢٩)، والشيخ محمد بن محمد صالح حماد (ت ١٣٣٦)، والسيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي (ت ١٣٣٦)، والمفتي تاج الدين بن مصطفى إلياس (ت ١٣٢٧).

---

(١) «خطاب من بركات الأنصاري وإبراهيم الرفاعي إلى الصدارة العظمى، مؤرخ في ١٣١٩ رومي»، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV.731/46*.

كما التف حول الكردي رجال أمثالهم كالشيخ حسين بن عبد الجليل برادة، والشيخ عبد العزيز بن عباس الطيار وغيرهم وكتبوا مضبطة في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٢١هـ، يشكون فيها من عثمان باشا ومخالفاته وتمكينه من سرقة أهل المدينة[١].

وحدث في هذه الفترة أن سُجن رجل يدعى موسى بك الكردي، وكان قريباً لعبد القادر الكردي، فسعى في إطلاق سراحه، غير أن عثمان باشا لم يقبل شفاعته، فغضب عبد القادر المذكور وأخذ يؤلب أهالي المدينة عليه مرة أخرى، حتى تحالفوا معه على المصحف والسيف ليعزلن المحافظ أو ليقتلنه، وأخذوا يبرقون بالشكوى منه إلى الدولة والصدارة العظمى، ولما لم يُسمع لقولهم أبرقوا إلى جلالة السلطان عبد الحميد مباشرة، فنصح لهم أن يعودوا إلى السكينة فأبوا[٢].

وأثناء هذه الأحداث حصل خلاف بين عدد من عائلات المدينة المنورة على تركة الشيخ محمد علي حجار (ت ١٣٢١هـ)، وتركة المفتي السيد أبي بكر بن أبي السعود داغستاني (ت ١٣٢٠هـ)[٣]، وتدخل المحاميان الشيخ عثمان أبو الطاهر (ت ١٣٥٣هـ)، والشيخ عبد الرحمن بن أحمد إلياس، فلم تفلح وساطتهما، واشتعلت الخصومة بين الأسر المختلفة على هاتين التركتين واحتدم بينهم الخلاف، ويبدو أن المحافظ عثمان باشا أراد أن يخمد الفتنة، ويستدعي الأطراف المتخاصمة، لكن بعضهم أشاع بأن عثمان باشا ينوي قتل عدد من أعيان المدينة

---

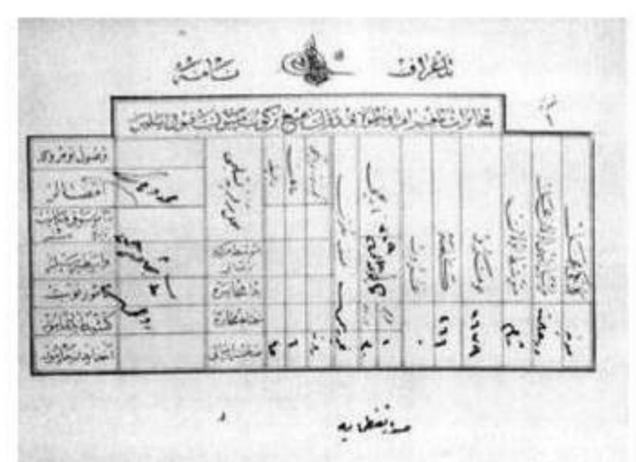
(١) «خطاب من حسين برادة وعبد العزيز طيار مؤرخ في ١٢ كانون الثاني ١٣١٩ رومي»، الأرشيف العثماني، تصنيف: *Y.PRK.AZJ.48/98*.

(٢) «مرآة الحرمين» ٢: ١٠٥- ١٠٦.

(٣) ورد اسمه في رواية السيد علي حافظ: أبو السعود المفتي، والصحيح أن المتوفى هو السيد أبو بكر بن أبي السعود، لأن والده المفتي أبا السعود الداغستاني توفي في ١٢٨٦هـ، والعائلة كانت تعرف بأسرة المفتي الداغستاني.

مضبطة باسم أهالي المدينة موقعة من حسين برادة.

(المرجع: دارة الملك عبد العزيز)



خطاب من أبي البركات الأنصاري إلى الصدارة العظمى.

(المرجع: دارة الملك عبد العزيز)

المنورة، ويفهم من سياق الأحداث أن الكردي كان له أثر كبير في إشعال هذه الفتنة[١].

وفي صبيحة يوم من أيام العشرة الأخيرة من شهر ذي الحجة سنة ١٣٢١هـ، ثار أهل المدينة، وذهبوا إلى المفتي عثمان بن عبد السلام داغستاني للتفاهم مع مجلس الإدارة بحكم أنه أحد أعضائها، وإقناعهم بطلب عزل المحافظ عثمان باشا المذكور، وبرز الكردي محاولاً الضغط على الأعضاء لكن المجلس رفض ذلك، حينذاك حصر الثائرون أعضاء المجلس في مقرهم بالمناخة جهة الباب الصغير[٢]، على أنهم لن يخرجوا حتى يقرروا عزل عثمان باشا[٣].

وتحمّس أهل المدينة وذهبوا لدار عثمان باشا قرب المسجد النبوي الشريف وكانوا قسمين، قسم في صف عثمان باشا ومنهم جيرانه وأعوانه، فقد شهروا سيوفهم مدافعين عنه، والقسم المناوئ له وهم كثر يرأسهم الكردي، وبلغ الأمر حده في الخلاف بينهم، ولكن قبل أن يصلوا لعثمان باشا وصلت قافلة حجاج إلى المناخة فرّقت المحاصرين، وذهبوا لخدمة الحجاج[٤].

وقيل: إن هؤلاء المشاغبين قتلوا حصاناً لعثمان المذكور، وصار لا يخرج إلا برفقة الضباط مع بعض أهالي المدينة، فحصلت الفتنة وكثر اللغط، وعلى أية حال فقد طارت البرقيات إلى السلطان عبد الحميد، فأبرق عثمان باشا إلى الحكومة العثمانية يشتكي أهل المدينة وما فعلوه، وفي الوقت نفسه أبرق (٤٥) شخصاً من أهل المدينة برقية إلى السلطان عبد الحميد، بتوقيع السيد حسين بن هاشم جمل الليل (ت ١٣٨٧هـ) يطالبون بعزل عثمان باشا

---

(١) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤١.

(٢) هو أحد أبواب سور المدينة المنورة، في الجهة الغربية بين باب المصري وباب الوسط.

(٣) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤١، و«التاريخ الشامل» ٣: ١٧.

(٤) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤١.

أو يلجأ أهل المدينة لأناس آخرين، فجاءهم الرد موقعاً من الصدر الأعظم بإبلاغهم أن العزل والتولية من شؤون السلطان وأنه قد عينت هيئة خاصة للنظر في الأمر[١].

أرسل السلطان مقدار عشرة آلاف عسكري من المدربين، ومعهم بعض المأمورين[٢]، وقيل: إن السلطان أمر بقوات من اليمن والشام للتوجه إلى المدينة بصورة مستعجلة، وعدتهم نحو ٢٥ ألف جندي فوصلوا خلال ١٥ يوماً[٣]، وذكر إبراهيم باشا بأن قوة من اليمن (أورطتين)[٤] قدمت إلى ينبع على (٤) بواخر عثمانية، وسافرت إلى الحجاز، وتصادمت مع بعض العربان، حتى وصلوا المدينة، وقوة (أورطة) قدمت مع اللجنة في ٢٦ محرم سنة ١٣٢٢هـ[٥].

وأما الضباط الذين كانوا في الثكنة العسكرية، المعروفة بالقشلة في العنبرية، فقد نُقلوا إلى خارج المدينة، لأنهم كانوا مؤيدين لأهل المدينة بحكم المصاهرة والرحم، وخرج عثمان باشا الذي اعتصم في بيته، محروساً بصفين من الجنود يمر بينهم على فَيْتونه[٦] حتى وصل مقر الحكم[٧].

وتقدمت هيئة التحقيق القادمة من الأستانة، برئاسة مدير القلم الكتابي في الباب العالي: السيد محمد باقي بك، وعضوية اللواء محمد صدقي باشا، واللواء

---

(١) «النخبة السنية»، أحداث سنة ١٣٢٢هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) "فصول من تاريخ المدينة المنورة" ص ٤٣.

(٤) الأورطة كلمة تركية يراد بها كتيبة من الجيش. «معجم الدخيل» ص ٤١.

(٥) «مرآة الحرمين» ٢: ١٠٥.

(٦) الفيتون هي عربة يجرها حصانان، وأصلها إنجليزي من (*Phaeton*)، وسميت باسم فَيثون (*Phaethon*) وهو في الأساطير ابن هيليوس إله الشمس، ساق عربة الشمس يوماً بدلاً عن أبيه، واقترب من الأرض فكاد يحرقها. انظر: «معجم الدخيل» ص ١٦٠.

(٧) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٣.

إسماعيل باشا، والسيد أبو السعود بن أحمد أسعد (ت ١٣٥٢)، وعمر بك[١]، للتحقيق مع المتهمين بالشغب، فأرسلوا للأهالي المشاغبين: ما سبب طلبكم عزلَ شيخ الحرم؟ فقالوا: لا نريده، وطُلب للتحقيق بعض أهالي المدينة على التعيين فلم يلبوا الطلب، فأرسلت الحكومة لكل واحد منهم ضابطاً وجنوداً مسلحين، وأمروا بحبسهم واستنطاقهم، وعدتهم (١١٨) شخصاً، وجرت محاكمتهم فبرئ (٧٦) شخصاً، وأدين (٤٢) شخصاً من أهالي المدينة، ومعهم حوالي (٤٠) شخصاً من الضباط[٢]، وكان من أهم التهم التي رموا بها، أنهم كانوا يريدون إسقاط الخلافة العثمانية والمطالبة بحكم العرب[٣].

وقد روى السيد حسين جمل الليل قصة محاكمته فذكر أنه كان أصغرهم سناً وكان جريئاً وأن البرقية التي رفعها وجوابها كانتا بتوقيعه، ولم يقرأ ما بهما، وأن الذي كتبها هو الشيخ عبد الرحمن إلياس، وكانت والدته قد حذرته بألا ينكر معرفته بالبرقيات ومضمونها مهما ترتب على ذلك من أحكام، ولما جاء دوره في المحاكمة ارتبك واحتار، وسأله الحاكم عن البرقيات فاعترف بها، وسئل عن السبب فأجاب بأنه ظلم عثمان باشا وإهانته لأهل المدينة، وسئل عن الناس الآخرين الذين سيلجؤون إليهم، فأجاب بأنهم من الأسرة العثمانية الحاكمة[٤].

وفي هذه الحادثة قال الشيخ زين بن عثمان بري: "لقد حاول السيد أبو السعود أسعد أن يجعلنا ننكر التهمة، ولكننا تعمدنا الإصرار على عدم الإنكار ظناً منا أن

---

(١) «مرآة الحرمين» ٢: ١٠٥.

(٢) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٣، و«من أعلام المدينة المنورة، السيد أنور بن مصطفى عشقي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة. وجاء في رواية الشيخ أحمد أمين بيت المال أنهم حوالي (٨٠) ضابطاً.

(٣) «من أعلام المدينة المنورة، السيد أنور بن مصطفى عشقي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٤) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٣.

القضية ستكون في صالحنا ضد عثمان باشا وبطانته"[١].

وقد اشتملت المحاكمة على ما حصل من تعاونهم مع عبد القادر الكردي في مهاجمتهم المحافظ السابق حسن باشا، وفي ثورتهم الأخيرة على عثمان باشا، وقد أرسلت هيئة التفتيش تقريراً يتضمن الحادثة التي نشبت في المدينة من هجوم بعض قبائل بني علي وبني عوف، وأنها كانت بتشجيع من عبد القادر الكردي بسبب عدم حصوله على رواتبه المتراكمة[٢]. ولعل اتهامه بالتحريض كان نتيجةً لما رمي به من تزوير الورقة المنسوبة لعثمان باشا.

ومن مشاهير العلماء والوجهاء المحكومين في هذه القضية :

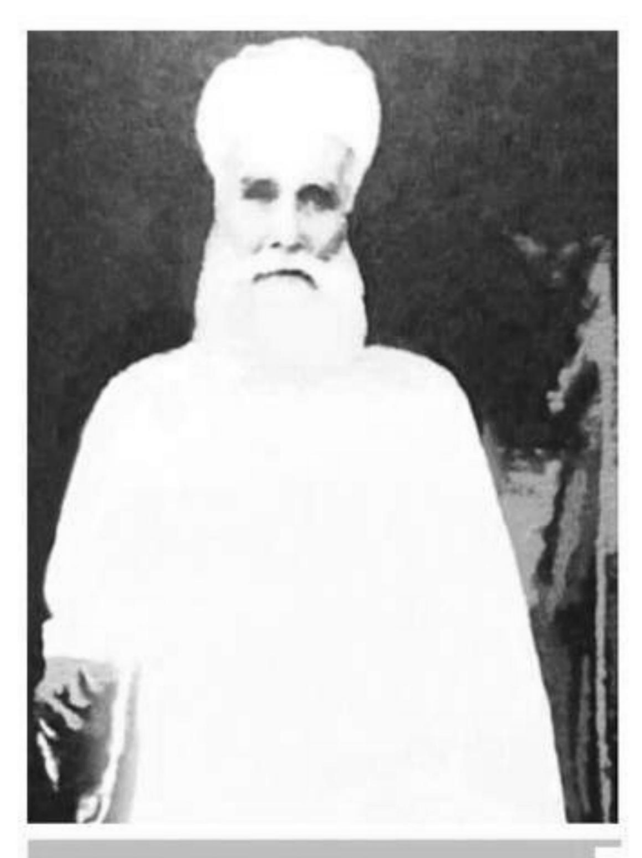
الشيخ عثمان بن عبد السلام الداغستاني، والسيد أنور بن مصطفى عشقي، والشيخ طاهر بن عمر سنبل، والشيخ عبد القادر بن عمر بري، والشيخ زين بن عثمان بري، والشيخ عثمان أبو الطاهر الكردي، والشيخ يحيى بن محمد سعيد دفتردار، والشيخ زاهد بن عمر زاهد، والشيخ عبد الرحمن بن أحمد إلياس وولده، والسيد علي بن علي الحبشي، والشيخ إبراهيم بن أحمد حمدي الخربوتي، والسيد حسن وحسين ابنا هاشم جمل الليل، والشيخ حسين بن عبد الجليل برادة، وأحمد أبو الجود، والسيد عبد الله الحبشي، ودرويش كردي، ومحمد حمودة وابنه، وأبو البركات بن محمد الأنصاري[٣]، ومحمد حلابة، وحسن حلابة، وعيد بنّا، والسيد حسين ابن علي عامر[٤]، وعبد العزيز الطيار، وابنه قاسم الطيار، وعبد اللطيف كابلي،

(١) «من أعلام المدينة المنورة، السيد أنور بن مصطفى عشقي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٢) «تقرير لجنة التفتيش وأعضاء مجلس المدينة مؤرخ في ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ»، الأرشيف العثماني، تصنيف: *I.HUSR.1322/171*.

(٣) ورود اسم أبي البركات من ضمن المقبوض عليهم يدل على أنه كان ثابتاً على موقفه في تظلمه من عثمان باشا على الرغم من شكواه لعبد القادر الكردي.

(٤) هو والد الشاعر السيد علي بن حسين عامر، المتوفى في مدينة جدة سنة ١٤١٤هـ.



السيد حسين جمل الليل.

(المرجع: شخصيات متميزة في مجتمع المدينة المنورة)



الشيخ عبد القادر بري.

ومحمد رؤوف بن محمد أسعد كردي، وعبد الله حمودة وولده أحمد حمودة، والشيخ عبد القادر أدهم، وياسين كابلي، ودرويش جزار وولده مصطفى، وعبد القادر الكشميري، وعبد الرحيم الكشميري وابنه محمد، وعباس خضر، ومحمد دشيشة، والريس عثمان عفان، وعبد الكريم كراني، وأمين درندلي، والشيخ منصور زللي، والعمودي وولده، والأفندي موسى بن علي موسى، والسيد محمد العطاس، ومن آغوات السرايا اثنان ومن الضباط الأفندي ياور فخري، ويوزباشي محمد علي أصغر(١).

وقد جلد أثناء المحاكمة جماعة منهم الشيخ عبد الرحمن إلياس، والسيد حسين علي عامر، وعيد بنّا، وعثمان أبو الطاهر. وممن هرب ولم يتمكن العساكر

---

(١) «النخبة السنية في الحوادث المكية» أحداث سنة ١٣٢٢هـ، و«فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٥، و«من أعلام المدينة المنورة، السيد أنور بن مصطفى عشقي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

من أسره: السيد حمزة بن إبراهيم غوث، وعباس سطيح، وإبراهيم زاهد، فقد تفادوا القبض عليهم حال سماعهم بالأمر، قبل القبض على رفاقهم وقبل المحكمة[١]، وكذلك كان من الفارين عبد القادر الكردي الذي كان في واجهة كل هذه الأحداث، فقد التحق بالمحمل الشامي وانتقل إلى بيروت[٢].

وممن فرّ ونجا الشيخ حسين بن عبد الجليل برادة، وذكر السيد علي حافظ أنه ذهب إلى إسطنبول وأرسل الشكاوى تلو الشكاوى ضد عثمان باشا حتى عزل. والصحيح أنه رحل إلى مصر واستقر بها، كما قال في مجموع له بخطه: "ولما تغلّب حزب عثمان باشا على أشراف وأعيان المدينة المنورة، وهجم على بيوت أغلبهم بالعساكر ونفاهم إلى الطائف، وتسلط على أذيتهم بالافتراء والأكاذيب المختلفة، خرجت أنا في أثناء تلك الحادثة مختفياً إلى مصر"[٣]. وهناك أنشأ (جريدة الحرمين) سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٦م)[٤]، وكان يطبعها في كل أسبوع، ينشر فيها مقالات وأشعار[٥] عن بعض أفعال عثمان باشا، ويذم أعوانه من بيت أسعد، ومدني، وحماد، والبرزنجي، وإلياس، وغيرهم. وكان يرسل هذه الأعداد إليهم في المدينة، ولما أكثر عليهم ردوا بمقالات نشرت في (جريدة العمران) بمصر، لصاحبها عبد المسيح الأنطاكي[٦].

ومكث بقية المتهمين في السجن (٧٢) يوماً، حتى رُفعت نتائج التحقيق إلى إسطنبول وصدر الأمر بنفيهم إلى الطائف وسجنهم هناك، فصفّد هؤلاء بالحديد

---

(١) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٤.

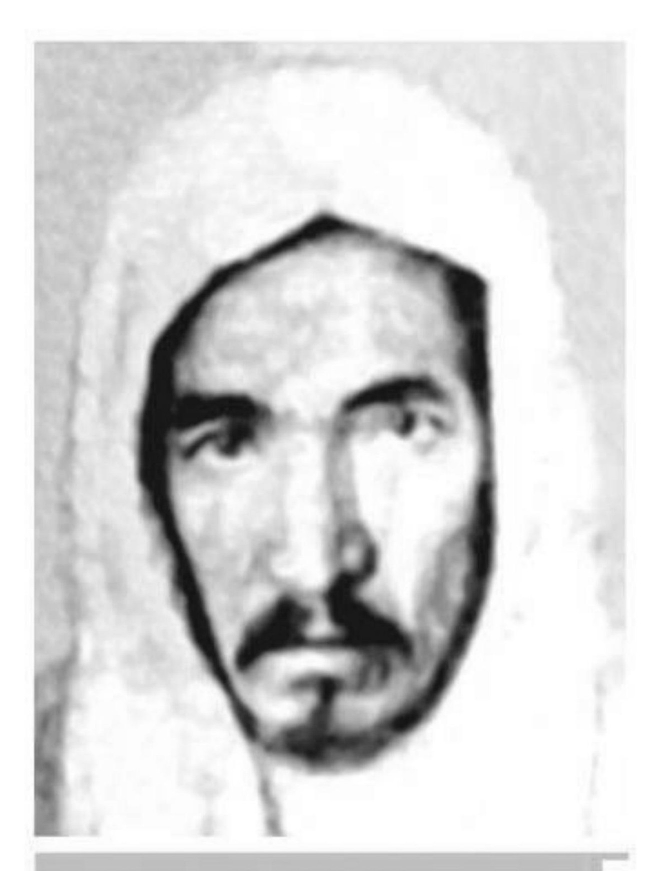
(٢) «مرآة الحرمين» ٢ : ١٠٦.

(٣) «مجموع» لشعراء مدنيين، مخطوط.

(٤) «مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه» ص ٥١٣.

(٥) قد اطلعت على بعض هذه الأبيات، والحق أنه غفر الله له قد أقذع في هجائه وأفحش، وشعره في هذا الجانب مجرد نظم لا أكثر.

(٦) «مجموع» لشعراء مدنيين، مخطوط.



الشيخ إبراهيم عمر زاهد.
(المرجع: فصول من تاريخ المدينة المنورة)



الشريف عون الرفيق

وأخرجوا بصورة سيئة في شقادف[1] ومعهم حوالي (١٠٠) جندي مسلح، وتحت كل شقدف (٤) جنود يحافظون عليه، وكان خروجهم في ٢٧ صفر ١٣٢٢هـ، وحصل كرب عظيم لدى أهل المدينة، وصار النساء يبكين، وأراد بعض قبيلة حرب من الأحامدة أن يتدخلوا لتخليصهم، فردّهم العقلاء من المحكومين، لكن الأحامدة منعوهم من المرور وهدّدوا بضرب الجنود، فعادوا وأخذوا طريقاً آخر وأوصلوهم إلى ينبع، ومنها ركبوا البحر حتى وصلوا إلى جدة بعد (٤) أيام، فقابلهم أهل جدة بالحفاوة، وفك الوالي أغلالهم، وذكر الفارسي أن أهل جدة أطفؤوا الأنوار حتى لا يراهم أحد بهذه الهيئة، وعرضوا عليهم الأموال، فاعتذر أهل المدينة شاكرين كرمهم، ثم توجهوا بهم إلى مكة[2].

---

(١) جمع شُقدف وهو يشبه الهودج، يوضع على ظهر الجمال.

(٢) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٤، و«أحداث عاصرتها» ق ٢-٣، و«من أعلام المدينة المنورة، السيد أنور بن مصطفى عشقي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

وقد قيل إن شريف مكة عون الرفيق أمر بالإتيان بهم، لأنه كان يحب أهل المدينة، فقدموا بهم ووصلوا مكة في ليلة ١٨ شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢٢هـ، وأدخلوا سجن القشلة مدة (٧) أيام، ثم أمر بهم أن ينقلوا إلى الطائف ويحبسوا في قلعة مدى، وصارت تأتيهم الضيافات من أهل مكة والطائف مدة (٧٢) يوماً، كل يوم يذبحون لهم (١٢) خروفاً، وخصصت الحكومة لهم أرزاقاً لإعاشتهم، أما الفرش فكل سجين منهم أخذ فراش نومه معه[١].

وشفع الشريف عون لهم عند السلطان، لكنه لم يقبل الشفاعة، وتوفي الشريف عون بعد ذلك وما زالوا في السجن[٢]، وأقاموا ثمانية عشر شهراً، وكان في النية إبادتهم شنقاً، لكن الله لطف بهم.

ويذكر السيد حسين جمل الليل: أنه كان معهم من المسجونين عالم فلكي هو الشيخ عبد القادر أدهم، فحسب لهم بالحسابات الفلكية الروحانية فظهر أن الذين يخرجون من القلعة ٨١ شخصاً، ثم توفي أحد المسجونين ويدعى الضابط عبد الله أفندي، فخرجوا من السجن ٤١ شخصاً من الأهالي، و٤٠ ضابطاً[٣].

وفي هذه الأحداث أنشأ السيد أنور بن مصطفى عشقي قصيدته الشهيرة التي يقول فيها[٤]:

نُساقُ للسجنِ لا جرمٌ ندانُ به — إلا تلافيقُ زورٍ من ذوي فِتَنِ

كُنّا نطالبُ بالعدلِ الذي حُرِمَتْ — منه المدينةُ دارُ العدلِ والمننِ

---

(١) «النخبة السنية» أحداث سنة ١٣٢٢هـ، و«فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٤.

(٢) كانت وفاة الشريف عون في جمادى الأولى سنة ١٣٢٣هـ.

(٣) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٤.

(٤) «من أعلام المدينة المنورة، السيد أنور بن مصطفى عشقي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.



الجزء ٣٤ المجلد ١ — العدد ٣٦٤ السنة ١٢

(الله والوطن والاتحاد)

العمران

مراسلات الجريدة
(الى)
عبد المسيح انطاكي بك
صاحب جريدة العمران بمصر

بدل الاشتراك
٦٠ قرشاً صاغاً عن سنة في مصر
٢٥ فرنكاً عن سنة خارج القطر
(الدفع سلفاً)

(صحيفة عربية عمرانية اسبوعية)
« أو »
(صحيفة تاريخ وأدب وسياسة وفكاهة)

(مصر في ١٨ مايو سنة ١٩٠٨ (٥) و ١٧ ربيع ثاني سنة ١٣٢٦)

القصر الخزعلي العالي على شط العراق

هـذا هو القصر المنيف الخزعلي ... ومقام مولانا الجليل الامثـل
ذكـره لا تـزال [illegible] الورى ... عيون في السردار أفضل موئل

طبع بمطبعة العرب في مصر

عدد من جريدة العمران



السيد أنور عشقي مع بصري باشا

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

أيُّ الذنوبِ اللَّواتي نستحقُّ بها ... هذا العقابَ سوى الأغراضِ والإحنِ
ماضرّنا غيرُ قولِ الشامتين لنا ... ذوقوا جزاءَكمُ في السجنِ والوهنِ
قضتْ علينا الدواهي وهي ظالمةٌ؟ ... بعداً عن الأهلِ والإخوانِ والوطنِ
قاضٍ تهوَّر في أحكامه فقضى ... بما يصورُه الواشون من دَرَنِ
فكيف يقضي بما تُملي غباوتُه ... ألاّ يفرّق بين الخمرِ واللبنِ؟
ما كان بالحكمِ التّرضى حكومتُه ... ولا على السرِّ والنجوى بمؤتَمَنِ

وفي ١٨ جمادى الأولى عام ١٣٢٣هـ، الموافق ٢١ يوليو ١٩٠٥م، قام بعض ثوار الأرمن بتنفيذ خطة اغتيال أُعدّت للسلطان عبد الحميد، في حادثة عرفت في التاريخ باسم: (حادثة القنبلة)(١)، وذلك بمساعدة رجل بلجيكي يدعى: (جوريس)، فقاموا بوضع قنبلة موقوتة في عربةٍ تُركت أمام جامع يِلْدِز الذي يصلي فيه السلطان في السراي في إسطنبول، وأثناء خروجه من صلاة الجمعة متجهاً إلى عربته الخاصة استوقفه شيخ الإسلام جمال الدين أفندي لحظات يسيرة، وفي هذه اللحظات انطلقت القنبلة ولمّا يخرج السلطان بعد، فخاب مخطط الأرمن، وقتل خلقٌ من الناس ومنهم سائق العربة، وأصيب رجل من المدينة اسمه نجيب حماد -والد حسن حماد- بشظية في كتفه، ونجا السلطان عبد الحميد بأعجوبة، وساق عربته وانطلق إلى السراي بصحبة شيخ الإسلام.

ولما استقر بهم المجلس نصح شيخُ الإسلام السلطانَ عبد الحميد بأن ينظر في إطلاق سراح أهل المدينة، المحبوسين في القلعة بالطائف، وردهم إلى بلادهم، شكراً لله على نجاته، ففعل السلطان(٢)، وأمر بأن تصرف لهم مرتباتهم

---

(١) ينظر في هذه الحادثة: «تاريخ الدولة العثمانية» ليلماز أوزتونا، ٢: ١٦٢- ١٦٤، و«السلطان عبد الحميد: مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية» ص ١٠٧- ١١٣، و«الدولة العثمانية المجهولة» ص ٤٤٦- ٤٤٧، و«الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» ٣: ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) هذه هي الرواية الصحيحة كما رواها الدفتردار، وأما ما رواه الفارسي في كتابه: «أحداث


السلطان عبد الحميد وهو خارج من صلاة الجمعة

ومخصصاتهم التي حجزت عنهم، فعادوا إلى المدينة نهاية عام ١٣٢٣هـ[1].

عاصرتها» ق ٦، عن المعمر محمد بك التركي سنة ١٣٣٦هـ أن السلطان عبد الحميد رأى نفسه في المنام مسجوناً، فقال له السجان: لا نخرجك ما لم تفك سجن أهل المدينة بالطائف، فأوفد السلطان رجلاً بصورة سرية كي يستطلع الخبر فعلم بسجن أهل المدينة في الطائف وعاد وأخبر السلطان، فأمر بفك أسرهم وعزل عثمان باشا. فهذه الرواية لا تصح، لأن أمر حبسهم صدر من السلطان نفسه، ووسائل الاتصالات اللاسلكية متوافرة، ولأن عثمان باشا مكث على رأس الحكم حتى سنة ١٣٢٥هـ بشهادة المعمر الفارسي نفسه.

(١) «من أعلام المدينة المنورة: السيد أنور عشقي» للدفتردار، جريدة المدينة المنورة، وهذا التاريخ الصحيح الذي حدثت فيه الفتنة المذكورة، وأما ما ذكره الدفتردار والسيد علي حافظ وتبعهما جماعات من أن الحادثة كانت سنة ١٣٢٤هـ وخروجهم كان سنة ١٣٢٧هـ فهو وهمٌ نشأ من ذاكرة السيد حسين جمل الليل مصدر هذه الرواية، والصحيح ما أوردته كما نص عليه الشيخ أحمد أمين بيت المال في تاريخه في أحداث سنة ١٣٢٢هـ، والمعمر خضر فارسي في كتابه «أحداث عاصرتها»، وكما تدل عليه الوثائق.

وكان لحادثة النفي هذه والحبس في الطائف الأثر الشديد على بعض العلماء، كالشيخ عثمان بن عبد السلام الداغستاني، الذي أصيب نتيجة حبسه بوعكة صحية لازمته حتى فارق الحياة سنة ١٣٢٥هـ[١].

كما كانت هذه الحادثة سبباً في انتقالات بعض أهالي المدينة ممن شارك وهرب، ومن أولئك السيد حمزة بن منصور بن أحمد البديري، فقد كان أحد الضباط المتهمين، وهرب إلى أخواله من بيت العقيل في نجد، ومكث سنتين ثم انتقل إلى بلاد البلقان وجال هناك حتى استقر به المقام في (إنغوشيا)[٢]، وهناك تزوج وأنجب وصارت له قومية وجاه، وعمّر فوق المئة وتوفي عام ١٩٧٢م، وله ذرية معروفة هناك إلى يومنا هذا[٣].

عهد السلطان محمد رشاد والاتحاديين في المدينة :

استطاع الاتحاديون خلع السلطان عبد الحميد، سنة ١٣٢٧هـ، بعد أن وجهوا إليه تهماً معينة، ونفوه إلى (سالونيك)[٤]، وقاموا بتعيين أخيه السلطان محمد رشاد الخامس، وفي هذا العهد يقول زيدان: "عاشت المدينة المنورة في رخاء بلغ حد الترف، سواءً في الحاضرة أو من حولها من القبائل.. إن هذا العهد الرخي جعل الناس في المدينة يستبشرون بعهد السلطان رشاد، كما كانوا مستبشرين بعهد السلطان عبد الحميد"[٥].

---

(١) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عثمان بن عبد السلام داغستاني»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة، سنة ١٣٧٩.

(٢) جمهورية إنغوشيا أو إنغوشيتيا (*Ingushetia*) تقع في شمال القوقاز الروسي، وكانت تابعة للشيشان ثم فُصلت سنة ١٤١٢هـ لتصبح جمهورية مستقلة بذاتها.

(٣) أفادني بذلك صديقي السيد هاني بن حمزة البديري عن أبناء عمه الإنغوشيين من أحفاد حمزة المذكور.

(٤) هي مدينة أوروبية قديمة، تعرف بـ (*Thessaloniki*)، وتقع اليوم في دولة اليونان .

(٥) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٧٩، ٨١.



السيد حمزة البديري

(المرجع: أمدني بها السيد هاني البديري)



السلطان محمد رشاد

وكان الاتحاديون في أوج ازدهارهم وسيطرتهم، وقد استطاعوا إعادة المشروطية [1] للمرة الثانية، وإعادة تشكيل مجلس المبعوثان[2] في عهد السلطان عبد الحميد، واختاروا لهذا المجلس من أهل المدينة: الشيخ مأمون بن أبي اللطف بري (ت ١٣٣٨)، والسيد عبد القادر بن حسين هاشم (ت ١٣٣٨)، وقد كان لهذين الشيخين فضيلة إصدار قرار من المجلس، ينص على أن أهل المدينة

---

(١) المشروطية يراد بها الدستور العثماني الذي أصدره السلطان عبد الحميد في ٤ ربيع الأول سنة ١٢٩٤هـ وعلى أساسه تم تشكيل مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني) ثم عطل المجلس سنة ١٢٩٥هـ وأعيد مرة أخرى في ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦هـ تحت ضغط الاتحاديين مع تعديلات، وهو دستور مبني على (الديموقراطية)، وأعلنوا تمثلهم بمبادئ الثورة الفرنسية: الحرية، والعدالة، والمساواة، والأخوة، وهذا الأخير هو المقصود في النص أعلاه. انظر: «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» ص٢٠٩، و«الدولة العثمانية المجهولة» ص ٤٣٤- ٤٣٧.

(٢) هو البرلمان العثماني، ومبعوثان اسم الجمع على الطريقة الفارسية لكلمة مبعوث. انظر: «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية» ص ١٩٩.

تعالى
الحمد لله

سبب تحريره وموجب رقمه وتسطيره وانه لما كان يوم الجمعة المبارك الموافق وحده
من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٢١ لقد تحاضروا الرجلين الكاملين وهم محمد
سعيد ابن محمد صالح ابن سليمان ديوه لى واخيه احمد بن محمد صالح ابن
سليمان ديوه لى واولادهما وتابعهم وحضر لحضورهم الشيخ عبد الله
ابن حضرم ابن سعد ابن زيد ابو ربيعه من رجال السهلية وتحالفوا حلفا
جديد ما يبيد يحيا مع الحيين ولا يموت مع الميتين عليهم وعلى اولادهم واولاد
اولادهم حسب ما تنا سلوا يرثه الحي عن الميت والنقي عن الباقي حلفا عليه الله
ما ذال الغراب غراب والقراب قراب وما طول العرب يقولون لا اله الا الله
محمد رسول الله حلف خامس مبارى فى الحميه وسوق الفرقه فى قنان
حرب المثنيه بشهادة الشهود المذكورين ادناه وانا اقول يا عبد الله ابن حضرم
على ما ذكر الحلف المحرر وعلى هذا وجهى والاسم والختم فيه حجه والاعتماد على الله
الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم ١ شعبان المعظم ١٣٢١

المقر بما فيه
الشيخ عبد الله
ابن حضرم ابن سعد
ابن زيد ابو ربيعه

شهد بذلك حسحان مليبع
شهد بذلك ابرهم عويض
شهد بذلك محمد ابن شفيع القلاوى
شهد بذلك حامد ابن حامد
كتبه بذلك عبد الغنى راشد الظاهرى
شهد بذلك سلطان بن حضرم ابن ابو ربيعه
شهد بذلك انبير ابن حرش السهلى
شهد بذلك شنه مجاهد

وثيقة تحالف بين بيت الديولي وقبيلة السهلية من حرب.

(المرجع: أمدني بها الشيخ سامي ديولي)



صورة وفد أهل المدينة إلى مجلس المبعوثان والرابع من اليسار هو الشيخ مأمون بري

(المرجع: ديوان مأمون بري)



السيد عبد القادر هاشم

(المرجع: Hicaz, Osmanli Devrinde)

سواسية، لا تمتد يدٌ على أحد، ولا يتلسّن لسانٌ على أحد[١].

ومن اللطائف ما حكاه السيد حمزة غوث[٢] في مذكراته، بأن المناقشات التي كانت تدور بين الأعضاء العرب والترك في مجلس المبعوثان، كانت تصل إلى حدّ

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٨٦.

(٢) ولد في المدينة المنورة سنة ١٢٩٧هـ، وتلقى تعليمه في المدرسة الرشدية العثمانية، وحضر دروس العلم على الشيخ محمد العُمري، وعبد القادر الطرابلسي، وعبد الحافظ المصري، وغيرهم. وكان رجلاً وجيهاً ثرياً، وله مشاركة في الأحداث السياسية، فقد أُمر بالقبض عليه أيام عثمان باشا لكنه هرب، وكان أحد أعضاء حزب الاتحاد والترقي في المدينة، ولما قامت الحرب العالمية الأولى بقي في المدينة مدة من الزمن، وعينه حاكمها العسكري رئيساً لبلدية المدينة، ورئيساً لتحرير جريدة الحجاز، ثم انتقل إلى الشام ولم يعف عنه الأشراف، فخرج إلى تركيا وانضم إلى جبهة الجهاد بقيادة السيد أحمد الشريف السنوسي، وواجه حكم الإعدام من مصطفى كمال أتاتورك ونجا بأعجوبة، ثم انتقل إلى نجد وعمل مع الأمير عبد الله بن متعب ابن رشيد وممثلاً له، ثم مستشاراً للملك عبد العزيز، ومعاوناً لأمير المدينة، وتدرج في المناصب حتى عين عضواً في مجلس الشورى، ونال لقب وزير دولة، وتوفي سنة ١٣٩٠هـ عن ٩٣ سنة. انظر: «من رجال المدينة المنورة السيد حمزة بن إبراهيم غوث» لابنه السيد خالد.

الشتم والضرب بالكراسي أحياناً[1].

الجامعة الإسلامية في المدينة :

ومن أهم المشاريع التي اعتنى بها الاتحاديون سنة ١٣٣١هـ إنشاؤهم كلّية علمية، ومدرسة جامعة بإشارة شيخ الإسلام مصطفى خيري أفندي الأركوبلي (ت ١٣٣٩)[2] الذي عيّنه السلطان رشاد في هذا المنصب لغرض إصلاح أوضاع المدارس العلمية العثمانية[3]، وتذكر المصادر أن فكرة إنشائها تعود إلى سنة ١٣٢٨هـ، حيث أرسل الصدر الأعظم مذكرة إلى وزارة المعارف مؤرخة في ٦ ربيع الآخر من السنة المذكورة، يطلب فيها بياناً بإمكانية تأسيس مدرسة إسلامية عالية في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة لتعليم العلوم الدينية واللغة العربية بغية نشر التعليم في الحجاز[4].

وبالفعل بدأت مرحلة التنفيذ والتأسيس سنة ١٣٣١هـ، وهي التي يطلق عليها: (دار الفنون)، أو (المدرسة الكلية)، أو (المدرسة الجامعة)، وهذه المدرسة تعدّ من المراحل العالية، وهي أعلى المراحل العلمية الدراسية في الدولة العثمانية، وتنقسم الدراسة فيها إلى ثلاث شعب: شعبة الفلسفة والآداب، وشعبة علم الحقوق، وشعبة العلوم الطبيعية والرياضية[5].

ويمدنا نظام المدرسة الصادر في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٣١هـ ببنود عديدة من أهمها: أن المدرسة حملت اسم (المدرسة الكلية) وهي دار العلوم الإسلامية،

---

(١) «من رجال المدينة المنورة السيد حمزة غوث» ص ١٠٤.

(٢) أشار إلى ذلك الشيخ عبد القادر المغربي في مقاله: (الكلية الصلاحية)، وذكر أن شيخ الإسلام مصطفى خيري هو الذي سعى في إنشاء مدارس دار الخلافة وكلية المدينة. انظر: «مجلة المقتبس»، المجلد ٨، الجزء ٨، ص ٥٦٣.

(٣) «معجم شيوخ الإسلام في العهد العثماني» ٢: ٩٦٦.

(٤) «المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني» ص ٥٠١.

(٥) «الإدارة العثمانية في المدينة المنورة» ص ١٧٤.

وثيقة بيان النظام الداخلي للمدرسة الكلية (دار الفنون) في المدينة المنورة سنة ١٣٣١هـ

(المرجع: المؤسسات التعليمية في المشرق العثماني)

وأن الهدف من تأسيسها إعداد طلاب قادرين على نشر وتعميم الحقائق المتعلقة بالإسلام، وأن يكون التدريس في الكلّية باللغة العربية[١]. وذكر السيد عثمان حافظ أنهم أرادوا أن يطلقوا عليها اسم: (جامعة صلاح الدين الأيوبي)[٢]، وأنه أثناء هذه العمارة افتتحت الكلية الصلاحية في القدس سنة ١٣٣٣هـ على يد جمال باشا[٣].

وقد انتدبت الحكومة لتدشين البناء: الشيخ عبد العزيز بن خليل جاويش[٤]، وعينته مديراً للكلية، ومعه الأمير شكيب أرسلان، وصحبهم الشيخ عبد القادر بن مصطفى المغربي[٥]، فسافروا من دمشق إلى المدينة المنورة، ومكث شكيب أرسلان بها شهرين ونصف في منزل السيد علي الذهبي[٦]، وكانوا يحملون معهم المخططات والمواصفات لبناء الكلية، ومعهم المهندسون الاختصاصيون، وانتخبوا مكاناً مناسباً ووضعوا حجر الأساس للكلية مع صورة الفرمان العثماني،

---

(١) «المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني» ص ٥٠٢.

(٢) «صور وذكريات» ص ١٦٨. وهو قول مرجوح، ووهم سرى إلى السيد عثمان حافظ، وقد ذكر شكيب أرسلان في «سيرته الذاتية» ص ٩٥، والجودي في «رحلته» في «مجلة العرب» ج ١و ٢ سنة ١٧ ص ٤٤٦: أن اسمها دار الفنون، وكذلك ورد اسمها في الوثائق العثمانية، انظر: «نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز» ص ١٩١.

(٣) «صور وذكريات» ص ١٦٩.

(٤) شيخ أزهري، وأديب وكاتب صحفي، من رجال الحركة الوطنية في مصر، حمل على الاحتلال الانجليزي بقلمه، وعين مراقباً عاماً للتعليم الأولي بمصر، توفي بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ. «الأعلام» ٤: ١٧-١٨.

(٥) عالم لغوي جليل، نشأ في طرابلس الشام، وله نشاط ملموس في عالم الصحافة، وعين مدرساً في الكلية الصلاحية بالقدس، تولى نيابة رئاسة المجمع العلمي العربي بدمشق، توفي سنة ١٣٧٥هـ. «الأعلام» ٤: ٤٧.، و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر» ٢: ٦٦٨.

(٦) «سيرة ذاتية» لشكيب أرسلان، ص ٩٥، و«ذكريات العهود الثلاثة» ص ٨٠، و«نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز» ص ١٨٩.



الكلية الصلاحية في القدس



وضع حجر أساس دار الفنون ويظهر في الصورة الأمير شكيب أرسلان وبصري باشا والشيخ عبد العزيز جاويش

(المرجع: مدرسة طيبة الثانوية)

وشيّدوا القسم السفلي من هذا البناء بالحجر الأسود المنحوت، واصطحبوا معهم مطبعة خاصة. وأقاموا حفلة التدشين وألقيت فيها الخطب[١]. وقد كتب على حجر الأساس هذا النص:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر بإنشاء هذه المدرسة الكلية حضرة خادم الحرمين الشريفين أمير المؤمنين مولانا السلطان محمد رشاد خان الخامس، وقام بتأسيسها بالنيابة عن جلالته الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش في غرة محرم سنة ١٣٣٢هـ.

وقد ذكروا أن الشريف الحسين كان معارضاً لوجود هذه الكليّة، لكن ابنه الشريف عبد الله نفى هذه الأقاويل[٢].

الاتحاديون في المدينة:

وكما أسلفنا فإن الاتجاهات السياسية لأهل المدينة المنورة كانت متباينة، ومنهم جماعات كانوا من رجالات الاتحاديين في المدينة، من أشهرهم السيد الوجيه عبد الله بن حمزة بن محمد مدني (ت ١٣٢٩هـ) وهو من أسرة شريفة، ورثت العلم والوجاهة، وكان هذا السيد قد زار إسطنبول وقوبل بحفاوة بالغة من رجال الدولة العثمانية ووزرائها، وعرض عليه السلطان عبد الحميد مقعداً في مجلس أعيان الدولة، فاعتذر عن القبول، وخلع عليه السلطان الأوسمة. إلا أن السيد عبد الله كان في نهاية مطافه مائلاً للاتحاديين، وكانت هذه الأمور السياسية

---

(١) «صور وذكريات» ص ١٦٨- ١٦٩.

(٢) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١١٦.

محور الأحاديث التي تطرح في مجلس داره الواقعة بسويقة[١]، والذي يعد المجلس أحد أهم النوادي الأدبية التي يجتمع فيها أعيان المدينة وأدباؤهم آنذاك.

قال الشيخ محمد سعيد الدفتردار[٢]: "ولما حدث الانقلاب العثماني بخلع السلطان عبد الحميد وأعلنت المشروطية في المدينة المنورة كان رجال الاتحاد والترقي ينظرون إليه نظرة فيها كثير من الشك والريبة، وذلك لغموض مسلكه، واعتبروه من أولئك الذين يناصرون الحكم الحميدي الاستبدادي، ولكن لم يكادوا يتصلون به ويستجلون موقفه حتى انجلت لهم الحقيقة وبينت أفكاره المتحررة ومنهجه التقدمي نحو هذه النهضة التي يعملون لها ويدعون إليها وهي الحرية والمساواة والأخوة بين شعوب الدولة العثمانية، وأصبح السيد محل ثقتهم وموضع أسرارهم وأخذوا يعقدون أهم جلساتهم في داره ويتنورون بآرائه وتجاربه"[٣].

---

(١) وتعرف سويقة أيضاً بسوق القماشة، أو الحدرة، وهو جزء من البلاط الأعظم الذي أنشأه أمير المدينة مروان بن الحكم، وقد خص الأستاذ سعود بن جعفر عبد الغني هذا السوق بكتاب كبير في ثلاثة مجلدات سماه: «سوق القماشة، تاريخ سقط من ذاكرة التاريخ» طُبع الجزء الأول منه في نادي المدينة المنورة الأدبي سنة ١٤٣٧هـ.

(٢) ولد سنة ١٣٢٢هـ، وحفظ القرآن الكريم في كتاب السنبلية، وفي أثناء سفر برلك هاجر مع أسرته إلى دمشق ودرس بمدرسة الصنائع، ثم انتقل إلى القاهرة لطلب العلم في الأزهر الشريف حتى تخرج فيه سنة ١٣٥٩هـ، وعاد إلى المدينة المنورة، وأخذ عن العلامة محمد عبد الباقي اللكنوي الأيوبي، ومحمد إبراهيم الختني، والمؤرخ عبد الله غازي المكي، وأجازوه. عيّن مديراً بالمدرسة الثانوية، ومعتمد المعارف في المدينة المنورة، كما أسس المعهد السعودي. كان شاعراً أديباً، وأستاذاً مربياً، وله باع كبير في علم التراجم والطبقات، وقد سدّ فراغاً كبيراً في تاريخ المدينة المنورة، وكتابه: «من أعلام المدينة المنورة» من أهم الكتب لو طبع. توفي رحمه الله سنة ١٣٩٢هـ، عن ٧٠ سنة. انظر ترجمته في كتاب: «محمد سعيد دفتردار مؤرخاً وأديباً»، للدكتور محمد العيد الخطراوي.

(٣) «من أعلام المدينة المنورة: السيد عبد الله بن حمزة مدني» محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

فرع جمعية الاتحاد والترقي في المدينة :

وأنشأت جمعية الاتحاد والترقي فرعاً لها في المدينة، كما فعلت في عواصم العرب في الشام والعراق واليمن[1]، وكان إنشاؤها بعد تشغيل سكة الحديد، وقد انتسب إليها جماعات من أهالي المدينة لكن الغالبية العظمى من أعضاء الجمعية بالمدينة المنورة كانوا من الترك، ومنهم الموظفون والعساكر والأطباء ومهندسو سكة الحديد[2].

وكان أحد مؤسسي هذه الجمعية السيد حمزة بن إبراهيم غوث (ت ١٣٩٠)، ثم أصبح عضواً في الهيئة الإدارية ثم عضواً في الهيئة السرية في المدينة المنورة، وكلها كانت تابعةً للاتحاديين، ومركزهم الرئيسي في مدينة (سالونيك) بتركيا ثم نقل بعد ذلك إلى إسطنبول. وكان مركز الجمعية العمومية في (سالونيك) هو الذي يصدر الأوامر إلى محافظ المدينة، ويزوّد أعضاء الجمعية في فرع المدينة بصورة من تلك الأوامر، ولا يطلع عليها إلا أعضاء المركز السري في الجمعية. وكان للمركز السري الحق في تحويل قراراته إلى الهيئة الإدارية، التي يرأسها محافظ المدينة[3].

ويعطينا السيد حمزة غوث في مذكراته تصوراً عن وضع الاتحاديين في المدينة، وكيفية تسيير الأمور الإدارية، فيذكر أن الجمعية في بداية أمرها أعطت لأتباعها في المدينة ضماناً لهم بتطبيق مبادئها، التي دعمتها إعلامياً بوسائل متعددة، ومنها: تحقيق الديمقراطية والحرية والعدل والمساواة، بين شعوب الولايات التركية. وكان هذا الضمان يشمل تعيين الفريق علي رضا باشا الركابي[4] (ت ١٣٦٠) ليكون أول

---

(١) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد، ١ : ٦.

(٢) «من رجال المدينة المنورة، السيد حمزة بن إبراهيم غوث» ص ١٠٣.

(٣) «من رجال المدينة المنورة، السيد حمزة بن إبراهيم غوث» ص ١٠٣.

(٤) ولد بدمشق سنة ١٢٨٢هـ، وتخرج في المدرسة الحربية بإسطنبول، وتولى مناصب عسكرية في القدس، وعين محافظاً للمدينة بعد سعيد باشا، ثم عزل سنة ١٣٢٩هـ ونقل



احتفال في المدينة لوضع حجر أساس، ويظهر في الصورة السيد أنور عشقي.

(المرجع :صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



السيد حمزة غوث في اسطنبول.

(المرجع: من رجال المدينة المنورة السيد حمزة بن إبراهيم غوث)



الشيخ محمد بن محمد سعيد دفتردار

محافظ عربي يحكم المدينة، وذلك سنة ١٣٢٧هـ[١]. وقد أوجد هذا الأمر في أهل المدينة روح المطالبة بحقوقهم، فانتدبت الجمعية السيد حمزة غوث للسفر إلى المقر الأساسي في (سالونيك) ومفاوضة الهيئة المركزية، لتحقيق مطالبهم، ومن أهمها: إلغاء تطبيق قانون التتريك في المدينة، والدفاع عن اتهام الأتراك لأهل المدينة بأنهم يعضدون القبائل المجاورة في السعي لخراب سكة الحديد، وكانت هذه المناوشات بين الأتراك والقبائل تنعكس بقسوة على تعامل الأتراك مع أهالي المدينة[٢].

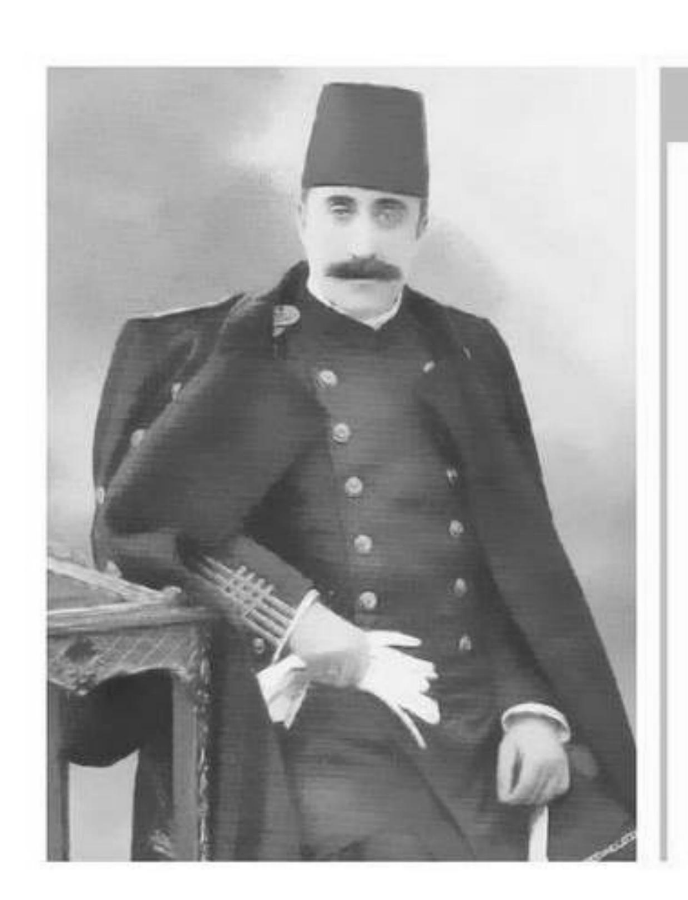
وفي (سالونيك) عقدت الهيئة المركزية اجتماعاً سرياً، ونوقشت هذه الأمور واحتدت المناقشات بين المبعوثين العرب والأتراك، مما اضطر السيد حمزة إلى أن يثبت أن سوء معاملة موظفي سكة الحديد الأتراك، والقوات المرابطة هي التي أثارت البادية ضدهم، وجعلتهم يقدمون على تخريب سكة الحديد. وكان من نتائج هذه النقاشات عزل الاتحاديين للركابي، وتعيين بصري باشا التركي محافظاً للمدينة، وتعيين والد زوجته التركي مختار بك شيخاً للحرم النبوي، وذلك سنة ١٣٢٩هـ[٣].

إلى العراق، ولما دخل الجيش العربي إلى دمشق بعد سقوط العثمانيين عيّن حاكماً عسكرياً على سورية، ثم تولى رئاسة وزراء سورية بعد إعلان الإستقلال وتتويج الشريف فيصل ملكاً، وبعد احتلال الفرنسيين انتقل إلى الأردن وعيّن رئيساً لوزراء الأردن مرتين، وتوفي سنة ١٣٦١هـ. «الأعلام» ٤ : ٢٨٨، ومقدمة «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٧٦.

(١) لم أقف على سنة تعيين الركابي بالتحديد، إنما رجحت هذا التاريخ لأنه كان تولى بعد عثمان باشا، وكان آخر سنة في إمارته سنة ١٣٢٦هـ كما تفيده «سالنامة دولة علية سنة ١٣٢٦هـ»، ثم ذكر البتنوني في «الرحلة الحجازية» ص ٣٦٦، أن محافظ المدينة هو علي رضا باشا الركابي، وكان ذلك أواخر سنة ١٣٢٧هـ، واستمر على حكمه سنة ١٣٢٨هـ كما تبينه رحلة الشيخ عبد الرشيد إبراهيم سنة ١٣٢٨هـ المسماة بـ «العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ٢: ٩٧١، وعُزل ببصري باشا سنة ١٣٢٩هـ كما بيّن ذلك السيد حمزة غوث في «مذكراته».

(٢) «من رجال المدينة المنورة، السيد حمزة بن إبراهيم غوث» ص ١٠١.

(٣) «من رجال المدينة المنورة السيد حمزة غوث» ص ١٠٢.



الأمير يوسف عز الدين

وممن عرف بانتمائه إلى الاتحاديين السادة آل هاشم، يمثلهم السيدان عبد القادر وجعفر ابنا حسين بن يحيى هاشم رحمهما الله تعالى.

الجمعية الخيرية الإسلامية :

وفي هذه الفترة في شهر محرم سنة ١٣٣٢هـ[١] أنشئ فرعٌ خاص بالجمعية الخيرية الإسلامية في المدينة المنورة على يد الأمير شكيب أرسلان، ومن الأعضاء الناشطين في تأسيس هذه الجمعية: السيد حمزة بن إبراهيم غوث، وهي جمعية مقرها الأساسي في إسطنبول يرأسها الأمير يوسف عز الدين، ولي عهد السلطان العثماني، وهدفها الأساسي: توحيد جميع الأحزاب تحت راية الإسلام وتخليص الدولة، مما كان فيها من انشقاق سواء بين العرب والترك، أو الاتحاديين وأعدائهم[٢].

---

(١) ذكر السفير اللبناني في اليمن حسان أبي عكر في مقدمته لكتاب: «بيان للأمة العربية عن حزب اللامركزية» للأمير شكيب ص ٩، أنه عثر على وثيقة محفوظة في المركز الوطني بصنعاء تتضمن كتاباً من شكيب إلى وزير الداخلية طلعت بك يبلغه بتأسيس جمعية إسلامية في المدينة، والوثيقة مؤرخة في ١٦ كانون الأول سنة ١٣٢٩ رومي وهذا التاريخ يوافق ٣٠ محرم سنة ١٣٣٢هـ.

(٢) «من رجال المدينة المنورة السيد حمزة غوث» ص ٩٩، و«سيرة ذاتية» ص ٨٧، ٩٥.

حال أهل المدينة في أواخر العهد العثماني :

تعد هذه الفترة الزمنية الممتدة من إنشاء سكة حديد الحجاز سنة ١٣٢٦هـ، إلى حادثة (سفر برلك) سنة ١٣٣٤هـ، هي الفترة الذهبية في المدينة المنورة، حيث كان لسكة حديد الحجاز أكبر الأثر في ذلك، فزاد عدد المهاجرين إلى المدينة بشكل ملاحظ، وبالتالي زاد عدد السكان أضعافاً، وحصل الاكتفاء الذاتي في الأرزاق لدى أهالي المدينة، وتوافر العلماء في المدينة المنورة كما لم يحدث من قبل، من مختلف الأجناس والأعراق من جميع المذاهب الأربعة.

فأما من الناحية السكانية فقد كان عدد سكان المدينة خلال القرن الثالث عشر الهجري يتراوح بين (١٦ إلى ٢٠) ألف نسمة حسب تقدير الرحالة (بيركهارت) وذلك سنة ١٢٣٠هـ[١]، وهذا التقدير يخالف ما أشار إليه (الكابتن سادلر) إلى أن الأتراك قدّروا عدد منازل المدينة يصل إلى (٦) آلاف بيت، في حين أن سكان المدينة سنة ١٢٣٦هـ يقدر بـ (٨) آلاف نسمة وهذا أمر يخالف المعقول، فلعل العدد كان في حدود (١٨) ألف نسمة[٢]، ويبقى العدد على هذه الحدود سنة ١٢٧٠هـ، بل ينقص إلى (١٦) ألف نسمة كما نقل ذلك الرحالة (بيرتون)[٣]، وفي عام ١٢٩٤هـ يقدر (جون كين) سكان المدينة بحوالي (٢٠) ألف نسمة[٤].

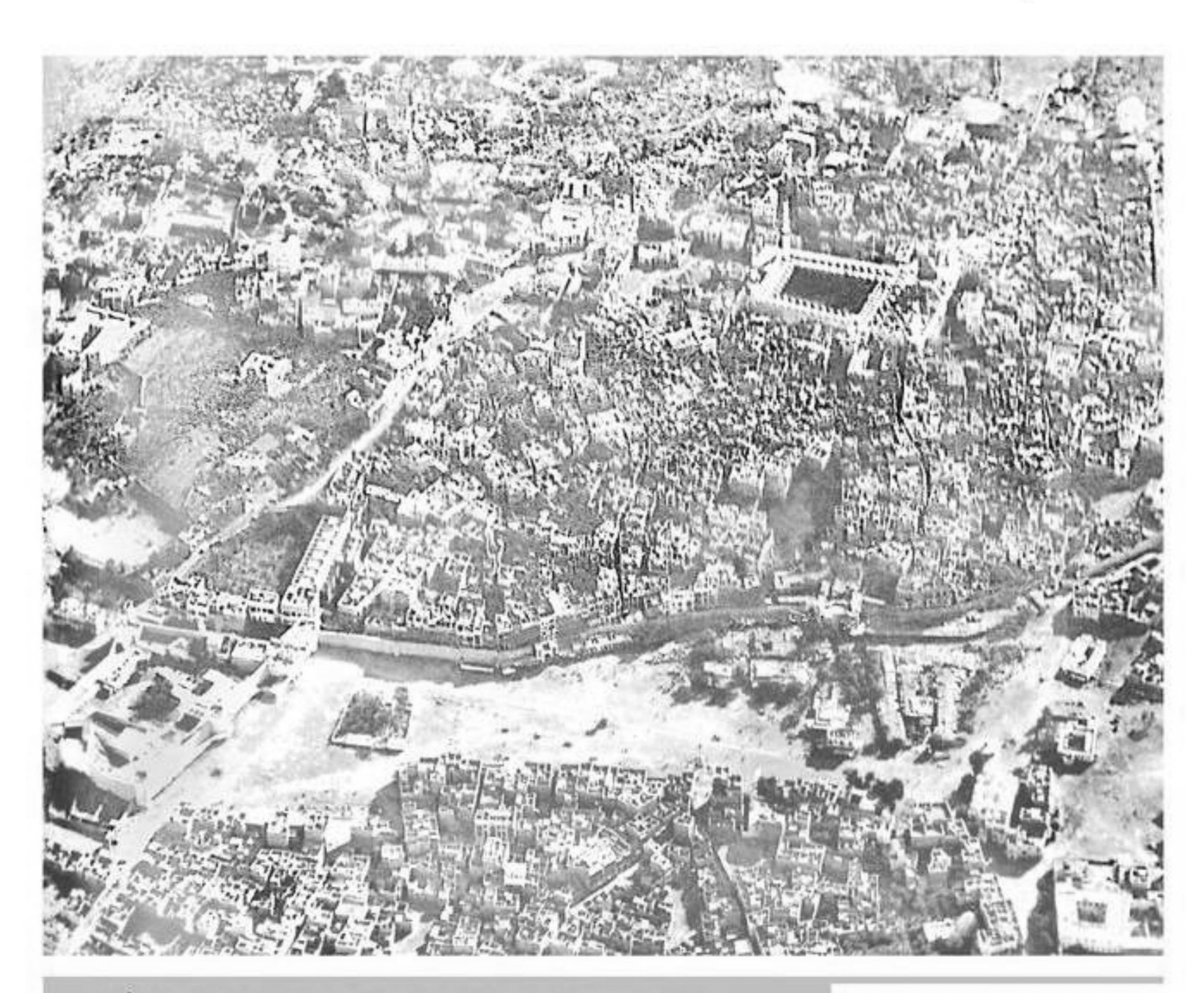
---

(١) «رحلات إلى شبه الجزيرة العربية» لبيركهارت، ص ٣٣١.

(٢) ذكر صاحب «سكان المدينة المنورة» ص ٣٤، وقبله بيرتون في كتابه: «رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز» ٢: ٩٨، أن (الكابتن سادلر) ذكر أن الأتراك قدروا عدد سكان المدينة بـ (١٨) ألف نسمة، لكني عدت إلى ترجمتين لرحلة (سادلر) فوجدته يذكر أن عدد السكان يقدر بـ (٨) آلاف نسمة، وإذا عرفنا أن عدد المنازل (٦) آلاف منزل، فإن ذلك يقتضي أن كل منزل يحوي أقل من شخصين، وهذا لا يمكن بحال، والأصح ما قدّره (بيركهارت). انظر: «يوميات رحلة عبر الجزيرة العربية» ص ١٤٤، و«مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية» ص ١١٨.

(٣) نقل ذلك بيرتون عن (شارلز كول) مساعد القنصل في جدة. «رحلة بيرتون في مصر والحجاز» ٢: ٩٨.

(٤) «ستة أشهر في الحجاز» ص ١٩٨.



صورة جوية للمدينة المنورة وقت الحرب العالمية الأولى.

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

وهذه الأعداد كلها متقاربة التقدير، لكن في بداية القرن الرابع عشر نلاحظ أن عدد السكان سنة ١٣٢٦هـ ارتفع إلى (٣٠) ألف نسمة، بينما يرى رفعت باشا في رحلته سنة ١٣٢٢هـ أن عددهم أكثر من هذا بمراحل، فيقدرهم بنحو (٥٦) ألف نسمة، ولعل ذلك يرجع إلى الهجرات التي حصلت بسبب الحروب الروسية، وغيرها[١].

وبعد تشغيل سكة الحديد حدثت زيادة هائلة في الهجرات، فقد قُدّر عدد سكان المدينة سنة ١٣٢٧هـ بـ (٦٠) ألف نسمة[٢]، وفي سنة ١٣٢٨هـ بـ (٧٠) ألف نسمة[٣]، ووصل عام ١٣٣٢هـ إلى نحو (٧٠ - ٨٠) ألف نسمة. وفي عهد

(١) «حاج في مكة» لآرثر ويفيل، ص ٧٢، و«مرآة الحرمين» ١ : ٤٣٩.

(٢) «الرحلة الحجازية» للبتنوني، ص ٣٥١.

(٣) «العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ٢ : ٩٦٤.

فخري باشا سنة ١٣٣٤هـ وصل عددهم حوالي (٨٠) ألف نسمة[١]. ويقدّره السيد محمد الزمزمي الكتاني بنحو (١٣٠) ألف نسمة[٢]. ومن هنا يتبين من خلال هذه التقديرات السكانية أنه خلال ست سنوات فقط ازداد عدد سكان المدينة بنسبة نمو سنوية مقدارها ٢٧٧,٨ ٪ إن لم يكن أكثر[٣].

وعدا سكة الحديد فقد كان من أهم الأسباب التي أسهمت في هذه الهجرات، الغزو الفرنسي لبلاد المغرب العربي وإفريقيا، مما أدى إلى نزوح أممٍ من الناس، وكان للعلماء دور كبير حين أصدروا فتاوى وجوب الهجرة، فانقادت أُسر بأسْرها في صحبة العلماء، كما وُجدَ من بعض العلماء من هاجر خوفاً من المشاركة في الأحداث السياسية في بلادهم.

وظاهرة القوافل المحملة بالعائلات تتجلى واضحة مع العلامة المجاهد الشيخ محمد الألفا هاشم الفوتي (ت ١٣٤٩)، الذي هاجر من بلاده سنة ١٣٢٢هـ، حيث تبعه عشرة آلاف شخص وقيل ثلاثون ألف شخص من التكارنة[٤]. ومنهم العلامة الشيخ محمد الطيب بن إسحاق التنبكتي[٥] (ت ١٣٦٢) فقد هاجر مع

---

(١) «صور وأفكار» ص ٣٣٨، و«فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٩، و«سكان المدينة المنورة» ص ٣٦.

(٢) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ٢٤٩.

(٣) «سكان المدينة المنورة» ص ٣٦.

(٤) «نيل المراد في معرفة رجال الإسناد» للحجوجي، مخطوط، ٢: ٢١. ويؤيد هذه الكثرة ما جاء في وثيقة عثمانية من أن الآلاف من التكارنة يقدمون إلى المدينة المنورة، ويعيشون حياة فقيرة وعيشاً ضنكاً، وهؤلاء يعدون من أهل المدينة ويستفيدون من كافة الاستثناءات التي تعفيهم من الضرائب، وأنهم إن استمروا بالقدوم سيتفوقون من حيث العدد على أهالي المدينة الأصليين. انظر: «خطاب من محافظة المدينة المنورة إلى نظارة الداخلية الجليلة، مؤرخ في ٩ أغسطس ١٣٣٠ رومي»، الأرشيف العثماني، تصنيف: *DH/UM-E-4/17*، ترجمة د. سهيل صابان

(٥) التنبكتي نسبة إلى مدينة تنبكتو الواقعة في وسط دولة مالي بإفريقيا، والشيخ المذكور هو والد البروفيسور عبد الرحمن بن محمد الطيب الأنصاري، عالم الآثار وأستاذ هذا العلم



صورة المدينة المنورة وتظهر فيها الأسوار ومنارة مسجد سيدنا عثمان.

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

شيخه المحمود السوقي، وجماعات كبيرة من أهل بلده[١]. وكذلك السيد محمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥)، الذي هاجر بعد انتكاس ثورة السلطان عبد الحفيظ سنة ١٣٢٨هـ، وصحبه حوالي ألف أسرة مغربية، منهم (١٠٠) أسرة فاسيّة[٢]. ومنهم العلامة الشيخ أحمد بن الشمس الحاجي الشنقيطي (ت ١٣٤٢)، فقد هاجر بأهله وحشمه وأتباعه، وكذلك المشايخ محمد الخضر ومحمد حبيب الله ومحمد العاقب ومحمد تقي الله أبناء مايابى الشنقيطي، فقد كان بصحبتهم العديد من الشناقطة[٣].

في جامعة الملك سعود، وعضو مجلس الشورى سابقاً، أمد الله عمره بالطاعة، ومن نسله الدكتورة لبنى استشارية طب الأسرة والمجتمع وعضو في مجلس الشورى أيضاً.

(١) «من أعلام المدينة المنورة، أبو بكر بن محمد التنبكتي»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٦هـ، ص ١٠٩٤.

(٢) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ٢١٧.

(٣) «أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق» ص ٢٣١، ٣٢٣، ٣٢٩.

وتمدنا وثيقة عثمانية مرسلة من محافظ المدينة المنورة بصري باشا إلى نظارة الداخلية الجليلة مؤرخة في ٩ أغسطس سنة ١٣٣٠ رومي الموافق لـ ٣٠ رمضان ١٣٣٢هـ، بمعلومات مهمة جداً بخصوص الهجرات المتزايدة في هذه الفترة، وتبيّن أن كثيراً من المهاجرين إنما قدموا تهرّباً من التكاليف والضرائب والرسوم العرفية المفروضة عليهم في بلادهم والتي يعفى منها أهل الحجاز، وأيضاً للاستفادة من قرار استثناء أهل المدينة من التجنيد، كما تتضمن الوثيقة طلباً باتخاذ الإجراءات اللازمة في التعامل مع هؤلاء المجاورين الذين جاوروا بها وولد لهم فيها وتملكوا فيها، لأنهم يعتبرون من أهل المدينة المنورة[١].

وأما من ناحية الاكتفاء الذاتي الذي عاشه أهل المدينة، فيوضح ذلك الشيخ عبد الحق النقشبندي[٢] فيقول: "كان أكثر أهل المدينة من الأفندية والأعيان، لهم مرتبات من خزينة الدولة، وجرايات وترب سنوية[٣]، تفي بلوازم معايشهم،

---

(١) «خطاب من محافظة المدينة المنورة إلى نظارة الداخلية الجليلة، مؤرخ في ٩ أغسطس ١٣٣٠ رومي»، الأرشيف العثماني، *DH/UM-E-4/17* ، ترجمة د. سهيل صابان.

(٢) ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٢هـ، والتحق بكتاب الشيخ عبد العليم الهندي وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، ولم يكمل سنتين بها حتى رحل إلى دمشق في حادثة سفر برلك، وعندما عاد التحق بالمدرسة الفيصلية فالمدرسة الراقية الهاشمية، ورحل إلى الهند وانضم إلى مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور وتخرج فيها وقرأ كتب السنة على علمائها، وأجازه العلامة خليل أحمد السهارنفوري. وعمل في التدريس بمدرسة العلوم الشرعية وافتتح له مطبعة صغيرة، ثم عين مدرساً في المدرسة الابتدائية، وعمل مديراً لدار الأيتام، ومحامياً لوزارة المالية والاقتصاد بالمدينة. كان أديباً شاعراً، له باع في الصحافة حيث عمل في صحيفة صوت الحجاز، وله عدة رحلات، ونشر العديد من المقالات، توفي سنة ١٤٠٩هـ عن ٨٧ سنة. انظر: «ترجمة الأستاذ عبد الحق النقشبندي»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، صفر - ربيع الأول، سنة ١٤٠٠هـ، ص ١٥٤-١٥٨.

(٣) الجراية هي: حنطة كانت تأتي من مصر لسكان الحرمين، والترب: جمع تربة وهي عبارة



الشيخ عبد الحق النقشبندي مع الدكتور تنيضب الفايدي وهو شاب

(المرجع: أمدني بها الدكتور تنيضب الفايدي)

وحسبك أنه كان للحرم النبوي أكثر من ثلاثمائة إمام وخطيب[١] ومثلهم من المؤذنين وخدام الحرم والحجرة المطهرة، والبعض الآخر له تقرير الحجاج الوافدين من الأقطار الإسلامية، ففلان له تقرير الترك وعلان له تقرير الهند، وهكذا لهم رزقٌ يفيض عليهم بلا حساب، ويطلق على أصحاب التقارير: الأدلاء.

لذا لم يلتفت أحد منهم لبعث أبنائه إلى الأزهر، أو الجامعات لتلقي العلوم والفنون، كالطب والهندسة والحقوق والزراعة، ومختلف الصنائع الحُرة، وكان المهاجرون هم الذين يزاولون مهنة البناء والتجارة والخياطة وغيرها. أما الزراعة

عن أمانات كانت تأتي مع المحمل الشامي، بأسماء كثير من أهل المدينة كهدايا سنوية. انظر: «مأساة المدينة المنورة، من ذاكرتي قبل نصف قرن»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٣هـ، ص ٢٧٩.

(١) الصحيح أنهم كانوا حوالي المئة.

فكانت وقفاً على النخاولة، وبعض البدو من القرافة والسرانية(١)» (٢).

ويصف خليل الرواف حالة الرخاء التي عمت المدينة في هذه الفترة فيقول: "وكان قطار سكة الحديد الذي يصل المدينة المنورة بمدينة دمشق، يطرق أبوابها صباح كل يوم، فيوقظ صفيره المتواصل سكانها من رقادهم، وكان يحمل إليهم عدداً كبيراً من زوار المسجد النبوي القادمين للصلاة فيه والسلام على الرسول محمد ﷺ، قادمين من مختلف البلاد الإسلامية، تاركين وراءهم أهلهم وأوطانهم وكل ما يملكونه من متاع الدنيا وناقلين معهم ما كانت تحيكه سورية من المنتوجات الوطنية، وما تنتجه ترتبتها من الخُضر والثمار، فكانت حالتها الاقتصادية تنمو بسرعة وتتطور مع تقدم الزمن، لذلك عمّ الرخاء كافة طرق الحياة فيها، ودخلت في طور جديد من التقدم والازدهار"(٣).

أما الحالة العلمية، فقد تجلّت واضحة في عدد العلماء الذين جاوروا وملؤوا جنبات الحرم النبوي الشريف. وقد أورد شيئاً من الحركة العلمية السيد محمد الزمزمي الكتاني في رحلته الحجازية، والشيخ محمد الجودي التونسي في رحلته سنة ١٣٣٢هـ(٤).

الأشراف والإنجليز في عصر السلطان عبد الحميد:

كان السلطان عبد الحميد شديد الحساسية من التدخل البريطاني في بلاده، وتشير الوثائق العثمانية إلى أن التعاون بين الأشراف والدول الأجنبية لم يكن وليد

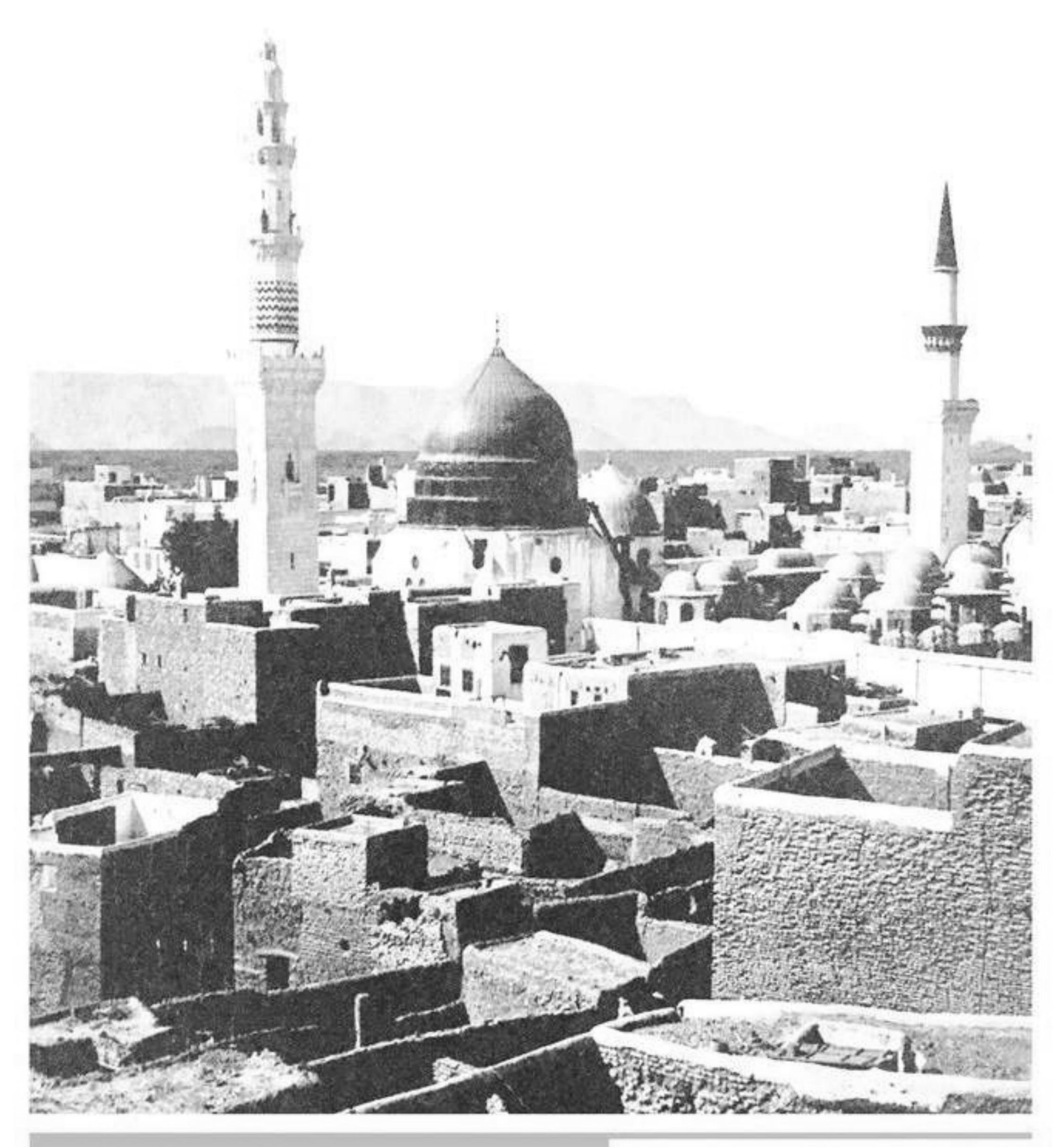
---

(١) يعني النقشبندي هنا القراف وواحدها القرافي من قبيلة الحوازم من المراوحة من بني سالم من حرب، والسرارنة من بني عمرو من حرب، وواحدها سرّاني.

(٢) «مأساة المدينة المنورة، من ذاكرتي قبل نصف قرن»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢هـ، ص ٢٧٩.

(٣) «صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث» ص ٩٢.

(٤) وقد ذكرت نماذج عديدة من العلماء والحركة العلمية في هذه الفترة في كتابي «لمحات من الحياة العلمية في المدينة المنورة من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر»، يسر الله طبعه.



صورة عامة للمدينة المنورة.

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

عصر الشريف الحسين، فقد اتهم العثمانيون الشريف الحسين بن محمد بن عون بميوله إلى الدول الأجنبية، ولعل ذلك كان سبباً من أسباب مقتله سنة ١٢٩٧هـ[١].

كما أن خلَفه الشريف عبد المطلب بن غالب اتهم بذلك في إمارته الثالثة، ويدل على ذلك العريضة التي أرسلها بنو عون مع وفدهم إلى إسطنبول موقّعة من (٤٠٠) مكي يلتمسون فيها عزل الشريف عبد المطلب ونزع الشرافة من قومه بني زيد وإعادتها

(١) «الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز» للدكتور دايل الخالدي، ص ١٥٥.

إلى بني عون، ولجأ الوفد إلى إثارة السلطان على الشريف وحدثوه عن علاقة الصداقة بينه وبين الإنجليز ومدحت باشا الذي نفي إلى الطائف بتهمة قتل السلطان عبد العزيز[١].

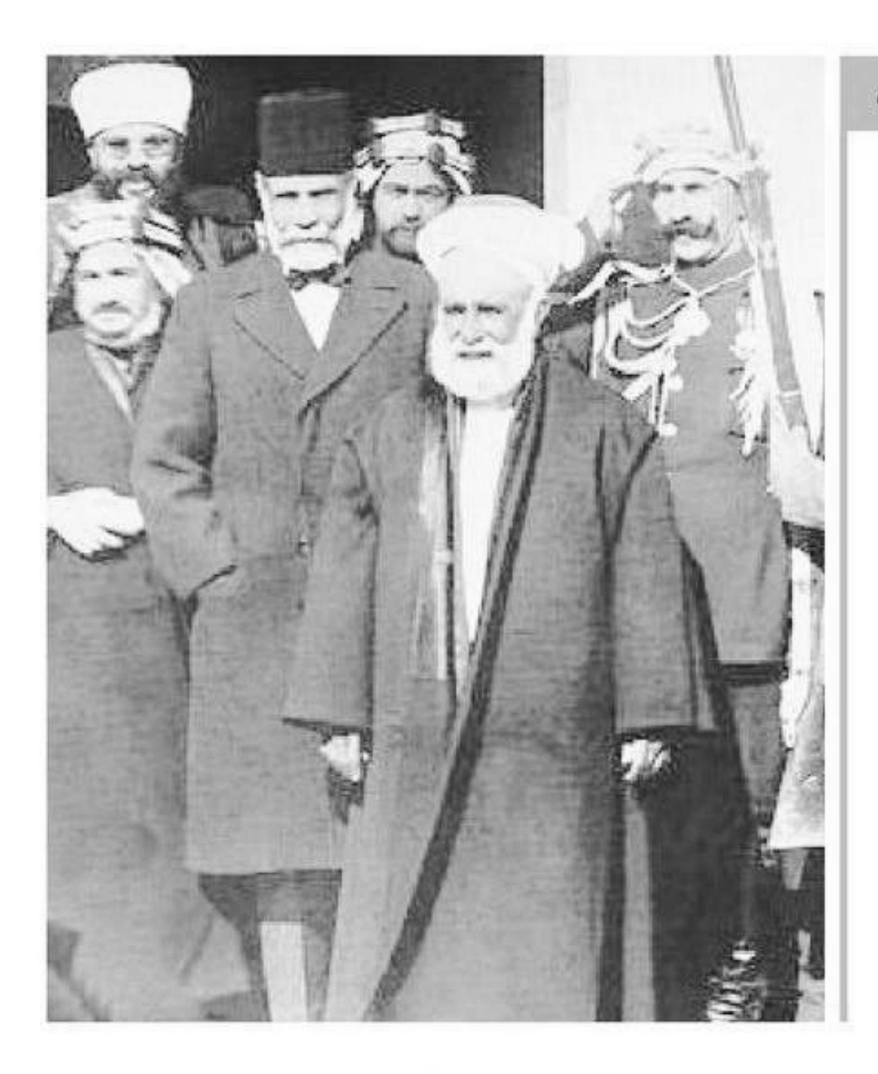
وأما عزله فقد جاء بعد اكتشاف والي الحجاز التركي عثمان نوري باشا مراسلات جرت بين الشريف عبد المطلب والقنصل البريطاني في جدة وطلبه السلاح منه للتمرّد[٢]، وبيان ذلك أنه عُثر بيد أحد رجال الحكومة على خمس رسائل تحمل ختم الشريف عبد المطلب مؤرخة في ٥ شوال سنة ١٢٩٩هـ، واحدة منها إلى القنصل البريطاني في جدة، والثانية إلى الأمير محمد بن رشيد في حائل، وثالثة إلى شيخ قبيلة حرب، ورسالتان إلى شريفين قائدين من بني زيد، وجميع هذه الرسائل تفيد أن هناك حركة ثورية يعدّ لها الشريف عبد المطلب ضد الدولة العثمانية، فعُزل على إثر ذلك، لكن التحقيق جاء بعد فترة يقرّر بأن هناك احتمالاً يرجّح أن الرسائل مزورة عليه[٣].

وقد ذكروا أيضاً "وجود علاقة بين عون الرفيق وبريطانيا اعتماداً على رسالة من (لايارد) -سفير بريطانيا في إسطنبول- إلى وزير الخارجية البريطاني (ساليزبوري)، جاء فيها استعداد الشريف لأن يحافظ على أقصى علاقات الود مع إنجلترا، وأن يواظب على سياسة أسرته التي كانت مرضية لمصالحها على الدوام، فيما لو عيّن شريفاً أكبر"[٤].

لكن يرى بعض الباحثين بأن ذلك كان سنة ١٢٩٧هـ أي قبل تقلده منصب الإمارة، كما أنه لم يثبت عن الشريف عون الرفيق أي محاولة للخروج على الدولة بل إن هناك ما يدل على ولائه الكامل للدولة العثمانية[٥].

---

(١) «المراسلات المتبادلة بين الشريف الحسين والعثمانيين» ص ٤٤.
(٢) «الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز» ص ١٥٣.
(٣) «المراسلات المتبادلة بين الشريف الحسين والعثمانيين» ص ٤٦.
(٤) «الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز» ص ١٦٣.
(٥) «الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز» ص ١٦٣.


الشريف الحسين بن علي

إرهاصات الحرب العالمية وثورة الشريف الحسين :

في عام ١٣٢٦هـ توفي شريف مكة عبد الإله باشا، فتقدم ابن أخيه الشريف الحسين بن علي بطلب تعيينه في هذا المنصب، وهنا تضاربت أقوال المؤرخين حول موقف السلطان عبد الحميد والاتحاديين من تعيين الشريف، فبعضهم يذكر أن التعيين كان بإصرار الاتحاديين لأنه يسير على نهجهم وخطتهم[١] رغم معارضة السلطان عبد الحميد لشدة ريبته من الشريف[٢]، وذكر الأمير شكيب أرسلان بأن السلطان عبد الحميد قال للاتحاديين: "إنني أبرأ من تبعة كل ما سيعمله هذا الرجل

(١) «يقظة العرب» ص ٢٠٣، «تاريخ مكة» ص ٥٦١، و«تاريخ الدولة العثمانية» ليلماز أوزتونا، ٢: ٢٤٤.

(2) Naci Kiciman, Medina Mudafaasi, p. 434.

و«حياة الشريف الحسين وموته»، أحمد عارف الزين، موسوعة الموسم، العدد ١٠١، السنة ٢٦، ١٤٣٥هـ، ص ١٩.

لأنني أعرف حقيقته"[١]، ونقلوا أيضاً عن السلطان بشيء من المبالغة قوله: "إني راضٍ بتعيينه أميراً على مكة إذا اكتفى الشريف بذلك فقط، بل إني أعتقد أنه لن يكتفي بالإمارة فحسب بل يطمع إلى أكثر من ذلك وسيهدد عرشي يوماً ما"[٢].

لكن هناك مؤرخين نصوا على أن الاتحاديين كانوا يريدون المنصب للشريف علي حيدر باشا[٣] لولا مقاومة السلطان عبد الحميد والصدر الأعظم، ويشهد لذلك ما أورده الشريف عبد الله بن الحسين في مذكراته، فقد ذكر: أن الاتحاديين أرادوا تعيين الشريف علي حيدر باشا، حتى كتب الشريف الحسين مذكرة تثبت أحقيته بالمنصب الشاغر، وذهب إلى السلطان وأقرّه، مما أغضب الاتحاديين[٤].

ويروي عن أبيه الشريف الحسين أن السلطان عبد الحميد قال له: "أسأل الله أن يجازي من حال بيني وبين الاستفادة من مواهبك الهاشمية، وإنني لست بالأمين على الدولة والملك من هذه الفئة المتغلبة". فرد عليه الشريف الحسين قائلاً: "إن لذاتكم الملوكية في البلاد العربية، الفئةُ التي إذا تحيزتم إليها كان لكم ما تريدون من حفظ الدولة والملك، ومتى شعرتم جلالتكم بذلك فأول بلد من بلاد العرب تقوم بالواجب

---

(١) «حاضر العالم الإسلامي» ٢: ٥٤٣.

(٢) «ماضي الحجاز وحاضره» ص ٢٢، و«المراسلات المتبادلة بين الشريف الحسين والعثمانيين» ص ٦٧.

(٣) ولد سنة ١٢٨٢هـ في إسطنبول، ودرس الابتدائية بها، وضمه السلطان عبد الحميد إلى مدرسة أبنائه الخاصة فأتم تحصيل العلوم واللغات، وعين عضواً في دائرة محاكمات مجلس الشورى العثماني، ونافس الشريف الحسين في شرافة مكة، ولما لم يفز بها عرض عليه السلطان منصب شيخ الإسلام فرفض، وغادر إلى القاهرة، وفي عهد السلطان محمد رشاد أصبح عضواً في مجلس الأعيان العثماني، فوزيراً للأوقاف، ثم وكيلاً لمجلس الأعيان، وأخيراً عيّن شريفاً لمكة المكرمة بعد عزل الشريف الحسين، فانتقل إلى المدينة لكن إدارته باءت بالفشل فعاد إلى بيروت، وبقي فيها حتى توفي سنة ١٣٥٤هـ. انظر: *A Prince of Arabia, George Stitt*.

(٤) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين»، ص ٦٧-٦٨.

المفروض هو الحجاز، وقد قال النبي ﷺ: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[(١)]، ولو فعلتم جلالتكم ذلك وجلبتم آل بيتكم معكم لجبيت إليكم الأموال، ولأخضعت لكم رقاب العصاة، لأنكم تكونون حين ذاك فوق متناول أيديهم". فاغرورقت عينا السلطان عبد الحميد، وقال: "أشكرك أشكرك، بارك الله فيك، ولكن الوقت لم يحن"[(٢)].

ومهما يكن من أمر فقد صدر فرمانٌ يقضي بتولية الشريف الحسين في ٦ شوال سنة ١٣٢٦هـ[(٣)]، وكانت المدينة المنورة تتمتع بإدارة شبه مستقلة، منذ عهد السلطان محمد الرابع (ت ١٠٩٩)، وليس للأشراف في المدينة سوى نائبٍ ليس له دور فاعلٌ في الإدارة، لكنها في النهاية تتبع ولاية الحجاز. وفي عام ١٣٢٨هـ أصدر الاتحاديون قراراً ينص على فصل متصرفية (محافظة) المدينة المنورة عن ولاية الحجاز، واعتبارها محافظة مستقلة وربطها مباشرة بالشام وإسطنبول بحجة وجود سكة الحديد والخطوط التلغرافية (اللاسلكي) لضمان سرعة المخابرات[(٤)]. وكان ذلك على يد محافظها العربي علي رضا باشا الركابي، ولم يوافقه على ذلك رجالات الأسر العريقة، عدا الشيخ أبي الحسن السمان، ورجالات الأسر المحدثة، التي قدمت في عهد قريب، ووقعوا مضبطةً فيها طلب فصل المدينة عن مكة، وضمها إلى الشام وإسطنبول بحجة سرعة الاتصال والقطار[(٥)]. كما كان البعض يرى أن هذا الفعل يُقصد به إضعاف نفوذ الشريف الحسين، وقد اعترض على هذا القرار جماعة من الشرفاء ورؤساء العشائر[(٦)].

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة، (١٨٧٥)، و«صحيح مسلم»، كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة، (١٣٨٨).

(٢) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ٧٣.

(٣) «الإشراف على تاريخ الأشراف» ص ٦١٢.

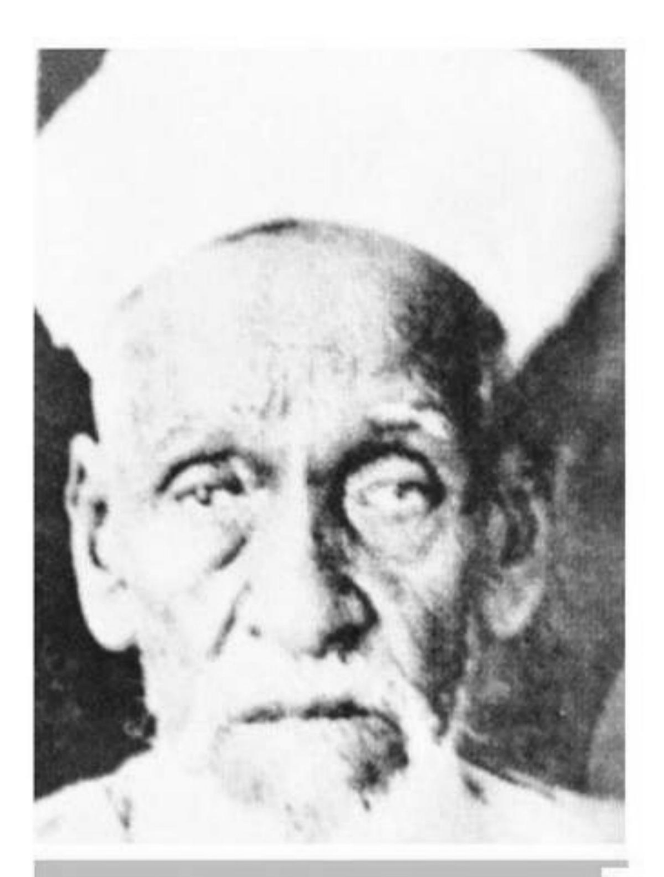
(٤) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ٨٨- ٨٩، و«التاريخ الشامل» ٣: ٣٧- ٣٨.

(٥) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٣٦، و«من رجال المدينة المنورة السيد حمزة غوث» ص ١٠٦.

(٦) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ٨٨.



الأمير علي رضا باشا الركابي.



الشيخ أبو الحسن السمان

(المرجع: فصول من تاريخ المدينة المنورة)

وهكذا قام الاتحاديون بتضييق الخناق على الشريف، والحد من صلاحياته حتى نشبت الحرب العالمية الأولى في ١٥ رمضان سنة ١٣٣٢هـ، واضطرت الدولة العثمانية للدخول في الحرب في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٢هـ بجانب دول المحور (ألمانيا والنمسا) ضد دول الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا وأمريكا)، وأصدر شيخ الإسلام مصطفى خيري أفندي الأوركوبلّي فتاوى الجهاد الأكبر في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٢هـ[١].

وفي هذه الفترة حاول الإنجليز الاتصال بالشريف الحسين عن طريق رجل مصري من الفرقة البهائية يعرف باسم علي أفندي أصغر البزاز كان يحمل رسالة يعرض فيها المساعدات الإنجليزية[٢]، بناءً على اللقاءات التي حدثت بينهم وبين الشريف عبد الله

(١) «معجم شيوخ الإسلام في العهد العثماني» ٢ : ٩٦٩.

(٢) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٢٥، و«الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١ : ١٢٧، و«قصة الأشراف وابن سعود» ص ٧٥.

في بداية عام ١٣٣٢هـ في القاهرة بمصر وما فهموه من تطلّع الأشراف إلى المساعدة[١].
وفي عام ١٣٣٣هـ دارت رسائل سرية بين الشريف الحسين والإنجليز، عرفت فيما بعد بمراسلات مكماهون، تتضمن المفاوضات بينهم، وعقد تحالف عسكري مع بريطانيا، واقتراح إنشاء دولة عربية يترأسها الشريف الحسين، والموافقة على إعلانه خليفة، على أن يخوض معهم الحرب ضد العثمانيين[٢].

وتشير الوثائق البريطانية إلى أن الأتراك في الحجاز كانوا يتهمون الشريف الحسين بأنه يميل إلى جانب الإنجليز ويقيم علاقات سرية معهم، وقد جرى نشر هذه الأفكار قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى[٣].

ويذكر السلطان عبد الحميد في مذكراته المنسوبة إليه[٤]، أن فكرة إنشاء الدولة

---

(١) «يقظة العرب» ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) انظر نص المراسلات في: «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١: ١٤٤، و«الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ١: ٥٠٤ وما بعدها.

(٣) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ١: ٥١٢.

(٤) مما ينبغي ذكره هنا أن هناك شكوكاً كثيرة حول صحة نسبة تلك المذكرات للسلطان مما يدل على أن هذا الكتاب مزيّف، إذ لا توجد نسخة موثوق بها، وأفادني الأستاذ أبو الفضل القونوي بأن أول من نشر ذلك سليمان نظيف في مجلة عطارد بإسطنبول عقب هروب الاتحاديين منها، وطبع بعد مدة قليلة في كتيب بالعثمانية، ثم جاء بعد ذلك إسماعيل حامي دانيشمند واختلق ما اختلق وأظهره في طبعة، ثم تعاقبت الطبعات. كما أمدّني الصديق الشيخ نواف بن محمد الرشيد بمقال باللغة التركية للدكتور علي بيرِنْجي نشره في مجلة ديوان الباحثين العلمي، عدد ١٩، سنة ٢٠٠٥م، بعنوان: (مسألة مذكرات السلطان عبد الحميد) يدلل على زيف هذه المذكرات، وذكر أنها طُبعت بعد وفاة السلطان، وأن الإخراج الأول كُتب بقلم سليمان نظيف ولغته أبعد ما تكون عن لغة السلطان عبد الحميد، ثم جاء عصمت بوزْداغ وزاد فيها مجموعة صفحات تتخلل المذكرات مثل ما جاء عن الحقائق عن الأرمن والحرب العالمية الثانية، ونشرها في بورصة، وطبعها أكثر من مرة، كما نُشرت أيضاً في مجلة ألمانية بالحروف اللاتينية.

رسالة من رسائل مكماهون الإنجليزي إلى الشريف الحسين.

(المرجع: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية)

CERTIFIED TRUE COPY.

Assistant Oriental Secretary.
19.6.37.

BRITISH EMBASSY CAIRO

6.

Arabic Version of letter from Sir Arthur McMahon to King Hussein dated 14.12.15 (Despatch 172 of 14.12.15)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى صاحب الاصالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر والنسب الفاخر دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي امير مكة المكرمة قبلة الاسلام والمسلمين ادامه الله في رفعة وعلاء.

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ الحجة ١٣٣٣ وسرني ما رايت فيه من قبولكم اخراج ولايتي مرسين وأضنة من حدود البلاد العربية.

وقد تلقيت ايضاً بمزيد السرور والرضى تاكيدكم ان العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من السادة الخلفاء الاولين - التعاليم التي تضمن حقوق كل الاديان وامتيازاتها على السواء.

هذا وفي قولكم ان العرب مستعدون ان يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يُفهم منه طبعاً ان هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لان حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع ان تنقض اتفاقات تم ابرامها بينها وبين اولئك الرؤساء.

اما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كلما ذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة - ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيها فالمسألة تحتاج الى نظر دقيق - وسنخابركم بهذا الشأن مرة اخرى في الوقت المناسب.

رسالة من رسائل مكماهون الإنجليزي إلى الشريف الحسين.

(المرجع: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية)

ان حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فاخبرتكم مستعدة لان تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها الى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب ادارة ودية ثابتة كما رأيتم على ان صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظراً ادق واتم مما تسمح به الحالة الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات.

واننا نستصوب تماماً رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد ان ندفعكم الى عمل سريع ربما يعرقل نجاح اغراضكم ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً ان تبذلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية الى غايتنا المشتركة وان تحثوهم على ان لا يمدوا يد المساعدة الى اعدائنا باي وجه كان. فانه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب ان يتخذوها لاسعاف غرضنا عندما يجيء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته.

وفي هذه الاحوال فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي ان ابلغ دولتكم ان تكونوا على ثقة من ان بريطانيا العظمى لا تنوي ابرام اي صلح كان الا اذا كان من ضمن شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الالمان والاتراك.

هذا وعربوناً على صدق نيتنا ولاجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسولكم مبلغ عشرين الف جنيه.

واقدم في الختام عاطر التحيات الفائقة وخالص التسليمات الودية مع مراسم الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط الدالة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولافراد اسرتكم الكريمة مع فائق الاحترام

المخلص

تحريراً في ٨ صفر ١٣٣٤

نائب جلالة الملك بمصر
السير آرثر هنري مكماهون

العربية كانت موجودة في وقته، وأنها كانت خطة مقترحة من الإنجليز والسيد جمال الدين الأفغاني، فيقول: "وقعت في يدي خطة أعدّها في وزارة الخارجية الإنجليزية مهرّج اسمه جمال الدين الأفغاني، وإنجليزي يدعى (بلنت)، قالا فيها بإقصاء الخلافة عن الأتراك. واقترحا على الإنجليز إعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين"[١].

نفير الجهاد العام في المدينة المنورة:

ومن أهم الأحداث في هذه الفترة تلك المعارك التي شارك فيها أهل المدينة، والتي تدعى بـ (حملة ترعة السويس) وهي حملة عسكرية ضد بريطانيا سنة ١٣٣٣هـ، لإنقاذ السويس من يد بريطانيا[٢]، وقطع طرق المواصلات بينها وبين مستعمراتها في آسيا، وكلّفت بذلك والي الشام جمال باشا[٣].

بعد أن أعلن شيخ الإسلام فتوى الجهاد الأكبر استجاب لذلك الكثير من الناس، ووصل خبر الجهاد إلى المدينة وحث العلماء الأهالي على التطوع،

انظر:

Sultan Abdulhamid'in Hatira Defteri Meselesi, Ali Birinci, (Divan-Ilmi Arastirmalar, Sayi.19 (20052-) s.177194-

(١) «مذكرات السلطان عبد الحميد» ص ١٤٨.

(٢) كانت مصر آنذاك تحت الاحتلال البريطاني، وقد احتلتها منذ عهد الخديوي توفيق بن إسماعيل ابن إبراهيم بن محمد علي باشا، ولم تكن للدولة العثمانية سوى سيادة اسمية تتمثل في تحصيل جزية سنوية لها، وكانت بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى تعد عدتها للزحف إلى سيناء وفلسطين، وقد بقيت مصر تحت الاحتلال البريطاني مدة ٧٣ سنة، وما خرجت مصر من يد الإنجليز تماماً إلا بخروج آخر قوة إنجليزية من ميناء بورسعيد في عهد الرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٣٧٥هـ. «الدولة العثمانية دولة إسلامية دولة مفترى عليها» ٤: ١٩٦-١٩٨.

(٣) يراجع في تفاصيل الحملة كتاب: «تاريخ الدولة العثمانية» ص ٤٢٠، و«مذكرات جمال باشا» ص ١٧٩- ٢٢٨.

بيان السلطان محمد رشاد وهيئة الوكلاء للجيش والبحرية عن بدء حالة الحرب سنة ١٣٣٢هـ.

(المرجع: معجم شيوخ الاسلام)

« حال حرب » ارادۀ سنيه‌سى

« حكومت سنيه‌نك روسيه وفرانسه وانكلتره دولتلريله حال حربده بولونديغنه دائر شرفصادر اولان ارادۀ سنيۀ حضرت خلافتپناهى صورت مطبوعه‌سيدر »

شهر حالك اون آلتنجى كونى دونانماى همايونك بر قسمى طرفندن قاره دكزده مانورا اجرا ايدلمكده اولديغى صره‌ده قاره‌دكز بوغازينه طوغريل دوكك وظيفه‌سى ايله حركت ايتديكى بالاخره آكلاشيلان روسيه دونانماسندن بر طاقى مذكور مانورالرى اخلال ومتعاقباً اظهار مخاصمه ايله بوغازه طوغرو حركت ايتمه‌لريله دونانماى همايون طرفندن مقابله اولونمقله برابر شايان تأسف اولان شو حادثه حقنده حكومت سنيه‌جه روسيه دولتنه مراجعت ايله تحقيقات اجراسى و وقعه اسبابنك ظاهره اخراجى تكليف وبو صورتله بيطرفلغى محافظه‌يه اهتمام ايدلمش اولديغى حالده روسيه دولتى مراجعت واقعه‌يه جواب اعطا ايتمكسزين سفيرينى كرى جلب ايلديكى كبى قواى عسكريه‌سى‌ده ارضروم حدوديغى نقاط مختلفه‌دن تجاوز ايتمسنه وبو صره‌ده فرانسه وانكلتره دولتلرى دخى سفيرلرينى كرى چاغيردقدن بشقه انكليز و فرانسز دونانمالرى مشتركاً چناق قلعه‌يه وانكليز قروازورلرى عقبه‌يه طوپ آتمق صورتيله بالفعل مخاصمانه ابتدار و اخيرآده دول مزبوره دولت عثمانيه ايله حال حربده بولونديقلرينى اعلان ايلدكلرينه بناءً حكومت عثمانيه‌جه‌ده مستنداً بتوفيقاته تعالى مذكور اوچ دولت ايله حال حرب اعلانني اراده ايلدم .

بو ارادۀ سنيه‌نك اجراسنه هيئت وكلا مأموردر .

٢٢ ذى‌الحجه ١٣٣٢ ٢٩ تشرين‌اول ١٣٣٠

محمد رشاد

حربيه ناظرى	شيخ‌الاسلام واوقاف همايون ناظرى	صدراعظم وخارجيه ناظرى
انور	خيرى	محمد سعيد
بحريه ناظرى	عدليه ناظرى وشوراى دولت رئيس وكيلى	داخليه ناظرى وماليه ناظر وكيلى
احمد جمال	ابراهيم	طلعت
تجارت وزراعت ناظرى	معارف ناظرى وپوسته وتلغراف وتلفون ناظر وكيلى	نافعه ناظرى
احمد نسيمى	شكرى	

فتاوى الجهاد الأكبر التي أصدرها شيخ الإسلام مصطفى خيري أفندي الأركوبلي.

(المرجع: معجم شيوخ الاسلام)

ما قول شيخ الاسلام دام بابه مرجعاً للانام فيما اذا توالى هجوم الاعداء على الاسلام و المسلمين و تحقق انهم يستولون على البلاد الاسلامية باسطين ايديهم في السلب والنهب واسر المؤمنين وسبي المؤمنات وصدر امر امير المؤمنين بالجهاد والنفير العام فهل صار بذلك الجهاد فرضاً على جميع الموحدين بمقتضى قوله تعالى « انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا باموالكم وانفسكم » وهل تكون مسارعة كافة المسلمين في جموع الاقطار للجهاد بالاموال والابدان شيوخاً كانوا او شباناً مشاة او فرساناً فرض عين ام لا افتونا مأجورين

الحمد لله تعالى اعلم

قد صار الجهاد بذلك فرضاً على جميع الموحدين وصارت مسارعتهم لذلك بالنفس والمال فرض عين



وبهذه الصورة اذا تحقق من الروس والانكليز والفرنسيين ومن ظاهرهم اليوم والعدوان اليوم على الخلافة الاسلامية هاجمين بسفنهم الحربية وعساكرهم البرية على دار الخلافة وسائر البلاد المحروسة العثمانية ساعين والعياذ بالله تعالى لاطفاء نور الاسلام فهل تكون مسارعة من تحت ادارة هذه الحكومات من عموم المسلمين للغزو ومعاونين الجهاد على تلك الحكومات فرضاً ايضاً ام لا افتونا مأجورين

الحمد لله تعالى اعلم

نعم يكون مسارعتهم فرضاً ايضاً



فتبنى الجهاد مجموعة من علماء المدينة المنورة، من أشهرهم الشيخ محمد بن أحمد العمري، وألقى الخُطبَ ونظم القصائد، فدبّ الحماس في الناس[١]، وأقيم اجتماع كبير في المناخة، وخطب العلماء فيه، ومن أولئك السيد حسين أحمد المدني، ورغّبوا الناس بالجهاد في سبيل الله[٢]، فتأثر لذلك الناس وتبرعوا بأموالهم وتبرع النساء بحليهن والمزارعون بحصيلة البساتين من التمور، وخرجت زمرة متطوعة بقيادة نقيب السادة آل باعلوي ومفتي الشافعية الأسبق السيد علوي بن أحمد بافقيه[٣]، وكان هو والسيد محمد بن حسين هاشم يحثان الناس على النفير للجهاد، ويناديان بصوت جهوري: "يا مسلمين: إلى السويس .. الجهاد .. أخرجوا الإنجليز من السويس.. من مصر"[٤].

وجرى احتفالٌ مهيب في الحرم النبوي الشريف حضره حوالي عشرون ألفاً من أهالي المدينة، وأُخرجت الراية المنسوبة إلى النبي ﷺ وحملها السيد علوي بافقيه وأرسل برقية إلى جمال باشا نشرت في الصحف قال فيها: "بالرغم من أني تجاوزت السبعين، وتلبية لما فرضه الله علينا من الجهاد، فإني أتقدم ومعي أبنائي الثلاثة لنجاهد في سبيل الله عز وجل حاملاً بإحدى يديّ راية الرسول المشرفة، وباليد الأخرى كتاب الله الذي فرض الجهاد على المؤمنين كافة. إن هتافات عشرين ألفاً من المسلمين ودعواتهم ترن في أذني وأنا أتوجه إلى دمشق وملء نفسي الإخلاص والرغبة في أن أموت شهيداً لإعلاء كلمة الله. إن أرض الحجاز ومن فيها من القبائل جميعاً قد لبّت نداء خليفتنا المعظم"[٥].

---

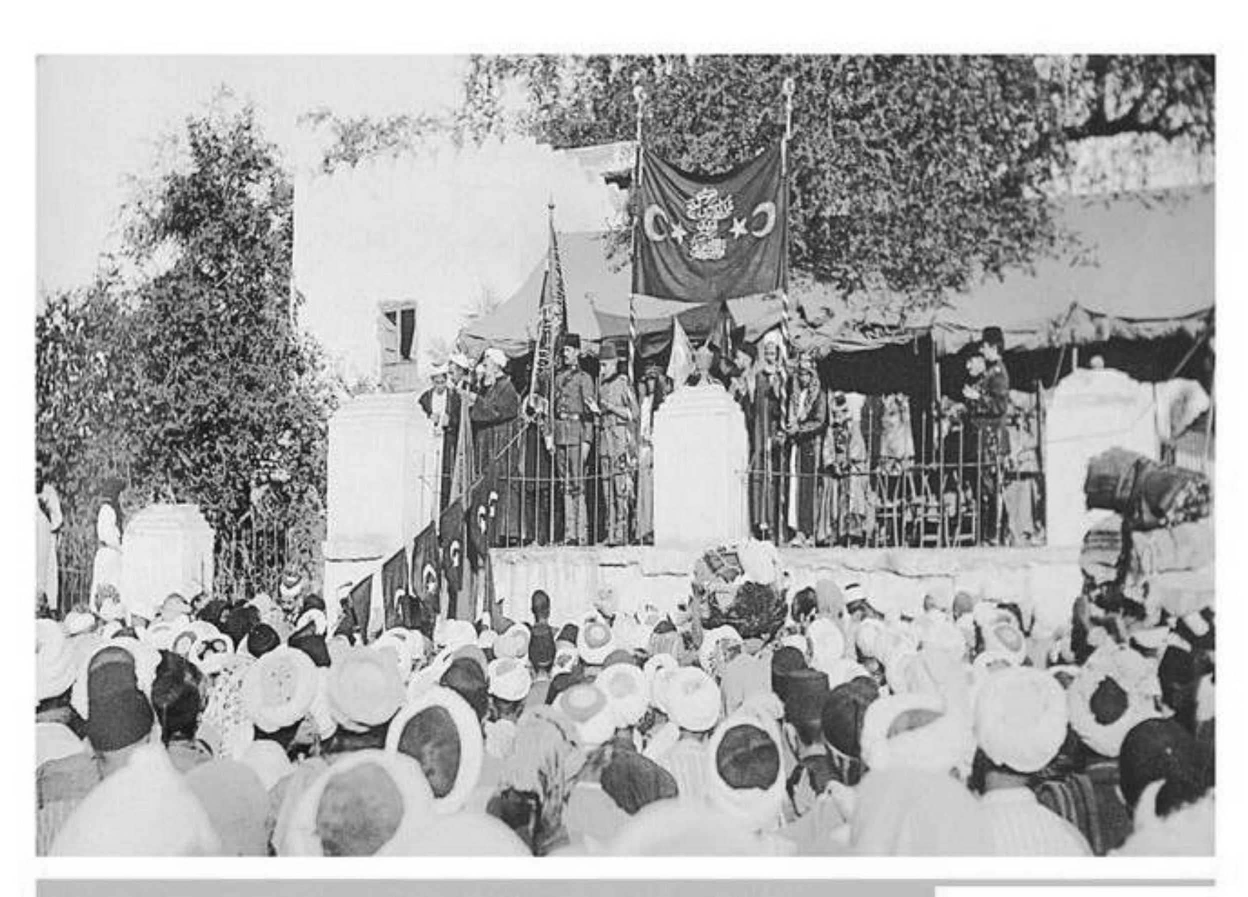
(١) «من أعلام المدينة المنورة: محمد العمري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، سنة ١٣٧٩هـ.

(٢) «المختصر من نقش حيات» للسيد حسين أحمد المدني، ص ٦٥.

(٣) «من أعلام المدينة المنورة السيد علوي بافقيه»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٤) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٣.

(٥) «يقظة العرب» ص ٢٢٩.



إعلان الجهاد في ساحة المناخة ويظهر في الصورة بصري باشا

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



مجموعة من المتطوعين المجاهدين من أبناء القبائل العربية

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

فانطلقوا بالقطار ووصلوا دمشق في ٢٧ محرم سنة ١٣٣٣هـ[١]، واستقبلهم جمال باشا مع كبار ضباط الجيش بحفاوة بالغة، ثم انطلقوا بصحبة جمال باشا إلى القدس مروراً بنابلس، ووصلوها في ٢ صفر سنة ١٣٣٣هـ وأقيمت الاحتفالات في الساحة أمام قبة الصخرة وألقيت الخطب، وأقيمت الصلاة في المسجد الأقصى، ووضعت الراية النبوية هناك مؤقتاً لإخراجها في اليوم الذي يزحف فيه الجيش إلى مصر، ولم تمض أيام يسيرة حتى انتقل السيد علوي بافقيه إلى رحمة الله إثر وعكة صحية[٢]، ودفن بجانب الضريح المنسوب إلى نبي الله داود عليه السلام، ونعاه الوعاظ وأشادوا به وذلك في ٧ صفر سنة ١٣٣٣هـ[٣].

وانضمت هذه المجموعة المدنية إلى أمثالها من المتطوعين من رومانيا وعرب سوريا والأرناؤوط، وكوّنوا فئة هي الأكبر في جيش المتطوعين حيث بلغت حوالي ٤٠٠ مقاتل، والتحقوا بالجيش، وخاضوا المعارك بقيادة جمال باشا، لكن مُنيت الجيوش العثمانية بالهزيمة الساحقة، وأمر جمال باشا بإبعاد بعض الأفراد[٤]، وتفرق أهل المدينة الذين خرجوا، فأُخذ بعضهم إلى غزة وبئر السبع والعريش، ولم يعد منهم أحد[٥].

---

(١) روى الأستاذ زيدان فيما يفهم من كلامه أن خروجهم كان قبل انطلاق الثورة الهاشمية بيومين أو ثلاثة أي في شعبان سنة ١٣٣٤هـ، ويبدو أن الأمر اختلط على ذاكرة الأستاذ زيدان فقد كان في ذاك الوقت ابن ثماني سنوات وذلك لأن معركة حملة ترعة السويس كانت في ٣ فبراير ١٩١٥م وذلك يوافق ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٣هـ، وخروج أهل المدينة قبل ذلك وقد نص عليه جورج أنطونيوس في كتابه «يقظة العرب» ص ٢٢٩، ويؤيد ذلك أن السيد علوي بافقيه توفي في هذه السنة قبيل المعركة كما نص الدفتردار، والأركوبي، وأنطونيوس.

(٢) «يقظة العرب» ص ٢٣٠- ٢٣١.

(٣) «أئمة وخطباء المسجد النبوي الشريف»، لعبد الرحمن الأركوبي، مخطوط.

(٤) «تاريخ الدولة العثمانية» لشكيب أرسلان، ص ٤٢١.

(٥) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ محمد العمري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، سنة ١٣٧٩، و«المختصر من نقش حيات» للسيد حسين أحمد المدني، ص ٦٥، و«ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٣- ٩٤.

بيان الجهاد الأكبر للسلطان محمد رشاد في محرم سنة ١٣٣٣هـ.

(المرجع: معجم شيوخ الاسلام)



« قد امرت بنشر هذا البيان في جميع اقطار المسلمين »

في ٤ المحرم ٣٣٣

محمد رشاد

يا ايها المؤمنون

ان المسكوف الذين ما برحوا منذ عصور اعداءً للاقبالية الداء ، واضداداً لفلاح الخلوقات اشداء ، ويريدون ان يستعبدوا الامم ويضعوا عليها الاغلال ، ويحرموها مامنحها الحق جل وعلا من الاستقلال ، قد استطار شرد شرورهم من الشرق الى الغرب ، واوقدوا هذه الحرب النامة اليوم في اوروبا وقادوا معهم الفرنسيس والانكليز الذين مافتئ الغرور يحلو في اذواقهم استعباد الملايين من المسلمين ، والجشع يزين لهم امتصاص حياتهم ، وما زالت تغلي في صدورهم مراجل الحقد على الخلافة الاسلامية ، ولا يجدون شفاءً لما في نفوسهم من البغضاء الا بايهان بنيانها ، وزعزعة اركانها ، ذلك بانها ملاذ المسلمين ، وعماد الدين المبين

هؤلاء الجبابرة الذين يقال لهم «الائتلاف المثلث» قد طغوا في العصر السالف على المسلمين الذين في الهند وفي آسيا الوسطى وفي اكثر انحاء افريقيا فاستعبدوهم وجردوهم من استقلالهم ، واقاموا الفتن حكاماً وسيطرت عليهم ، وكذلك تمادى بعضهم بسفكة منذ اصف عصر بل اكثر فاختضموا قسماً من البلاد العثمانية من اهمها والملاحاء وبالاسس اغروا علينا جيراننا وبعدوهم المظاهرة وحملوهم يوقدون علينا الحرب البلقانية فكانوا فيها سبباً ان تهراق دماء مئات آلاف من المسلمين ، وان تنهتك الحرم ويجني على العصم ، وتصبح المساجد الطاهرة منابة للصلبان ، ومحلة للارجاس ، وهاهم اولاء قد عمدوا اليوم الى ايقاد وهج تحيق نارها بأهل الارض كلهم ويودون ان يرموا اهل القبلة من الامة المحمدية بأشد هذه النار لفحاً ، واعظمها وقداً ، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ كلا بل غضب الله حائق لامحالة عاجلاً او آجلاً بمن يريدون سوءاً بهذا النور الالهي ، والدين السماوي ، الذي تزله الفلاح البشر مولانا رب العالمين ، من لاتنى حكمة الفهوم ، ولا تحيط بقدرته العقول ، وليس كمثله شيء سبحانه وتعالى ، واوجب هذا اليقين قد رأى الخليفة ايده الله تعالى من الواجب ان يستنفر المسلمين كافةً لمحاربة هؤلاء العتاة اعلاءً لكلمة الله ، وذوداً عن بلاد الاسلام ، وصوناً عن بيت الله الحرام ، وروضة فخر الانام ، ومصباح الظلام ، وذباً عن المشاهد المباركة في بيت المقدس والنجف وكربلاء ، وسائر مقامات الانبياء والاولياء والشهداء ، وحفظاً للخلافة الاسلامية من لوث الاضداد ، وصوناً لهذا الدين المبين ان يناله مكر ذوي الاحقاد ، وقد حمل في هذا بما يقتضيه مقام الخلافة ، وما دلت عليه الفتاوى الشريفة ، واستمد عناية العزيز ذي الانتقام ، منزل القرآن وناشر نور الاسلام ، فدعا الى حمل السلاح جميع من هم تحت حكومة الخلافة من العثمانيين ، من ابناء العشرين الى ابناء الخامسة والاربعين ، وفيهم العلماء والاساتذة والمعلمون ، من سائر طلاب العلوم والفنون ، وفيهم كذلكم الموظفون والمأمورون ، من كل من هو عماد ذويه ، ومستند امه وابيه ، وزوجته وبنيه ، فجهز منهم جيشاً الفيالق ، وملأ بهم الاساطيل ، وهم يسيرون اليوم على بركة الله تعالى الى مواطن القتال فيالق وجيوشاً ، مشاةً وفرساناً ، وكذلك يدعو جميع المسلمين ان يغتنموا النصيب من ثواب هذا الجهاد العظيم اتباعاً لقول العليم الحكيم

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾

تكملة بيان الجهاد الأكبر للسلطان محمد رشاد سنة ١٣٣٣هـ.

(المرجع: معجم شيوخ الاسلام)

الجزائر كاهل القريم وقزان والتركستان وبخارا وخيوه والهند ، والمسلمين الذين في ايران والافغان والصين ، والمسلمين الذين في [illegible] وسائر اقطار الارض ان يجاهدوا الى هذا الجهاد الاعظم بأموالهم وانفسهم مع العثمانيين ، وان يتأملوا في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وقوله عز وجل ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقوله سبحانه ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾

ثم يجب عليهم أن يتأملوا في هذه الآيات الكريمة ، والارشادات الحكيمة ، ويبادروا الى انقاذ النفس من العذاب الاليم ، وارباحها الثواب العظيم ، والنعيم المقيم

ولقد عظمت المصيبة ، وجل الخطب ، بأن طفق هؤلاء الاعداء يحشرون جنوداً من ابناء المسلمين الذين تحت يدهم ويسوقونهم الى محاربة الخليفة أو مظاهريه ، ويرمونهم الى اعظم ميادين هذه الهيجاء استنفاراً ، واكثرها تهلكة ودماراً ، فمن أعظم الواجبات اليوم للمسلمين أن ينظروا في تلافي هذا الخطب الفظيع ، ودفع هذا البلاء الذريع ، وأن يتوكلوا على ربهم ويصبروا في هذا السبيل مهما او ذوا ووقع عليهم من اذى هؤلاء الخصوم فان هذه الرزية تفطر الاكباد ، وتشوي المهج ، ولا تطيقها النفوس ، والله سبحانه قد وعد الصابرين أجراً كبيراً ، وفوزاً عظيماً ، ولهم من بركات الرسول صلى الله عليه وسلم مدد بأنه من مدد ، وسند أعظم به من سند

يا امة النبي المختار

ان الله تعالى قد أنزل هذا الدين المبين ، وهداكم بهدى أشرف المرسلين ، لتكونوا أهل الامم ، وأئمةً للناس في الفضائل والهمم ، والمزايا وعلو الشيم ، كما قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ فمن اجل ذلك يجب على أهل هذا الدين الذي أساسه التوحيد والاتحاد ، وشعاره البر والعدل ، وغايته الحق والسعادة ، مهما كان جنس كل واحد منهم ، ومهما كانت حكومته وبلاده ، أن يكونوا كلهم أمةً واحدةً مجتمعين كلهم تحت لواء محمد صلى الله عليه وسلم مشبهة قلوبهم الصافية ، ووجوههم الى الكعبة بيت الله ، وأن لا يكون خضوعهم الا الى رب العالمين ، فانه قد طبع على نواصيهم طابع ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وأن يستعدوا دائماً لأن يصدق فيهم وصف ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ كجهاد من يبغي الاعتداء على جامعتهم العظمى ، وكلمة الله العليا

أي عباد الله المسلمين

ان السعادة لنصيب من بقي من المجاهدين في الدنيا ، وان الشهادة لنصيب من سبق منهم الى الاخرى ، فيا أيها السالكون الى العزة والسعادة ، ويا أيها المجاهدون بأموالهم وأنفسهم لنيل الشهادة ، أصيخوا الى قول الله سبحانه ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وامتثلوا هذا الأمر العظيم ، واتبعوا هذا الهدى الحكيم ، واجتمعوا على قلب رجل واحد حول سرير السلطنة ، وتمسكوا جميعاً بقوائم عرش الخلافة ، واعلموا أن الدولة انما تحارب اليوم من هم أعداء حياتها وهم المسكوف والفرنسيس والانكليز ، ولتذكروا أن الذي يدعوكم الى هذا الجهاد العظيم انما هو خليفة رسولكم الكريم ، عليه أفضل الصلوة وأزكى التسليم ، فقاتلوا في سبيل الله ان الله سبحانه مؤيدكم وناصركم ولقد وعدكم في كتابه المجيد ووعده حق ، وقوله صدق ،

توقيع ٢٨ شخصية من كبار علماء الدولة العثمانية على بيان السلطان رشاد.

(المرجع: معجم شيوخ الاسلام)

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ

شيخ الاسلام ومفتي الانام سابقا — موسى كاظم
شيخ الاسلام ومفتي الانام سابقا — ضياء الدين
شيخ الاسلام ومفتي الانام — خيري

قاضي العسكر عطاء الله افندي زاده — محمد شكري
قاضي العسكر — عمر خلوصي
امين الفتوى — علي حيدر
شيخ الاسلام ومفتي الانام سابقا — اسعد

قاضي العسكر — نجم الدين
قاضي العسكر — محمد اسعد
قاضي العسكر — احمد خلوصي
قاضي العسكر — مصطفى توفيق
قاضي العسكر — ابراهيم اسعد

مستشار المشيخة الاسلامية اوليازاده — ابراهيم اوليا
قاضي العسكر — عصمت
قاضي العسكر وامين الفتوى سابقا — توفيق
قاضي العسكر — محمود اسعد

رئيس مجلس التدقيقات الشرعيه — حسين كامل
وكيل الدرس — علي
القاضي بدار الخلافة العليه — مصطفى رضا

السلطانيه المقرر الرابع للدرس بالحضرة طرنوه لي — محمد حلمي
السلطانيه المقرر الثالث للدرس بالحضرة نصوح افندي زاده — مصطفى عاصم
السلطانيه المقرر الاول للدرس بالحضرة — محمد اشرف

السلطانيه المقرر الثامن للدرس بالحضرة — ايوب
السلطانيه المقرر السادس للدرس بالحضرة — آيدوسي سعد الله
السلطانيه المقرر الخامس للدرس بالحضرة — ولداني

مدير الاعلامات الشرعيه — عالي
رئيس المسودين — احمد اسعد
رئيس مجلس المشايخ — محمد اسعد

مكتوبي المشيخة الاسلامية
ماردينى يوسف صدقي افندي زاده
ابو العلا

خبر من جريدة المقتبس سنة ١٣٣٥هـ في استقبال الشريف علي حيدر.

حوادث محلية

لمقابلة امير مكة المكرمة

قدم الحاضرة لمقابلة صاحب السيادة والدولة علي حيدر باشا امير مكة المكرمة فضيلة السيد ابو بكر افندي نقيب الاشراف في المدينة المنورة وحامل العلم النبوي الشريف وهو نجل الشهيد السيد علوي بافقيه الامام في الحرم النبوي الشريف ومفتي الشافعية ونقيب الاشراف ورئيس فروع المدفعة الملية وحامل لواء سيد المرسلين وهو قاصد التوجه الى المدينة المنورة مع سيادة الامير وقدم ايضاً السيد علي افندي الجيشي من اعضاء مجلس ادارة المدينة المنورة اما السيد ابو بكر افندي فانه سيعود من طيبه الى مركزه في مدينة الخليل للمحافظة على العلم النبوي الشريف ولخدمة الدين والوطن في الجهاد.

وأما السيد أبو بكر بن علوي بافقيه (ت ١٣٥٧) فقد ورث منصب أبيه في مشيخة السادة آل باعلوي، وبقي مجاهداً في مركزه بمدينة الخليل، وحاملاً اللواء الذي كان في يد والده[١].

التمهيد للثورة:

وأثناء هذه الأحداث أرسلت الدولة العثمانية إلى الشريف تطلب منه إعلان الجهاد وتجنيد العرب، فأرسل الشريف يقول: إنه يؤيد الدعوة من صميم قلبه وهو يضرع إلى الله أن يكللها بالنجاح ولكنه يخشى أن يعلن الجهاد فينتقم منه الإنجليز بقصف الموانئ وقطع المواد الغذائية عن الحجاز فتنشأ المجاعة وتثور القبائل[٢].

وقد أدركت الحكومة التركية تمحل الشريف الأعذار فقررت التخلص منه، وكانت الحكومة أرسلت منذ فترة الوالي الألباني وهيب باشا[٣] إلى الحجاز ليضيّق على الشريف الحسين، وكانت الخطة أن يتوجه الوالي المذكور بمتطوعي القبائل العربية للاشتراك في حملة السويس التي يقودها جمال باشا، لكن يذكر بعض مؤرخي الثورة أنه بينما كان الشريف علي بن الحسين متوجهاً مع وهيب باشا إلى المدينة في شهر يناير ١٩١٥م = ١٣٣٣هـ، سقطت محفظة الأوراق السرية من السيد محمد نائب الحرم وهو أحد الاتحاديين المكيين، فعثر عليها أحد رجال الشريف علي وأطلعه عليها فسلمها إلى والده، وتدل الوثائق فيها على أن الأتراك يدبرون مكيدة ضد الشريف الحسين[٤].

---

(١) «جريدة المقتبس»، تاريخ ١٧ رجب ١٣٣٥هـ.

(٢) «قصة الأشراف وابن سعود» ص ٧٨.

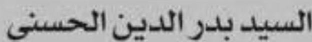
(٣) عيّنته الحكومة العثمانية والياً على الحجاز سنة ١٣٣١هـ وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٣٣٣هـ. «مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني» ص ٤١٩.

(٤) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١: ١٠٥- ١٠٦، و«يقظة العرب» ص ٢٣٣.



الشريف فيصل بن الحسين.





السيد بدر الدين الحسني

قرر الشريف إرسال ابنه فيصل إلى إسطنبول ليعرض على السلطان والصدر الأعظم شكواه من الوالي وهيب باشا، وكان هذا هو السبب الظاهر، أما السبب الأساسي فهو الاتصال بالزعماء العرب في دمشق ومعرفة موقفهم من عروض الإنجليز لمساعدتهم في الثورة العربية واستعدادهم لها[1]. وبالفعل فقد استجاب الأتراك لشكوى الشريف وعزلوا الوالي وعينوا مكانه الجنرال غالب باشا، وذلك في نوفمبر ١٩١٥م = ١٣٣٣هـ، ثم اتجه الشريف فيصل إلى دمشق واستقبله جمال باشا واحتفل به، والتقى هناك بالزعماء العرب وانضم إلى جمعية (العربية الفتاة)[2] واتفقوا على الثورة وإنشاء الدولة العربية، وممن وافقه على إعلان الثورة

---

(١) «يقظة العرب» ص ٢٣٤.

(٢) هي جمعية عربية سرية نشأت في باريس بعد إعلان الدستور العثماني، وانتقل مقرها سنة ١٩١٢م إلى بيروت ثم دمشق، وكان هدفها العمل للنهوض بالأمة العربية وعدم الانفصال عن الترك، ثم اتجهت إلى استقلال العرب بعد إعلان الحرب العالمية الأولى. انظر: «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١ : ٩.

على ما يُروى الشيخ العلامة بدر الدين الحسني[1].

وفي أثناء ذلك أكد الشريف فيصل لجمال باشا أن والده يعمل على مساعدة الدولة في الحرب ضد الحلفاء، ووعده بتجهيز (١٥٠٠) متطوعاً من أهل الحجاز وقيادتهم بنفسه إلى السويس[2]، وعاد الأمير فيصل إلى الحجاز وقد تقرر أمرهم على الثورة، فأرسل الشريف الحسين ابنه فيصل مرة أخرى إلى دمشق ليدرس الوضع فيها ومبلغ استعداد رجال الحركات العربية لتأييد الثورة، وذلك في ٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٤هـ ومعه خمسون متطوعاً من مكة بينهم عدد من الأشراف فنزل وإياهم في دار آل البكري[3].

رحلة رجالات الحكومة العثمانية إلى المدينة[4]:

في خضم هذه الأحداث قرر أنور باشا[5] - وكيل القائد العام ووزير الداخلية

---

(١) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١ : ١٠٧- ١٠٩، و«الثورة العربية الكبرى» لقدري قلعجي ص ١٤٧- ١٥٠، «قصة الأشراف وابن سعود» ص٧٨- ٨٠، و«يقظة العرب» ص ٢٤٤، و«الشيخ محمد بدر الدين الحسني وأثر مجالسته في المجتمع الدمشقي» ص ٢٨.

(٢) «مذكرات جمال باشا السفاح» ص ٢٥٠.

(٣) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١: ١١٠

(٤) أفرد هذه الرحلة الأديب محمد كرد علي بمؤلف سماه: «الرحلة الأنورية»، ذكر فيه تفاصيلها، فلتراجع.

(٥) هو إسماعيل أنور باشا، ولد سنة ١٨٨١م، وتخرج في الكلية الحربية عام ١٩٠٣م، وكان قائداً عسكرياً، انضم إلى حركة تركيا الفتاة، وحزب الاتحاد والترقي، وتمرد على السلطان عبد الحميد، وشارك في عدة جبهات مثل حرب طرابلس حيث حارب مع السنوسيين ضد الطليان، وشارك في الحرب البلقانية الثانية، وعيّن وزيراً للحربية سنة ١٣٣٢هـ، وكان معجباً بالألمان وقوتهم إذ كان متزوجاً من بني عثمان فبعثه السلطان عبد الحميد إلى ألمانيا لتحصيل العلم فأُشرب قلبه بحبهم، وكان هذا أحد أسباب انضمام العثمانيين إلى جانب الألمان، وكان أحد الثلاثة الذين حكموا الدولة العثمانية في آخر مراحلها، ولما سقطت الدولة في الحرب العالمية الأولى، هرب إلى القرم ثم إلى برلين بألمانيا ثم رحل إلى



جمال باشا قائد الأتراك في دمشق
(المرجع: *The Hejaz Railway, james Nicholson*)

العثمانية - التوجه إلى الحجاز برفقة جمال باشا - وزير الحربية -، فهبّ الناس لاستقبالهما، وزيّنت المدينة المنورة بإشراف مدير الصحة جمال بك، ومدير الشرطة بشير بك، وخرج إليهما الرجال لاستقبالهما يتقدمهم الأغوات بعبيدهم، وخطباء الحرم النبوي الشريف، ثم المؤذنون مرتدين شاراتهم المخصوصة

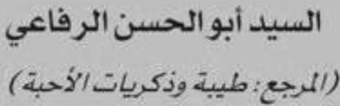
روسيا فنزل في لتوانية بالخطأ وقبض عليه الإنجليز فأرسل إلى ألمانيا فبعثوا له بطائرة ففرّ بحيلة، ووصل إلى موسكو بروسيا، وكان عرض عليه ملك أفغانستان أمان الله خان أعلى رتبة في مملكته فرفضها، فدخل بخارى ونظم الجيش التركستاني، وجاهد الروس وبطش بالبلاشفة في عدة معارك وقاد ثورة هناك وفرح به المسلمون، وفي عيد من الأعياد تفرق عنه جيشه وبقي في شرذمة من أصحابه فهجم عليه الروس فخرج بنفسه وما زال يقاتلهم حتى قتلوه سنة ١٣٤٠هـ، وهو في الأربعين من عمره، وكان جريئاً ذكياً إلا أنه بعيد عن معرفة السياسة، ولم ينخرط في الجمعيات الماسونية. انظر: «تاريخ الدولة العثمانية» لشكيب أرسلان، ص ٤٨٥ وما بعدها، و«تاريخ الدولة العثمانية» ليلماز أوزتونا، ٢: ٢٢٦، و«الدولة العثمانية المجهولة» ص ٤٦٧-٤٧٠.



أنور باشا



السيد أبو الحسن الرفاعي

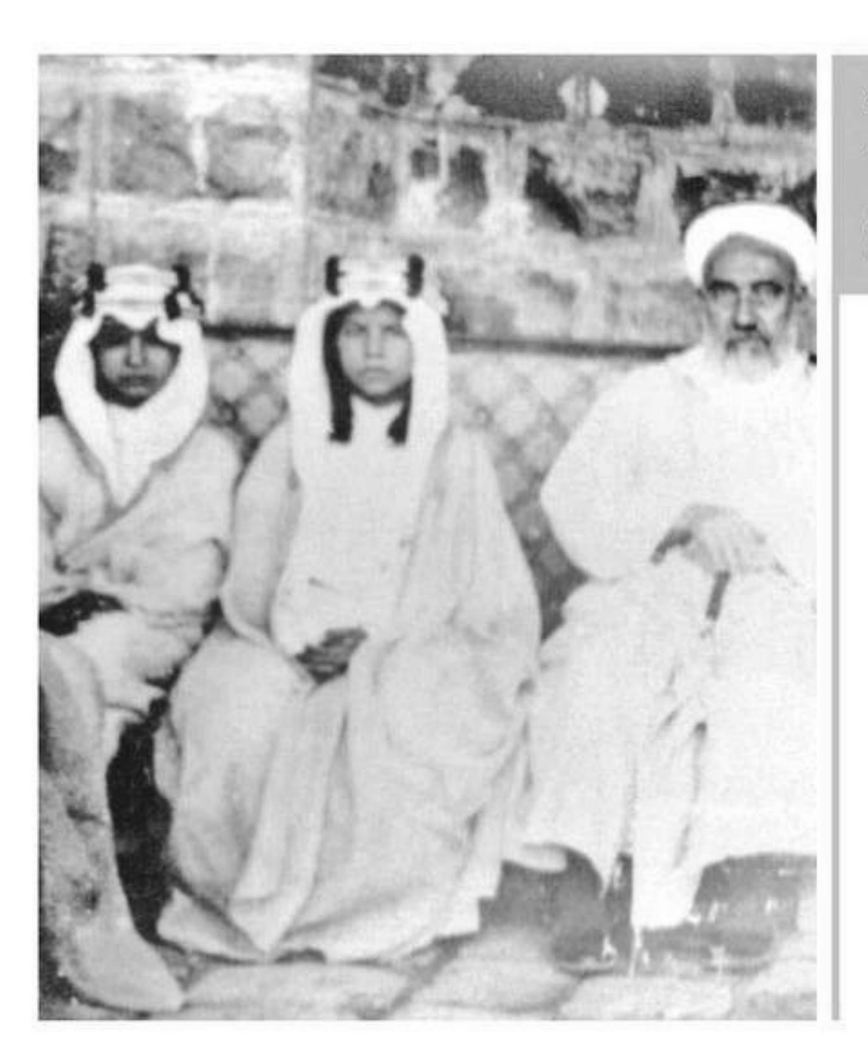


(المرجع: طيبة وذكريات الأحبة)

بالأذان، وكانوا ينشدون الهمزية والبردة للبوصيري، ثم سادات المدينة وأعيانها ثم أشياخ الطرق الصوفية، ورئيسهم شيخ الطريقة الرفاعية السيد حمزة بن أبي الحسن الرفاعي (ت ١٣٦٦)، ثم تلامذة المكاتب- يتقدمهم مدير المعارف والإعدادي- حمزة أفندي وصفي، ينشدون الأناشيد الوطنية العربية والتركية[1].

فلما وصل القطار صباح الجمعة ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٣٣٤هـ عند الساعة التاسعة صعد إليهما شيخ الحرم، ومدير الصحة، ومفتي المدينة الشيخ مأمون بن أبي اللطف بري (ت ١٣٣٨هـ)، ومفتي الشافعية السيد زكي بن أحمد البرزنجي (ت ١٣٦٥هـ)، وعين أعيان المدينة السيد زين العابدين بن حمزة مدني (ت ١٣٥٦هـ) وحَيّوْهما. وكان معهما في هذه الرحلة الشريف فيصل بن الحسين ووفد من علماء سوريا هم: الشيخ أسعد الشقيري، والسيد أبو الخير عابدين مفتي دمشق، ومصطفى أفندي نجا مفتي بيروت، وكامل أفندي الحسيني مفتي القدس،

(١) «الرحلة الأنورية» ص ٢٥٨-٢٥٩.



السيد محمد زكي البرزنجي على اليمين.

(المرجع: أمدني بها السيد هاني البرزنجي)

وأديب تقي الدين نقيب أشراف دمشق. وخطب الشيخ مأمون بري مفتي المدينة أمامهم، وما أن اقترب وقت الجمعة حتى اتجهوا في موكب إلى الحرم النبوي الشريف، فأدى الوزيران الزيارة والتجآ إلى علماء المدينة المنورة للدعاء لهما[١].

ومما يستحسن ذكره هنا: حسن أدبهما في الزيارة النبوية، فإنهما ما إن وطئت أقدامهما تراب المدينة المنورة عند وصول القطار، حتى أكملا طريقهما راجِلَيْن مطأطئين رأسيهما، قابضيْن أيمانهم على شمائلهم، غاضين الطرف منذ باب العنبرية إلى أن دخلا الحرم النبوي الشريف من باب السلام، ووقفا أمام الحجرة النبوية الشريفة، هذا مع وجود النجائب والخيول التي كانت تقاد أمامهما، وقد قدم لأنور باشا مركب خاص فرفض، وقال: بل أمشي على قدمي كالعبيد[٢]. وهذا

(١) «الرحلة الأنورية» ص ٢٦٠- ٢٦١.

(٢) «عقد الزمرد» ص ٢٧٠، و«نقش حيات» ص ٦٤٠.

يحسب للأتراك في حسن أدبهم[1].

ثم إن الوزيرين المذكورين حضرا صلاة الجمعة في الحرم، وخطب شيخ الخطباء عن فضائل المدينة ومآثر الدولة العثمانية وتيقظها، ودخل الوزيران الحجرة الشريفة وأوقدا المصابيح كعادة كبار الشخصيات في الزيارات، يفعلون

---

(١) قال السيد الزمزمي الكتاني في «عقد الزمرد» ص ٢٧٠ في المقارنة بين فعل القائدين التركيين وفعل الأمراء الأشراف: «وكنا نرى قبل أن الأمراء أبناء الأمير حسين بمكة إذا أتوا المدينة ينزلون على خيولهم إلى عتبة باب السلام، ولكل وجهة وتقدير». قلت: وهذا يعود إلى تباين العادات، وقد تنبه إلى هذا الأمر والاختلاف بين طريقة العرب وطريقة غيرهم من المسلمين بعض الكتاب والرحالة ممن زار المدينة، ومنهم الأديب محمد كرد علي فقال في «المذكرات» ١ : ٩٧ : "ولاحظت في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام أن جميع العناصر الإسلامية تدخل بخشوع وأدب لا يكونان في أبناء العرب، فإن هؤلاء يضطجعون ويأخذون حريتهم، ويلقون بنعالهم كيف اتفق، مما لا يصدر مثله من الهنود والأفغان والجاويين والإيرانيين والقوقازيين والسودانيين والأتراك، كأن أبناء العرب يرون أن صاحب هذا القبر الشريف هو بعض أبناء عمهم أو أحد إخوتهم ترتفع بينهم الكلفة، على ما هو الحال بين أبناء أسرة واحدة". ومثله الضابط البريطاني آرثر ويفيل، قال في رحلته «حاج إلى مكة» ص ٩٠، بعد أن أفاض في الحديث عن مشاعر الزوّار من مختلف الجنسيات: "وهم في ذلك يغايرون السلوك الرزين والشعور الفاتر الذي يبديه العرب". كما أن الجهل بين أفراد القبائل في تلك الفترة كان سبباً في حصول مثل هذه الأمور، وفي ذلك قال كجمان في مذكراته في معرض حديثه عن أتباع الأمير سعود ابن رشيد: "إن الحرس الذين أحضرهم الأمير، كانوا موجودين بأسلحتهم داخل الحرم النبوي ... وهم رغم اعتقادهم في الله ورسوله إلا أن عندهم جهل في أمور الصلاة وقراءة القرآن، فكانوا يتلفتون يميناً وشمالاً في الصلاة، ويحاولون تقليد غيرهم، لكن اعتقادهم كان سليماً، وكانوا بعد أن يأتوا للسياج الحديدي عند باب التوبة يصيحون قائلين: (يا محمد) وكأنهم كانوا على صلة وطيدة بالنبي ﷺ، يبثونه الآلام والأماني ثم ينصرفون بهدوء". اهـ بتصرف، انظر: *Kiciman, p. 100*، وقبلهم جميعا العلامة أبو سالم العياشي قال في «الرحلة العياشية» ١ : ٤٦٥-٤٦٦، في معرض حديثه عن زيارة بعض أفراد القبائل العربية: "ومنهم أفراد يدينون دين الحق وسلامهم على النبي ﷺ: حيا الله محمد، رافعين بها أصواتهم ... أخبرني شيخنا الملا إبراهيم عن الشيخ القشاشي أنه بينما هو ذات يوم عند المواجهة إذ جاء أعرابي في شملته وبيده عصاه حتى وقف أمام الوجه الشريف فضرب بعصاه الأرض مرتين وهو يقول: يا محمد، يا محمد، لا تقل أنا ما جئتك، ها أنا ذا، فذهب ولم يزد على ذلك".

ذلك تبركاً، وكنسا الحجرة المطهرة، وزارا البقيع فجر يوم السبت بعد إطفائهما لمصابيح الحجرة [١].

ونزلا في فندق دار السرور (أوتيل مدني)[٢]، وبعد العصر تعهدا الأماكن العسكرية والمستشفيات، وجرى استعراض للقوات التي كان يتظاهر الشريف الحسين بأنها معدّة للاشتراك في حملة السويس بينما كان يعدها للثورة باطناً، وقد سأل أنور باشا الأمير فيصل: هل هذه القوة كلها أعدت لحرب أعداء الإسلام؟، فأجاب فيصل: نعم[٣].

وحضرا مجالس الذكر بعد أن جمعا مشايخ الطرق الصوفية، وأخيراً طلبا من شيخ الحرم أن يجمع حضرات أكابر العلماء، ليلقوا درساً في الجهاد والوعظ[٤].

ويذكر السيد الزمزمي الكتاني: أنهما طلبا من العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني أن يلقي عليهما درساً أمام الحجرة الشريفة، فعقدت حلقة كبيرة، حضرها العلماء والوجهاء بحضور مفتي المدينة المنورة الشيخ مأمون بري، فجلس السيد

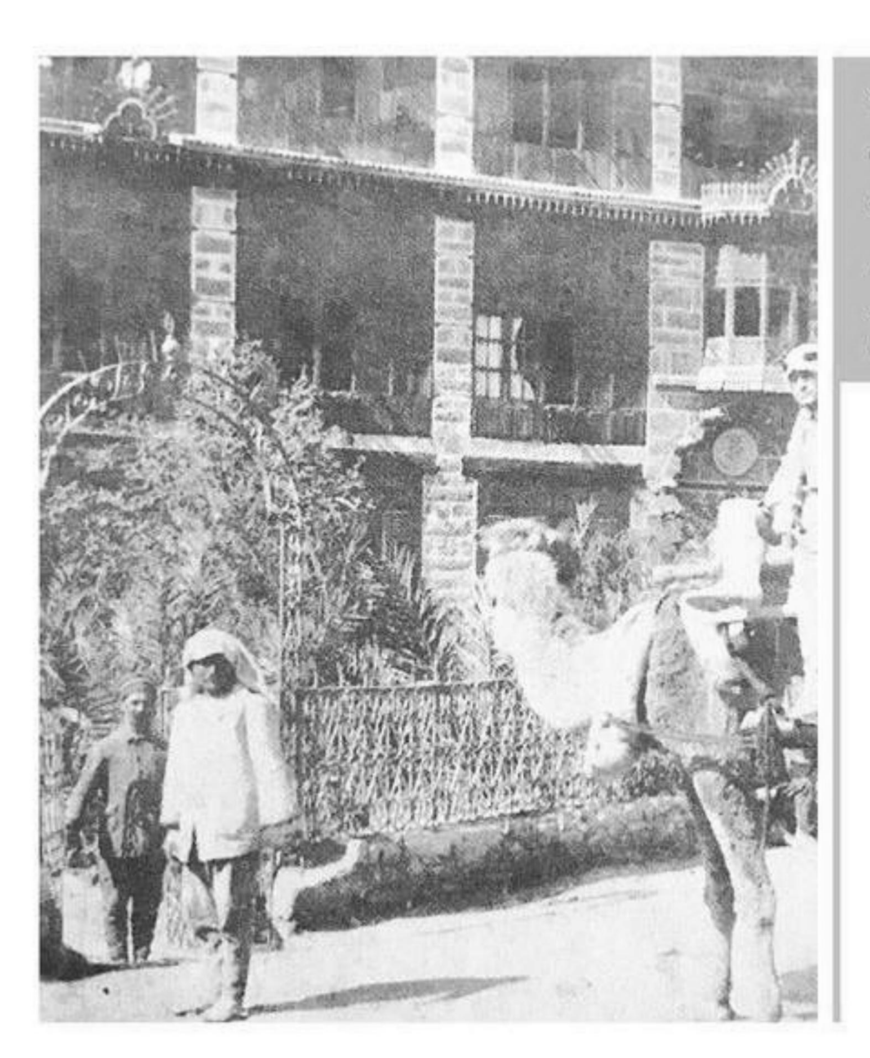
---

(١) هذه العادة من العادات القديمة، وتتضمن إسراج القناديل في الحجرة المشرفة مساءً وإطفاءها صباحاً، ويختص بها الأمراء والأعيان من المسلمين أثناء زيارتهم، ولا تكون إلا بتصريح من شيخ الفراشة النبوية، يفعلون ذلك تبركاً بخدمة المكان، وقد ينيبون من أهل المدينة من يقوم بذلك عنهم ويخصصون لهم مرتبات سنوية. انظر: «الرحلة الحجازية» للبتنوني ص ٣٠٧.

(٢) هذا الفندق بناه السيد عبد الله بن محمد حمزة مدني والد كل من السيدين عبيد وأمين، وذلك سنة ١٣٢٤هـ، وقد أرخ بناءه العديد من الشعراء، ويقع في حي صيّادة، ثم اكتراه الشيخ عطا إلياس في الستينيات من العهد السعودي وسماه: فندق التيسير. انظر: «أعلام الحجاز» ٢: ٢٥٧. وكتب لي الدكتور علي بن أبي بكر جاد حفظه الله أن هناك مبنى آخر عُرف بـ (أوتيل مدني) الصغير، بناه السيد زين العابدين بن محمد حمزة مدني ويقع في السحيمي عند مدخل الفيروزية، وكان في أواخر الستينيات مصنعاً للنسيج، ثم شغله المعهد العلمي سنة ١٣٧٠هـ.

(٣) «قصة الأشراف وابن سعود» ص ٨٢- ٨٣.

(٤) «الرحلة الأنورية» ص ٣٦٤-٣٦٥.



فندق دار السرور الذي اتخذه الأتراك مستشفى للعساكر.

المرجع: Fahreddin Pas-anin Medine Mudafaasi, (Feridun kandemir

الكتاني بين الوزيرين وكلهم مستقبلون الحجرة، وذلك من تمام الأدب، حتى لا يعطي الحجرةَ ظهره، واعتذر عن الدرس لعارض عرض له، فأمرا بأن يلقي كل عالم من العلماء كلمة وعظية، تناسب المقام وأن يختم السيد الكتاني بالدعاء بالنصر، والفرج للأمة الإسلامية والدولة العثمانية ووزرائها بالخصوص(١).

وخلاصة وصف هذا المجلس: أن المفتي مأمون بري كلف نقيب العلماء بجمع ستة من كبار العلماء وهم: الشيخ محمد حمدان بن أحمد الونيسي، والسيد محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ محمد الخضر بن مايابى الشنقيطي، وأخوه الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والسيد حسين أحمد المدني. فجلس المفتي مأمون بري في صدر المجلس، بصفته شيخ علماء المدينة، ثم جلس العلماء أمامه وعن يمينه كل من الشيخ محمود الحسن الديوبندي، وعن شماله الشيخ

(١) «عقد الزمرد» ص ٢٦٩-٢٧٠.



الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي.

خليل أحمد السهارنبوي، وبجانبه السيد حسين أحمد المدني، ثم جلس الوزيران متصفين بالخشوع، فابتدأ المفتي بسرد أحاديث من صحيح البخاري شارحاً لهما ما يقتضيه الحال، واعتذر الشيخ محمود الحسن لعجمته، وأمر الشيخ حسين أحمد المدني أن يتحدث مبيناً مزايا الجهاد مفسراً لبعض الأحاديث النبوية(١).

قال السيد حسين أحمد: "فاغتنمت الفرصة لبيان حكم الجهاد وخطابي كان مفصلاً، وفيه دلائل عقلية ونقلية، وبيان الطريق لفلاح الناس، وفيه أجوبة لبعض الإشكالات حول سياسة الإسلام، فأخذت نصف ساعة بل أكثر، واستحسن الحضور تقريري وأظهروا سرورهم"(٢).

ثم تلاه الشيخ حمدان الونيسي، فتلا مفسراً لقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٢٩] مبيناً ما يجب على المؤمن تجاه هذه الآية، ثم تلاه الشيخ محمد الخضر الشنقيطي، ثم الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي.

---

(١) «الرحلة الأنورية» ص ٢٦٥- ٢٦٦.

(٢) «نقش حيات» بالأردو، ص ٦٤١.

ثم تلا السيد أحمد بن أسعد كماخي (ت ١٣٥١) آيات من القرآن بصوت مطرب، وختم هذا الدرس السيد محمد بن جعفر الكتاني بالدعاء، واستمر هذا المجلس زهاء الساعتين[١].

ويحدث السيد حسين أحمد المدني عن انفراده بأنور باشا هو وشيخه محمود الحسن، وقد حادثاه عن مسألة تحرير الهند من حكم الإنجليز، فقال أنور باشا: مطالبة تحرير الهند نحن مؤيدون لها، ويجب السعي في ذلك، ونحن نعين الهنود، وإن شئت كتبت لكم في ذلك باسم الحكومة. فقالا: اكتب باللغة العربية أو الفارسية وليس بالتركية حتى يفهم أهل الهند، فوافق وقال: إقامتنا مختصرة في المدينة لأعمال خاصة، ولما نصل إلى دمشق سنكتب لكم[٢]. وبالفعل كتب أنور باشا رسالة سرية إلى الشعب الهندي وفيها الوعد بتأييد القضية الهندية وحمل الناس على مساعدة الشيخ محمود الحسن، وعرفت هذه الرسالة السرية فيما بعد باسم (الرسائل الحريرية) لأنها كتبت على قماش من الحرير الأخضر[٣].

وفي المدينة طلب أنور باشا من الشريف الحسين أن يوافيه للاجتماع به، وقيل إن الأتراك كانوا ينوون اعتقاله وإبعاده لو أجاب دعوة أنور باشا، فاعتذر عن المجيء وبعث بهدايا ثمينة إلى أنور وجمال. وفي العودة رجع معهما الأمير فيصل إلى دمشق ومكث هناك[٤].

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن فكرة اغتيال أنور وجمال قد طرأت من قبل جماعة من أتباع الشريف، فقد ذكر الرحالة الأمريكي لويل توماس أن أحد أفراد قبيلة الحارث يدعى علي بن حسين تسلل برفقة عدد من الشيوخ والأشراف حتى وصل إلى الشريف فيصل وهمس في أذنه قائلاً: "إننا نحيط بالقصر من جميع جوانبه

---

(١) «الرحلة الأنورية» ص ٢٦٦.

(٢) «نقش حيات» بالأردو، ص ٦٤٠- ٦٤١.

(٣) «نزهة الخواطر» ٨: ١٣٧٨.

(٤) «الإشراف على تاريخ الأشراف» ص ٦١٧.

وسنقتل هذين المارقين التركيين"، فأشار إليهم ليتنحوا جانباً، ودعا أنور وجمال كي يقضيا الليلة في منزله، ونام خارج الباب كي لا يقترب أحد منهما. فعل هذا كي لا يشك أنور وجمال بأي اضطرابات في المدينة[١].

شروط الشريف الحسين لإعلان الجهاد :

أصرت الحكومة العثمانية على الشريف الحسين مرة أخرى أن يصدر إعلاناً بالجهاد المقدس في أقطار الإسلام ضد دول التحالف، وألحّت عليه في إرسال المجاهدين الذين أعدّهم لحرب السويس وسيناء، فأرسل الشريف الحسين برقية إلى الصدر الأعظم وأنور باشا في ١١ ربيع الآخر ١٣٣٤هـ، وفيها يكشف عن نيّته، ويشترط لإعلان الجهاد وإرسال المجاهدين ثلاثة شروط وهي: العفو العام عن المتهمين السياسيين من العرب[٢]، ومنح سوريا والعراق إدارة لا مركزية،

(١) «مغامرات مع لورنس في جزيرة العرب» ص ٧٥- ٧٦..

(٢) هم نخبة من المثقفين العرب الذين قبض عليهم جمال باشا في دمشق وبيروت وقام بإعدامهم بتهمة الخيانة العظمى، وقد نشر جمال باشا كتاباً بالعربية والتركية سماه: «حقيقة المسألة السورية»، يشرح فيه الأسباب التي جعلته إلى محاكمة هؤلاء وقتلهم، وقد ثبت أن مجموعة منهم تآمرت مع الفرنسيين بعد أن داهم جمال باشا القنصلية الفرنسية ووضع يده على الوثائق السرية، كما أن هناك من تعاون مع الإنجليز ضد الحكومة، لكن هناك فريقاً منهم قتلهم جمال باشا ظلماً وحاول تبرير ذلك، هذا غير من نفى من أعيان البلاد، وقد بيّن الأمير شكيب أرسلان أخطاء جمال باشا وتهوّره في حوادث القتل والنفي التي قام بها، وأثرها في الدولة العثمانية، من وجوه: الأول: أن فريقاً منهم كان بريئاً ولم يكن ذنبه سوى وجوده في الحزب المعارض لجمعية الاتحاد والترقي، والثاني: أن فريقاً منهم لم يوجد عليهم وثائق خطية أو قرائن قطعية، وقتلهم من باب القتل السياسي! مع أن الحكم في حقهم كان السجن أو النفي، والثالث: أن فتح هذه المسألة أثناء الحرب لم يكن من السياسة ولا حسن الرأي في شيء بل حماقة أدت إلى نكء الجراح، والرابع: أن الألوف الذين نفاهم إلى الأناضول فخربت ديارهم وأمات كثيراً منهم في الغربة، لم يكن معظمهم يدري ما السياسة فضلاً عن أن يشارك فيها، فكلف الدولة بهم وزاد من نفور الناس منه. ومع هذا فكل هذه

وجعْل شرافة وإمارة مكة وراثية في أولاده، فإن استجابت الحكومة فإنه يتعهد بحشد القبائل العربية من المجاهدين بقيادة أبنائه في العراق وفلسطين، وإذا لم تقبل الحكومة فلا تنتظر منه شيئاً سوى الدعاء لها بالنصر والتوفيق.

لكن الحكومة العثمانية لم توافق على شروطه وأرسل له أنور بأن هذه الأمور الثلاثة خارجة عن اختصاص الشريف، ويلح عليه في إرسال المجاهدين إلى دمشق ليقودهم ابنه فيصل الذي سيحتفظون به ضيفاً في دمشق إلى نهاية الحرب، فرد عليه الشريف بأن المجاهدين لن يذهبوا إلى دمشق إلا بعد قدوم فيصل إلى المدينة ليقودهم[1].



الأمور لم تكن السبب الذي جعل الشريف الحسين يخرج على الدولة لأنه كان يخطط لذلك من قبل. انظر: «حاضر العالم الإسلامي» ٢: ٥٤٤، وليراجع في ذلك أيضاً: «تاريخ الدولة العثمانية» لشكيب أرسلان ص ٥١٥- ٥١٨، و«الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١: ٦٠ وما بعده، و«الثورة العربية الكبرى» لقدري قلعجي ص ١٥٣- ١٧١، و«الدولة العثمانية المجهولة» ص ٤٧٦- ٤٧٨، و«يقظة العرب» ص ٢٧٨- ٢٨١، و«مذكرات جمال باشا السفاح» ص ٢٢٩ وما بعدها، و«تاريخ الدولة العثمانية» ليلماز أوزتونا، ٢: ٢٤٧-٢٥٣.

(١) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٢٧، و«الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١: ١١١، و«مذكرات جمال باشا السفاح» ص ٢٥٢- ٢٥٤، و«الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» ١: ٨٠، و«الإشراف على تاريخ الأشراف» ص ٦١٧ — ٦١٨، و«الثورة العربية الكبرى» لقدري قلعجي، ص ١٧٨.

الثَّورَةُ العَرَبيَّةُ الكُبرى و(سَفَربَرلِك)

كانت المدينة في مستهل عام ١٣٣٤هـ تحت حكم الوالي التركي بصري باشا[١]، وفي هذه الأثناء أرسل الشريف الحسين ابنه علي إلى المدينة، للاتصال بأهلها والتجهيز للثورة، فنزل في بيتٍ جديدٍ خارج السور عند باب الشامي لم يسكنه أحد من قبل، يملكه رجل من أصدقائه يدعى مصطفى سليم، واتصل الشريف علي بأهالي العوالي وقباء والأشراف وبني علي، ورؤوس من وجهاء المدينة. وقد استجاب له الأشراف يتزعمهم الشريف شحات بن علي وأخوه ناصر، وبعض بني عمرو من أهل وادي الفُرع والريان وأبو ضُباع[٢] والفرع وعلى رأسهم أحمد بن

---

(١) هو حسن بن حسين بصري باشا، مكث فترة في اليمن ثم انتقل إلى المدينة نائباً للمحافظ بها ثلاث سنوات تقريباً، ثم عيّن محافظاً للمدينة في ١٤ صفر ١٣٢٩هـ، ومكث في منصبه حتى عام ١٣٣٥هـ، وصفه زيدان بأنه من خيرة حكام المدينة وكان ينزل في الطرقات ينظر في أحوال الرعية ولم يحبس نفسه في قصر، ويذكر كجمان أن له مقرين أحدهما عند باب القلعة يمكث فيه إلى الظهر ليدير الأمور المدنيّة، والثاني في المعسكر يدير منه الأمور العسكرية، ومن مآثره بناء قلعة جبل سلع، وفتح باب بصري وباب ضروان، وباباً في المناخة، وخرزة الماء بجانب مدرسة الأيتام. انظر: «مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية» ص ٨٦، و«ذكريات العهود الثلاثة» ص ٨٦، و«أحداث عاصرتها» ق١٣. *Kiciman, p. 436* .

(٢) وادي الفرع من أطول أودية الحجاز، ويسمى وادي بني عمرو، ويقع جنوب المدينة حوالي ١٥٠ كيلاً تقريباً، ووادي الريان هو صدر وادي الفُرع، وأبو ضُباع يقع في منتصف وادي الفُرع. «معجم معالم الحجاز» ص ٧٤٠، ١٠٢٢، ١٣١٤.



الشريف علي بن الحسين

محافظ المدينة بصري باشا وبجانبه الأمير شكيب أرسلان

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

جميعان[١]. وذكر زيدان أن المطامع هي من طوّعت ابن جميعان شيخ بني عمرو وذلك لأن بينه وبين الأشراف ثأر فقد قتل الشريف عبد الله كبيرهم بزيع بن ربيق[٢].

وقد حاول الشريف علي التدخل في بعض الشؤون الإدارية، فأرسل بصري باشا إلى الحكومة العثمانية مراراً يشكو من تصرفات الشريف علي ومن تأليبه القبائل العربية على الأتراك، فأرسل أنور باشا إلى الشريف الحسين يحذره من عاقبة تحركات ابنه، وأرسل إلى جمال باشا يأمره بالتشديد على فيصل ومنعه من مغادرة الشام[٣]، والتقى جمال باشا بأخيه الشريف فيصل في الشام وصارحه بنزعات الانفصال الملاحظة من أبيه وأخيه، فاعتذر الشريف فيصل وصرّح له بأنهم ليسوا خونة وأنه سيرسل للتفاهم معهما[٤].

وكان في المدينة آنذاك معسكر بجوار مسجد سيدنا حمزة يضم حوالي (١٥٠٠)[٥] جندي من المتطوّعة العرب الذين قدموا من مكة للاشتراك في حملة السويس الثانية التي كانت الحكومة تعد لها، بينما هم في الحقيقة كانوا جنوداً للأشراف الذين سيشعلون الثورة. وكانت الخطة أن يقود الشريف علي هذا الجيش إلى القدس للجهاد ضد الإنجليز، وقد أمر جمال باشا بإمدادهم بـ (٥٠٠) بندقية من طراز (موزر)، ومجموعة من الجمال، ومبلغ (٣٥٠٠) قطعة ذهبية، بناءً على طلب الشريف الحسين وولده فيصل[٦].

---

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٣.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٣.

(٣) «الثورة العربية الكبرى» لقدري قلعجي، ص ١٨٢، «التاريخ الشامل» ٣: ٤٤، و«مذكرات جمال باشا» ص ٢٦٤.

(٤) «مذكرات جمال باشا السفاح» ص ٢٥٨- ٢٦٠.

(٥) هكذا ورد العدد في «مذكرات جمال باشا السفاح» ص ٢٦٠، و«يقظة العرب» ص ٢٨٩، بينما ذكر كجمان أن العدد كان حوالي (٥٠٠) تقريباً. *Kiciman, P.33* .

(6) Kiciman, P.33-34.

وكانت الحكومة قد أمرت بإرسال قوات تركية مؤلفة من (٣٥٠٠) جندي من تركيا إلى اليمن لمساعدة القوات هناك[١]، وكان من المتعيّن أن تصل هذه القوات إلى المدينة حينها، وكان الشريف الحسين يسعى إلى الهجوم على هذه القوّات بمجرد خروجها من المدينة، والاستحواذ على ما بأيديهم من الأسلحة[٢].

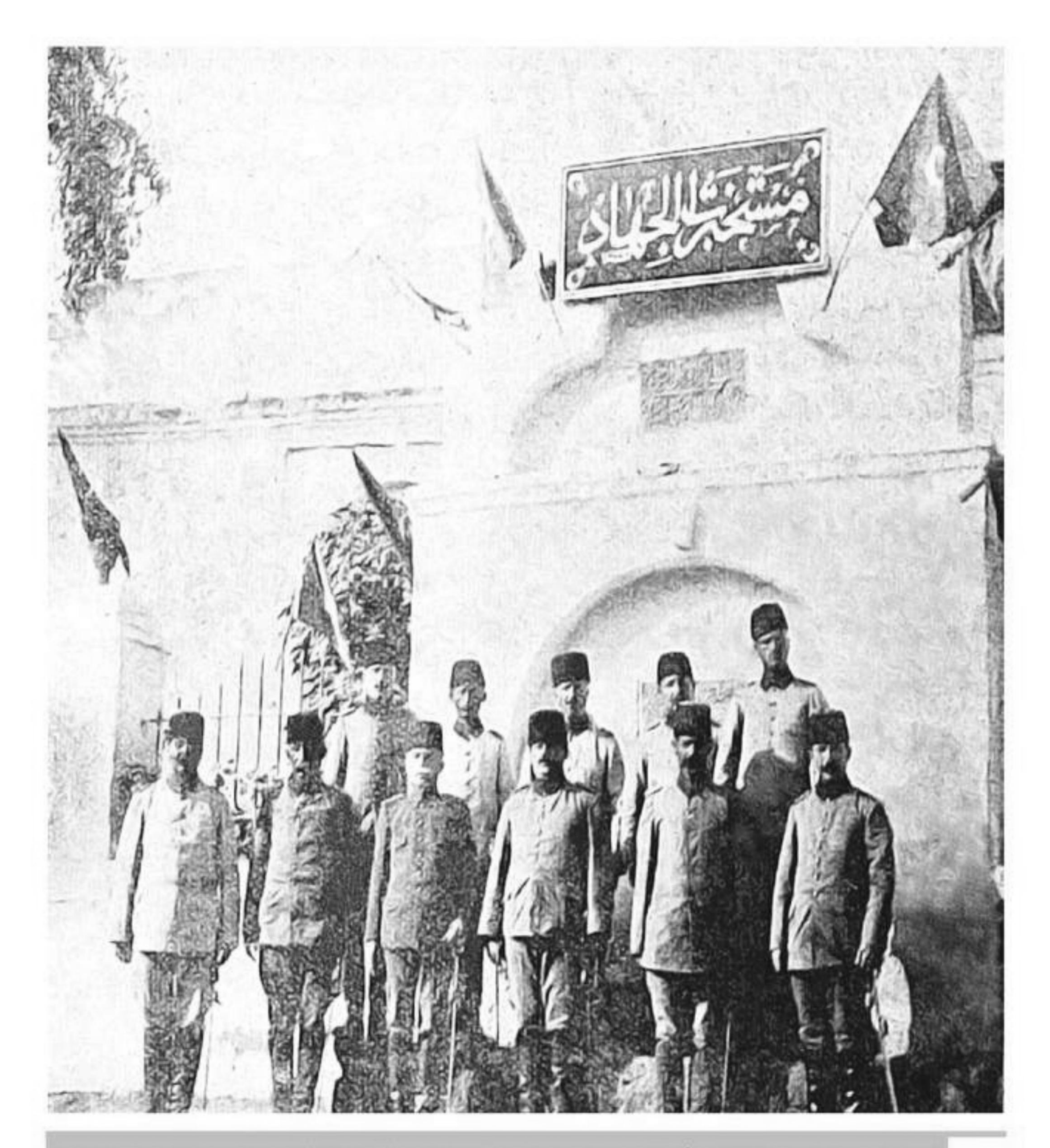
أحس بصري باشا بما يدور حوله، وكان على علمٍ بنوايا الأشراف، ففي شهر رجب سنة ١٣٣٤هـ استطاع القبض على أحد الجواسيس من الدعاة إلى الثورة، وعلم منه ترتيبات التمرد وكيفيته وأسماء الضالعين فيه وموعد بدئه، وأرسل إلى نظارة الداخلية تقريراً مفصلاً عن الوضع ومع هذا لم يفعلوا إزاء هذا التقرير شيئاً سوى أن أمروه بالتواصل مع جمال باشا قائد الجيش الرابع، ولكن جمال لم يقتنع[٣]. فعمد بصري إلى تأخير تلبية الأوامر القاضية بتسليم الأسلحة التي أمر بها جمال إلى قوات المجاهدين، فشكوه إلى جمال باشا فكان يتعلل ويقول: (إن الأسلحة قد تعفنت وأنا أقوم بصيانتها وتنظيفها). ولما وصلت مفرزة اليمن إلى المدينة استقبلها الشريف علي وبالغ في إكرام ضباطها وقال لهم: "أمرني والدي أن أمضي بكم إلى اليمن على

---

(١) كان من المفترض أن تصحب هذه القوات التركية بعثةٌ عسكرية ألمانية مكونة من أربعة ضباط وعامليْ لاسلكي ومرافقين فنيين تحت قيادة البارون أوثمار إستوتزنكن (*Baron Othmar Von Stotzingen*)، وكان هدف البعثة الألمانية إنشاء مركز لاسلكي في اليمن، وأما القوات التركية فكان من المفترض أن تنضم إلى مثيلاتها في اليمن تحت قيادة اللواء علي سعيد باشا الشركسي، الذي أراد الهجوم على عدن المحتلّة من قبل الإنجليز، وهاجم في طريقه سلطنة لحج لما أراد المرور فأبى السلطان علي بن محسن العبدلي -حليف إنجلترا- مروره، واحتل سعيد باشا سلطنة لحج، وخرج السلطان إلى عدن واستقر بها حتى نهاية الحرب. انظر: «ملوك العرب» ص ٤٢٩- ٤٣١، و«منتهى الأماني» للقعيطي ٣: ١٧٦، و«يقظة العرب» ص ٣٠٦- ٣٠٧، و«علاقة العثمانيين بالإمام يحيى في ولاية اليمن» ص ٣١٤ وما بعدها.

(٢) «يقظة العرب» ص ٢٨٥، و«مذكرات جمال باشا السفاح» ص ٢٦١، *Kiciman, p. 435*.

(٣) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٧٦-٧٧؛ *Kiciman, p. 33*.



بصري باشا وبمعيته أركان حربه وهم في مراسم افتتاح مبنى استخبارات الجهاد في المدينة المنورة.

الرحب والسعة، وأن أوفر لكم كل ما تمس إليه الحاجة لراحتكم في الطريق"، لكن بصري باشا حبس هذه المفرزة في المدينة وتعذّر بأنها لم تنه استعداداتها للخروج وأنه في سبيل توفير الجمال اللازمة لنقلها. ضغط الشريف فيصل في الشام على جمال باشا فأرسل الأوامر الكثيرة إلى بصري بتسليم الأسلحة المقرّرة إلى الأشراف، لكن بصري لم يعرْ هذه الأوامر أي اهتمام لمعرفته بالخطة المعدّة[1].

---

(1) *Kiciman, p. 34, 435.*

ويذكر جمال باشا في «مذكراته»، بأن بصري باشا أخبره أن هناك شائعةً تقول بأن البدو سيسوقون قوات مفرزة اليمن إلى شرَكٍ أُعدّ له بين مكة والمدينة، فأمر جمال باشا حينئذٍ ببقاء هذه القوات في المدينة وتدريبهم وإمدادهم بالأسلحة التي كان من المقرّر أن تعطى لجيش المتطوّعة العرب[١].

كانت الحكومة العثمانية في أشد الحاجة إلى المجاهدين المتطوعين من الحجاز، وقد ألحّ جمال باشا على الشريف فيصل أن يكتب إلى أخيه الشريف علي بالقدوم على رأس قوّات المتطوعة، ففهم الشريف فيصل بأن جمال باشا يريد أن يستدرج أخاه علياً إلى القدوم والإبقاء عليهما عنده رهينة. فأوعز الشريف الحسين إلى المتطوّعة أن يبرقوا إلى القيادة التركية برقية يبينون فيها أن المجاهدين في شوقٍ إلى الزحف وأنهم أصروا على عدم السفر إلا تحت قيادة الأمير فيصل[٢]. ويذكر جمال باشا بأن الشريف فيصل أخبره بأن أخاه علياً قد تلقى الأوامر من أبيه بالانضمام إلى جيش سيناء وأن فيصل يرغب في الاستئذان ليجيء بأخيه من المدينة، فوافق جمال باشا مع علمه بأنها حيلة من الشريف فيصل للتخلص من قبضته[٣].

وحينها صدر أمرٌ بإرسال الأمير فيصل إلى الحجاز، حتى يصطحب المجاهدين إلى الشام، فتحرك الأمير فيصل من دمشق في ١٣ رجب سنة ١٣٣٤هـ[٤].

فخري باشا في المدينة المنورة:

في هذه الأثناء اختار جمال باشا أحد قادته المشهورين بالحزم للسفر إلى المدينة، وهو القائد فخر الدين عمر بن محمد ناهد بن عمر تُرك

(١) «مذكرات جمال باشا السفاح» ص ٢٦١- ٢٦٢.

(٢) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١: ١١٤- ١١٥، و«الثورة العربية الكبرى» لقدري قلعجي ص ١٨٢.

(٣) «مذكرات جمال باشا السفاح» ص ٢٦١.

(٤) «يقظة العرب» ص ٢٨٨.

خان[(١)]؛ المعروف بفخري باشا، وأمره بالسفر إلى المدينة في ٢٠ رجب سنة ١٣٣٤هـ، لمراقبة الأوضاع ومساعدة بصري باشا في الإشراف على جميع الأمور العسكرية، فوصل المدينة المنورة في ٢٨ رجب سنة ١٣٣٤هـ[(٢)]، ووصلت معه أول سيارة تدخل المدينة وهي سيارته الخاصة[(٣)].

يشير جمال باشا في مذكراته إلى أنه كان متوقعاً ثورة الشريف الحسين، فيقول: "وبعد أن غادرنا الشريف فيصل بصحبة رجال معيته، رأيت من باب الاحتياط أن أرسل فخري باشا إلى المدينة، وكان دونَ سائر قوّاد الفرق القائد الوحيد الذي تحت قيادتي. وكان مشهوراً بوطنيّته وثباته، فشرحت له الحالة ورأيي فيها،

---

(١) ولد سنة ١٨٦٨م في روسجوق (*Rusçuk*) التابعة لولاية ألطونة من بلاد بلغاريا، من أسرة عرفت باسم: ترك خان (*Turkkan*)، ووالده محمد ناهد كان مدير عام مصلحة البرق والبريد في ألطونة، وأما جده عمر آغا فكان رئيس الطوبجية في جيش النظام الجديد. تخرج في الكلية الحربية بإسطنبول سنة ١٨٨٨م، وكان الأول على زملائه، ثم التحق بمدرسة ملازمي الفرسان ومدرسة أركان الحرب وتخرج فيها يوزباشي أركان حرب سنة ١٨٩١م، وعمل مدرّساً بمدرسة أركان الحرب في الجيش الرابع بأرزنجان، وفي عام ١٩٠٨م عيّن وكيلاً لرئيس أركان حرب الجيش الرابع، ورئيساً لمحاكم الإدارة العرفية التي كلفت بالتحقيق في تمرد الروم بإسطنبول، ثم رئيس أركان الفرقة النظامية الأولى بإسطنبول، ثم شارك في حرب البلقان (١٩١٢ - ١٩١٣) وتولى قيادة إحدى الفيالق العسكرية، وفي الحرب العالمية الأولى عيّن قائداً لأحد الجيوش المنطلقة من الموصل إلى حلب، ثم عيّن وكيلاً لقائد الجيش الرابع في سوريا = جمال باشا، وكلّف بعد ذلك بالسفر إلى المدينة المنورة ليستلم قيادة قوة حملة الحجاز سنة ١٣٣٤هـ ومحافظة المدينة المنورة سنة ١٣٣٥هـ، وارتقى إلى رتبة فريق، وبعد تسليم المدينة اعتقل في مصر ونفي إلى مالطا سنة ١٣٣٧هـ مدة ثلاث سنوات، وأفرج عنه سنة ١٣٤٠هـ، وشارك في عدة مناصب سياسية وإدارية، وأخيراً عُيّن سفيراً لتركيا في كابل بأفغانستان سنة ١٣٤١هـ مدة أربع سنوات، وكانت وفاته في ٢٣ محرم ١٣٦٨هـ ودفن في قلعة (روملّي حصار) بإسطنبول في تركيا بناءً على وصيّته. انظر: *Kiciman, p. 20-27*.

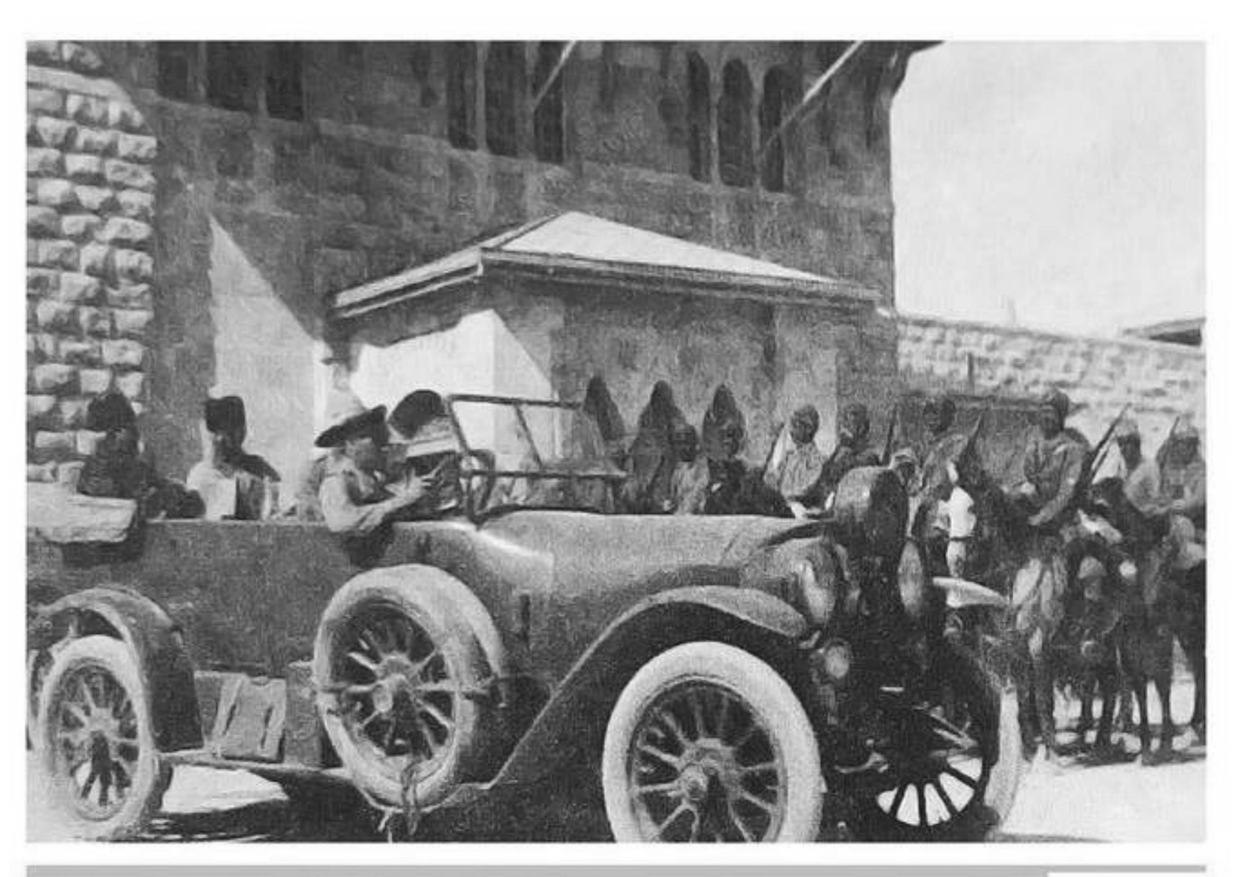
(2) Kiciman, p.23.

(٣) «التاريخ الشامل» ٣: ٤٦.



فخري باشا يغادر الشام على رحلته إلى المدينة

(المرجع: *Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir*)



فخري باشا في دمشق مع عزت باشا

(المرجع: *Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir*)

وأخبرته بأنني متوقع أن يثور الشريف، وأن يرتّب مع بصري باشا وسائل الدفاع اللازمة إذا احتاج إلى ذلك. وكان بصري باشا حاكم المدينة بلا ريب مقداماً أميناً شديد الغيرة الوطنية، ذا دراية تامة بعقلية العرب، بيْد أنه لم يكن ذا تجارب حربية، مما جعلني أخشى ألا يعمل بالشجاعة والحزم اللذين يستلزمهما الموقف العصيب.

وأعطيت كلاً من بصري باشا وفخري باشا التعليمات السرية نفسها، وهي تقتضي بأن يستلم فخري باشا عند أول إنذارٍ بقيام الثورة [تحت] قيادة أولاد الشريف، وأن يقوم بصري باشا بأعباء الإدارة الملكية، وكنت على يقينٍ تام بأنه لن يحدث أي خلاف في ذلك الوقت بين هذين التركيين الباسلين اللذين غلب عليهما حب الوطن فيهما على كل عاطفة أخرى" [١].

لم تأخذ زيارة فخري باشا للمدينة طابع الرسمية، بل أخذت طابع الاعتيادية تحت غطاء ومسمى زيارة القبر النبوي الشريف وخدمة الحرم النبوي [٢]، خوفاً من أن يثير مقدمه شكوك الأشراف، وإلى ذلك يشير فريدون قاندمير [٣] فيورد في كتابه أن الحكومة التركية كانت على معرفة بنوايا التمرّد من قِبل الأشراف، فأرسلت

(١) «مذكرات جمال باشا السفاح» ص ٢٦٢.

(2) kiciman, p. 435- 436.

(٣) ولد في إسطنبول سنة ١٨٩٦م، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة العرفان، والمتوسط في المدرسة الإعدادية النموذجية بإسطنبول، والثانوي في المدرسة الفرنسية سانت ميشيل بإسطنبول. والتحق بكلية الحقوق، وفي السنة الثانية قامت الحرب فأرسل إلى الجبهة الحجازية سنة ١٩١٦م، وعمل في الهلال الأحمر، ثم عاد إلى تركيا وأدار صحيفة له في أنقرة، واستدعاه مصطفى كمال أتاتورك وعينه مديراً لمطبعة المجلس القومي الكبير، ثم عين مديراً الاستخبارات، وجال في عدة مدن، وعمل في وزارة الخارجية في إيران والحجاز. وكان صحفياً وأنشأ مجلة وهو طالب في كلية الحقوق، وله العديد من المقالات في الصحف. لم أقف على تاريخ وفاته. انظر:

Medine Mudafaasi, Feridun Kandemir, 477.



فريدون قاندمير باللباس العربي

المرجع: *Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, (Feridun kandemir*

فخري باشا إلى المدينة المنورة بحجة الزيارة النبوية وخدمة الروضة المشرفة، وليس في مهمة رسمية ظاهرة، حتى لا ينتبه الأشراف إلى ذلك، فإن حدث أمرٌ ما من الأشراف فإن فخري باشا سيتولى القيادة في المدينة. وبالفعل فإن فخري في بداية أمره كان يخدم كل صباحٍ في الروضة المشرفة، ويلف على نفسه كفناً، وعلى رأسه عمامةً بيضاء، ويمسح الحجرة المشرفة[1].

وأما نص البرقية المشفرة التي أرسلها جمال باشا إلى فخري باشا، يذكر له فيها مهامه التي بعثه لأجلها، فهي: "سأعهد إليك بمهمة هي غاية في السرية، وأذكر لك خلاصتها، وذلك أن شريف مكة سيرسل حوالي (١٠٠٠) جندي من الهجّانة للاشتراك في حملة السويس، وقد وصل إلى المدينة من هذه القوات (٦٠٠) جندي، وقد أرسلت الشريف فيصل إلى المدينة بصحبة هيئة خاصة لاستقبال

(1) *Kandemir, p.46-47.*

المجاهدين نيابةً عني، وإرسالهم إلى مواقع الجهاد، كما أن ابن شريف مكة الآخر علي بك في المدينة منذ شهرين، وبصحبته حوالي (٥٠٠) إلى (٦٠٠) جندي عدا قوات المجاهدين.

ولما تدخّل علي بك في الشؤون الإدارية بالإمارة، ساءت العلاقة بينه وبين محافظ المدينة بصري باشا، وكنت قد حذرت علي بك من التدخل، فتأثر الشريف حسين باشا من تحذيري لابنه وطلب أن أرسل له ابنه فيصل، فامتنعت ثم وافقت حتى تتبين الأمور. كما أمرت بصري باشا بأن يحتفظ بالمفرزة التي قدمت المدينة متجهة إلى اليمن لحين صدور أوامر أخرى، وقد أرسل بصري باشا يخبرني بشكوكه حول تصرفات الشريف علي، وأنه يؤلب القبائل العربية ضد الحكومة العثمانية جهاراً، وينتظر خروج مفرزة اليمن من المدينة.

وإنني أرى أن أمير مكة الشريف حسين باشا لن يجرؤ على القيام بعمل مخالف للحكومة، وإذا حدث أمر مثل هذا أو امتنع عن إرسال المجاهدين بأعذار متنوعة، حينئذ ستنفذ الحكومة أمرها جبراً، وإنني أعهد إلى يديك الخبيرتين بهذه المهمة.

فاذهب إلى المدينة وخذ معك القدر اللازم من الرجال في معسكرك كأنك تريد التفتيش في الخطوط الحديدية ومنطقة العقبة، وادخل المدينة على هيئة زائر كأنك قد مررت بها صدفة، ولا تقدم على فعل شيء، ودبّر أمور كتيبتك من المدينة، حتى تتحرك قوات المجاهدين ويقدم الشريف فيصل، حينذاك سأصدر أمري بتحرك مفرزة اليمن من المدينة، وبقدومك إلى الشام. وإن استدعت الضرورة استخدام القوة، فإن جميع القوات المسلحة تحت قيادتك، فانهض بالمهمة بكل قوة وحزم وتوكل على الله سبحانه وتعالى.


فخر الدين باشا

وسأصدر أوامري لمحافظ المدينة بوضع قيادات الجيش تحت إمرتكم عدا قوات الشرطة وذلك لفترة مؤقتة. كما أني أرى أن تقف بنفسك أثناء تطبيق جميع القوانين اللازمة سواء على الجنود أو الضباط أو مفرزة اليمن"(١). انتهى بتصرف.

وخلال هذه المدّة تنبّه فخري إلى محاولات الأشراف، فكتب إلى جمال باشا يخبره بأنه تحرّى عن الوضع وأن ما كتبه له بصري باشا حول عزم الشريف الحسين على التمرّد صحيح، وأنه ينبغي أن يصدّق ذلك(٢).

وعلى الرغم من أن كلاً من بصري باشا وفخري باشا قد بلّغا جمال باشا بضرورة السماح لهما بالقبض على الأخوين الشريفين علي وفيصل حتى يفشلا خطة الثورة، إلا أن جمال باشا تجاهل طلبهما، بل أرسل إلى والي الحجاز غالب باشا يخبره عن الوثائق التي عثر عليها بصري حول الثورة، لكن غالب باشا كتب إلى جمال باشا:

(1) *Kandemir, p. 37 - 39.*

(2) *kiciman, p. 23.*

"إنه ليس هناك أدنى شك في سموّ الأمير، ومن المستبعد وقوع حركة عصيان مثل هذه، وإن هذه المعلومات المتحصل عليها في هذا الصدد لا نصيب لها من الصحة، ولا أساس لها في الواقع، وإن الشريف الحسين يدين بكامل الولاء والطاعة لمقام الخلافة العظمى، ولا يفتر عن الدعاء بالخير للسلطان ودوام عمره وازدياد شوكته".

واستناداً إلى ما كتبه غالب باشا أمر جمال باشا بعدم التحرك بأي شكل من الأشكال ضد أبناء الشريف ما لم يبدأ الأشراف بثورتهم، وتوعّد من يخالف أوامره بأشد العقاب(١).

في هذه الفترة حاول الأشراف دعوة القائدين بصري باشا وفخري باشا إلى وليمة في مقرّ معسكر المتطوّعة بجوار سيدنا حمزة، وكانت الخطة تتضمن القبض عليهما، ففطن لذلك بصري باشا واعتذر باعتلال صحته، ورجا من فخري باشا أن يعتذر عن تلبية الدعوة لكن فخري أصر على التلبية، فبقي بصري باشا على رأس القوات التركية، الأمر الذي أحبط حيلة الأشراف(٢).

كان فخري باشا يشغل وقتها منصب وكيل قائد الفيلق الرابع، المرابط في سوريا، ثم عيّنه جمال باشا سنة ١٣٣٤هـ في منصب: (قائد قوة حملة الحجاز) وتشمل جميع القوات القادمة من الشمال، مع القوات التي في المدينة، وفي عام ١٣٣٥هـ عُيّن محافظاً للمدينة المنورة مكان بصري باشا.

إعلان الثورة العربية الكبرى :

وبعد أن أخذ الشريف الحسين المواثيق من الإنجليز، عقب المفاوضات التي

---

(1) *kiciman, p. 35- 36.*

(٢) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٧٦-٧٧، *Kiciman, p.34- 35*.

كانت بينهما، قابل الشريفان علي وفيصل فخري باشا يوم ٢٧ رجب ١٣٣٤هـ وأطلعاه على صورة برقية أرسلها أنور باشا إلى والدهما يتوعده فيها، ويطلب منه إرسال المتطوعين، واستأذن الشريف علي من فخري أن يذهب إلى والده في مكة تبعاً لأمره، وأن يبقى الشريف فيصل، فودع علياً فخري باشا والمحافظ بصري باشا، وخرج معه أخوه لوداعه إلى بئر الماشي، ومن هناك خرجا من المدينة في ٣٠ رجب ١٣٣٤هـ[١]، وتركا لفخري عدة رسائل[٢]، وفي هذه الحادثة يقول جمال باشا:

"وبينما أنا ببيروت في اليوم الثاني من حزيران زائراً إذا بفخري باشا يدعوني من المدينة لمحادثتي تلفونياً، فوقع في نفسي أنه سيفضي إليّ بأخبار سيئة، فقلت له: هات ما عندك، فقال: من يوم وصولي إلى هنا ما زالت علاقاتي حسنة مع كل من الشريف علي وفيصل بك، وقد دعواني منذ يومين لزيارة مقام سيدي حمزة حيث هناك معسكر المجاهدين، فتغدينا معاً وجعل المتطوعون يلعبون ألعاب سكان البوادي وأخذوا يترنمون بالأغاني الحماسية والضربات القاصمة التي سينزلونها بالإنجليز، وفي مساء الأمس دُعيت إلى منزل علي بك وفيصل بك، وكان قد تقرر أن نذهب إلى درعا لمشاهدة أول كتيبة من المجاهدين، ولكنني صباح اليوم رأيت الحالة قد تغيرت تغيراً غريباً، فقد جاء إليّ أحد رجال الشريف علي ودفع إليّ ثلاثة خطابات، الأول لي والثاني من الشريف الحسين لك، والثالث منه أيضاً

---

(١) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٢٩، و«تاريخ مكة» ص ٦٠٦، و«الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١: ١١٦- ١١٧.

(٢) ذكر نسيب بك البكري أنه استلم من الأتراك في هذا اليوم ١٨ ألف بندقية و٢٠ ألف ليرة عثمانية ذهباً كما جاء في كتاب: «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١: ١١٨، لكن الضابط ناجي كجمان نفى ذلك رداً على ما جاء في مذكرات رضا نور «حياتي ومذكراتي» حيث ذكر أن فخري باشا سلّم الشريف فيصل ٣٠ ألف بندقية، وذكر كجمان أن فخري لم يعطه قطعة واحدة. *Kiciman, p.436* .

للصدر الأعظم ... أما الكتاب المرسل إليّ فقد كتب علي بك فيه ما نصه: "بناءً على الأوامر الصادرة من أبي سيقف نقل المتطوعين إلى فلسطين"، ولهذا عقدت النية على العودة بالمجاهدين إلى مكة، بدلاً من ضياع الوقت هنا، وإني لآسف لاضطراري إلى الرحيل دون أن أودعك فالمرجو قبول عذري"(١).

وهكذا استطاع الشريفان أن يخرجا من المدينة، وكان من المقرر أن يعلنا حركة الثورة داخل المدينة في ٢٣ مايو ١٣٣٢رومي= ٣ شعبان ١٣٣٤هـ لكن وجود مفرزة اليمن في المدينة أدى إلى تأخرهما يوماً واحداً حتى يتسنى لهما الخروج من المدينة(٢)، ثم أعلنا انطلاق الثورة العربية ضد الحكم العثماني التركي في ٤ شعبان سنة ١٣٣٤هـ، وذلك قبل الانطلاقة الكبرى للثورة العربية بمكة المكرمة التي كانت في ٩ شعبان ١٣٣٤هـ، وحوصرت المدينة في نهاية المطاف من ثلاث جهات:

١. الجيش الشمالي(٣): بقيادة الأمير فيصل، ومقره بئر درويش(٤) غربي المدينة، ومهمته إشغال فخري باشا ومنعه من بلوغ ينبع.
٢. الجيش الجنوبي: بقيادة الأمير علي، ومقره في رابغ لمنع العثمانيين من الزحف إلى مكة.
٣. الجيش الشرقي: بقيادة الأمير عبد الله، ومقره العيص، ومهمته تخريب سكة الحديد بين الشام والمدينة(٥).

---

(١) «مذكرات جمال باشا السفاح» ص ٢٦٣.

(2) *Kiciman, p. 36.*

(٣) الجهة المعنيّة في مسميات الجيش إنما يقصد بها الجهة التي يتقدم منها الجيش إلى المدينة، وليس جهة مقرّ المعسكر الأصلي.

(٤) هي المعروفة اليوم بـ (الفريش)، وتقع غرب المدينة المنورة بنحو ٤٠ كيلاً، وسميت ببئر درويش نسبة إلى رجل يدعى درويش الصبحي من بني صبح من حرب. «معجم معالم الحجاز» ص ١٥٣.

(٥) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١ : ٢٢٠، و«الإشراف على تاريخ الأشراف» ص ٦٥٩.

وأما القوات التركية فكانت مؤلفة من عدة قوات مجموعها يبلغ ٢٣٣٠٠ جندي، يقودها ٦٠٠ ضابط، وقسمت على الشكل التالي:

١. قوة المدينة الداخلية: وتتألف من فوجي مشاة، ورشاشات ومدفعية.

٢. قوة بئر درويش: وتتألف من خمسة أفواج مشاة وسريتين راكبتين، ومدافع جبلية و٤ طائرات.

٣. قوة بئر روحاء[(١)]: وتتألف من هجانة وقوة من عرب شمر، و٥ مدافع، ومفرزة لاسلكي[(٢)].

الميول السياسية لدى أهالي المدينة:

اشتعلت الحرب بين الأشراف والأتراك، وعانت المدينة معاناة هي الأشد في تاريخها، ويهمّنا هنا ما حدث في المدينة المنورة من الداخل، ودور علماء المدينة وأهاليها وحالتهم الاجتماعية في هذه المأساة، مما لم يعتنِ به أحدٌ ممن كتب في الموضوع، أما التاريخ السياسي والمعارك والأخبار فقد تناولتها كتب المؤرخين فلتراجع في مظانها[(٣)].

انقسم علماء المدينة المنورة وأهلوها إلى قسمين، أحدهما كان يرى أن ثورة

---

(١) هي قرية صغيرة تقع على بعد (٧٣) كيلاً غربي المدينة، وقد مرّ عليها النبي ﷺ في خروجه من المدينة إلى بدر، وبها بئر ورد ذكرها في السيرة النبوية، ولا تزال هذه البئر عامرة حتى اليوم، وقد أدرجت حديثاً ضمن مواقع التاريخ الإسلامي في هيئة السياحة والتراث الوطني بالمملكة العربية السعودية.

(٢) «الثورة العربية الكبرى» لقدري قلعجي ص ٢٤١.

(٣) ينظر في ذلك: كتاب «الثورة العربية الكبرى» لقدري قلعجي، و«الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد، ، و«الآثار الكاملة» للملك عبد الله بن الحسين، و«مذكرات نوري السعيد»، و«المعارك الأولى، الطريق إلى دمشق» لصبحي العمري، و«أعمدة الحكمة السبعة» لتوماس لورنس، و«الدفاع عن المدينة» لناجي كاشف كجمان.



ناجي كاشف كجمان

(المرجع: *Medine Mudafaasi: Naci Kasif Kiciman*)



الشيخ عمر بري.

(المرجع: طيبة وذكريات الأحبة)



الشيخ محمد الخضر الشنقيطي.



الشيخ يوسف خشيرم

الشريف الحسين خروج على الخلافة العثمانية، وإسقاط لها وخيانةٌ عظمى، ومن أولئك فئة كبيرة من العلماء والوجهاء منهم: العلامة الشيخ محمد الألفا هاشم، والشيخ عبد القادر توفيق الشلبي، والسيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي، والشيخ محمد بن أحمد العمري، والسيد حمزة بن عبد القادر غوث، والسيد أحمد بن صافي الجفري، والسيد حسين أحمد المدني، والسيد محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ عبد الرحمن بن أحمد إلياس وغيرهم.

في حين أن هناك فئة أخرى ناصرت الشريف الحسين، ورأت أن الثورة فيها عزة للعرب، وتخلص من الطغيان العثماني، ممثلاً في حزب الاتحاد والترقي، وعصبيّته للطورانية والعرق التركي، ومن أولئك: الشاعر الشيخ عمر بن عبد المحسن الكوراني، وأخوه عبد الحفيظ الكردي، والشيخ الشاعر علي بن عبد الله الطيب، والشيخ زين بن عثمان بري، والسيد أحمد بن مصطفى صقر وأخوه السيد حمزة، والشيخ الطيب السوسي، والشيخ عمر بن إبراهيم بري، والشيخ محمود بن علي شويل، والشيخ يحيى بن محمد سعيد دفتردار، وكذلك الشيخ العلامة محمد الخضر مايابى الشنقيطي وكان من المحسوبين على الأشراف،

ومعهم أيضاً من كبار المدينة الشيخ يوسف بن علي خشيرم، والشريف شحات بن علي الحسيني، وغيرهم.

وقد نبّه الإنجليز إلى هذا الانقسام بين أهل المدينة في تقريراتهم كما يتضح جلياً في برقية مكماهون الإنجليزي إلى وزارة خارجية بريطانيا[١].

والذي ينظر إلى تلك الأحداث في ذلك الزمان سيجد أن الأمر كان مربكاً ومحيّراً من نواحٍ عديدة، وكل الفِرق قد اتخذت من العاطفة الدينية سبيلاً إلى تحقيق مقاصدها، وربما كان الظرف القائم حينذاك أصعب من تفسيرنا له في أيامنا هذه، لذا حصل هذا الخلاف بين العلماء.

موقف العرب وعلماء المسلمين من الثورة:

اختلفت نظرة العلماء للثورة بناءً على تغيّر مجريات الأمور حينها، ففي الوقت الذي يصدر علماء الأقطار فتاواهم في الاستنكار، كان هناك علماء آخرون يؤيدون ما يحدث، ومن ذلك أن كباراً من علماء مكة المكرمة أصدروا منشوراً يخاطبون فيه العالم الإسلامي، ويذكرون فيه صحة موقف الشريف الحسين، ومخالفة الاتحاديين للشريعة الإسلامية، ومما جاء في المنشور:

"أما نحن فقد علمنا علم اليقين أن تلك الفئة المتغلّبة قد عصت الله معصية عامة لم يخفف فظاعتها نصح الناصحين، ولم يدرأ عواقبها المسيئة عن البلاد وأهلها ردع الرادعين ... ونكتفي بتكليف إخواننا المعترضين أن يرسلوا من يعتمدون عليهم إلى الأستانة عاصمة الاتحاديين ليشاهدوا بأعينهم كما شاهد كثير منا بأنفسهم وجود المخَدَّرات من المسلمات التركيات موظفات في دوائر البريد والماليّة بوظائف الرجال بكمال البهرجة والزينة والجمال، سافرات الوجوه يقابلن كل من يأتي إليهن من الرجال على اختلاف أجناسهم لقضاء أشغالهم، فما قول أرباب الدين والحميّة

---

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٢ : ٣٣٣.

المعترضين علينا بلا رويّة؟!". ثم تطرقوا إلى مسألة الخلافة وتساءلوا: "ماذا يقول العالم في بني عثمان الذين يزعمون أنهم خلفاء المسلمين مع أنهم كانوا في أحقاب كثيرة ألعوبة في أيدي الإنكشارية" إلى آخر ما جاء في الخطاب.

وقد وقّع عليه أكابر من علماء مكة المكرمة ومنهم المشايخ: محمد صدقة عبد الغني وكيل مفتي الحنابلة، ومفتي المالكية محمد عابد المالكي، ومفتي الشافعية السيد عبد الله الزواوي، وقاضي القضاة الشيخ عبد الله سراج، وشيخ الخطباء بالحرم المكي أحمد أبو الخير مرداد، وعبد الكريم الناجي، ونقيب السادة السيد محمد السقاف، وأمين الفتوى درويش عجيمي، وعلي بابصيل، والسيد عباس بن عبد العزيز المالكي، وعبد الله أبو الخير مرداد، ومحمد أمين مرداد، والسيد محمد المرزوقي، وعلي المالكي، ومحمد جمال المالكي، وعبد الرحمن خوقير، وجعفر لبني، وأسعد بن أحمد دهان، وأحمد بن عبد الله القاري، والسيد محمد هاشم مجاهد، وسالم شفي، ومحمد علي سراج، والسيد محمد طاهر الدباغ، وأحمد بن عبد الله ناضرين، وخليل بن إبراهيم عجيمي، ومحمد بن كامل سندي، وعبد الرحمن بن سليمان قاضي، ومحمد علي بلخيور، والسيد أحمد السقاف، وحسن اليماني، وسعيد بن محمد اليماني، وعبد الله بن أحمد المغربي، وعبد الله بن عباس جداوي، وحامد بن عبد الله القاري، ومحمد بن سالم عجيمي، والسيد أحمد بن عبد العزيز المالكي، والسيد محمد بن صالح بن عقيل[١].

ومن جهة أخرى، فقد أصدر كبار علماء الشام فتوى تدين ثورة الشريف الحسين، وكان مما جاء فيها قولهم: "هذا وإن ما فعله الشريف الحسين أمير مكة السابق من الخروج على أمير المؤمنين وإمام المسلمين محمد رشاد خان ...، مخالف للقرآن العظيم ولسنة النبي الكريم ﷺ، كما أن التجاءه للإنجليز ألدّ أعداء الدولة والملة ورفعه لأعلام ذلك العدو على أرجاء البلد الأمين موجب لسخط

---

(١) «جريدة القبلة» ع ٢٧، ص ١-٢

الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، ونفرة عموم المسلمين، وهو مخدوع بالمواعيد الكاذبة، والأضاليل الباطلة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

ووقع على هذه الفتوى ٢٩ عالماً من علماء دمشق منهم: محمد أبو الشامات، ومحمد عطا الله الكسم، والسيد أبو الخير عابدين، ومحمد صالح قطنا، ومحمد توفيق السيوطي، وإبراهيم خليل الأيوبي الأنصاري. كما وقع عليها ٥٢ عالماً من علماء حلب وبيروت وبقية ألوية الشام، ومنهم: محمد توفيق خالد، ومصطفى الغلاييني، وعبد الرحمن الحوت، وعبد المجيد الفاخوري، وعلي العالم، وعبد الرحمن الحجار، وعبد السميع الكردي، ومحمد الزرقا، ومحمود اللبابيدي، وعبد الله الجزار، وبدر الدين الكيلاني، وعبد الحميد كرامة، وطاهر أبو السعود، وكامل الحسيني، وغيرهم[١].

وأما في الهند فكان أغلبية علماء المسلمين ضد حركة الشريف الحسين، وعدّوها ثلماً لوحدة الإسلام وخروجاً على سلطته، وعقدوا عدة اجتماعات كان من أبرزها اجتماع في مدينة (لكنو) في ٢٥ شعبان ١٣٣٤هـ، لمناقشة الأمر والتنديد بهذا الفعل[٢].

كما شاركهم ردة الفعل معظم علماء المغرب العربي وكتابهم من العرب سواء في ليبيا أو تونس أو الجزائر أو المغرب الأقصى، وشنت الصحافة المغربية حملات قوية ضد الثورة كما فعلت مجلة المغرب والمستقبل، وأنكروا على الشريف الحسين محاولة سعيه وراء الخلافة[٣].

---

(١) «الشريف حسين والخلافة» ص ١٠٥- ١٠٦.

(٢) «يقظة العرب» ص ٣٠٢، و«الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ١ : ٥٨٣.

(٣) «موقف البلدان المغاربية من مسألة الخلافة» ص ٧٠- ٧٥، و«الشريف حسين والخلافة» ص ١٠٦.

وعلى أية حال فإن صدى الثورة أثّر في أحوال الناس في العالم الإسلامي بين مؤيّد ومعارض، وكذلك كان الحال في جزيرة العرب، فعلى الرغم من تذمر معظم العالم الإسلامي إلا أنها لاقت تأييدَ كثيرٍ من زعماء الجزيرة، وقد اتّضح ذلك في عقد (دربار)[1] الذي عُقد من قبل الحكومة البريطانية الهندية في الكويت في ٢٤ محرم سنة ١٣٣٥هـ، وحضره حوالي ١٥٠ زعيماً عربياً من وسط وشرق وشمال شرق الجزيرة العربية، وأبدوا تأييدهم للثورة، وممن حضره الملك عبد العزيز آل سعود، وأمير الكويت الشيخ جابر بن مبارك الصباح، وشيخ المحمرة[2] الشيخ خزعل بن جابر الكعبي وغيرهم[3]. وكان ممن انضم إلى راية الإنجليز أيضاً السيد محمد بن علي الإدريسي حاكم عسير، وسلطان لحج علي بن محسن العبدلي، وغيرهما.

بينما استمرّ إمام اليمن يحيى بن محمد حميد الدين، وأمير حائل سعود بن عبد العزيز آل رشيد على موالاتهما للدولة العثمانية، وسنأتي على ذكر موقف الملك عبد العزيز آل سعود والأمير سعود آل رشيد بشيء من التفصيل في موضعه.

وأما القبائل العربية فقد انضمّت معظمها إلى الثورة، لكن هناك قبائل من حرب وجهينة وبلي حالفت الأتراك، ومن زعمائهم أمير رابغ الشيخ حسين بن مبيريك الغانمي الحربي، وشيخ مشايخ بلي سليمان بن رفادة البلوي، وسنأتي على بعض أحوالهم.

---

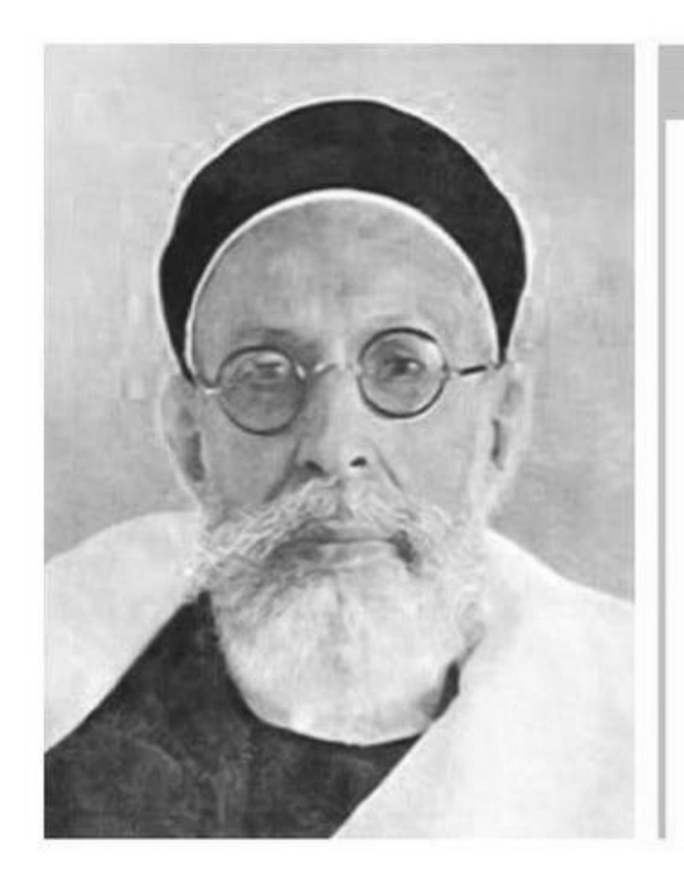
(١) كلمة فارسية تعني بلاط السلطان، وتطلق على التجمع الرسمي الذي كانت تقوم الحكومة البريطانية بعقده من حينٍ لآخر في مناسبات في غاية الأهمية. انظر: «منتهى الأماني» ٣: ١٧٥.

(٢) المحمرة مدينة تقع في جنوب غرب إيران، وتعرف اليوم باسم: خرمشهر، وكانت إمارة عربية لبني كعب.

(٣) «يقظة العرب» ص ٣٠٢، و«منتهى الأماني» ٣: ١٧٥.

فخري باشا مع رجال من قبيلة الأحامدة من حرب.

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



الملك محمد إدريس السنوسي



من اليمين جمال باشا ثم السيد أحمد الشريف السنوسي ثم الشريف علي حيدر باشا ثم أنور باشا ثم عمر الفاروق بن الخليفة عبد المجيد.
(المرجع: Prince of Arabia)

ولما كان كثير من قبائل حرب في الحجاز ينتسبون إلى الطريقة السنوسية[1] فقد حاول السيد محمد إدريس بن المهدي السنوسي -ملك ليبيا فيما بعد- أن يستميل

(١) كان للطريقة السنوسية فضل كبير على القبائل العربية في الحجاز، فقد أنشأت أكثر من ١٣ زاوية ونشرت بينهم العلم ومبادئ التعليم في هذه الزوايا، قال اللواء محمد صادق باشا يتحدث عن القبائل الحجازية في رحلته سنة ١٢٩٧هـ والمسماة بـ «دليل الحج» ص ٦٨: «ولهم مساجد وفقهاء يعلمون أولادهم الكتابة وقراءة القرآن العظيم، ولا يجتمعون للذكر وطريقتهم سنوسية جهرية»، وقال سنوك هورخرونيه الهولندي في «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» ٢: ٤٠٥: "وفي مدن غرب الجزيرة العربية يقدر الناس كثيراً هذه الطريقة، وفي مناطق الحجاز المأهولة بقبائل حرب وغيرها من قبائل البادية تؤدي دوراً بارزاً ومهماً، لأن هذه الطريقة نجحت في ضم بعض أفراد هذه القبائل إلى صفوف أتباعها"، وجاء في الكتاب الذي نشرته الحكومة العثمانية سنة ١٣٣٤هـ والمسمى «أبو جهل القرن الرابع عشر» ص ١٨: "أن انتشار الطريقة السنوسية المباركة بين العربان، وخصوصاً قبائل حرب وتفشيها بين الأشراف تدريجياً يخيف الأمير الطامع".

عرب حرب إلى الجهاد ضد الإنجليز في مصر[1]، وذلك أثناء أداء فريضته سنة ١٣٣٣هـ، وعقد لقاءين واسعين مع شيوخ حرب أحدهما في المدينة والآخر في مكة، لكن تزعم الوثائق الإنجليزية بأن هذه القبائل رفضت هذا الأمر بالإجماع بحجة أن الإنجليز لم يضروهم بشيء، وأن الظلم كله من الأتراك![2]. وقد أشار مكماهون الإنجليزي إلى تأثير السيد أحمد الشريف السنوسي على القبائل في إحدى رسائله إلى الشريف الحسين وقال: "وقد يسرني أن أبلغ دولتكم أن العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد أحمد السنوسي وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الألمان والأتراك قد ابتدؤوا يعرفون خطأهم وهم يأتون إلينا وحداناً وجماعات يطلبون العفو"[3].

ويذكر فريدون قاندمير التركي أن العرب لم يشتكوا أبداً من الحكم العثماني، وأن المشاركين في التمرد كانوا جماعات من القبائل العربية: جهينة، وحرب، وبلي، وأن الشريف استغلّ جهلهم واستمالهم بالمال بمساعدة لورنس العرب، وأن أهل المدينة ومكة وجدة لم يشاركوا في التمرّد إلى زمن الثورة، ولم يُر في الحجاز والشام والعراق واليمن أي متمرد على الحكم العثماني، إلى غير ذلك[4]،

(١) كان السنوسيون يتبعون الدولة العثمانية، ومنذ دخل الطليان ليبيا سنة ١٣٢٩هـ كان السيد أحمد الشريف السنوسي في ليبيا يقود المعارك تلو المعارك ضد إيطاليا التي انضمت إلى دول الحلفاء، وقد انضمّ معه في هذه الحرب القائد أنور باشا، ومصطفى كمال أتاتورك، وعزيز علي بك المصري، وشكيب أرسلان، ثم إن السنوسيين جاهدوا الإنجليز في مصر، واستمروا على ذلك حتى جاءت الحرب البلقانية، وعُقدت معاهدة لوزان الأولى أو أوشي سنة ١٣٣٠هـ، التي تصالح فيها العثمانيون مع إيطاليا وسحبوا قواتهم وتركوا السنوسيين والليبيين يكملون جهادهم، وكتب له ابن عمه السيد محمد إدريس من المدينة المنورة كتاباً قال فيه: «لا يعرف قدر هذا الجهاد إلا الخارج من الوطن، ونحن كنا خالفناك والآن سلمنا ... وإياك ثم إياك والصلح، حارب ولو بالجريد». من: «وثيقة أصلية من السيد أحمد الشريف السنوسي إلى الملك إدريس السنوسي» بحوزتي.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ١ : ٥٢٠.

(٣) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١ : ١٤٤.

(4) *Kandemir, p.43.*

وفي رأيه هذا نظر وتوقف، إذ الملاحظ أن بذرة التمرّد على الأتراك كانت موجودة في المدينة منذ فترة، بل إن المنتسبين إلى جمعية الاتحاد والترقي من أهل المدينة كان لهم موقف بيّنه السيد حمزة غوث كما مرّ سابقاً[١].

ومما يردّ على هذا القول وجود وثائق تركية تشير إلى أن الشريف عبد المطلب قام بتكفير سلاطين آل عثمان مرتين، وعمل على إثارة الناس ضد قوات الحكومة العثمانية وزعم أنها قوات نصرانية، كما تشير مذكرة كُتبت في حق الشريف إلى أنه كان متفقاً مع حسين عوني ومدحت باشا على عزل السلطان عبد العزيز، وجاء في التقرير بأن الخلافة ستُرد إلى أصلها -أي قريش- وبأن عبد المطّلب سوف يرتقيها[٢].

وهذا يدلّ على واقع التمرّد الموجود من بعض الحجازيين على الحكومة العثمانية، أما إن كان يقصد التمرّد الفعلي والخروج والمناداة بالاستقلال عن الحكومة على أرض الواقع، فاللهمّ نعم؛ إذ لم يستطع ذلك أحد حتى عهد الشريف الحسين، وإنما غاية أمر الذين أقاموا الثورات في المدينة والحجاز كان غرضهم الإصلاح وإعطاء العرب حقوقهم.

المعارك الأولى ووقعة العوالي :

وعلى أية حال فقد انشغل الناس بالسياسة، واصطلوا بنارها، وحصلت معارك كثيرة بين الجيش التركي وجيش الأشراف، وليس الغرض في هذا الكتاب ملؤه بتفاصيل المعارك والحروب، لكن سأذكر بعضاً من الأحداث التي تخص المدينة المنورة وأهلها مع المرور على المواقف التي عانى منها الناس جرّاء هذه الحرب.

اشتعلت الثورة في المدينة قبل موعدها الرسمي في مكة، واحتل جيش الأشراف العوالي وجبل عير وما حولها، وفي ٦ شعبان ١٣٣٤هـ هاجموا محطة

---

(١) انظر ص١٠٨.

(٢) «المراسلات المتبادلة بين الشريف الحسين والعثمانيين» ص ٤١.



قوات الأشراف بقيادة الشريف فيصل والشريف زيد والشريف شرف بن راجح في صفر ١٣٣٥هـ.
(المرجع: The Hejaz Railway, james Nicholson)

المخيط[١] والقطار الذي كان يستقلّه ذلك الوقت محافظ المدينة بصري باشا مع شطر من قواته، فردّ إطلاق النار على قوات الشريف، وأمر بفتح المدافع عليهم، ثم أدركه فخري باشا بقواته وشارك في هذه المعركة واحتل جبل الحجارة[٢]. وفي اليوم الثاني ٩ شعبان شن جيش الأشراف الغارة على منطقة الحسا[٣] وحصلت معركة تصدى لها فخري باشا[٤]. وذكر الفارسي أن فخري لاحق الشريف علي

---

(١) هي أول محطة بعد محطة العنبرية، وتبعد نحو ١٢ كم شمال غرب المدينة المنورة، وأحياناً يكتبونها بالحاء: محيط، وأصلها مخيض ثم حُرّفت.

(٢) الجبل المعني به هنا هو جماء أم خالد، يقع جنوب غرب المدينة.

(٣) الحسا: جزع من وادي النقيع من بئر الماشي إلى قرية الواسطة، ويمر بين جبل عير شمالاً وحمراء الأسد جنوباً، وإليه ينسب النعناع الحساوي. «معجم معالم الحجاز» ص ٤٦٥.

(٤) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١ : ١٤٥، و *Kiciman, p. 36- 37*.

وجنوده في المحرّم[١]، فهربوا إلى بئر الماشي[٢]، ودارت معركة في المحرم بينه وبين الجنود وأغلبهم من بني عمرو، فأبادهم فخري وقتل منهم حوالي مئة نفر[٣].

وتم استدعاء العديد من قوّات الشمال، وقوات أخرى من الجنوب، لتعزيز القوات العسكرية في المدينة، ووصلت قاطرات مليئة بالجنود والعتاد والمؤونة[٤].

جاء الأمر من جمال باشا إلى كل من محافظ المدينة بصري باشا وفخري باشا بتوحيد القوات القادمة من الشمال مع القوات الموجودة في المدينة وتعيين فخري باشا قائداً أعلى على هذه القوات بمسمى: (قائد قوة حملة الحجاز)، وتم تقسيم المناطق بينه وبين بصري باشا، فالمنطقة الممتدة من المدينة إلى مكة المكرمة كانت من نصيب فخري باشا، وبقية المناطق من قلعة المدينة إلى شمال عمّان من نصيب بصري باشا[٥].

وفي ١٢ يونيو ١٣٣٢رومي= ٢٣ شعبان ١٣٣٤هـ أصدر فخري باشا مجموعة من الأوامر المشتملة على خطط الزحف، ومنها عدم تعبئة الأسلحة ليلاً حتى لا يطلقوا النار خطأً، ومنع الشرب من مياه الآبار لاحتمال تسميمها من قِبل العدو[٦].

وفي ٦ رمضان ١٣٣٤هـ تمركزت القوات التابعة للأشراف في قرى العوالي وقربان وقباء، وكان في حسابهم أن يفاجئوا الجيش العثماني لكن فخري باشا فاجأهم بتجهيزاته، فأمر الشريف فيصل وعلي بإطلاق النار الكثيف، واندفعت

---

(١) هي المنطقة المعروفة بـ (آبار علي)، عند مسجد الميقات.

(٢) ويطلق عليها أبيار الماشي أيضاً، وتقع اليوم على طريق الهجرة بعد ذي الحليفة، وتبعد عن المدينة نحو ٢٨ كيلاً.

(٣) «أحداث عاصرتها» مخطوط، ق ١٤.

(4) *Kiciman, p. 37.*

(5) *Kiciman, p. 38, 436.*

(6) *Kiciman, p.39- 43.*

الخيالة لمهاجمة المواقع الأولى لقوات فخري لكنها فوجئت بنيران غزيرة، وتوالت قذائف المدفعية على المهاجمين حتى لجؤوا إلى البساتين واختبؤوا هناك ومنهم الشريف شحات بن علي، فانصبّت قذائف المدفعية على بساتين العوالي فقتلت الكثير وأحرقت النخيل، ووجه فخري بعضاً من قواته لمحاصرة الموجودين من قوات الأشراف في البساتين، وأمر بحرقها للقضاء عليهم، ومن حاول الهرب حصده رصاص الجنود، ونجح القليل في الفرار، وأما المنازل التي كان يُطلق منها الرصاص فقد أمر فخري بحرقها، وانسحبت بقية قوات الأشراف(١).

ويذكر الشيخ عبد الحق النقشبندي أن فخري باشا كان قد أنذر سكان العوالي وقباء وقربان بالنزول إلى المدينة قبل هجومه، وذلك لما نُمي إلى سمْعه أن بعض أشراف بني حسين وقبائل بني علي وبني عمرو، لهم اتصال بالشريف، فهرب الكثير من رجال القرية في الليل من أمثال الشريف شحات بن علي وأخيه الشريف ناصر، وبقي المقعدات من النساء ومن لا قدرة له على الفرار، وبعد صدور الإنذار خرج طابور(٢) من الجند وسلّط المدافع على القرى(٣).

وممن بقي في مزرعته الشيخ الوجيه أبو البركات بن محمد بن عبد الرحمن ابن حسين بن علي العلواني بن عبد الرحمن(٤) بن عبد الكريم الأنصاري، وكان رحمه الله البقية الباقية لآل الأنصاري في المدينة، وهو جدّهم اليوم، وكانت له أملاك ونفوذ وهو من مناصري الأشراف(٥).

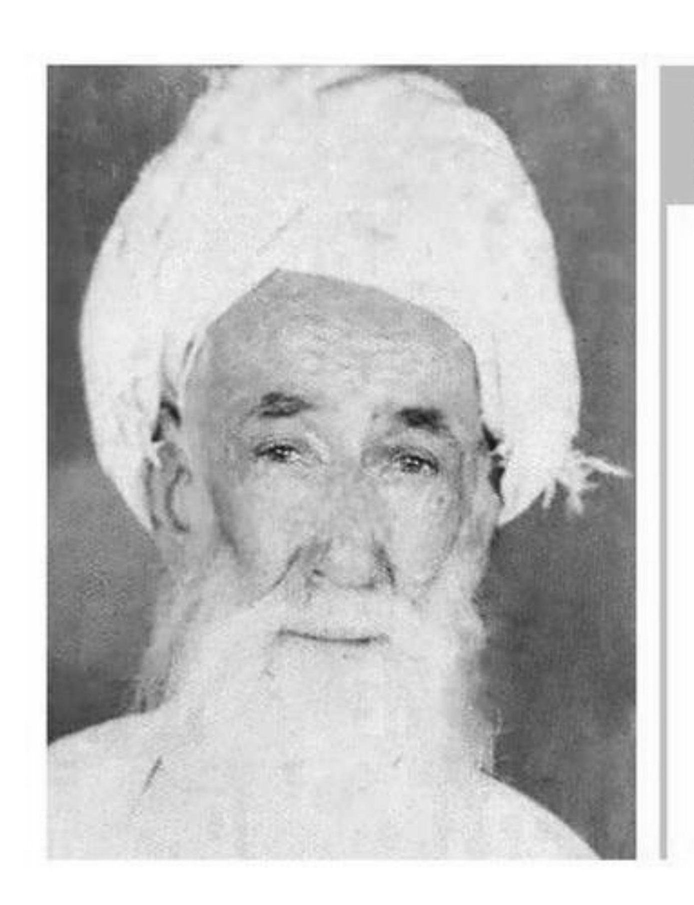
(١) «التاريخ الشامل» ٣: ٥١- ٥٢.و Kiciman, p. 50- 51 .

(٢) الطابور (Tabur): كلمة تركية وتعني الوِحدة العسكرية من المشاة في الجيش العثماني، وكانت تضم أربع فرق. «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» ص ١٤٧.

(٣) «حلقة هامة من تاريخنا القريب- ١»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢.

(٤) عبد الرحمن هذا هو صاحب القرمية الشهيرة بـ «تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب»، والذي حفظ لنا تاريخ بيوتات المدينة في وقته، توفي سنة ١١٩٥هـ.

(٥) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٩٦.



المعمر خضر الفارسي

(المرجع: أمدني بها الأستاذ حسين فارسي)

ويذكر المعمر خضر الفارسي[١] أن فخري لما قرّر ضرب العوالي، أرسل مخبراً إلى بركات الأنصاري يطلب منه القدوم إلى البلد خوفاً عليه، لكن خبر الهجوم على العوالي وصل إلى الجنود العرب، فنزل الشريف جدوع الحسيني في الجلونية، ونزل أخوه الشريف بادي في مزرعة الناعمة[٢] التابعة لبركات، ولما جاء

---

(١) ولد في المدينة المنورة سنة ١٢٨٧هـ، ونشأ بها، وعمل في وظيفة قائد مشعل (مشعلجي)، وعمل في القلاع العثمانية الواقعة عند المساجد السبعة، ثم مسؤول البريد بين المسيجيد والمدينة المنورة، ولما قامت الحرب العالمية الأولى وجاءت حادثة سفر برلك كان أحد المطلوبين من الحكومة التركية، وكان أبناء القبائل المنضمين للشريف يخفون أسلحتهم في مزرعته، وخرج إلى الوجه ثم عاد مختبئاً في مزارع المدينة. وعمل رحمه الله في العديد من المهن كصنع الحلويات وبيع الفخار، وأخيراً بواباً للحرم النبوي الشريف إلى وفاته. كان صاحب ذاكرة حادة، وقد أدرك العهود الثلاثة وعاصرها وشارك في بعض الأحداث، وبينه وبين الأحامدة حلف وتزوج منهم، ولما كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فقد أملى ذكرياته إملاءً، وعمّر طويلاً، توفي سنة ١٣٩٨هـ عن ١١١ عاماً. وله من الأبناء: عبد الله، وحسين، والأخير هو الذي استفدت منه هذه الترجمة جزاه الله عني خير الجزاء.

(٢) الجلونية مزرعة تقع في منطقة قربان، والناعمة مزرعة تقع بالعوالي بالقرب من بئر العهن. «معجم معالم المدينة المنورة التاريخية» ص ٤٧، ٧٣.

فخري وجنوده إلى قربان ضربهم الشريف بادي، وهاجمهم أخوه جدوع، لكن العساكر الترك فاجؤوهم من الخلف وأبادوا العوالي، وهرب البعض وقتل الكثير، واستمرت المعركة ثلاث ساعات، استحل فخري خلالها جميع ما في العوالي، وقتل بركات الأنصاري[١].

وحدثني الشيخ حسن بن مصطفى صيرفي[٢]، قال: "بقي بركات الأنصاري في بستانه النويعمة هو وعبيده ودخل عليه الجند في البستان، فقاتل العبيد دونه حتى قتلوا، ودافع بركات عن نفسه حتى قتلوه في مزرعته رحمه الله، ونقل جثمانه بعد

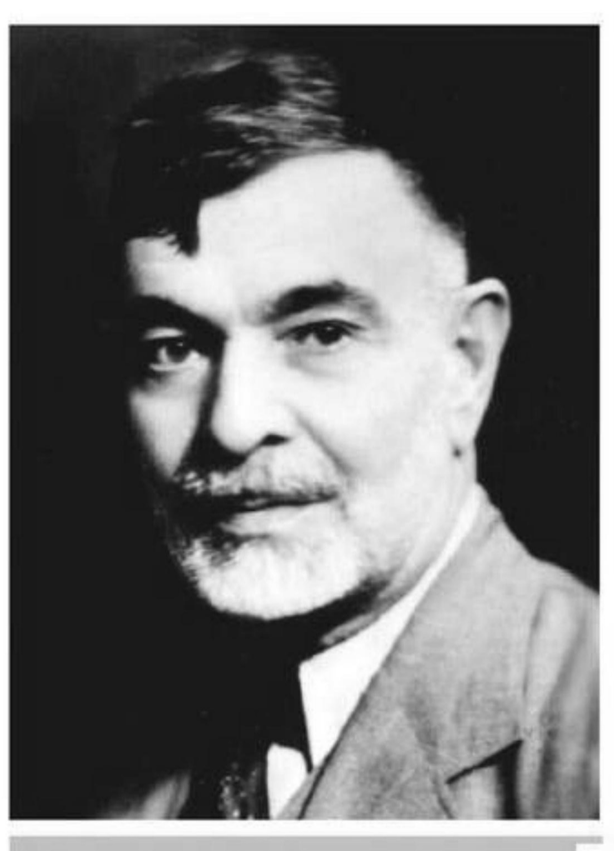
---

(١) «أحداث عاصرتها» مخطوط، ق ١٤- ١٥.

(٢) ولد في المدينة المنورة سنة ١٣٣٦هـ، والتحق بكتّاب العريف ابن سالم ثم الشيخ بشير العقبي ثم ابنه عبد القادر، وحفظ القرآن الكريم، وطلب العلم على علماء الحرم النبوي فقرأ وأخذ عن الشيخ محمد الطيب التنبكتي، وصالح بن الفضيل التونسي، وعمر بري، ومحمد أحمد التكينة، وعمر حمدان المحرسي، وأجازوه. كما تفقه في المذهب المالكي على الشيخ المولود بن أبي بكر الجزائري، وحضر دروس الشيخ البشير الإبراهيمي حينما قدم في العهد السعودي. التحق بمدرسة العلوم الشرعية ثم المدرسة الأميرية وتخرج سنة ١٣٥٤هـ، كما درس في المدرسة الراقية الليلية. عمل في الصياغة مع أبيه، ثم انصرف إلى الوظائف الحكومية فعمل في إدارة الحج، وفي عام ١٣٧٥هـ انتقل إلى إدارة الأمن العام في شرطة المدينة وعمل في الادعاء العام، وممثلاً للشرطة في الدوائر الحكومية، وعين عضواً في المجلس الإداري في إمارة المدينة. كان رحمه الله أديباً متفنناً، وكاتباً شاعراً، له مشاركة قوية في الغناء والألحان والمقامات، من أشهر كلماته: "سافروا وما ودّعوا"، و"لا لا يالخيزرانة". وكان أمين أسرة الوادي المبارك، وأحد مؤسسي النادي الأدبي في المدينة المنورة، وله اهتمام بالرياضة وهو من مؤسسي نادي أحد الرياضي. لازمته وأكثرت التردد إليه حتى وفاته واستفدت منه كثيراً، وكان واحد الناس في الرواية والأخبار مع معرفة تامة بالتاريخ والآثار، له من الكتب: شرح الدرة الثمينة للطيب التنبكتي في النحو وصل فيه إلى ثلثه، وكراريس أملاها عليّ في وصف المدينة ورجالاتها وعاداتها سمّيتها: المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي، وديوان دموع وكبرياء، وشبابي، وقلبي. توفي في المدينة سنة ١٤٢٩هـ. وقد أفردْت سيرته في الكتاب الذي سمّيته آنفاً، يسر الله نشره.



السيد أحمد صقر



مولود مخلص باشا

ذلك إلى البقيع»[١]. وكان مقتله رحمه الله في ٧ رمضان سنة ١٣٣٤هـ[٢].

وممن ذهب ضحية هذه الوقعة الشيخ يحيى بن إبراهيم بن منصور عباس الصديقي، صاحب مزرعة العُلْيا، فقد دخل عليه الجنود الأتراك وقتلوه هو وولده[٣].

كما احترقت في هذه الوقعة شجرة النسب الخاصة بأشراف بني حسين، فاستنجد زعيمهم الشريف شحات بن علي فيما بعد بالسيد أحمد بن مصطفى صقر الجمازي ليصنع لهم الشجرة[٤].

---

(١) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي»، مخطوط.

(٢) «أئمة وخطباء المسجد النبوي الشريف» للأركوبي، مخطوط.

(٣) «من أعلام المدينة المنورة: أحمد إبراهيم عباس»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة، ورواية الأستاذ أحمد بن عبد الحميد عباس حفظه الله.

(٤) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٢٥.

وزعم بعضهم أن جيش فخري باشا قتل كل من في العوالي من صغير وكبير وذكر وأنثى(١)، وهذه مبالغة، لكن مما لا شك فيه أن هذه الوقعة كانت سبباً في مقتل الكثير من الناس، حتى قال المؤرخ الدفتردار: "وقتل في هذه المعركة ما يقارب الألف نسمة من سكان الضواحي"(٢)، في حين اكتفى كجمان بقوله: "وسقط عدد من العصاة ما بين قتيل وجريح، ونجح آخرون في الفرار"(٣).

وقد جرى وصف هذه المعركة على لسان ضابط تكريتي متعصب من ضباط جيش الشريف، يدعى اللواء مولود مخلص باشا(٤)، يقول: "لقد كانت هجمة مرعبة تلك التي حاولناها على المدينة، فقد تصدى العرب الرديئو السلاح والمؤن للترك المسلحين بأجود أنواعه والمدربين عليه أدق تدريب، وفي وسط المعمعة تقطّعت أوصال متطوعة بني علي، وقذف بالعرب خارج السور. وعندما تفتّحت فوهات مدافع الترك الحامية - ولم يكن العرب يألفون هذا النوع من القتال- طار لبّهم واستولى عليهم ذعر غريب- وامتنع بنو عقيل والعتايبة عن مواصلة القتال واحتموا قدر استطاعتهم من وابل المدافع، وأرسل كثير من جبناء بني علي إلى الترك يطلبون الأمان والتسليم بشرط أن تسلم قراهم من التدمير، فلعب فخري بهم واغتنم فرصة استكانتهم وتسليمهم فحاصر ضاحية العوالي وأمر جنوده بالاستيلاء

(١) «تاريخ القاضي» ص ٢٤٣- ٢٤٤.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة: أحمد إبراهيم عباس»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(3) *Kiciman, p. 51.*

(٤) يصف لورنس هذا الرجل بأنه تكريتي متعصب للعرب، وكان من قبل ضابطاً في الجيش العثماني وجرّد من رتبته العسكرية مرتين، ونفي إلى نجد ليكون أمين سر ابن الرشيد في حائل، ثم لما قُبض عليه من قبل جيش الشريف وعرف بأمر الثورة انضم إليها، وهذا يجعلنا نضع في الاعتبار العاطفة التي يتحدث بها هذا الضابط مما يؤثر في حكمه وروايته للأحداث. انظر: «ثورة في الصحراء» ص ٤٧، وقد أفرده بالترجمة محمد حسين الزبيدي في كتاب سماه: «مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وفي تاريخ العراق المعاصر».

عليها عنوة وبذبح كل حي يصادفونه، فذبح وقتل في ذلك اليوم مئات من السكان، وأحرقت البيوت فاحترق كل ميت وحي"[١].

وفي رسالة من الملك عبد العزيز إلى (السير برسي كوكس) في ٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٤هـ يقول فيها: "هاجم الأتراك العوالي؛ وهي بلدة قرب المدينة، وفيها بساتين نخيل كبيرة تعود لقبيلة بني علي (التي وقفت إلى جانب أولاد الشريف في الصورة ضد الأتراك)، وأنهم قصفوا المدينة ونهبوها، وأثاروا حفيظة أهلها، وجاروا عليها"[٢].

وقد كان لهذه الوقعة أثرها، وكان فخري باشا يحتفل بالذكرى السنوية لهذه الحادثة كما فعل سنة ١٣٣٥هـ حين جمع الضباط والجنود في قباء، وشرح لهم أسلوب الهجوم وكيفية هزيمة جيش الأشراف، وأقام مراسم الاحتفال الخاص بإقامة نصب تذكاري لأحد الضباط الأتراك الذين قتلوا في تلك المعركة[٣].

وقعة آبار علي:

وبينما كان فخري باشا يهاجم أعداءه في العوالي قام أحمد بن جميعان وأخوه ناصر ومعه مجموعة من قبائل حرب وجهينة بالهجوم على مراكز الأتراك في آبار علي، وقتلوا مجموعة من الجنود العثمانيين، وتقدموا حتى وصلوا إلى عروة وقصر سعيد بن العاص، وبلغ الخبر فخري باشا فاستشاط غضباً وقال كلمته الشهيرة: (عرب خيانات)، وأرسل أحد ضباطه مع قوة كبيرة من ثكنة العنبرية وقلعة سلع للتصدي لهم، وأمر بقصفهم بالمدفعيات وقتل الكثير، وتم الزحف

---

(١) «ثورة في الصحراء» ص ٤٨.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٢: ٧٥٧، ومن المهم أن نشير إلى أن الملك عبد العزيز قال في نفس الرسالة عن الأخبار التي نقلها: «هذه هي الأخبار التي وصلتني أثناء الكتابة، والله أعلم بصحتها، وسأبلغكم إن شاء الله إذا تأكدت».

(3) Kiciman, p. 94- 95.



لورانس العرب

عليهم وانهال الأتراك بالرصاص الكثيف على قوة ابن جميعان التي انسحبت، وتحول أمرهم إلى هزيمة ساحقة، واتجه من نجا منهم إلى الفريش[١].

وتتابعت بعد ذلك المعارك تلو المعارك خارج المدينة حتى انتهت بعد ذلك إلى ضرب الحصار على المدينة من عدة جهات وعزلها عن مركز الحكومة العثمانية كما سيمر بنا لاحقاً.

تخريب سكة الحديد :

كانت سكة حديد الحجاز ومحطات اللاسلكي هما حلقة الوصل بين الحكومة التركية في الشام من جهة، ومقر الإدارة في المدينة المنورة من جهة أخرى. لذا كان قطع هذه الحلقة يصب في مصلحة الأشراف، وقد تولى كِبرَ ذلك الكولونيل الإنجليزي (توماس إدوارد لورنس) الشهير بـ (لورنس العرب)[٢]، الذي انضمّ إلى

---

(١) «التاريخ الشامل» ٣: ٥٢- ٥٣.

(٢) من أفضل ما كُتب في حقيقة هذا الرجل، كتاب: «لورنس العرب بين الحقيقة والخيال» للدكتور العراقي حسيب إلياس حديد، وهذا الكتاب مقتبس من أطروحته للدكتوراه في

معسكر الشريف فيصل، وحرّض العرب من قبائل الشمال مع الأشراف على تفجير سكة الحديد، ونزعِ قضبانه وتخريبه. وقد تبجّح قائلاً: "وما كان أشد افتخار أولئك الفرسان لانتمائهم إلى حرسي! ... وقد مات في خدمتي أكثر من ستين رجلاً"[١].

في بداية الأمر لم يستطيعوا أن يلحقوا ضرراً كبيراً في سكة الحديد نظراً لأن العرب لم تكن لديهم خبرة كافية في أعمال التدمير[٢]، لذا كان من نتائج أعمال (لورنس) والكولونيل (نيوكمب) إنشاء مدرسة في الوجه خاصة لتعليم رجال القبائل طريقة تخريب سكة الحديد[٣]. وكانت إحدى خطط الإنجليز تحريض المغيرين على القطارات على النهب والسلب لأن أعمال التدمير بدون أمل النهب لم يكن ليجتذبهم[٤].

وأصبح (لورنس) على اطلاع تام بنظام النقل والدوريات التركية لكثرة ما نسف من قطارات، ويبدو أن الأمر كان ممتعاً لديه، إذ يذكر (لويل توماس) أن لورنس قال له: "أتدري، إن أحد أشد المشاهد إثارة التي رأيتها كان حمولة قطار من الجنود الأتراك تتناثر في السماء إثر انفجار لغم أرضي"[٥]، ولقوة تأثير (لورنس) فقد وضع الأتراك جائزة مقدارها (٥) آلاف ليرة تركية لأي عربي يجازف بقطع رأس هذا الإنجليزي[٦].

جامعة بواتيه بفرنسا عام ١٩٨٥م.

(١) «ثورة في الصحراء» ص ٢٧٠- ٢٧١.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٤٧٩.

(٣) من تقرير السير رجنلد ويجنت عن الثورة العربية. انظر «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١ : ٢٧٣.

(٤) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٤٨٢.

(٥) «مغامرات مع لورنس في جزيرة العرب» ص ١٤١-١٤٢.

(٦) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣ : ٤٨٢.



هجوم القبائل على القطار.



لحظة تفجير القطار.

وقد اشترك الأمير فيصل في تدمير سكة الحديد بين محطة العلا ومحطة هديّة، والشريف عبد الله بين هديّة وبواط[١]، والأمير زيد في الجنوب[٢]، وكانت القيادة العثمانية ترسل من يصلح ذلك من المهندسين ومع هذا فإن غلبة الأعراب على هذه المناطق أسهم في تدمير كل ذلك، حتى جاء وقت لم يبق هناك قضيب واحد سليم، فاضطروا إلى استعمال القضبان الحديدية التي تم تخزينها في المحطات التي كان من المزمع إنشاؤها بين مكة والمدينة[٣].

وكان أول حوادث هذا التخريب ما حدث في ٢٨ مايو ١٣٣٢رومي= ٨ شعبان ١٣٣٤هـ، حين نزع بعض الأعراب من القبائل المساميرَ من خط السكة الحديدية، وتركوا القضبان كما لو كانت على حالتها الطبيعية، مما تسبب في انقلاب إحدى القاطرات[٤].

وحدث أن الشريف عبد الله قام بنسف قسم كبير من سكة الحديد، التي تمر قرب معسكره، وتم ذلك وقت مرور القطار القادم من دمشق، فكانت ملحمة دموية، وقتل الجنود الذين يرافقون القطار، وانفجرت الذخائر وتبددت الأقوات، فأصبحت المدينة في عزلة تامة عن الإمدادات[٥].

والحوادث المأساوية في هذه التفجيرات كثيرة، وأنقل هنا قصة حادثة مفزعة يرويها منفذ العمليّة لورنس، فيقول بدم بارد: "ولقد ظهر أمامي القطار وصفيره

---

(١) هديّة محطة لسكة الحديد تقع على بُعد ١٦٩ كيلاً شمال المدينة، وبُواط أيضاً محطة غرب المدينة على بعد ٥٥ كيلاً. «معجم معالم الحجاز» ص ٢٣٦ ، ١٨٢٨.

(٢) «الثورة العربية الكبرى» ١ : ٢٧٣.

(3) Kiciman,p. 270.

(٤) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» لناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، عدد ٧، ص ٧٨. *Kiciman, p. 37* .

(٥) «التاريخ الشامل» ٣: ٧١.

يصمّ الآذان يتهادى في سيره وقد بلغ مدخل العطفة يجر وراءه شاحنات عديدة بعضٌ منها مملوءٌ خيلاً ومدافع كثيرة ملأت النوافذ والأبواب بفوهاتها، وعلى سطحه أكياس رمال مكدّسة يتلصص وراءها جنود ببنادقهم على أهبة إطلاق النار. ولم أحسب أن سيكون للقطار قاطرتان معلقتان. فخطرت لي في الحال فكرة نسف اللغم تحت القاطرة الثانية حتى لو بقي القطار سليماً لا يمكنه أن يستفيد من القاطرة الأولى التي تكون قد انفصلت عنه نهائياً.

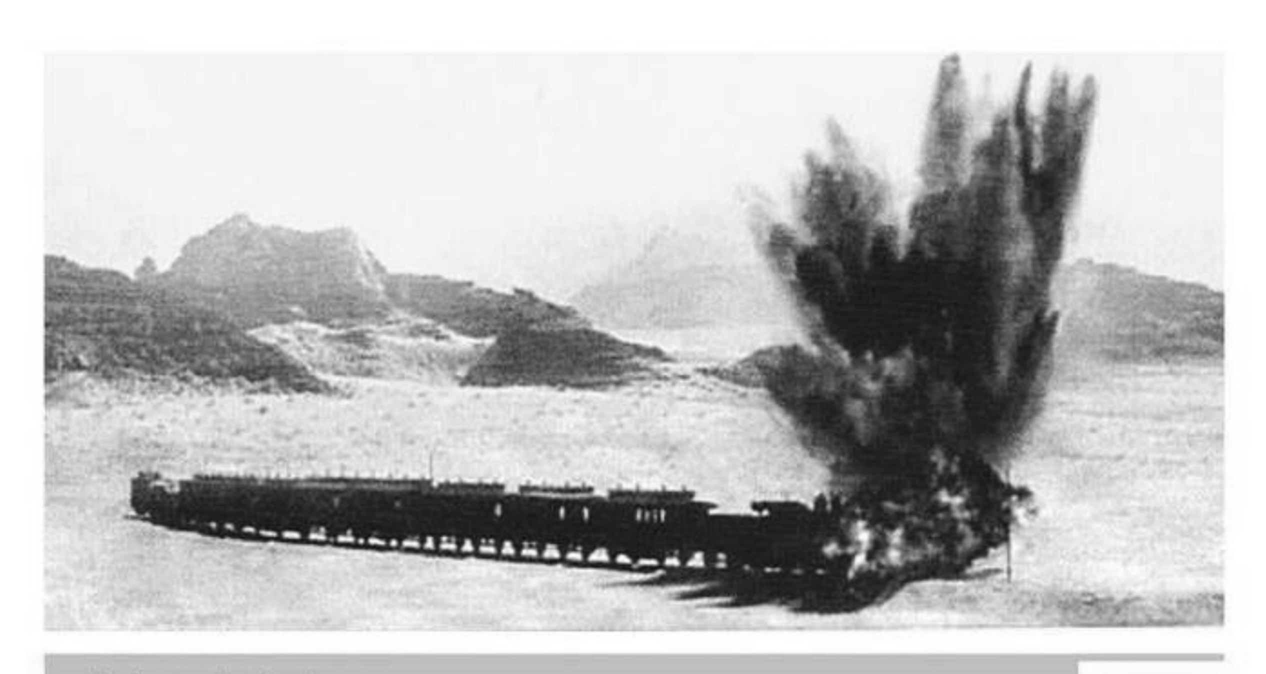
وما كادت القاطرة الثانية تبلغ الجسر حتى رفعْتُ لسالم[١] فزلزلت الأرض زلزالها في ذلك الوادي، ولم تلبث أن سكنت الصعقة وتعالى دخانٌ كثيفٌ وغبار أسود قاتم إلى ارتفاع مئة قدم، مع أصوات تقصف الخشب ورنين الأدوات المعدنية المتكسرة، وشظايا الحديد والخشب تتناثر بين الدخان. وقذف دولاب من دواليب الشاحنة بأكمله إلى الجو وهو يدور فوق غمام الدخان، ومرّ فوق رؤوسنا كالرجم ليرتمي بثقله ما وراءنا في الصحراء، وساد بعد هذه العاصفة سكون القبور. لا صراخ ولا طلقة نار. ومر الدخان من أمامنا هباءً لينعقد على رؤوس التلال الغربية...

وبينما أفكر في هذا المنظر المروع رأيت رشاشاتنا تفعل فعلها فيمرّ الرصاص فوق رأسي إلى العدو، فيتساقط الرجال كورق الخريف وقد حصدهم الرصاص من غير رحمة بين الأخشاب والحديد...

وركضْت بدوري لأرى بنفسي فعل اللغم فلم يبق هناك جسر بلا هوّة سقطت فيها شاحنة مملوءة مرضى جهّز عليها الانفجار إلا ثلاثة أو أربعة كانوا يتقلبون في جروحهم ودمائهم. وما دنوت من الشاحنة حتى سمعت واحداً منهم يقول: تيفوس .. تيفوس (طاعون)، فقفلت عليهم الباب في الحال وتركتهم إلى القدر المحتوم...

---

(١) سالم هذا هو أحد عبيد الشريف فيصل، ورفيق (لورنس) في هذه الحادثة وغيرها.



لحظة تفجير قطار

وأخذ الوادي منظراً خيالياً. وقد جُن القوم[١] لهذا الكسب يركضون من هنا وهناك بأسرع من البرق مكشوفي الرؤوس عاريي الأجسام يصرخون ويطلقون النار في الفضاء، ويتلاكمون فيما بينهم، ويتخدّشون الواحد الآخر عند تحطيمهم الشاحنة. ويتمايلون لثقل حزم الثياب فيحلّونها وينتقون ما يصلح لهم ويرمون ما رثّ منها في الفضاء.

سجادٌ بالعشرات ملقى على التراب وعشرات من الفرش. وأغطية مزهرة مزركشة كوّمت وثياب من كل شكل وجنس للرجال والنساء، وساعات كبيرة، وقِدَر من الحديد الملبس بالصيني وذخائر ومؤن وأدوات زينة وسلاح. تلك هي الغنيمة التي يتشاحن المغيرون لأجلها.

وثلاثون أو أربعون امرأة في إحدى الأركان قد أصبن بنوبات عصبية فمزّقن أحجبتهن وقطّعن ثيابهن وزمجرن كالمجانين، فلم يرثِ المغيرون لحالهن بل استمروا في سلب أمتعتهن الخاصة وكل ما يمكنهم حمله، وأصبحت الجمال مشاعاً للجميع، كل واحد يحمل حصته على ظهر الناقة القريبة منه أحمالاً قد

(١) يقصد بهم الجند الذين معه من القبائل العربية.

ترزح أحياناً تحتها، ثم يقذفها إلى جهة الغرب لاحقاً بغنيمته.

ولما رأت النسوة بأني غير مكترث لهذه الفوضى، تقدّمن إليّ وتعلّقن بثيابي وطلبن شفاعتي صارخات ضارعات، ولم يقنعن بوعدي الصادق بل أغرقن بالبكاء والعويل، فتدخّل بعض أزواجهن وفصلوهن عني، ثم ارتموا على ركبتيّ وتعلقوا بقدمي كأنهم في ساعة النزع وحشرجة الموت، وما أقبح مشهد الرجل وهو في حمأة الذل والهون!، فنفضتهم عن قدمي العاريتين وتخلّصت..."(١).

ويروي الضابط التركي ناجي كجمان حادثة مشابهة، فيقول: "وفي ٢٥ سبتمبر [١٣٣٣ رومي](٢) وضع العصاة القنابل على خط السكة الحديدية عند محطة الرملة بالقرب من تبوك، وبينما كان قطار المجاهدين يمر، إذ بتلك القنابل تنفجر تحت عربة القطار الثانية، وأمطر البدوُ النساءَ والأطفال والشيوخ والعجائز بوابل من رصاص البنادق الآلية المثبّتة في تلك الجهات، وقتل ٢٢ شخصاً، وأصيب ٣٥٠ آخرون، وسلب العصاة كل ما وجدوه من الأمتعة"(٣).

وقد وصف فريدون قاندمير معاناة المسافرين بالقطار في رحلته إلى الشام في ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ، فذكر أن رحلات القطار وصلت إلى أخطر مراحلها، وأن المقطورات مثل عتبات الموت، وكان الطريق مفجراً بالديناميت، واستغرقت رحلته ٩ أيام(٤).

وذكر السيد الزمزمي الكتاني معاناة أسرته في رحلتهم إلى الشام، بعد أن ودعهم بصري باشا وفخري باشا وداعاً رسمياً في أواخر ربيع الثاني ١٣٣٦هـ، يقول الزمزمي: "ولما ركبنا القطار ظن المحاصرون من أتباع الثوار أن هذا المحتفَل

---

(١) «ثورة في الصحراء» ص ٢٠٧- ٢١٠.

(٢) يوافق بالهجري ٨ ذي الحجة ١٣٣٥هـ.

(3) Kiciman,p. 99.

(4) Kandemir, p.82,93-94.

بتوديعه -وهو السيد محمد بن جعفر الكتاني- من كبار رجال الدولة المحاربين، فعمدوا لديناميتات ومفرقعات وبثوها خلال السكة بمحل معلوم، حتى إذا مررنا عليه انتسف البابور بمن فيه، وهلك الجميع والعياذ بالله"[١].

شيخ الطريقة المولوية مجاهداً في المدينة :

ومن الحوادث التي شهدتها المدينة وقت النفير العام والحرب، قدوم شيخ الطريقة المولوية في إسطنبول ورئيس المجاهدين العالم الأديب الشيخ محمد شلبي أفندي المولوي، من سلالة الشيخ جلال الدين الرومي، وكان قدومه على رأس طابور من تلامذته ومريديه بغرض الجهاد[٢].

استغلال فخري باشا لشباب المدينة :

وفي هذه الفترة أحب فخري باشا أن يستغل شباب المدينة في نصرته فوكّل رجلاً منهم يدعى أشرف بيك، ويلقبونه بولد الكشي وطلب منه أن يجمع جيشاً من شباب المدينة، ليس فيهم تركي واحد، فجمع أشرف الشلاوية والعربجية وسار بما جمع من أهل الفتوة والحارة، وسار بهم إلى العيون شمال المدينة لمهاجمة الشريف عبد الله بن الحسين، لكن فاجأهم أحد رجال بني حرب واسمه رجا بن خلوي[٣] وأسرهم أجمعين، وكان من ضمنهم رجل ظريف من الأسر المدنية العريقة ويدعى حذيفة النحاس، وكان صاحب عربة يقودها حماران أسودان سمى أحدهما: فلفل والآخر كمون، فقال له الشريف عبد الله: حتى أنت يا حذيفة تحاربنا، فأجابه جواباً ذا حدين وكان ألثغاً: "يا ثيدي أنت تعرف المثل .. كل عيش

---

(١) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ٢٨٨.

(٢) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ٢٧٨.

(٣) من ولد محمد من قبيلة حرب، وكان وكيلاً سرياً لحسابات الشريف فيصل. انظر: «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ١٠٤.

النثراني واضرب بثيفه"[١]. وما درى أن إجابته شتيمة لأن الأشراف حلفاء الإنجليز النصارى، فضحك الشريف وأكرمه وأطلق سراحه[٢].

عزل الشريف الحسين وتولي الشريف علي حيدر :

وجاء الأمر العثماني بعزل الشريف الحسين من شرافة مكة، وتولية الشريف علي حيدر باشا بن جابر بن عبد المطلب من آل غالب، وذلك في ٢٩ شعبان ١٣٣٤هـ[٣]، إلا أنه لم ينجح في مهمته، وكان قد قدم المدينة المنورة على رأس المحمل الشامي ووصل المدينة المنورة في ٢٥ رمضان ١٣٣٤هـ[٤]، ومعه أنجاله عبد المجيد ومحيي الدين[٥] وأمين، وأخوه جعفر باشا، ومرافقوهم. وقد احتفى به محافظ المدينة بصري باشا وفخري باشا، وكان من مخططهما إنشاء نصب تذكاري لتولية الشريف علي حيدر باشا، ويذكر زيدان أنهم بنوا له سبيلاً في المناخة أمام مقرّ فخري باشا إعلاناً لأمره[٦].

---

(١) والعبارة أصلها: يا سيدي، أنت تعرف المثل .. كل عيش النصراني واضرب بسيفه. لكن لثغته حولت حرف السين إلى الثاء.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١٠٦.

(٣) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٥١٢، *Yatak, p.56*.

(٤) هناك تضارب في أقوال المؤرخين حول تاريخ وصول الشريف علي حيدر، ففي «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١: ١٥٨، أنه وصل المدينة في أوائل شهر سبتمبر ١٩١٦= شهر ذي القعدة ١٣٣٤هـ، وذكر جورج ستيت أنه بلغها في ١ أغسطس ١٩١٦= ١ شوال ١٣٣٤هـ كما في كتابه: *A Prince of Arabia p. 169* .
لكن الصحيح ما أثبته كما ورد في التقارير الإنجليزية، وما أورده الضابط التركي كجمان، وجورج أنطونيوس في كتابيهما. انظر: «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٥١٢، و«يقظة العرب» ص ٣١٢، *Kiciman, p. 53* .

(٥) الشريف محيي الدين هذا هو الموسيقار العراقي الشهير، المتوفى في إسطنبول سنة ١٣٨٧هـ.

(٦) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٧.

خبر من جريدة المقتبس سنة ١٣٣٤هـ في استقبال الشريف علي حيدر.

وفد المدينة المنورة

قدم الحاضرة اصحاب الفضيلة السيد مأمون بري افندي مفتي الاحناف في المدينة المنورة والسيد زكي افندي مفتي الشافعية والسيد عبد القادر افندي هاشم من سراة طيبة والسيد عبد الكريم افندي برزنجي والسيد عبد افندي برى من علمائها والسيد زين العابدين افندي وكلهم من اكبر وجوه طيبة وسعادة مظهر بك مدير الحرم النبوي الشريف

وهم وفد انتدبته المدينة المنورة ليقوم عنها في استقبال صاحب السيادة والدولة علي حيدر باشا امير مكة المكرمة

الشريف علي حيدر باشا

(المرجع: *Prince of Arabia*)

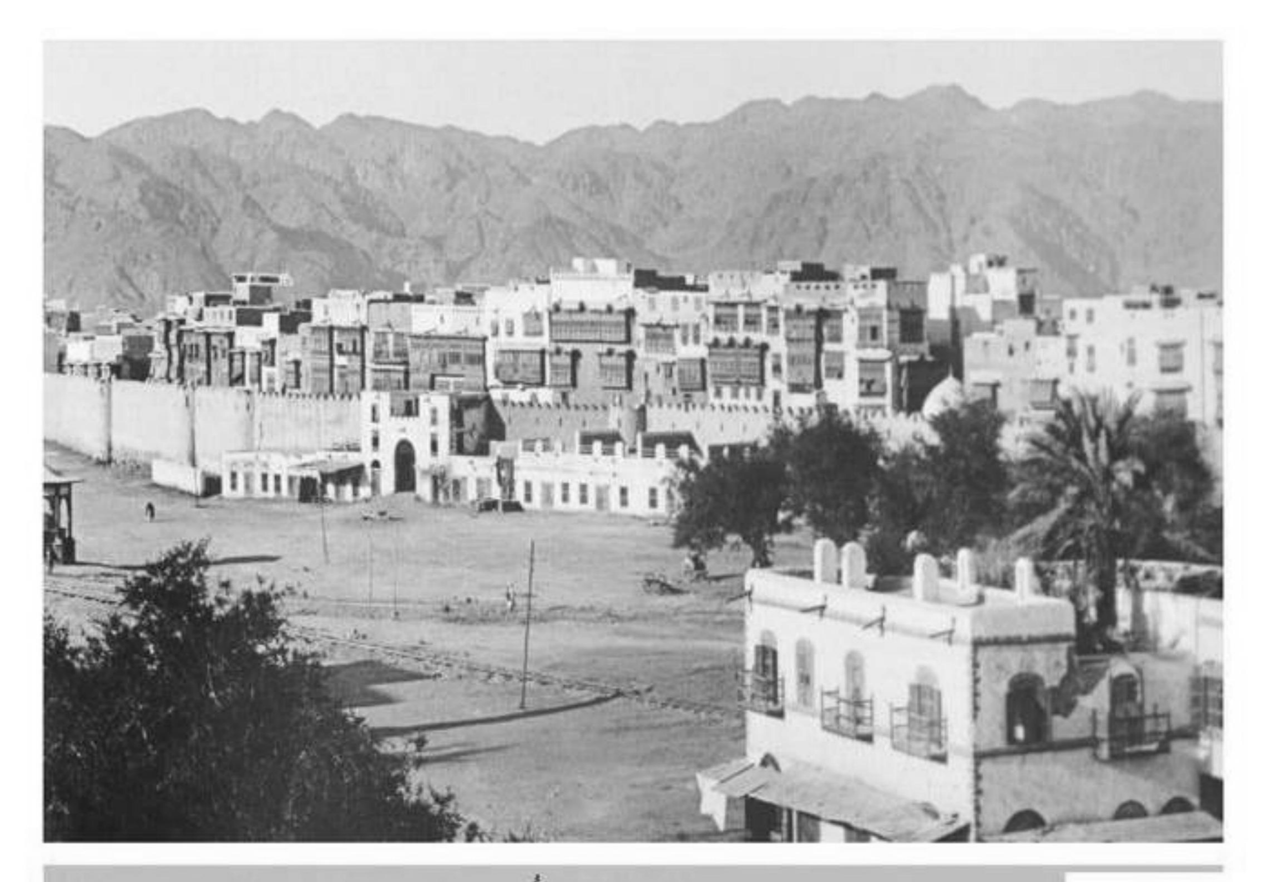
كان من أول أعمال الشريف علي حيدر إصداره منشوراً أذاعه على أهل الحجاز في ١٠ شوال ١٣٣٤هـ، يرد فيه على الشريف الحسين ويندد بخروجه على الحكومة العثمانية المسلمة، ويلومه على احتمائه بدولة مسيحية مثل بريطانيا، ويذكره بفعلها مع خديوي مصر وسلطان زنجبار وأمير لحج وأمير الهند وسائر الحكومات الإسلامية، وكيفية سيطرتها عليهم، وأنها تصوّر له الآمال الخادعة الكاذبة، وأن الحجاز خلال (١٣) قرناً خلت لم تتمكن أي قوة مسيحية من السيطرة عليه، وأنها الآن تحولت إلى محمية مسيحية بناء على معاهدات الشريف الحسين السرّية، كما حاول أن يفنّد حجة الشريف الحسين في مسألة تحالف الأتراك مع الألمان فقال:

"وحجته بأن الحكومة العثمانية حليفة للألمان، وهم مسيحيون، ولذا له الحق أن يحالف إنكلترة، تلك الحجة لا نصيب لها من الصحة، لأن سبب انضمام تركية إلى الألمان هو للمحاربة معهم ضد حكومة مسيحية ولاستعمالهم أداة للثأر للإسلام من أعدائه، وانتهاز فرصة عدم اتفاقهم لفصلهم أكثر وأكثر". إلى آخر منشوره في محاولة منه لاستمالة الحجازيين إلى صف الحكومة العثمانية[١].

كانت الحكومة العثمانية قد زوّدت الشريف علي حيدر بالمزيد من الأموال والذهب، بغرض استمالة أبناء القبائل العربية، وقد حاول جهده في ذلك لكنه لم يستطع أن يفي بمتطلبات القبائل نظراً لقصور الإمدادات التركية، وكانت شيوخ القبائل يفدون إليه وينفحهم ببعض الأموال ويعلنون له الولاء، ثم يصرفهم إلى مواطنهم، ويعدهم إذا حان الوقت وقدمت الإمدادات التركية فإنه سيطلب مساعدتهم ويستعين بهم[٢].

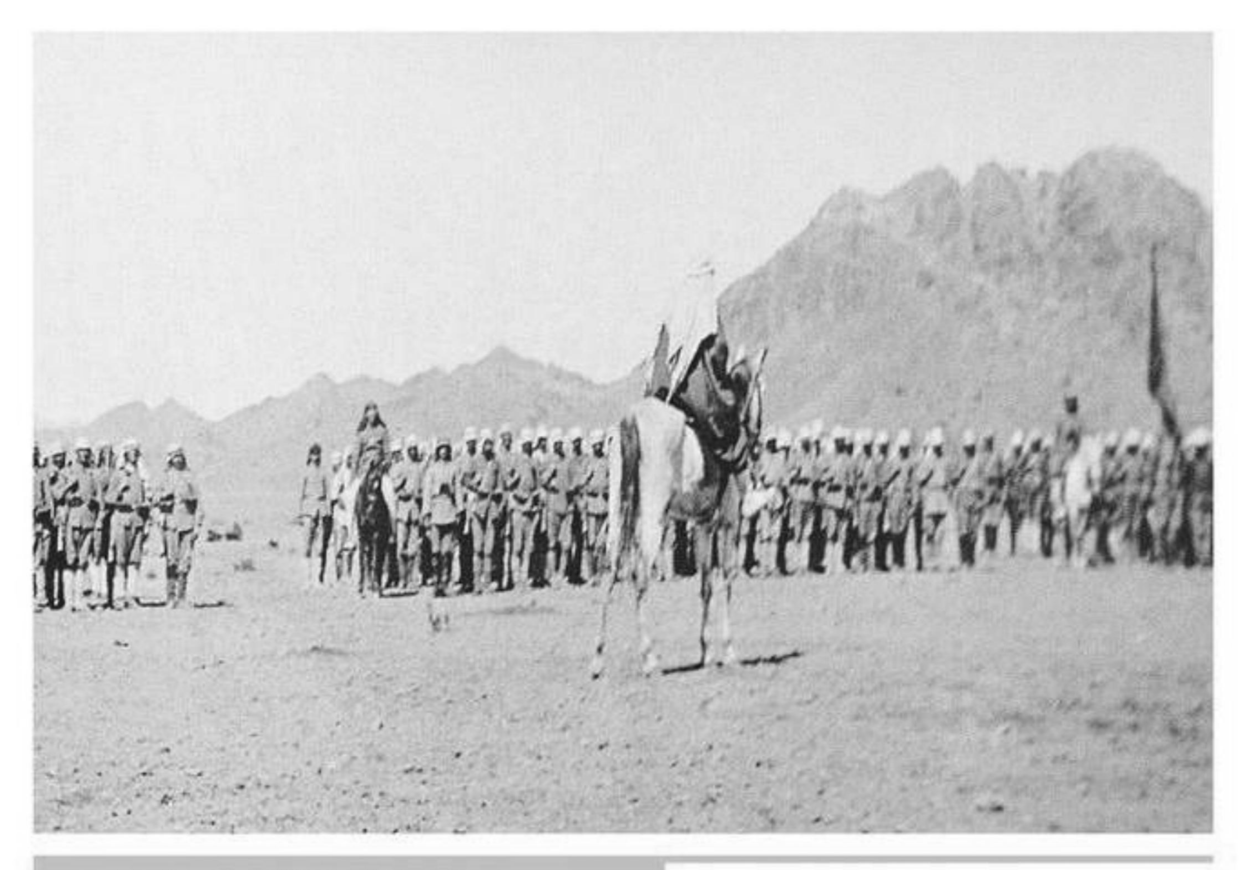
(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٢: ٣٧٩- ٣٨٠.

(2) George Stitt, p. 169.



سبيل الماء الذي نُصب على يد الشريف علي حيدر باشا

(المرجع: Prince of Arabia)



مراسم استقبال الشريف علي حيدر

(المرجع: Prince of Arabia)



جمال باشا مع الشريف علي حيدر باشا
(المرجع: The Hejaz Railway, james Nicholson)

على أية حال فإن ترتيبات الشريف علي حيدر لم يكن لها كبير فائدة، فقد ذُكر أنه لم يكن صاحب معرفة بالأحوال السياسية، وعِيبَ عليه انشغاله بالتنزه والمرح في نواحي المدينة، ولم يكن له شغل حقيقي، وكان يشاع أن أسرته لها الكثير من الموالين بين قبائل العرب في الحجاز ومكة المكرمة، وكان من المؤمل أن ينفضوا من حول الشريف الحسين ويلتحقوا به، لكنه لم يستفد من الأموال التي عنده، فقد كانت الحكومة تحتفظ بحوالي (٣٣) ألف ليرة ذهباً محولة من خزانة مفرزة اليمن، وكان هذا المبلغ كافٍ لاستمالة القبائل أو إبقاءهم على الحياد، لكن معظم الشيوخ الذين زاروا الشريف علي حيدر عادوا ساخطين لأنه لم يجد عليهم بالعطايا اللازمة[١].

(1) Kiciman, p. 65 , Yatak, p. 58.

قال كجمان: "ولأنه لم يكن يعرف كيف يستعمل الذهب في الحجاز، ولم يحاول أن يسأل شخصاً ممن لهم معرفة بذلك، فلم يمض وقت طويل على وجوده في المدينة"[١].

وتبيّن الرسائل التي أرسلها الشريف علي حيدر إلى الصدر الأعظم طلعت باشا، بعضاً من ترتيبات علي حيدر باشا وهو يلوم الحكومة العثمانية في كل ما حصل، ومما جاء في رسالة منه مؤرخة في ١٢ أغسطس ١٣٣٢ رومي = ٢٥ شوال ١٣٣٤هـ:

"إن مجموعات من البدو قدموا إلينا مطيعين، وبعضهم معتذرين عن أخطائهم، وقدمنا لبعضهم نقوداً وهدايا. وفيهم رجال أعزاء من القبائل العربية، وفي الأيام الماضية قدم إلينا مشايخ جهينة في (٢٠٠) من الهجّانة، والتقيت بهم، وهم أذكياء جداً، وقد جاملتهم وأكرمتهم وساعدتهم، ورضوا بذاك وعادوا أدراجهم فرحين، وما زالوا يقدمون إلينا من أنحاء مختلفة، يعرضون علينا تقديم خدماتهم للدولة ... كنت أبلغتكم أنني لا أرى خطراً من البدو وإنهم صادقون في وعودهم، ويكفي أن نظهر أمامهم بمظهر الأقوياء، وهم يحسبون حساب مكانتي لدى الحكومة... لكني ما وجدت المساعدة المأمولة من الحكومة غير الوعود، وبعض وعودها لا تتجاوز الورق والكلام ... فإذا نحن وفينا بعهود البدو، فلن يخونوننا، ولكن الحكومة لا تساعدنا على ذلك"[٢].

ثم يقول في آخر رسالته: "بالنسبة للأموال فالبدو في غاية الوقاحة في ذلك، وأنا أنفق عليهم وأبذل على قدر اللزوم، وكان غرض الحسين أن يضلّهم وقد فعل، فقد أنفق عليهم أموالاً طائلة، أما أنا فلا أقول سوى: من يخدمنا سأعطي له، وألبسه الأكسية وأقيم له الولائم، لكنني لا أبذل لكل من يأتي سوى ثلاث ليرات أو أربع، لأن الطريق طويل، ولا أعلم كيف تكون الأحوال، فإن لم أستطع

---

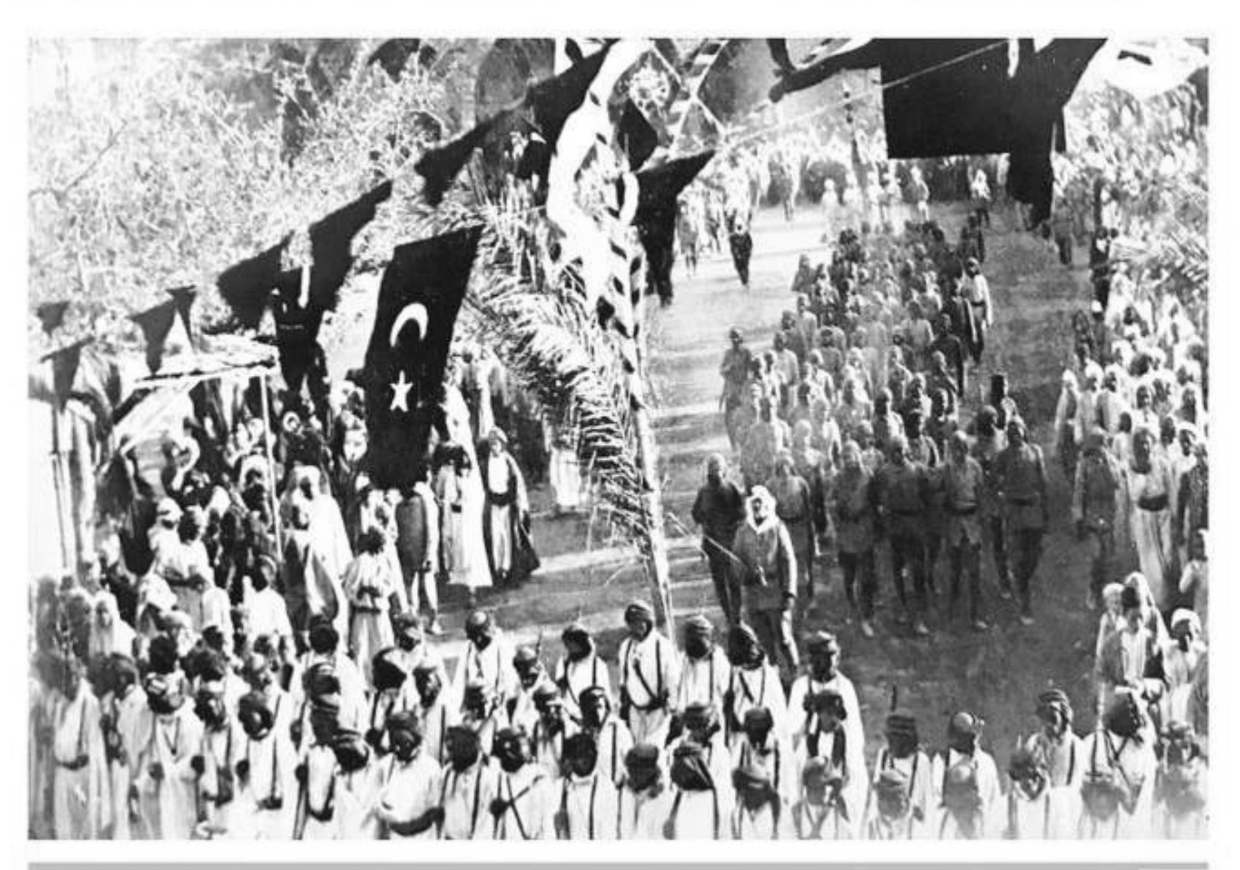
(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٨١.

(2) Kandemir, p. 60- 61.



صورة تجمع بين بصري باشا وفخري باشا والشريف علي حيدر أثناء افتتاح محطة اللاسلكي شمال المدينة المنورة

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



وصول الشريف علي حيدر إلى المدينة

(المرجع: Prince of Arabia)

حضور عالى آصفانه لرينه

دولتلو افندم حضرتلرى

رسالة الشريف علي حيدر باشا إلى الصدر الأعظم طلعت باشا

(المرجع: Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir)



فخري باشا بمعية الشريف علي حيدر أثناء وضع حجر لأحد المشاريع
(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

أن أكسيهم فأكتفي بقدر من المال أعطيه لهم، وهكذا أتدبر مصالحنا، وقد فكرت فيما إذا فتحت باب البذل والعطاء فإن البدو سيتدفقون إلى المدينة وسيكون من الصعب إرضاء كل واحد منهم، لذا اضطررت أن أتصرف حسب ظروفنا، وإذا أردتم أن تفوا بوعودكم بإرسال النقود فأرسلوها لي في المدينة، إذ لم يتبق لي من نقود، تُرى من أين آخذ راتبي ومعاشي، فإن النقود الورقية هنا لا تصرف"[1].

وفي رسالة أخرى يقول: "التداول الورقي عديم الجدوى في الحجاز، حيث القيمة كلها في الذهب وحده، وعلى الجانب الآخر فإن البريطانيين يوزعون الذهب بسخاء، لذا يتحتم علينا أن ندفع للبدو بالذهب التركي. إن الكلمات التالية التي قيلت لي من شيخ قبيلة صبح تعكس الشعور العام للقبائل، وهي جديرة بالاهتمام، قال الشيخ الصبحي: لقد أقسمنا أن نكون أوفياء، بلادنا تقع على

(1) Kandemir, p. 64- 65.

طول الساحل وقد أعطينا كلمتنا أننا سنحمي الشواطئ ضد العدو، وإن السواحل ستكون مغلقة عنا بشكل طبيعي، فإذا لم تمددنا بالطعام والمؤونة فكيف سنبقى على قيد الحياة"[١].

لم يكتف الشريف علي حيدر باستمالة أبناء القبائل بل قام بمراسلة أمراء نجد، فكتب إلى الملك عبد العزيز آل سعود - وكان أميراً على نجد وقتها- رسالة مؤرخة في ١٤ شوال ١٣٣٤هـ، يشرح له فيها أمر الشريف الحسين وثورته، وخبر تعيينه أميراً لمكة بدلاً منه، ويطلب منه أن يؤدي الواجب الديني تجاه مكة المكرمة، وأن يتخذ التدابير المرضية تجاه الشريف الحسين[٢].

فأرسل له الملك عبد العزيز رسالة تتضمن موافقته المبدئية، وسنأتي على موقفه وطريقة مسايسته للأطراف المختلفة وقتها.

كما راسل الأميرَ سعود ابن رشيد الذي كان مع الحكومة العثمانية، وفي هذه المراسلات كتب علي حيدر باشا إلى طلعت يقول:

"ووقعت المنافسة بين ابن رشيد وابن سعود، فالأول يخبر بأنه مستعد لتنفيذ كل ما تطلبه الحكومة، والثاني يقول: بلغوني ما يأمر به السلطان وأنا أمضي عليه وإني مستعد لتعقّب الحسين، وأرى أن علينا الاستفادة من هذه الفرصة، فإذا صدق ابن رشيد في وعده في مقاومة الشريف الحسين، فنستطيع حينذاك أن نعطي ابن سعود وظيفة أخرى، ونقربه إلينا ونلاطفه ونستميله، ولكن إذا لم يقاوم ابن رشيد الشريف الحسين وتمهل في ذلك، ففي هذه الحالة ينبغي الاستعانة بابن سعود ونسيّره ضد الحسين ببعض الشروط"[٣].

---

(1) Stitt, p. 171- 172.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٢ : ٣٨١- ٣٨٣.

(3) Kandemir, p. 63.



فخري باشا مع الشريف علي حيدر باشا يتابعان أحداث المعارك

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

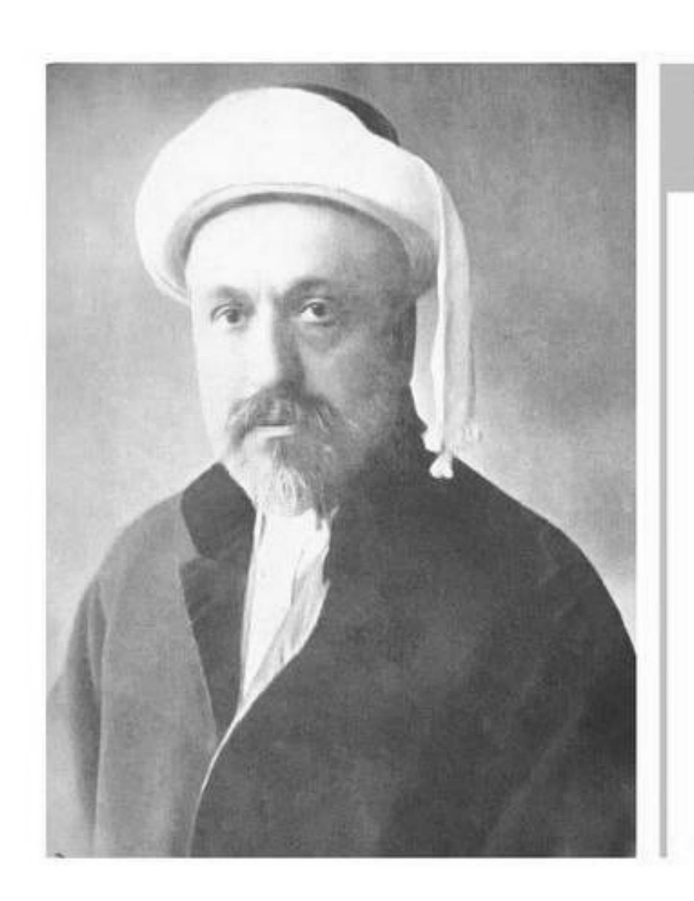
ثم يردف قائلاً: "أريد أن أحذركم بنية خالصة أن ابن سعود مع رجوعه صديقاً لنا مرة أخرى، فلا يبعد أن يرجع عدواً، وهو كما ترون وهابي المذهب، ومن أجل ذلك وجب علينا أن نحتاط ونتنبه، فهو من أسرة عريقة، وهو رجل مذهبه، ويجب علينا أن نثبت على وعودنا ونتغاضى عنه في بعض الأمور..". إلى آخر ما تضمنته رسالته[١].

ويبدو أن هذه الترتيبات لم تكن كافية، فقد وردت رسالة من أنور باشا إلى الشريف علي حيدر يفيده بأن وجوده في المدينة لم يعد له كبير فائدة، وعليه الخروج منها، وأن جمال باشا سيزوده بالتفاصيل، فنزل الخبر عليه كالصاعقة إلا أنه لم يكن له بد من الانصياع للأمر[٢].

---

(1) *Kandemir, p. 63.*

(2) *Kandemir, p. 87, Stitt, p. 178.*



الشريف علي حيدر باشا

(المرجع: *Prince of Arabia*)

ويذكر ناجي كجمان أيضاً من الأحوال التي أدت إلى خروج الشريف المذكور، أنه كان في أحد الأيام يتنزه في الحدائق الواقعة في شمال المدينة الشرقي، وعرف الأشراف ذلك فدبروا برئاسة الأمير عبد الله خطة لخطف الشريف علي حيدر، فلما علم بذلك أدرك أنه لا جدوى من وجوده في المدينة[١]. وذكر الشريف عبد الله بن الحسين بأن المكان الذي قرروا فيه خطف الشريف علي حيدر في طرف بئر عروة، في ظهر يوم الجمعة، إلا أنه أخرج من المدينة إلى لبنان خوفاً من وقوعه في الأسر إذا حوصرت المدينة [٢].

في حين أن السيد حمزة غوث يعزو سبب الخروج إلى خلاف دبّ بين الشريف علي حيدر باشا والقائد فخري باشا، واقتنعت الحكومة التركية بضعف الشريف المذكور، وأنه لا فائدة من وجوده في المدينة، فطلبت منه العودة إلى إسطنبول لكنه اتخذ من بيروت مستقراً له[٣].

---

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٨٢.

(٢) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٤٨.

(٣) «من رجال المدينة المنورة السيد حمزة غوث» ص ٩٠.

بينما يرى المؤرخ أمين سعيد أن فخري باشا هو الذي كتب طالباً إجلاءه ومن معه لأنه تبيّن أن لا فائدة ترجى منهم، فهم مجردون من كل نفوذ بين القبائل، وأن بقاءهم يؤدي إلى زيادة النفقات[١].

والحق أن هذا الأمر غير صحيح، والخلاف الذي بين فخري وعلي حيدر إنما كان في بداية حلول الأخير في المدينة، إذ كان فخري متوجساً ريبة منه، ولم يكن يثق به إذ كان يخشى أن يكون تأثيره على القبائل محرّضاً لثورة أخرى، كما كان هناك تضارب قوي بين مسؤولياتهما، فكان فخري يمنعه من المعلومات الأساسية[٢]، وعلي حيدر يريد أن يعرف كل شيء[٣]، لكن في نهاية المطاف تصادقا بعد حادثة الإخلاء التي سنأتي على ذكرها.

وقد تحدث الشريف علي حيدر في مذكراته عن عزله فقال:

"إذا ما كان علي البقاء في المدينة فسيتمّ عزلي كلّياً عن العالم الخارجي بجميع النوايا والأهداف، منسياً من عالم المنتصرين والمهزومين على حد سواء، وعاجزاً عن بذل أي تأثير في الشؤون العربية. على الجانب الآخر سأبقى في سوريا على اتصال مع ما يحدث وسأكون في موقع أفضل لتولي شؤون القبائل الواقعة تحت سيطرتي. وهكذا أعطيت جمالي وخيولي والمؤن والمخازن لفخري باشا لاستخدامه الشخصي مع كتيبة الفرسان التي كانت مخصصة لموكبي. ومع ذلك فالبقية من الوحدات العسكرية عادت معي إلى دمشق كما أمرهم جمال باشا لدعم المقاومة على الجبهة الفلسطينية.

ومع الندم والأسف الشديدين فإني غادرت القبر المقدس للمرة الأخيرة،

---

(١) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد، ١: ١٧٦- ١٧٧.

(2) Stitt, p. 170.

(3) Kandemir, p. 62.

ومضيت إلى المحطة وقلنا: وداعاً، حماية هذا القبر المقدس بيد الله وإنك أنت أداته، أتركه في رعايتك فكن على قدر الثقة.

كانت هذه كلماتي إلى فخري باشا، وهو لم يخيب الثقة التي أسندت إليه. لم يستسلم أبداً، وعندما انتهت الحرب بقي في المدينة حتى تلقى الأوامر من حكومته بالتراجع. تحرك القطار بعيداً"[1].

ويصف فريدون قاندمير لحظة خروج الشريف علي حيدر من المدينة في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ، بكلام عاطفي فيقول بما مضمونه ومعناه:

"١٤ مارس ١٩١٧، يا رباه ما أمرّه من يوم وأشدّه من ألم! المحطة كانت غاصة بالناس والأشياء، والناس تروح وتأتي، وآخرون يحضنون ويبكون، كل هذه المشاهد تبكي القلب، هناك حقائب ملقاة، وأكياس وصناديق بين الغبار والتراب... وكان الجو حاراً جداً، والشمس حادة السطوع، وجاء الأمير وبجانبه أولاده، وبصري باشا، وخلفه جمع غفير من أهل المدينة من الأشراف وغيرهم، وصفان من العساكر يلقون التحية العسكرية، ثم دخل الأمير إلى المقطورة، وتجمّع الناس أمامها وبعضهم كان يدخل ويقبّل كف الشريف ويبكي. قبّل بصري باشا وفخري باشا يد الأمير وودعاه... وكان وجه الأمير الظاهر من النافذة شاحباً إلى أبعد درجة، وهو يحاول الابتسام لكن شفته ترتعش، وفي أثناء هذه اللحظات الحزينة، أطلقت صافرة القطار، وبدأ الجميع يذهب ويتحرك ببطء، وأخذ القطار في السير، والأمير ينظر نظرات سارحة ويضع يده على جبهته ملقياً السلام. أما فخري باشا فكان مثل نابليون واقفاً بشموخ، والقطار يبتعد ويغيب عن الأنظار، ولم يتحرك أحد، وكلهم غير مصدقين لما يحدث، وكأن الأمير وأولاده ركبوا القطار رغماً عنهم، فكانت كما لو أنها جنازة حيّة"[2].

---

(1) Stitt, p178- 179.

(2) Kandemir, p.80- 81.



الشريف علي حيدر باشا يغادر المدينة المنورة
(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

إنشاء جريدة الحجاز :

اتخذت بريطانيا في هذه الحرب أسلوب إلقاء المنشورات من الطائرات على الجنود الأتراك بما فيها من الأخبار والأوامر والعروض، وسيلة من وسائل الحرب الإعلامية، والغرض من ذلك زعزعة معنوياتهم[١].

وكانت الحكومة العثمانية تعتمد على الحرب الإعلامية عن طريق جرائدها السورية مثل: (جريدة العالم الإسلامي) التي يحررها الشيخ عبد العزيز جاويش، و(جريدة الشرق) التي يحررها الأمير شكيب أرسلان[٢].

كما قامت بطباعة العديد من التآليف في نصرة الدولة العثمانية، ومن ذلك كتاب: «أبو جهل القرن الرابع عشر أمير مكة السابق حسين»، طبع في ٢٥ ذي القعدة سنة

---

(١) ذكر الضابط كجمان نماذج عديدة في كتابه، انظر على سبيل المثال: *Kiciman,p. 164*.
(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٢ : ٣٢١.

١٣٣٤هـ، وأيضاً كتاب: «تحذير المسلمين عن الوقوع في حبالة دسائس الائتلافيين وبيان وجوب مجانبتهم ومجاهدتهم بنص الكتاب المبين» المطبوع في رجب سنة ١٣٣٤هـ، و«شفاء القلوب وإرشاد المضطر والمكروب إلى أهمية الدعاء وإلى الأدعية المأثورة المختصة بأزمنة الحروب» المطبوع في ذي القعدة سنة ١٣٣٤هـ، كلاهما للشيخ عبد الرحمن باشا بن أحمد إلياس.

ومواكبة لهذه الحرب الإعلامية أمر الشريف الحسين بإنشاء جريدة رسمية ناطقة باسم حكومته أطلق عليها اسم: (جريدة القبلة)، وصدر أول عدد منها يوم الإثنين ١٥ شوال سنة ١٣٣٤هـ، وكانت تصدر مرتين في الأسبوع، يومي الإثنين والخميس. واستقدم الشريف الحسين السيد محب الدين الخطيب (ت ١٣٨٩)[١] بالاسم بتزكية من الشيخ محمد كامل بن أحمد القصاب[٢]، وذلك بغرض تأسيس المطبعة الأميرية وإنشاء الجريدة ثم تعيينه في رئاسة تحريرها[٣]، وكان الشريف يكتب فيها بنفسه ولا تصدر إلا بعد عرضها عليه، وشارك فيها العديد من العلماء،

(١) مع أن السيد محب الدين الخطيب كان مع الثورة إلى نهايتها إلا أنه سجل رأيه في الشريف الحسين وثورته في سيرته الذاتية التي صاغها بصيغة المجهول فقال: «ولكن الملك حسين وأولاده عاشوا وماتوا بعقلية عصور الإقطاع التي تعتبر الأوطان مزارع للملوك ... فلما وصل -أي الخطيب- مكةـ ودرس الحالة عن كثب، وفي ظل الأمر الواقع، وأيقن من سوء ظن الشريف حسين بمن يتعاونون معه؛ تقرّر عند صاحب الترجمة أن الحسين بن علي لم يقم لأجل أن تكون للعرب دولة، بل قام لأن الترك كانوا على نيّة الإبطال لشرافة مكة، فتغدى بهم قبل أن يتعشوا به، وإلى هذه النتيجة توصل صاحب الترجمة، وهي إخفاق آماله وخيبتها». انظر: «من سير الخالدين بأقلامهم» ص ١٥٧- ١٥٨.

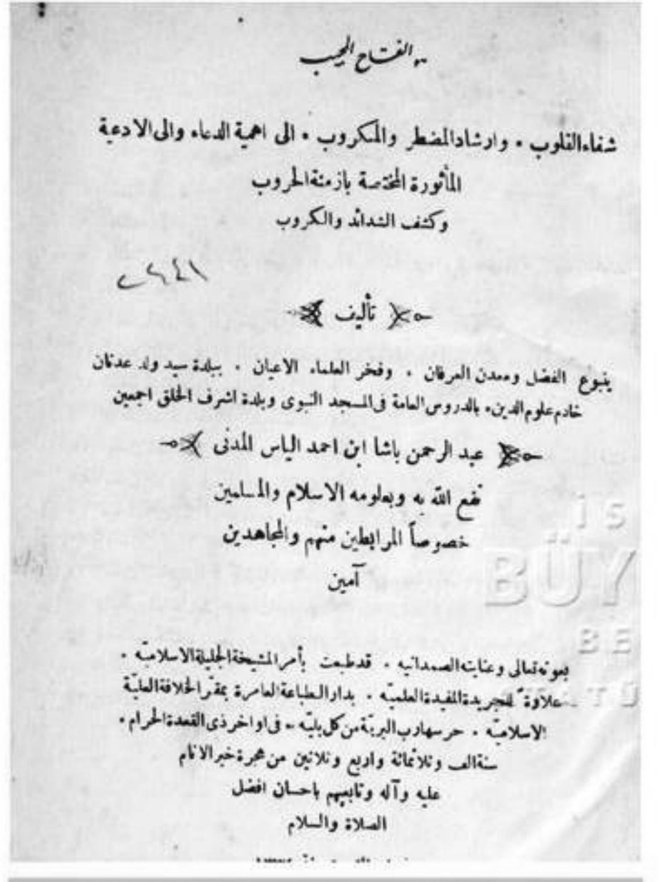
(٢) ولد سنة ١٢٩٠، ونشأ على طلب العلم وبرع في العربية والقراءات، وكان أحد أعضاء جمعية العربية الفتاة السرية، ومن مؤيدي الثورة العربية الكبرى، وفي عهد الملك عبد العزيز عيّنه مديراً للمعارف في الحجاز، وأخيراً صار رئيساً للعلماء بدمشق مدة، ثم استقال، توفي سنة ١٣٧٣هـ. «الأعلام» ٧: ١٣-١٤، و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر» ٢: ٦٥٧.

(٣) «من سير الخالدين بأقلامهم» ص ١٥٥- ١٥٦.

غلاف كتاب (أبو جهل القرن الرابع عشر)

ابوجهل القرن الرابع عشر
اميرمكه السابق حسين

٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٤



هو الفتاح المجيب

شفاء القلوب . وارشاد المضطر والمكروب . الى اهمية الدعاء والى الادعية
المأثورة المختصة بازمنة الحروب
وكشف الشدائد والكروب

تأليف

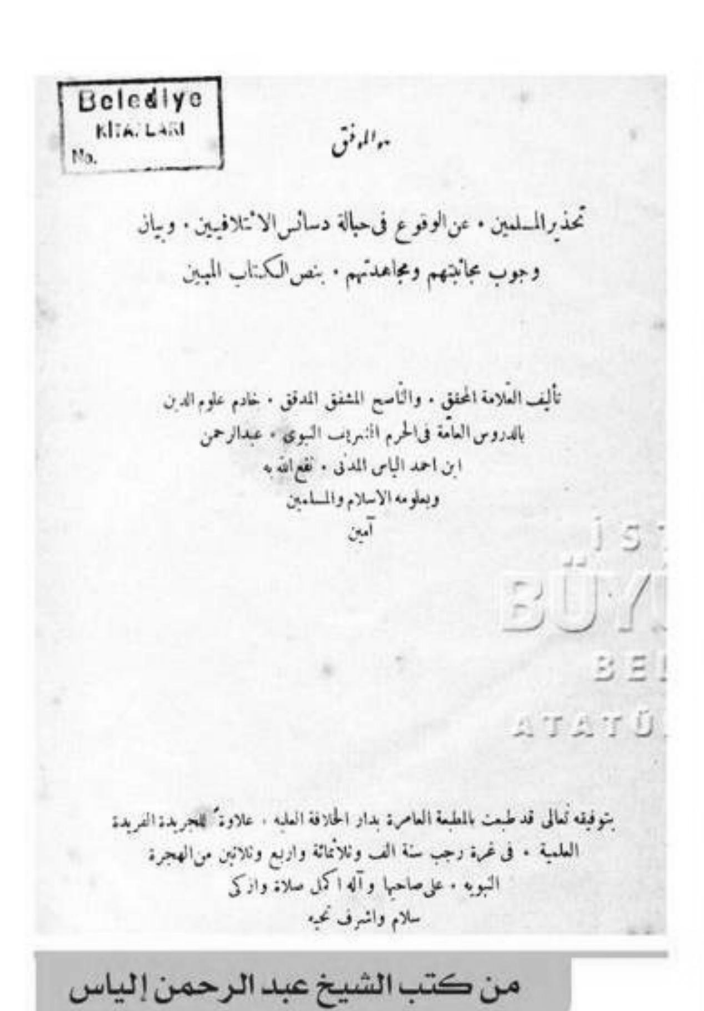
ينبوع الفضل ومعدن العرفان . وفخر العلماء الاعيان . ببلدة سيد ولد عدنان
خادم علوم الدين بالدروس العامة في المسجد النبوي وبلدة اشرف الخلق اجمعين

عبد الرحمن باشا ابن احمد الياس المدني

نفع الله به وبعلومه الاسلام والمسلمين
خصوصاً المرابطين منهم والمجاهدين
آمين

بعونه تعالى وعنايته الصمدانيه . قد طبعت بأمر المشيخة الجليلة الاسلاميه .
علاوةً للجريدة المفيدة العلميه . بدار الطباعة العامرة بمقر الخلافة العليه
الاسلاميه . حرسها رب البرية من كل بليه . في اواخر ذي القعدة الحرام .
سنة الف وثلاثمائة واربع وثلاثين من هجرة خير الانام
عليه وآله وتابعيهم باحسان افضل
الصلاة والسلام

من كتب الشيخ عبد الرحمن إلياس



هو الموفق

تحذير المسلمين . عن الوقوع في حبالة دسائس الائتلافيين . وبيان
وجوب مجانبتهم ومجاهدتهم . بنص الكتاب المبين

تأليف العلامة المحقق . والناصح المشفق المدقق . خادم علوم الدين
بالدروس العامة في الحرم الشريف النبوي . عبد الرحمن
ابن احمد الياس المدني . نفع الله به
وبعلومه الاسلام والمسلمين
آمين

بتوفيقه تعالى قد طبعت بالمطبعة العامرة بدار الخلافة العليه . علاوةً للجريدة الفريدة
العلمية . في غرة رجب سنة الف وثلاثمائة واربع وثلاثين من الهجرة
النبويه . على صاحبها وآله اكمل صلاة وازكى
سلام واشرف تحيه

من كتب الشيخ عبد الرحمن إلياس



الشيخ بدر الدين النعساني

وأعيان من أهل المدينة ومكة وغيرهم، من أقطار العالم الإسلامي، يندّدون بالعثمانيين والاتحاديين وأفعال فخري باشا[١].

ورداً على هذه الجريدة أمرت الحكومة العثمانية بإنشاء جريدة رسمية في المدينة تسمى بـ (جريدة الحجاز)، وصدر الأمر من القائد العام أنور باشا لجمال باشا قائد جيش الشرق الأوسط، بأن يعمل اللازم لإنشاء الجريدة، فانتدب جمال باشا الأديب السوري بدر الدين محمد بن مصطفى النعساني[٢] لانتخاب مدير مسؤول عن الجريدة من أهل المدينة، فسافر من حلب إلى المدينة المنورة، وهناك زار السيد حمزة بن إبراهيم غوث، وفاوضه في موضوع إدارة الجريدة، وتحمل مسؤولية إصدارها، فوافق السيد حمزة، وصدر أمر جمال باشا بتعيين إدارة الجريدة للسيد حمزة غوث، ليقوم بما يلزم من تهيئة محل للمطبعة، فوصلت المطبعة كاملة بموظفيها، حيث

(١) «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» ١ : ٧٣- ٧٤.

(٢) ولد سنة ١٢٩٨هـ في حلب، وطلب العلم في الأزهر، ورحل إلى الهند وتركيا وتونس وليبيا والجزائر، وعمل في الصحافة، وكان كاتباً أديباً، وله شعر، توفي ١٣٦٢هـ. «الأعلام» ٧ : ١٠٢.



العدد ٤٣ (تصدر خمس مرات في الاسبوع) السنة الاولى

الحجاز

محل ادارة الجريدة والمطبعة
المدينة المنورة (الساحة)
المدير المسئول
السيد حمزه غوث

تقبل جميع الرسائل المتعلقة بالمصالح الاسلامية والخلافة العثمانية
لا تعاد الرسائل لاصحابها نشرت او لم تنشر

الاشتراك
جميع الممالك العثمانية : عن سنة ليرة عثمانية
وعن ستة اشهر ٦٠ قرشاً
في البلاد الاجنبية عن سنة ١٨٠ قرشاً
عن ستة اشهر ١٠٠ قرش
ثمن النسخة الواحدة ١٠ بارات

جريدة سياسية ادبية اجتماعية

المدينة المنورة : يوم الاثنين في ١٤ ربيع الاول سنة ١٣٣٥ الموافق ٢٦ كانون اول سنة ١٣٣٢ و ٨ كانون الثاني سنة

جريدة الحجاز

جلب المطبعةَ النعسانيُّ من دمشق، وتم إسناد رئاسة تحريرها إليه[١]، ويكون حق المراقبة عليها للشريف علي حيدر باشا أمير ولاية الحجاز المعيّن حديثاً آنذاك، وكانت لا تصدر الجريدة إلا بعد عرضها عليه[٢].

وعيّنت الحكومة رواتب شهرية لجميع موظفي الجريدة ومسؤوليها، مع دفع تكاليف إصدارها وتوزيعها كاملة، وكانت تنفق بسخاء إذ كان يتقاضى مديرها ٥٠ جنيهاً ذهبياً عثمانياً شهرياً، ويتقاضى محررها ٣٠ جنيهاً ذهبياً[٣]. وصدر أول عدد في ٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٤هـ، وقد كانت تصدر في أول أمرها ثلاث مرات في

(١) جاء في «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١٠٧، أنهم استخدموا المطبعة الخاصة بالمدرسة الكلية (دار الفنون)، وأن رئيس تحرير الجريدة هو السيد حمزة ومديرها بدر الدين النعساني وكل ذلك وهمٌ سرى إلى الأستاذ زيدان، والصحيح ما ذكرتُه كما في مذكرات السيد حمزة غوث.

(٢) «من رجال المدينة المنورة: السيد حمزة غوث» ص ٩٠، و«تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» ١ : ٦٣- ٦٥.

(٣) «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» ١ : ٦٥.

الأسبوع، ثم خمس مرات ثم صارت يومية عدا الجمعة[١]. وكان من أشهر من يكتب في الجريدة الشيخان الجليلان عبد القادر توفيق الشلبي، والشيخ محمد بن أحمد العمري وشنّا الحملات تلو الحملات ضد الشريف الحسين، ونشرا مقالات كثيرة في التنديد بهذه الثورة[٢].

وكانت هذه الجريدة تصدر مطبوعة على أوراق من نوع رديء، وقد تحتجب أعدادها أحياناً نظراً لقلة الأوراق[٣]، وقد نشرت الجريدة اعتذاراً عن ذلك تحت عنوان: (فقدان الورق) في العدد رقم ٩٨ المؤرخ في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ، جاء فيه: "يعلم القراء شكوانا قديماً من قلة الورق وتأخر المرسل منه باسم الجريدة في الطريق، ومنذ أيام انتهى الورق الأبيض الذي كانت تصدر به الجريدة منذ أيام ... مع أنه غير صالح، ومع هذا فقد انتهى المقدار الذي حصلنا عليه من المنزل[٤]، والورق لم يحضر، لذلك نعلن لحضرات القراء الكرام -مع الأسف- بأن الجريدة ستتأخر ريثما يصل الورق، ونعود إلى استئناف العمل"[٥].

ويبدو أنها لم تستمر طويلاً إذ توقفت عن الإصدار، وأقفلت المطبعة سنة ١٣٣٥هـ[٦]، وكان آخر عدد لها برقم (١٠٥) وصدرت بتاريخ ١ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٥هـ[٧].

---

(١) «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» ١ : ٦٣.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١٠٧.

(٣) «جريدة القبلة» ع ٧٢ ص ٢.

(٤) يقصد به مستودع الحكومة العثمانية، حيث كانوا يحفظون فيه المؤن وما يحتاجه الجيش العثماني، وكان يتم تشكيل المنازل في الطرق التي يمر منها الجيش. «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» ص ٢١٦.

(٥) «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» ١ : ٦٤.

(٦) «جريدة القبلة» ع ٧٧ ص ٢.

(٧) «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» ١ : ٦٤، و«الصحافة في المدينة المنورة» ص٥٧.

وأما سبب إقفالها فيعزو السيد حمزة غوث ذلك إلى أن الحكومة العثمانية أرادت أن تؤسس جريدة لها في دمشق، فأمرت بتحميل المطبعة والموظفين إليها، فطلب فخري باشا من السيد حمزة غوث نقل عمله إلى هناك فاعتذر، ونُقلت المطبعة والموظفون[١]. ويذكر السيد عثمان حافظ بأن المطبعة أعيدت إلى دمشق على خط الحديد الحجازي مع بدر الدين النعساني سنة ١٣٣٥هـ[٢].

وقد كان لهذه الجريدة أثر في من شارك فيها من الوجهاء والعلماء، فقد أعطت السيد حمزة غوث المكانة والشهرة، فعيّنه فخري باشا رئيساً لبلدية المدينة سنة ١٣٣٥هـ[٣].

وللشيخ محمد العمري قصائد نشرها في هذه الجريدة كان لها أثرها، وقد قال فيه الشيخ عبد القدوس الأنصاري[٤]: "وفي أيام المعارك الطاحنة بينها -أي الدولة العثمانية- وبين جيوش الهاشميين والحلفاء، فكانت قصائده جيشاً من

---

(١) «من رجال المدينة المنورة: السيد حمزة غوث» ص ٩١، وهذا يرد على الأستاذ زيدان الذي زعم أن المطبعة التي استخدمت هي مطبعة المدرسة الكلية، وتبعه على هذا القول من جاء بعده.

(٢) «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» ١ : ٦٥.

(٣) «من رجال المدينة المنورة، السيد حمزة غوث» ص ٩٣.

(٤) ولد في المدينة سنة ١٣٢٤هـ، وعاش يتيم الوالدين، وكفله خاله العلامة محمد الطيب التنبكتي، فتلقى عنه علوم اللغة والأدب والفقه المالكي، ورحل إلى مكة أثناء السفر برلك، ثم عاد والتحق بمدرسة العلوم الشرعية وقرأ الكتب الستة فيها، وحصل على الشهادة العالية سنة ١٣٤٦هـ. ودرّس في مدرسة العلوم الشرعية، وعمل في ديوان الإمارة، ثم موظفاً في ديوان الملك فيصل حين كان أميراً ونائباً في الحجاز، وعين سكرتيراً لمجلس الوكلاء، وما زال حتى وصل مستشاراً لمجلس الوزراء، وعضواً لمجلس المعارف. كان رحمه الله عالماً متفنناً، وفقيها مالكياً، وأديباً شاعراً، وكاتباً صحفياً، تولى رئاسة تحرير جريدة أم القرى، وأنشأ مجلة المنهل، وله يد طولى في علم التاريخ والآثار، ومن أهم كتبه: «آثار المدينة المنورة». توفي رحمه الله سنة ١٤٠٣هـ عن ٧٩ سنة. ولينظر للاستزادة: «عبد القدوس الأنصاري وإسهاماته العلمية والثقافية»، من مطبوعات نادي المدينة المنورة الأدبي.

هذه الجيوش تغزو قلوب السامعين والمطالعين فتؤثر فيها أروع تأثير. كانت دعاية صارمة قوية للدولة العثمانية ضد خصومها"[١]. وقال الشيخ محمد الحافظ عن قصائده: "سبّ قبيلة حرب بالصراحة وتكلم على الأشراف كلاماً فظيعاً لأنه رأى أنه خروج عن الخلافة"[٢].

ومما قاله في مدح فخري باشا[٣]:

حد الخلافة من يجتازه ظلما	**ومن أباح حماها بئس ما اقتحما**
ومن يثر فتنة عمياء ساكنة	**فهو الذي هتك الإسلام والحرما**
أبو الفتوحاتِ فخرُ الدين ناصره	**حامي الخلافةِ إن حقٌ لها اهتُضِما**
مدرّبٌ عارفٌ بالحرب ذو خدعٍ	**تخفى على الوهمِ لا يألو بها نِقَما**
سل عنه (حرباً) وما ضمّت جموعهمُ	**بـ(ذي الحليفة) من في الحرب قد هزما**
من لا يهاب الردى والموت مكتسحٌ	**ولا ينام على وِترٍ إذا ظلما**
من غار في (غائرٍ) والموت يتبعه	**والروع لم يبق في تلك الوجوه دما**

وفي هذه القصيدة تعرّض للشريف الحسين بن علي، حتى روي أن الشريف بعد نفيه[٤] اطّلع على أوراقه، فرأى هذه القصيدة فقال: "لقد نصحَنا المغربي فلم ننتصح"[٥].

(١) «أعلام العلم والأدب في جزيرة العرب»، عبد القدوس الأنصاري، مجلة المنهل، سنة ١٣٧٧، ص ٢٤٨.

(٢) «المحاضرات»، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ٦: ٧٤.

(٣) «الشعر الحديث في الحجاز» ص ١١٠- ١١١.

(٤) نُفي الشريف الحسين من قِبل الإنجليز إلى جزيرة قبرص، وذلك في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٣هـ، ومكث فيها حتى سنة ١٣٤٩هـ، ولما اشتد به المرض طلب أن يذهب إلى الأردن حيث ابنه الملك عبد الله، وبقي حتى توفي سنة ١٣٥٠هـ ونقل جثمانه إلى بيت المقدس ودفن هناك رحمه الله. ينظر: «الإشراف على تاريخ الأشراف» ص ٦٦٢.

(٥) «من أعلام المدينة المنورة: محمد العمري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩هـ.

ومن أشهر قصائده تلك التي تعرّض فيها لقبيلة حرب لما رأى أن معظم هذه القبيلة قد انحازوا مع الثورة العربية، فأنشأ يقول[١]:

رويداً بني حـرب تغاديكم الحربُ ... ويجتاح ما خولتمُ الطعن والضرب
فأنتـم قدحتـم للشـقاء زنادهـا ... فطارت شراراً لا تبوح ولا تخبو
فصبـراً علـى ذلٍّ أمـرّ مضاضـة ... من الصاب[٢] لا يسطيعه الحلق والقلب
معاذ إلـه العرش يرجـى أموركم ... ولما يجازي ذلك النهب والسلب
قرونـاً ثمـانٍ تعبثـون بوفـده ... حجيجاً وعماراً إلى بيته تصبو
ألـم تعلمـوا أن الجهالـة غبّهـا ... وخيمٌ وأن البغي مركبه صعب
ولمـا أتـاح الله تغييـر أرضكـم ... بإجلائكم عنها غوت بكم الدرب

وقال عن بريطانيا:

فقل لي متـى وفت بعهـدٍ لحاكم ... فهل هو إلا العهد من بعده الغصب
فتلك ملوك الهند دُكت عروشـها ... وهذي شيوخ العرْب أدمعها سكب
علـى أن مـا تنويـه تأبـى تهامـة ... على كونه فيها ويأبى لها الجدب
وأما سـواها مـن مسـاكن يعربٍ ... فيأبى عليك الأمر آسادها الغُلب
وهـذا رسـول الله مـا تـمّ أمـره ... بها وهو حق ليس عن شمسه حجب
وفـي ابن الحـواريّ الزبيـر لعبرة ... لمن كان في التاريخ يصفو له اللب

ولا يخفى ما في هذه القصيدة من تعميم ألجأه إليه الانحياز والعاطفة، وإلا فإن هناك جماعات من بني حرب لم يكونوا مع الثورة من أمثال: الشيخ حسين بن مبيريك الغانمي الحربي، وطلق السكراني الحربي من ولد محمد، وحسين بن فليح الحربي من بني عمرو[٣].

---

(١) «أعلام العلم والأدب في جزيرة العرب»، عبد القدوس الأنصاري، مجلة المنهل، سنة ١٣٧٧، ص ٢٤٨، و«الشعر الحديث في الحجاز» ص ١١٢- ١١٣.

(٢) الصاب نوع من أنواع الشجر مرّ. «تاج العروس» ٣: ٢١٦.

(٣) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٧.



فخري باشا يستمع لمخبريه من بعض القبائل العربية
(المرجع: Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir)

وأما الشيخ عبد القادر الشلبي فكانت له فيها مقالات يندّد بالثورة، ولم أقف على شيء منها سوى ما جاء في إحدى الرحلات تبيّن رأيه واضحاً في هذه الفتنة، حيث قال الشيخ الشلبي: "إن من يتولى الكافر على المسلم فهو كافر بالإجماع، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وكثيرون جرهم العدو بذهبه ووظائفه، فكانوا عوناً على المسلمين، وعيوناً على عوراتهم"، وقال أيضاً: "إن الذي خرب بلاد الحجاز على التحقيق هم الأشراف، ومع هذا فلا يجوز الدعاء عليهم، كالوالد يدعو لولده بالإصلاح إذا أساء"[١].

وأخيراً فإن الجريدة لم يكن لها وارد يغطي مصروفاتها، ولم تحقق هدفها، وذلك بسبب قصور توزيعها على أهل المدينة أنفسهم، فقد نزح معظم سكانها، ولم تصدّر إلى الخارج خاصة إلى ديار الملك عبد العزيز ابن سعود، والأمير

(١) «الرحلة إلى المدينة المنورة» للشيخ محمود ياسين، ص ١٤٠.

سعود ابن رشيد، مما قلّل منفعتها في باب الدعاية الإعلامية[١].

استبدال مصطفى كمال أتاتورك بفخري باشا:

لم يمكث فخري باشا في منصبه قائداً لقوة حملة الحجاز إلا يسيراً حتى استبدّ بأنور باشا رأيٌ آخر بعد أن رأى تقدّم الشريف الحسين واستيلائه على مكة وسقوط مدينة جدة والطائف على يديه، وكان من المتعين على هذه القوّة سوْق حملة خاصة إلى مكة لإدخالهم تحت الحكم العثماني مرة أخرى، لكن الأمر لم يكن بالسهل كما كان مخططٌ له، وكان أنور باشا عالقاً بين خياريْن حرجينْ: إما إنقاذ السويس من أيدي الإنجليز، أو إتمام حملة مكة، وبعد مشاورة مع رفيقه جمال باشا قررا في ١٦ ذي القعدة ١٣٣٤هـ، أن يتخليا عن حملة مكة نظراً لحاجتهما إلى قوة جديدة من الجيش، وهذا لم يكن ممكناً بحال آنذاك، لذا صدر الأمر في ١٤ صفر ١٣٣٥هـ، لفخري باشا بتأجيل فكرة التقدم إلى مكة، والاكتفاء بالدفاع عن المدينة المنورة وحماية سكة الحديد[٢].

وبعد فترة رأى أنور باشا أن المدينة المنورة ستكون فريسة سهلة على الشريف الحسين نظراً للتقارير التي كان يرسلها فخري باشا بشأن إظهاره خطورة الوضع وطلب المزيد من القوات، فارتأى أنور باشا أن يعزله ويعيّن قائداً آخر أكثر كفاءة منه، فأرسل رسالة مشفّرة إلى جمال باشا يخبره بأن التقارير التي تصله من فخري باشا تفيد بأنه ليس بالشخص القوي والحازم كما ينبغي أن يكون، ويطلب من جمال باشا أن يخبره إذا أمكن تغييره بقائد آخر من نفس الفيلق الرابع الذي ينتمي إليه[٣].

---

(١) «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» ١: ٦٥- ٦٦؛ *Kiciman, p.61*.

(2) Kandemir, p. 56- 58.

(3) Kandemir, p.67, Kiciman, p.88, 90.

فأرسل جمال باشا إلى أنور باشا رداً يتضمن الموافقة، وأن فخري باشا رجل قوي وكفؤ، لكنه غير متصور للوضع العام، وليس قادراً على التحكم في إدارة الأمور، واقترح على أنور باشا أن يعيّن عصمت بك(١) قائد الفيلق السادس، وكان آنذاك في اليمن.

ثم أرسل جمال مرة أخرى إلى أنور يخبره بأن فخري باشا لا يمكن استبداله إلا بشخصٍ من الدرجة الأولى، ثم أفاض في مناقب فخري باشا، وأنه يشارك العسكر حياتهم، وينام معهم على الأرض، ويشارك في مداواة مرضاهم بنفسه، وبالتالي فقد كسب قلوب الجنود، وله تأثير قوي على الكثير منهم في الحجاز، لذا فهو -أي جمال- يرى أن عصمت بك هو الشخص المناسب الذي يمكن أن يعيّن مكان فخري باشا.

لكن أنور باشا أرسل إليه رسالة تفيد بأن عصمت بك لا يمكن تعيينه مكان فخري لأنه يخدم في مكان آخر مع صغر سنه وافتقاره إلى الخبرة السياسية(٢)، وبناءً عليه فإنه يرى أن القائد مصطفى كمال أتاتورك هو أولى الناس بتعيينه مكان فخري باشا، وذلك لأنه شارك في الحرب في بنغازي بليبيا ضد الطليان، وأدار العرب هناك بشكل جيد، وأظهر كفاءة عالية في حرب (جناق قلعة)(٣)، وهو الآن قائد الفيلق الثاني في الجيش(٤).

---

(١) هو مصطفى عصمت إينونو، ثاني رؤساء الجمهورية التركية، توفي سنة ١٣٩٣هـ.

(2) Kiciman, p. 90.

(٣) معركة جناق قلعة (*canakkale*) أو معركة جاليبولي، حدثت بين القوات التركية وقوات الحلفاء: البريطانية والفرنسية سنة ١٩١٥-١٩١٦م، وكان الغرض منها استيلاء الحلفاء على مضيق الدردنيل، لكن باؤوا بالفشل وانتصر الأتراك العثمانيون، وكان لمصطفى كمال أتاتورك بصمته في هذه الحملة. ينظر: «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» ١ : ١٨٩-١٩٣.

(4) Kandemir, p.67- 68.



مصطفى كمال أتاتورك في ليبيا

فوافقه الرأي جمال باشا، فصدر الأمر من أنور باشا إلى مصطفى كمال أتاتورك بالمسير من ديار بكر إلى المدينة وتعيينه قائد قوة حملة الحجاز، وذلك في ١٠ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ[١].

قرار انسحاب القوات التركية من المدينة[٢]:

كل ذلك حصل دون علم فخري باشا، لكن فيما بعد حدث ما لم يكن

---

(1) Kandemir, p.69.

(٢) من الملفت أن قرار الإخلاء هذا تحدثت عنه الوثائق البريطانية، لكن تباينت التواريخ، فتذكر وثائقهم كما في كتاب: «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٥٤٢، أن جمال باشا أبلغ بسحب حملة الحجاز من المدينة في ١٠ نوفمبر ١٩١٧ الموافق لـ ٢٥ محرم ١٣٣٦هـ، وأن فخري باشا احتجّ على ذلك في ٢٥ نوفمبر الموافق لـ ١٠ صفر، وهذه التواريخ مختلفة تماماً عما في المصادر التركية، وقد اعتمدت عليها كما سيأتي، لأنهم أعلم بمراسلاتهم ووثائقهم.

بالحسبان، ففي ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٣٥هـ[١]، التقى مصطفى كمال بجمال باشا في مدينة دمشق بفندق (فيكتوريا أوتيل)، وحضر ذلك المجلس رئيس هيئة الأركان العامة علي فؤاد بك، وأتاهم تلغراف من أنور باشا يستشيرهم ويقول فيه: "أرأيتم لو قمنا بإفراغ الحجاز من القوات العثمانية وسحبهم إلى فلسطين لقلب النتيجة لصالحنا، فهل ترونها فكرة سديدة؟ وهل من المتوقع حدوث ضجة أو فوضى في سوريا؟ ولو أعطينا الأمر بذلك فكيف تتصورون أمر الإخلاء، وكم المدة التي ستستغرقها القوات كي تصل إلى فلسطين؟"[٢].

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن فكرة إخلاء المدينة جاءت بسبب رغبة القيادة العليا الألمانية المتحالفة مع العثمانيين بالتخلي عن المدينة تماماً وحشد كل القوة المتاحة للدفاع عن فلسطين، وكان ذلك في أوائل ذي الحجة سنة ١٣٣٤هـ[٣].

وأياً يكن الأمر فقد تقرر مصير المدينة وفلسطين في هذا الفندق، فشرحوا لمصطفى كمال وضع الحجاز، وأن المنطقة من المدينة إلى هديّة تحت قيادة فخري، ومن هديّة إلى تبوك تحت قيادة جمال باشا الصغير[٤]، ومن تبوك إلى

(١) في كتاب فريدون جاء التاريخ كالتالي: ١١ شباط (فبراير) ١٩١٦م الموافق لـ ٦ ربيع الثاني ١٣٣٤هـ، ويبدو لي أنه سبق قلم من الكاتب، لأن التاريخ هذا قبل الثورة العربية الكبرى بأشهر، ولأن السياق يوحي أن هذه التغييرات كلها كانت بسبب استيلاء الشريف الحسين على مدن الحجاز كمكة وجدة والطائف، وكل ذلك حدث قبل هذا التاريخ، والصحيح ١١ شباط ١٩١٧م كما دلت على ذلك الرسالة التي أرسلها جمال باشا إلى أنور وكانت بتاريخ ٧ مارس ١٩١٧م. انظر: *Kandemir, p. 96* .

(2) Kandemir, p.69.

(3) Stitt, p. 175.

(٤) اشتهرت في هذه الفترة ثلاث شخصيات عسكرية باسم جمال باشا، الأول هو الأشهر تاريخياً ويعرف بجمال باشا الكبير أو السفاح، وكان قائد الجيش الرابع ثم ارتقى إلى منصب القائد العام لغرب الجزيرة العربية والشام، وهو أحد الاتحاديين الثلاثة الذين تحكموا بالدولة العثمانية، وكان عضواً في المنظمة الماسونية، واتهم بالجاسوسية لروسيا

معان[١] تحت قيادة أحد قادة الجيش العثماني. فرأى مصطفى كمال أنه من غير اللائق أن يكون تحت إمرة قائد جيش آخر يساويه، ورأى أيضاً أنه غير مضطر إلى إنشاء معسكره في المدينة ما دام فيها قائد ومعسكر، وفضّل أن يفعل ذلك فيما بين المدينة ومعان[٢].

كان من أهم المناقشات التي دارت في هذا المجلس، قرار إبقاء الحجاز أو الاستغناء عنه، فالإنجليز أخذوا في زيادة قواتهم في سيناء، وتقوية الحجاز يعني إضعاف سيناء، ولأن المتمردين أخذوا يعترضون خط الحجاز الحديدي فإن النقل بواسطة القطار سيصعب جداً، والحكومة غير قادرة على حماية المدينة والقدس معاً، فلو سقطت القدس فإن الحجاز سينقطع عن مركز الحكم، ولو سحبت القوات العسكرية من الحجاز إلى القدس فإن من الممكن إنقاذ فلسطين، وبالتالي تقرر إفراغ المدينة من القوات وسحبها إلى القدس[٣].

وفي هذه الأثناء قُطعت الكهرباء وأمست دمشق في ظلام دامس، فنهض جمال باشا وأحضر الفانوس، وخاف فؤاد بك وشعر بتأنيب الضمير ظناً منه أن انقطاع الكهرباء إشارة إلى غضب سماوي تجاه قرارهم، أما مصطفى كمال فلم يأبه بذلك[٤].

وكانت القضية التي أثير حولها القلق هي تمرد البقية الباقية من القبائل المؤيدة للعثمانيين، والخوف من انضمامهم للثوّار والمشاركة في الهجوم على القطار،

فيما بعد، وأما الثاني فهو جمال باشا الأوسط وقد عيّن قائداً للجيش الرابع بعد جمال باشا السفاح وكان أحد أنداد فخري باشا، وأما الأخير فهو جمال باشا الصغير قائد القوة النظامية الأولى الممتدة من هديّة إلى تبوك.

(١) هي اليوم مدينة تقع في جنوب الأردن.

(2) Kandemir, p.70.

(3) Kandemir, p.71.

(4) Kandemir, p. 72, Kiciman, p. 90.

وبالتالي فلن يتمكن القادة من إرسال الفرق العسكرية عن طريق السكة الحديدية، فكانت الخطة أن يُرسلوا براً، وأن يكون القطار مخصصاً للذخيرة والمؤونة ونقل المرضى، وأما قوة المشاة ستشارك القطار السفر براً، وستحصل الاشتباكات كلها في البر، وعليهم قطع مسافة (٦٠٠) كلم بهذه الطريقة ووجدوا أن الأمر يستغرق (٤٠) يوماً للوصول إلى تبوك، وهو أمر لم يسبق أن حدث في التاريخ ولا يمكن أن يفعلها إلا قيصر أو نابليون أو هانيبال، أو مصطفى كمال على حدّ قول فريدون! [١].

هذا ما خلُصَ إليه رأيهم، لكن أتاتورك رفض ذلك وقال: "ما دام قد تقرر إفراغ المدينة من العساكر، فإن الذي يفرغها هو قائدها المدافع عنها".

فوافق جمال باشا رأي أتاتورك، وكتب إلى أنور بأن مقدّرات الحجاز تعود إلى فلسطين، ومن حيث الوجهة العسكرية فإن فلسطين هي الأصل والمدينة والحجاز الفرع، فإذا ما استولى الأعداء على فلسطين فإن المدينة ستتعرض للخطر، وإذا ما تعرضت سكة حديد الحجاز إلى الهجوم وانقطع الاتصال بالمدينة، فسوف تمنى المدينة بكارثة، لذا يجب أن تخلى المدينة حالاً[٢].

وصل هذا الخبر إلى فخري باشا كالصاعقة، فصار يبكي ويطلق الصيحات والصرخات متحسراً، وكتب إلى الإدارة العثمانية يقول ما مضمونه:

"على الرغم من أني خاضعٌ لهذا الأمر إلا أني متعجبٌ من رؤيتكم بأن المدينة ليست بأهم من فلسطين، بسبب تعطل سكة الحديد في بعض المناطق، وإني أخالفكم في ذلك، وإذا كان مقصدكم هو الاستفادة من قوات الشمال، فما المانع من ترك القليل من قوات المشاة والمدفعية، وما يكفي من المؤونة لتموينهم؟ وفي

---

(1) Kandemir, p.71-72.

(2) Kandemir, p. 73, Yatak, p. 77.

الأيام الأخيرة قمت بتشجيع أفراد من عشيرة بني سالم[١] فأصبحوا يأتون بالمؤونة التي حازوها من الإنجليز ويبيعونها في المدينة.

وبعثت بتجار إلى ابن رشيد وابن سعود، وأنا متأكد من نجاح سعيهم في إحضار المؤونة من هناك. فإذا لم تبخلوا علي بالصلاحية، فبإذن الله وروحانية الرسول فإني سأصمد مدة طويلة، وإن أملي بالله كبير، وأسترحمكم ألا تجعلوني أنا من ينزل العلم الذي غرسه أجدادنا في مدينة رسول الله ﷺ»[٢].

وبعد هذا المكتوب أرسل جمال باشا في ١٣ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ يخبر أنور برسالة فخري، ويقترح عليه قبول عرضه، وأن يبقى فخري في المدينة بكل الصلاحيات العسكرية والمدنية غير المحدودة، مع تأمين احتياجات محطة التلغراف اللاسلكي، وتوفير احتياجات الطيارات العثمانية في المدينة من الوقود، وسيصدر الأمر إلى مخزن حلب للوقود لتوفير ذلك، وأيضاً يُرسل إلى المدينة (٢٥٠) ألف قطعة ذهبية ومؤونة تكفي مدة سنة[٣].

وأقرّ ما فيها الصدر الأعظم طلعت باشا الذي كان مع فكرة عدم إفراغ المدينة من قواتها العسكرية، وهكذا تمّ لفخري باشا ما أراد[٤]، وصدر تعيينه بعد فترة محافظاً للمدينة المنورة وقلعتها مكان بصري باشا وذلك في ٦ رجب ١٣٣٥هـ[٥].

وقد أسهب الشريف علي حيدر في بعض التفاصيل حول قضية الانسحاب وإخلاء المدينة، فقال في مذكراته:

---

(١) بنو سالم هم الفرع الآخر من قبيلة حرب، وينقسم هذا الفرع إلى: ميمون ومسروح، ومن أشهر من ينتسب إلى ميمون قبيلة الأحامدة. ينظر: «نسب حرب» ص ٧٩.

(2) Kandemir, p.75- 76.

(3) Kandemir, p.76.

(4) Kandemir, p.77.

(5) Kiciman, p.25.


الصدر الأعظم طلعت باشا

"أصبح الضغط على المدينة هائلاً بقدر ما كانت مسألة الجلاء عنها تؤخذ بعين الاعتبار، وقد عارضْتُ هذه الخطوة بأقصى ما يمكن، وفي أحد الأيام قدم بعض المسؤولين الكبار الأتراك من دمشق، وقالوا لي: جمال باشا مهتم جداً بأمر الانسحاب، وهو في انتظار موافقتك. قلت: أنا مقتنع بأن الانسحاب الكامل وتسليم المدينة سيكون قراراً سياسياً سيئاً، وسوف يخلق انطباعاً في غاية السلبية. بدا أنهم متفقون معي آنذاك، لكنهم عادوا إلى دمشق خلال ساعات قليلة من هذه المحادثة.

خشيت جداً أن نُجبر على الانسحاب وكنت مصراً على أن أؤخره قدر الإمكان، فإشكالات المرحلة في المدينة كانت تتزايد في كل لحظة. وقد أخبرني فخري باشا بالعجز على كل الأصعدة مع الافتقار للوحدات العسكرية والذخيرة والمؤن الغذائية.

وصلت الشائعات إلى المدينة بأن تغييراً في القيادة كان يُدرس، وأن مصطفى كمال قد يزيح فخري باشا، وبالرغم من ذلك فإن مصطفى كمال رفض قبول

المنصب، وهكذا لم يحدث أي تغيير، لكن فخري ظن أنني من اختلقت فكرة إزاحته واستبداله، وكان ذلك في واقع الأمر سخيفاً.

وهكذا مرّت الأيام، وكانت ستصل قافلة مع عدد ضئيل من الإمدادات من دمشق، وتجلب معها إعانة بسيطة للحامية المجوّعة. كان وضعُ الجيش خاملاً، كما اجتاح الجميع شعورٌ عامٌّ بالارتياب. ثم في أحد الأيام هجم فخري باشا على مقرّي في حالٍ عظيمة من الكرب، ليقول إنه تلقى أوامر من أجل انسحاب فوري من المدينة. أصابتني الأخبار بالذعر فأرسلت على عجل برقية شديدة اللهجة إلى جمال قلت فيها: إن فكرة هجر القبر المقدس مخزية بكل ما للكلمة من معنى، وإنه يجب حمايته حتى آخر رجل إذا اضطر الأمر. كان هناك أمل غامض ينبئنا أن جمال باشا قد يلين، وقد أبقانا مترقبين بفارغ الصبر.

بعد حوالي ثلاثة ليالٍ اقتحم فخري مقرّي مرة أخرى، ولكنه كان في هذه المرة سعيداً متحمساً، وهتف قائلاً: جمال باشا ألغى الأوامر بالجلاء، وعلينا أن نفعل كل ما يمكن فعله لمواصلة الدفاع عن المدينة. كان في حالة عاطفية مؤثرة، ومن بهجتي طوّقته بذراعي وعانقته، ومنذ تلك اللحظة أصبحنا صديقين بعد أن أسأنا فهم بعضنا في وقت سابق، وقد رأيت فيه الكثير من الإيمان الديني العميق مما جعلني أصفح بسهولة عن الماضي، وأعتقد أيضاً أنه أصبح منذ ذلك اليوم أكثر ثقة بي، وكل موقفه تجاهي تغيّر تغيراً ملحوظاً"[١].

طائرة إنجليزية تحلق فوق المدينة:

مرّ فيما سبق أن الدولة العثمانية أرسلت طائرات خاصة لها في المدينة، ووفرت احتياجاتها من الوقود والبنزين من مخزن حلب[٢]، وكانت هذه الطائرات

---

(1) *Stitt, p. 177- 178.*

(٢) انظر ص٢١٧ .

تقوم باستطلاعات جوّية، وقد التُقِطت صور عديدة للمدينة في تلك الفترة من خلال هذه الطائرات.

ومن الأحداث الغريبة التي حصلت في صبيحة ٥ مارس ١٣٣٣= ١١ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ، أن قامت طائرة إنجليزية بالتحليق فوق المدينة المنورة، فبادرت طائرة عثمانية بالهجوم عليها فكرّت راجعة من فوق معسكر العنبرية ومركز القيادة وطاردتها الطائرة العثمانية إلى ما وراء جبل جهنم[١].

وقد حاولت الطائرات العثمانية أن ترد على الطائرات الانجليزية في عدة عمليات عسكرية خارج المدينة، لكن الغلبة كانت للإنجليز، فقد قصفوا مراكز العثمانيين كثيراً في عدة مواقع[٢].

لكن هذه الطائرات تفككت من شدة الحر، وكانوا ينتظرون الشتاء لاستعمالها[٣].

وفي تقرير للمندوب الإنجليزي (ريجنولد) يذكر أنه في أوائل نوفمبر ١٩١٧م = محرم ١٣٣٦هـ أُسقطت آخر الطائرات التركية بصفة عامة، فأخذوها إلى المدينة، ولم يستطيعوا القيام بأي عمليات جوية بعدها، وقد رد فخري باشا على (ريجنولد) بأن الأمر ليس كما ذكر، وأن الإنجليز لم يسقطوا أي طائرة تركية، وإنما احترقت بسبب حادث وقع، وأخرى أقلعت وسقطت قضاءً وقدراً وتحطمت وتوفي قائدها[٤].

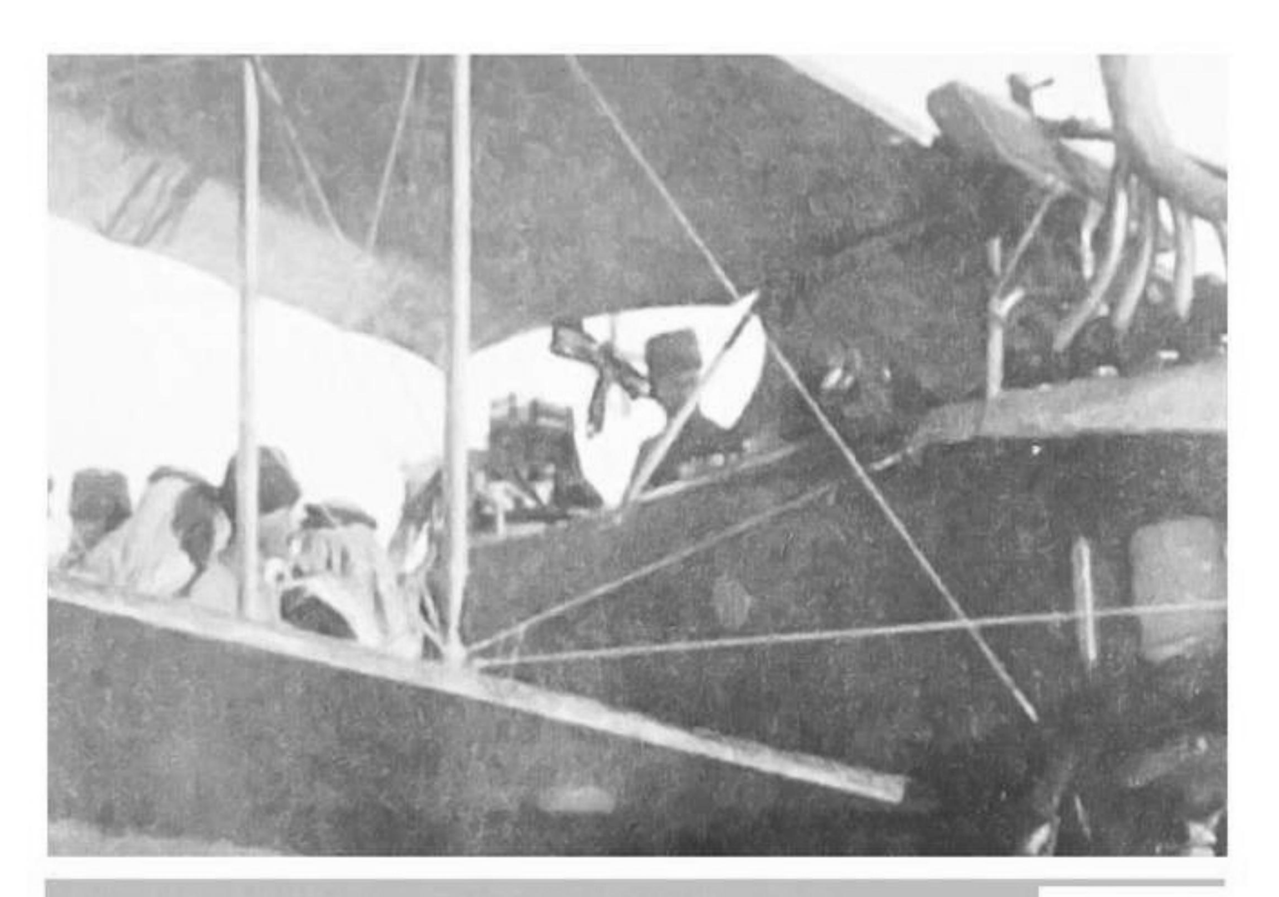
---

(١) "فخري باشا والدفاع عن المدينة"، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ٨٢. والمراد بجبل جهنم هنا هو الجبل الشهير بجبل عير الواقع جنوب المدينة، وأطلق عليه ذلك للحديث الوارد عن النبي ﷺ أنه قال: «أحد على ركن (باب) من أركان (أبواب) الجنة، وعيرٌ على ركن (باب) من أركان (أبواب) النار». رواه عبد الرزاق الصنعاني في «المصنف» (١٧١٧١)، وابن شبّة في «تاريخ المدينة» ١: ٨٣، قال الدكتور صالح الرفاعي: "الحديث ضعيف جداً بهذه الطرق" ينظر: «الأحاديث الواردة في فضائل المدينة» ص ٥٧٦.

(٢) انظر على سبيل المثال: *Kiciman, p. 72, 79, 82*.

(3) Kandemir, p.422.

(4) Kicimn, p. 375- 376.



فخري باشا أثناء فحصه لطائرة عثمانية تعطلت من الحرارة
(المرجع: Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir)

وبسبب تأثير طائرات الإنجليز على القوات التركية فقد أصدر فخري عدة أوامر للجيش للوقاية من الهجمات الجوية، من أهمها: تغطية الخيام والمدافع والخنادق بجريد النخل، وتلوين الخيام البيضاء باللون الترابي للتمويه، والاختباء داخل المزارع والنخيل، والانبطاح أرضاً وقت سقوط القنابل، والانتشار في مجموعات صغيرة، إلى غير ذلك[١].

نفيُ وجهاء وعلماء المدينة المنورة :

وأثناء الحصار أمر فخري باشا بإلصاق إعلانات رسمية على جدران المدينة المنورة، في شهر صفر سنة ١٣٣٥هـ مفادها: أن المدينة المنورة أصبحت خاضعة للإدارة العرفية، وأن كل من يتكلم عن الحركات العسكرية، أو عن الحرب العمومية، فإنه يعرض نفسه للعقوبات الشديدة. وقد عين في هذا الديوان جماعة،

(1) Kicimn, p. 214- 216.

ووضع تحت أيديهم جواسيس من أجناس مختلفة للوشايات[١].

وقد بيّنتُ سابقاً أن أهل المدينة المنورة كانوا أحزاباً بعضهم مع العثمانيين وبعضهم مع الهاشميين، فكثرت الوشايات وتصفية الحسابات، فأخذ بعضهم يرمي بعضهم الآخر بالميل للثورة العربية[٢]، حتى وصل الأمر إلى الخلاف بين الإخوة، فقد كتب رئيس البلدية السيد أحمد بن صافي تقريراً للديوان العرفي، يسعى فيه للبطش بأخيه السيد زين صافي، فكان هذا التقرير سبب نفي السيد زين المذكور[٣].

ونتيجة لهذه الوشايات التي قدمت إلى الإدارة العرفية قام فخري باشا بتتبع المؤيدين للثورة العربية فكان يأخذهم بالظنة أو بكلام المرجفين إذا كان فيه خبر اتصالهم بالشريف الحسين[٤]، وهاجمهم في منازلهم وزجّ بهم في سجن قلعة باب الشامي ثم أبعدهم[٥]، وقام بإصدار أمرٍ نفى فيه أكثر من ١٧٠ شخصاً من العلماء والوجهاء، وأرسلهم إلى دمشق ليمثلوا أمام جمال باشا، الذي أراد الفتك بهم، إلا أن أنور باشا أمره بإجلائهم متفرقين إلى: إسطنبول، وكوتاهية، وأدرنة، وبلاد البلغار، وغيرها من البلاد[٦]، وألا يمكثوا في دمشق حتى لا يألفوا الحياة مع الدمشقيين[٧]، ويظهر لي أن النفي كان أولاً إلى البلاد التركية القريبة من البلغار في أوروبا والتي

---

(١) «جريدة القبلة»، ع ٣٨، ص ٣.

(٢) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل سنة ١٣٨٢، ص ٣٤٠، و«بناة العلم: السيد أحمد الفيض آبادي»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل.

(٣) «جريدة القبلة»، ع ٣٨، ص ٣.

(٤) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ محمود بن علي شويل»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٥) «من أعلام المدينة المنورة، زين بن عثمان بري»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٦) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل سنة ١٣٨٢، ص ٣٤٠.

(٧) «جريدة القبلة» ع ٢٣، ص ٢.



صورة من جبل سلع ويظهر فيها قلعة باب الشامي

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

تعرف بأرض الروملّي، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى جهة الأناضول في القسم الآسيوي، ثم صدر قرارٌ بالسماح لهم بالعودة إلى بلاد الشام والالتقاء بأهاليهم هناك.

قال السيد علي حافظ: "وبعض الناس سُفِّر بتهم سياسية وهي التعاون مع الأشراف، ولم يُخيّروا لا في وقت السفر ولا في البلد، وقد عيّنوا للمسافرين رواتب وأرزاق لإعاشتهم، وقاسوا في منفاهم الجماعي أنواع الشدّة ومات منهم الكثيرون في الغربة"[١].

وأذكر أسماء بعض هؤلاء العلماء الأجلاء والوجهاء من أهل المدينة، فمنهم[٢]:

(١) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٨.

(٢) «جريدة القبلة» ع ٤٣، ص ٢، و«حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٣٤٠، و«من أعلام المدينة المنورة، الشيخ محمود بن علي شويل، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

- المنفيون إلى مدينة (قِرْقْ كِلِيسا)[1]: السيد زين صافي، والشيخ زين بن عثمان بري، ومحسن المخرّج الحيدري، والشيخ عارف بن عباس بري، والسيد عبد الله العطاس.
- والمنفيون إلى مدينة (وِيزَه)[2]: الشيخ يحيى بن محمد سعيد دفتردار، والشيخ إبراهيم بن حمدي الخربوتي، ومحمد رشيدي، وحمزة كابلي، والشيخ حمزة عبد الجواد.
- والمنفيون إلى مدينة (لولَه بُورْغاز)[3]: الشيخ عمر بن عبد المحسن كردي، وياسين كردي، وصالح كردي، وأحمد داغستاني، والشيخ محمد طاهر بن عبد المحسن سنبل.
- والمنفيون إلى مدينة (بابا إِسْكِي)[4]: السيد علي السقاف، وسعود دشيشة، ومحمود حمودة، والسيد حسين عامر والد السيد علي، والشيخ عباس عبد الجواد.
- والمنفيون إلى بلاد بلغارية أخرى: عبد الحميد بن عثمان موسى، وابن عمه محمد بن علي موسى، وحسين بخيت، وعثمان مراد، وإسماعيل مراد، وإبراهيم عبد الجواد، والسيد محمود حمدي، ومفتي المدينة الشيخ مأمون

---

(١) قرق كليسا هو الاسم القديم لها وحولت سنة ١٣٤٣هـ إلى قِرقْلارْ إيلي (*Kirklareli*)، وهي مدينة تركية تقع في القسم الأوروبي بالقرب من أدرنة، وبها سميت المقاطعة. انظر: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» ص ٣٨٩.

(٢) ويزه (*Vize*) بلدة تابعة لمحافظة (قرقلار إيلي) أيضاً، وتبعد عن إسطنبول ١٤٠ كلم. انظر: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» ص ٤٨٩.

(٣) لولو بورغاز (*luleburgaz*) مدينة تركية تقع في محافظة (قرقلار إيلي). انظر: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» ص ٤٤٩.

(٤) بابا إسكي (*Babaeski*) مدينة تركية أخرى في نفس المحافظة (قرقلار إيلي). انظر: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» ص ٦٩.

ابن أبي اللطف بري، والشيخ إحسان بن عبد الجليل برادة، وأخوه حسين، والشيخ عبد الحفيظ بن عبد الله بري، والسيد حسن أوليا، وابناه السيدان محمد وعبد الكريم أوليا، وحمزة رشيدي، وسليمان كاشف، وعباس عبد الجواد، ومسلم بخاري، وحسين هندي العالم وأبوه وإخوانه الأربعة، وإبراهيم حمودة، وعبد الله ثروت، والسيد حسن جمل الليل، ومحمد جمل الليل، وأحمد خليفتي، وسالم خليفتي، وحسن دشيشة، وداود عرب، وحسين عرب، وآدم عرب، والسيد طه بن جعفر بن إسماعيل البرزنجي وابن أخيه السيد نادر بن إسماعيل بن جعفر البرزنجي، وابن عمهما السيد إبراهيم بن عمر بن إبراهيم البرزنجي، وعلي كابلي، والشيخ علي بن حسن بري، والسيد عبد المحسن بن أحمد أسعد، وحمزة كعكي، وعبد الرحيم كعكي، وعبد الله كندواني، وصادق كابلي، ومحمود كعكي، وعبد القادر كردي، والسيد حبيب الله وابنه السيد أحمد الفيض آبادي والسيد محمود أحمد، والشيخ محمود بن علي شويل وغيرهم.

والسادة آل حبيب أجلوا مع الفوج الثاني حيث نفوا إلى مدينة (إيدريانوبل)[١] ثم انتقلوا إلى دمشق بعد ذلك[٢].

وأسرة البري انتقلت من الأناضول واستقرت في بلدة (العشاق)[٣]، وأما

---

(١) إيدريانوبل (*Adrianople*) هو الاسم الآخر لمدينة أدرنة (*Edirne*) وتقع في شمال غرب تركيا في القسم الأوروبي بالقرب من حدود بلغاريا الآن. انظر: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» ص ٣٤.

(٢) «نقش حيات» ص ٨٧.، و«بناة العلم: السيد أحمد الفيض آبادي»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل.

(٣) عشاق (*Usak*) وكان يقال لها أيضا: الوشاق، وهي مدينة تركية تقع في الطرف الغربي من الأناضول، تبعد عن كوتاهية حوالي ١٤٠ كلم. انظر: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» ص ٣٦٢.

آل الدفتردار فقد انتقلوا إلى مدينة (قونية)[١] بأسرتهم جميعاً[٢].

ومن بيت الخاشقجي نُفي عبد الله بن محتسب المدينة خالد بن عبد القادر خاشقجي إلى الأناضول وصحبه في هذه الرحلة أخوه الدكتور الطبيب محمد خاشقجي (ت ١٣٩٨) الذي أتم دراسته هناك ثم رحل مع أخيه إلى إزمير ومنها إلى دمشق وتخرج الدكتور محمد في كلية الطب هناك، ويعد أول طبيب سعودي[٣].

كما شمل هذا النفي جماعات من بعض كبار بني علي، والنخاولة، وبعض أغوات الحرم النبوي الشريف[٤].

وتشير وثيقة مرسلة من الشيخ عباس عبد الجواد -وهو أحد المنفيين- إلى الريّس أسعد بن صالح خاشقجي، مؤرخة في ١٠ مايو ١٣٣٤رومي= ٢٩ رجب ١٣٣٦هـ، إلى أن كثيراً ممن ورد أسماءهم بالأعلى قد نفوا إلى (كوتاهية)[٥] ثم انتقل أهل المدينة الذين في كانوا في (كوتاهية) و(العشاق) إلى (إزمير)[٦]، وذكر منهم:

---

(١) قونية (*Konya*) من أشهر مدن تركيا، وتقع في منتصف منطقة الأناضول. انظر: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» ص ٤١٢.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عمر بن إبراهيم بري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٠، ص ٢٦٠.

(٣) «أعلام الحجاز» ١: ٢٢١- ٢٢٢. والدكتور محمد هو والد التاجر الثري عدنان بن محمد خاشقجي الذي وافته منيته في ١١ رمضان سنة ١٤٣٨هـ رحمه الله.

(٤) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ محمود بن علي شويل»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٥) كوتاهية (Kutahya) مدينة تقع في غرب تركيا في الجهة الآسيوية، وسميت المحافظة كوتاهية باسمها. انظر: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» ص ٤٢٨.

(٦) إزمير (Izmir) مدينة تركية تعتبر الميناء الرئيسي فيها، وتقع على خليج إزمير الذي هو امتداد لبحر إيجة. انظر: «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» ص ٥٢.



الدكتور محمد خاشقجي
(المرجع: أعلام الحجاز)

الشيخ مأمون بري، وعارف بن عباس بري، وعباس برادة، وحسن وحمزة برزنجي، وحمزة[١] وعبد الله ابنا خالد خاشقجي، وإبراهيم وأحمد سعيد وعباس ثلاثتهم من بيت عبد الجواد، والشيخ سليمان بن مصطفى إلياس، والسيد حيدر بن عباس مشيّخ[٢]، والسيدان أحمد وحسن جمل الليل، والسيد مصطفى خليفة، ومحمد وسعود دشيشة، ومحمد عبد المعين دشيشة، وإسحاق عاشور، وسنوسي محلاوي، وعبد الحميد بن عثمان موسى، والسيد حسن أوليا، وسليمان كاشف، وعبد المحسن الكردي وأولاده، وحمزة رجب والد ضياء الدين[٣]، وحسن بخيت، ومحسن المخرج الحيدري، وعلي خوج، وأحمد بهاء الدين مظهر، وحسين ميكائيل، ومحمد رشيدي، وحمزة كابلي، وعبد الله ماوردي، وفرد من

---

(١) حمزة هذا هو جد الصحفي الأستاذ جمال بن أحمد بن حمزة خاشقجي.

(٢) توفي سنة ١٣٨٤هـ، وهو والد السيد أحمد بن حيدر مشيّخ، شيخ السادة آل باعلوي وناظر أوقافهم في المدينة المنورة حفظه الله وأمد في عمره.

(٣) من الأسماء المذكورة نلحظ مدى قرابة هؤلاء لبعضهم، فعلى سبيل المثال فإن الشيخ مأمون بري هو خال أولاد عبد المحسن الكردي، وأولاد عبد المحسن الكردي هم أخوال أبناء حمزة رجب.



بيان الاهالي الموجودين في ازمير

- ٥ حمزه قاشقجي وعبدالله
- ٦ ابراهيم عبد الجواد
- ٧ احمد سعيد عبد الجواد
- ٩ احمد جمل الليل وحسن جمل الليل
- ١١ مصطفى خليفه
- ١٢ محمد وسعود دشيشه
- ١٤ اسحاق عاشور
- ١٥ سنوسي محلاوي
- ٢٠ حامد
- ٢٢ حمزه رجب
- ٢٣ حسن بخيت

وثيقة عباس عبد الجواد ببيان أسماء المنفيين إلى إزمير

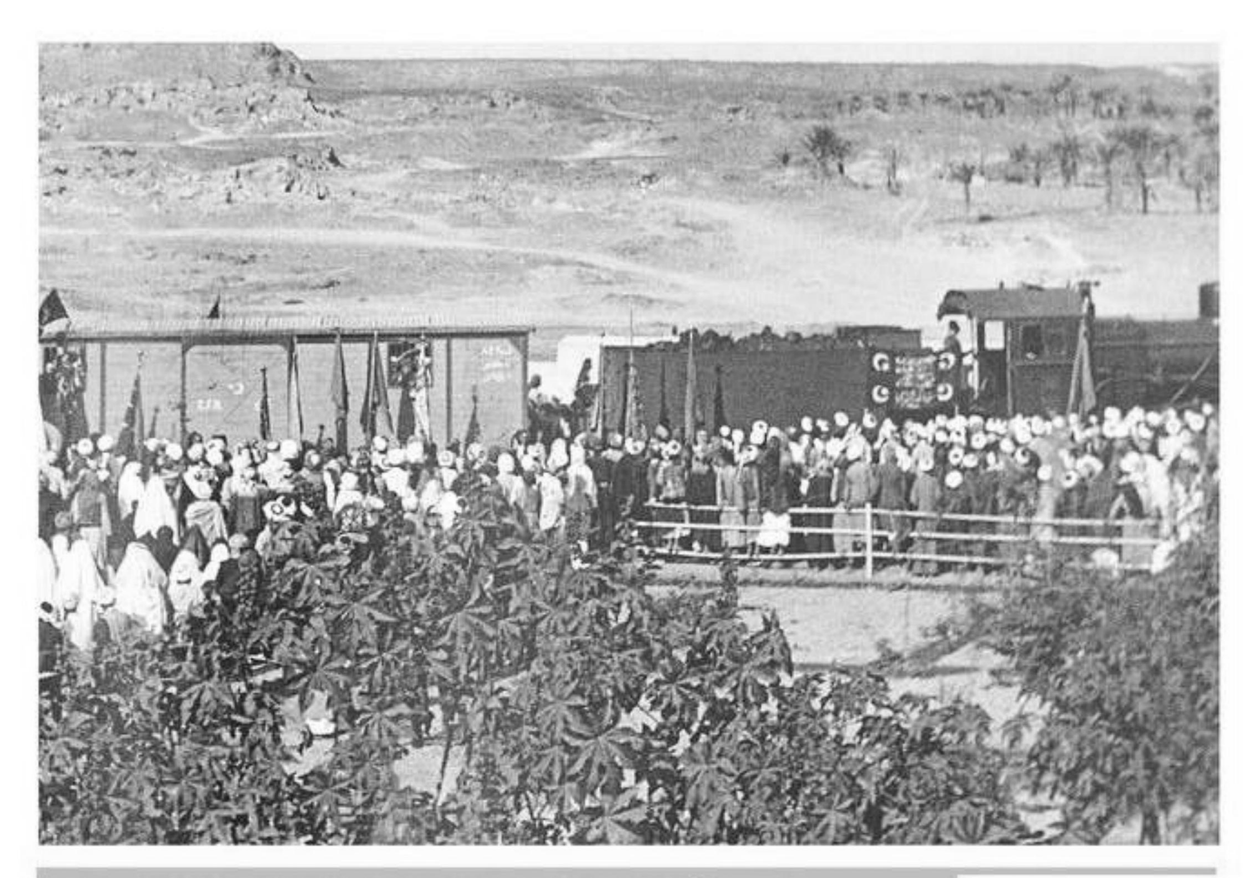
(المرجع: طيبة وذكريات الأحبة)

بيت المحمادي، وآخر من بيت الخواجة، وثالث من بيت الزيتوني، وأخيراً رجل من بيت شيخ[١].

ويحكي الشيخ أحمد بن عبد الله ثروت (ت ١٤١٥هـ) قصة أخذ والده فيقول: "لم يمهل فخري باشا أياً كان من ترتيب نفسه أو ترك وصية، فقد رحّل والدي في السادسة ليلاً بالتوقيت الغروبي، أي حوالي بعد الواحدة من منتصف الليل، ومعه حوالي خمسون شخصاً، وكانت رحلتهم في تلك الساعة شاقة لبرودة الطقس. غادر والدي ولا نعرف المكان الذي وصل إليه"، ثم قال: "أما والدي فعلمنا أنه سُجن في (أوزن كُبْري)[٢] وكان زوج عمتي من الرجال الذين لهم كلمة، فتوسط

(١) «رسالة من عباس عبد الجواد إلى أسعد خاشقجي مؤرخة في ١٠ مايو ١٣٣٤ رومي»، من ممتلكات هاني بن فاروق تمراز، نشرها الأستاذ أحمد بن أمين مرشد في «طيبة وذكريات الأحبة» ٥: ٦٧.

(٢) أوزن كبري (*Uzun kopru*) هي أكبر مدينة تركية في مقاطعة أدرنة، في القسم الأوروبي



تجمع لأهل المدينة لاستقبال فخري باشا في إحدى المناسبات

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

في إطلاقه وقدم إلينا من إسطنبول"[١].

ويقول السيد علي بن حسين عامر (ت ١٤١٤): "أخذ محافظ المدينة الجبار فخري باشا يلقي القبض على من كان يخامره الشك في ولائهم للحكم العثماني من وجهاء المدينة، ويزج بهم في سجن القلعة بالباب الشامي، وباختصار شديد بدأت رحلة الاغتراب القاسية من المدينة المنورة إلى قرية (لوله برغاز)[٢] عبر سكة حديد الحجاز، مروراً بدمشق فحلب، ثم الإصلاحية، وأخيراً الأستانة فـ (لوله برغاز) التي أصبحت مقراً للإقامة الجبرية لوالدي المعتقل"[٣].

من تركيا. «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» ص ١٢٢

(١) «طيبة وذكريات الأحبة» ٢: ٢٢٠.

(٢) ورد سابقاً أنه نفي إلى (بابا إسكي)، والصحيح ما ذكره ابنه السيد علي الذي صاحبه في رحلته وكان حين عاد إلى المدينة ابن ١٢ سنة تقريباً.

(٣) «المدرسة الناصرية» ص ١٤٣.


الشيخ الطيب العقبي

وممن نفي أيضاً الشيخ الطيب بن محمد بن إبراهيم العقبي وكان خروجه من المدينة ليلة ٢٣ محرم سنة ١٣٣٥هـ، وقال في ذلك: "تناولتُ الكتابة في الصحف الشرقية قبل الحرب العمومية أمداً غير طويل، فعدني بعض رجال تركيا الفتاة من جملة السياسيين، وأخرجوني في جملة أنصار النهضة العربية، مبعداً من المدينة المنورة، على إثر قيام الشريف الحسين بن علي في وجوههم بعد الحرب إلى المنفى، في أرضهم (الروم إيلي)[1] أولاً فالأناضول ثانياً، وهناك بقيت أكثر من سنتين مبعداً في جملة الرفاق عن أرض الحجاز وكل بلاد العرب، ثم انتهت الحرب الكبرى بعد الهدنة، يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ ميلادية ونحن إذ ذاك مع عائلتنا التي التحقت بنا، بعد خراب المدينة في بلدة (إزمير) ومنها كان رجوعنا - معشر أهالي المدينة المنورة - إلى الحجاز"[2].

وحدثني الشيخ الدكتور محمد بن حسن موسى الشريف يوم الخميس ١٧ صفر

(١) الروم إيلي يقصد بها الأراضي الأوربية التي فتحها الأتراك.

(٢) «شعراء الجزائر في العصر الحاضر» ص ١٢٨.

سنة ١٤٣٨هـ، عن جده عقيل بن محمد بن علي[1] بن موسى (ت ١٤١٠هـ)، أنهم كانوا وقت هذه الأحداث يصلون في الحرم النبوي الشريف، ولما خرجوا وجدوا العسكر قد طوقوا الحرم، وأمروا والده ومعه جماعة بالذهاب إلى محطة القطار مباشرة، فقالوا لهم: والحريم؟ فقالوا: نلحقهم بكم، فرحلوهم جميعاً بالقطار. وتدل المصادر إلى أن محمد بن علي موسى نفي إلى بلاد البلغار في أرض الروමللي، لكن يظهر أنه بعد السماح لهم بالانتقال ارتحل إلى حمص ومكث هناك إلى انتهاء الحرب.

وقد عانى هؤلاء المنفيون كثيراً لأنهم كانوا شبه سجناء، وغرباء في بلاد ليس فيها أحد من بني جلدتهم، يقول المؤرخ الدفتردار عن آل البري: "وكان إبعاد آل البري إلى سورية ومنها إلى الأناضول بتركيا، واستقر قرارهم في بلدة (الوشاق) تابعة لولاية (إزمير). عاشت الأسرة في الوشاق ما يقرب من عامين يعيشون على ما كانت الدولة تصرفه لهم من أرزاق ومرتبات ضئيلة لا تكاد تقوم بالضروري من مطالب الحياة، ولولا ما كان مدّخراً لدى الشيخ عبد القادر وابنه الشيخ إبراهيم لما استطاعت الأسرة أن تجد مطالبها الضرورية"[2].

ويورد الشيخ الشاعر حسين بن عبد الجليل برادة شيئاً من أوضاع المدنيين في المنفى في قصيدته التي ألقاها على أحد المسؤولين هناك، فيقول: "وقلت حين كنت منفياً في بلدة (عشاق) من جملة أهل المدينة المنورة الذين أبعدوا إلى تلك الجهات في أيام الحرب العمومية سنة ١٣٣٥ هجرية، وسبب نظمي لهذه القصيدة هو أن بلدة (عشاق) التي أُبعدنا إليها وأُمرنا بالإقامة بها هي تابعة

---

(١) الشيخ الأفندي علي بن موسى هذا هو صاحب كتاب: «وصف المدينة المنورة» الذي طبع ضمن رسائل الشيخ حمد الجاسر.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عمر بن إبراهيم بري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٠، ص ٢٦٠.

لمتصرفية (كوتاهية)، ومتصرف (كوتاهية) عزم في تلك الأيام على أن يتفقد القرى والأمصار التي تحت إدارته، ومن جملتها (عشاق) فخرج من (كوتاهية) ماراً على تلك القرى والنواحي بلدة فبلدة وقرية فأخرى، إلى أن قَرب من (عشاق)، وجاء خبر قدومه تهيأ لملاقاته أهل البلدة وأرباب الدولة ومأمور الحكومة، وهيؤوا له حفلة عظيمة، فأحضر بعض أهل المدينة المنورة الذين كانوا معنا في تلك البلدة خطباً ومقالات ليقرؤونها بين يدي المتصرف المذكور عند قدومه، فلما بلغني ذلك نظمت هذه القصيدة لأنشدها في ذلك المحفل أيضاً فقلت:

أحمد الله مبدع الأشياءِ ... منشئَ الخلق مستحقَّ الثناءِ
فَهْو قد خصَّنا بخير جوارٍ ... نحو طه الشفيع يومَ الجزاء
بجوار الحبيب حُزْنا افتخاراً ... ودُعينا في زمرة السعداء
نحن جيران أفضل الخلق طراً ... نحن لا شكَّ أفضلُ الأصفياء
نحن خير الأنام فاختارنا اللـ ... ـهُ لتعمير هذه الأنحاء
نحن أوصى بحقنا سيّدُ الرُسْـ ... ـلِ شفيعُ الأنام يومَ اللقاء
ربُّنا قال يؤثرون كما قا ... لَ يحبون نِعم ذا من ثناء
بعد مدح الإله ماذا عسى نر ... جو امتداحاً من أفصح الشعراء
نحن لا شك من يريد أذانا ... ذاب مثل الرصاص في اللأواء
كلُّ من رام بالأذى جارَ طه ... ذاب كالملح حين شِيب بماء
كلُّ ما حلَّ بالمدينة من سُو ... ءٍ سيُجزى مُبديه شرَّ بلاء
كلُّ من رام أن سيُحدث فيها ... بدعةً تاه في شِعاب الشقاء
نحن إيماننا أكيدٌ بهذا ... وقليلُ الإيمان في الأغبياء
من يصدِّق بذا المقال فقد فا ... زَ ومستهزئٌ تراه في البأساء
فإذا لم تصدّقوا بحديثي ... لا تُغرّوا الجهّال بالافتراء
نحن أدرى بمسلمين ودهر ... يِينَ والمارقين والحنفاء
إن قوماً تجرّأوا بالتعدي ... والترقي للخطة الوعساء

فهُمُ قد تسلّطوا لأذانا ... سلبوا الأموال بالاعتداء

وأضاعوا لنا الطريفَ مع التا ... لدِ حتى الغذاء ضمن الوعاء

ونفونا إلى بلادٍ تلي الرو ... مَ صعيبٌ هواؤها في الشتاء

ولقد مات بعضنا موتَ قهرٍ ... ذائبَ القلب ميتةَ الشهداء

وامّحى كلُّ كاملٍ ولبيبٍ ... وشريفٍ كجملة الأشقياء

ما الذي قد جرى فأوجبَ هذا ... هل لنبح يضرّ نجمَ السماء

إن نُكبنا في ذا الزمان اعتداءً ... سنّةُ الله محنةُ الأصفياء

بعد أن كان عبدنا كأميرٍ ... صار ساداتنا كسُود الإماء

ليس عارٌ بنا فلا بدَّ للمؤ ... منِ حقا من محنةٍ وابتلاء

بعد هذا الأذى يقولون إنّا ... قد عفونا عنكم بترك العناء

إن عفوتم عما عفوتم أبينوا ... واسمحوا عن جريمة السفهاء

فهلِ العفو كان يصدر إلا ... عن ذنوبٍ جرت من الأشقياء

أثبتوا العرشَ لي ثم أنتم ... انقشوه وبينوا لي جزائي

ثم فاعفوا إن كان جُرْماً صحيحاً ... لتكونوا من أفضل الكرماء

أنتمُ الأغبياء كفّوا أذاكم ... نحن عن جلب خيركم في غَناء

اتركونا نعيش رأساً برأسٍ ... لا جميلاً ولا أليم الإذاء

إن أتاكم عنا حسودٌ بإفكٍ ... فليبيِّنْ جهراً بغير افتراء

ثم جازوا مسيئَنا بعقابٍ ... وأجيزوا إحساننا بالثناء

إن أردتم إنصافَنا بيقينٍ ... حقّروا كلَّ مفترٍ ذي اعتداء

إذ تجرّى عليكمُ بافتراءٍ ... وتعدّى بمكره والدهاء

عدَّكم آلةً يدير بها أفْـ ... ـكارَ سوءٍ له على الشرفاء

مستخفّاً بكم فساعدتموه ... قبل تحقيقكم عن العوراء

أنصفونا منه وجازوه فعلاً ... واردعوا كلَّ خائنٍ ذي عُواء

إن فعلتم ما قد ذكرنا دُعيتم ... بين أهل النهى منَ اهل الوفاء

أو أردتـم ترك الجفـا والتعدي ... أرجعـونـا لأرضـنـا الفيحاء
وأعيـدوا ما قـد سـلبتموه منا ... مـن مـتـاع ونـعـمـةٍ وولاء
أو أردتـم إطلاقنـا فلتقولـوا ... بحديثٍ صـدقٍ بغير امتراء
مـا وجدنا لكـم ذنوباً فسـيروا ... حيث شئتم من جملة الأبرياء
فبهـذا المقـال نشـكر قومـاً ... حققوا البحث في مجال القضاء
واطلبـوا مـن دعائنـا تجدونـا ... نحن أهل السماح أهل الوفاء
نسـأل الله أن يديـمَ علينـا ... نِـعَـمـاً جـمّـةً بـلا إحـصـاء
يـا إلهـي ومقصـدي ورجائي ... منك أرجو الشِّفا فيسِّرْ دوائي
لا تكلنـي إلـى سـواك فإنـي ... فـي اضـطـرارٍ وشـدّةٍ وعناء
ومن المقـت والمصيبـة قومي ... قد أسـاؤوا بالبغي والاعتداء
باجتهـادٍ أسـعى لنفـع أخـلا ... ئي دوامـاً ودأبهم في أذائـي
ذاك من جهلهم بفضلي وجُلّ النـ ... ـاسِ لا يعلمون فضل إخائي
فاصـرفِ السـوءَ يا إلهـي فإني ... عاجزٌ عن دفـاع هـذا البلاء
واعفُ عنـي وتُبْ علـيَّ وأنعمْ ... بـرجـوعـي لطيبةَ الفيحاء
وضريحي فاجعلْه في خير أرضٍ ... بجوار الأصحاب والشهداء
واجعـلِ الخيـر لـي يـومَ لقيا ... كَ لكيما أفـوزَ يـومَ اللقاء
ثم صَـلِّ علـى النبـيّ المرجّى ... سيّدِ الخلق أشـرف الأنبياء
وعلـى الآل والصحابـة طـراً ... مـا دنـا مـن ديـاره كـلُّ نائي
هــذه قصةٌ لهـا الفطيـن يؤرِّخْ ... «دَمَّـرَ الحيَّ ظالمُ الأزكياء»[1]

١٣٣٥هـ

وقال أيضاً في حال المنفيين من أهل المدينة في ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦هـ: "وقد كتب لي صديقنا الشيخ محمود شويل من الأستانة جواباً يخبرني

(١) «مجموع» لشعراء مدنيين، مخطوط.

فيه عن أحوال أهل المدينة المنورة المنفيين، وعن أحوال الأستانة وغلاء الأسعار وفقد اللزومات الضرورية كاللحم والسكر والسمن وغير ذلك، يشير إلى ذلك ويرمز رمزاً، خوفاً أن يمسك عليه قول، ويؤخذ تحت المسؤولية، لكثرة المراقبة وشدة التحريج والمضايقة، وأنا إذ ذاك منفي إلى قرية (العشاق)، فوافاني جوابه المذكور وأنا بها، فجاوبته بقولي:

منـي السـلامُ والدعـاء الوافـرُ كـذا التحايا والثناء الزاخرُ
إلى الكريم الشـهم ذي المفاخرِ والفضلِ واللطف العظيم الباهرِ
محمودِ الاسم والصفات الكامله والـودّ والأخـلاق والمعامله
شـويلُ لا شُـلَّتْ لـه يـدان فمن لـراقـي فضله يداني
دام علـى رغـم العـدى موفَّقا لنيل كلّ شـرفٍ مهما ارتقى
وبعـدُ فاعلـمْ يـا أخـي العزيزْ وافـى كتابك الشهي الإبريزْ
تلوتـه مـع السـرور والهنـا ونلتُ من ألفاظه كلَّ المنى
بيّـنَ لـي الموجـود والمفقودا والسعرَ والأحـوال والنقودا
ومـا عليـه عـزم أهـل بلـدي مـن فـرحٍ وتـرحٍ وجَـلَـدِ
أفادنـي عـن كل قصـدٍ رمتـهُ مـوضّـحـاً لـجـلّ مـا أردتـهُ
رمـوزُه مسـبلةُ الأسـتارِ ألـفـاظُـه كـاشـفـة الأسـرارِ
أشـكره من مرسـلٍ ما أفصحَهْ ومن كتابٍ مزهرٍ ما أملحَهْ
فـإن سـألتَ يا أخي عـن حالنا وما الذي قد زاد في أوحالنا
فـذاك أمـرٌ شـرحُه يطـولُ فيه استوى السائل والمسؤولُ
فنحمـد الله علـى الإحسـانِ ونشكر المولى العظيم الشانِ
إذ خصّنـا بصحـة الأبـدانِ والـرزق والإيـمـان والأمـانِ
أرجـوك أن تبـثَّ لـي الأخبارا على التوالي ليلا أو نهارا
لأن أفـكاري غـدت معلّقَـهْ بكلّ ما يحدث من قولٍ ثقَهْ
فـدمْ علـى عـزٍّ مـدى الأيـامِ ممجَّداً في البـدء والختامِ

حـرَّره الداعي حسـينُ المفتقرْ لكرم المولى الجليل المقتدرْ
في النصف من شهر جُمادى الآخره في ليلةٍ من الليالي الزاهره
مـن عـام ألـفٍ وثلاثـة مئيـنَ كذا ثلاثين وسـتٍّ من سنينَ
من هجرة الهادي الشفيع المعتبرْ صلى عليه اللهُ ما دار خبرْ[1]»

وبقي هؤلاء في المنفى حتى جاء الأمر بالسماح لهم بالعودة إلى الشام قبيل انتهاء الحرب ومنها إلى المدينة، فعاد أكثرهم سنة ١٣٣٧هـ و١٣٣٨هـ، كما سيأتي لاحقاً.

الأمر بإجلاء أهل المدينة المنورة :

كانت المعارك في هذه الفترة مستمرة بين الطرفين، وقد تحولت الغلبة للأشراف، وفي ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ أطلقت البوارج الإنجليزية على ساحل البحر قنابلها على قلعة الوجه واستمر القصف ساعات، وصارت معارك ضارية بين الجنود البريطانيين ومعهم العرب من جهة وبين الأتراك من جهة أخرى، وسقطت مدينة الوجه، واتخذها الشريف فيصل قاعدةً يدير منها العمليات العسكرية الكبرى، وبسقوطها دخلت المدينة مرحلة أخرى من الحصار[2]. فقد استطاع الشريف فيصل أن يقطع طريق سكة الحديد بين قوات الشمال وبين المدينة المنورة، وفي أثناء ذلك استولى الشريف عبد الله على وادي العيص وقطع سكة الحديد هناك بمساعدة (لورنس)[3].

كانت خطة الإنجليز ابتداءً ألا يتركوا المدينة في أيدي الترك، لكن بعد سقوط الوجه اتبع العرب خطة (لورنس) الذي كان يرى أن استسلام المدينة لا يتوافق مع

---

(١) «مجموع» لشعراء مدنيين، مخطوط.

(٢) «الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد ١ : ٢٢٣- ٢٢٤، و«يقظة العرب» ص ٣١٢، و«مغامرات مع لورنس في جزيرة العرب» ص ١٠٠، و*Kandemir, p. 104-106*، *Kiciman, p. 79.* .

(٣) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٤٩.

الاستراتيجية المثلى، فإن وجود الأتراك محصورون في المدينة لن يؤذي الجيش العربي، على عكس أسْرهم في مصر لأن الأسير يكلف بريطانيا مبالغاً باهظة لإطعامه، ومن ناحية أخرى فإن الهدف هو إبقاء سكة الحديد تعمل بالكاد مع إلحاق الخسائر بالترك وإزعاجهم (١).

لذا ارتأى فخري باشا أن هذا الحصار سيتسبب في انعدام الحصول على المزيد من المؤونة القادمة من الشام وجدة وما يقدم به التجار العرب من نجد، مما سيؤدي إلى مجاعة عظمى بين أهالي المدينة، فاستصدر أمراً بإجلاء أهل المدينة إلى الشام وأطرافها، حتى يتخذ من المدينة المنورة منطقةً عسكرية، تكون خاوية إلا من العسكر، ويكون هدفهم الدفاع عن المدينة، وبهذا الأمر يكون قد أنقذ أهل المدينة من الجوع الذي سيضرب أرجاء البلد، وأمّن معيشتهم في بلاد الشام.

كانت هذه هي الفكرة الأساسية من إخراج أهل المدينة، نظراً لأن الاحتياط اللازم توفيره من المؤونة سيُلزمهم الكثير، وقد صدر الأمر بتوفير المؤونة اللازمة للقوات العسكرية مدة سنة، وعدا القوة المسلحة فإن إطعام الناس سيكون أمراً عسيراً على الدولة، وحتى لا يكونون عبئاً على الدولة، فقد قررتْ إرسالهم إلى الشام وتركيا (٢).

وقد ندّد الأشراف بأمر التهجير والإجلاء، وعدوه أمراً تعسفياً من فخري باشا (٣)، لكن معظم المراجع تشير إلى أن غرض فخري باشا من التهجير لم يكن إلا ما ذكرناه من الخوف من نقصان المؤونة على أهالي المدينة والعسكر التركي وأنه كان مضطراً لذلك (٤)، ويوضح ذلك حسين بن محمد نصيف، فيقول: "ولكن رأى – أي فخري–

---

(١) «ثورة في الصحراء» ص ١٠٣، و«مغامرات مع لورنس في جزيرة العرب» ص ٢٦٩، و*Stitt, p.176*.

(2) Kandemir, p.79.

(٣) «جريدة القبلة» ع ٥٦، ص ١-٢.

(٤) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٨، و«حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق

خطر المجاعة المهلكة محدقاً بالمدينة ومن فيها من جيشٍ وأهالي، فأخذ يخفف وطأة المجاعة بترحيل الأهالي منها وكان ذلك قبل أن يقطع الخط الحديدي...وقد مات بعض أهل المدينة جوعاً، فلولا هذا الترحيل لكانت المصيبة أطم وأعظم»[١].

وقد صرّح فخري بهذا في منشوره كما سيأتي، وزاد القاضي في تاريخه سبباً آخر وهو الخوف من وحدة الخيانة[٢]، وهذا أمر فرعي لا يرقى لأن يكون سبباً رئيساً في أمر التهجير.

ونتيجة لما ذكرنا فقد أصدر فخري باشا بياناً مهماً عن الدفاع عن المدينة، وذلك في ١٢ نيسان ١٣٣٣ رومي = ١٩ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ، قال في آخره:

"إن الذين يعملون معنا ويشاركوننا مصيرنا برضائهم يستطيعون البقاء في المدينة، شريطة ألا يطالبوني بالمؤن مدة عام، وغير هؤلاء ينبغي أن يرحلوا عن المدينة إلى حيث شاؤوا، إلى موعد غايته شهر إبريل، حتى لا يتعرضوا لعواقب ملحمةٍ كبرى محتملة الوقوع، بسبب الحرب أو القحط على السواء".

قائد قوة الحملة الحجازية
فخر الدين[٣]

النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٣٤٠، و«من أعلام المدينة المنورة، إسماعيل حفظي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة، و«عقد الزمرد» ص ١٢٩، و«تاريخ القاضي» ص ٢٤٤، و«حياتي مع الجوع والحب والحرب» ٢: ٢١١، و *Kiciman,p.93, Kandemir, p 226*.

(١) «ماضي الحجاز وحاضره» ص ٨٢. (٢) «تاريخ القاضي» ص ٢٤٤.

(٣) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» ناجي كاشف كجمان، مجلة مركز البحوث والدراسات، ع ٧ ص ٨٤، *Kiciman, p. 93*.

وعلى هذا الأساس أخذ فخري باشا ينصح الأسر الموالية للدولة العثمانية بالرحيل، وأبرق إلى الشام وإسطنبول لاستقبالهم، وبدأ بشيخ الحرم فرحّله وعائلته ثم كبار العائلات ذات الصلة القديمة بالدولة، وأبرق إلى الشام بزيادة عدد القطارات الموجهة إلى المدينة وزيادة الرحلات، وقد استجابت العديد من الأسر لأمر فخري باشا فرحلت إلى إسطنبول ودمشق، واستقبلت هناك استقبالاً حسناً، ورتبت لهم أماكن للإقامة وصرفت لهم مخصصات ومرتبات[١].

يقول الضابط ناجي كجمان: "وبناءً على هذه التقريرات الصادرة بهذه الطريقة، بدأ قسم من الأهالي بالتوجه نحو الشرق قافلة قافلة، وقسم آخر بدأ بالتدفق على محطة سكة الحديد، وكانت القطارات العديدة تحملهم بكل أمتعتهم وتنقلهم إلى دمشق من غير مقابل"[٢].

ويذكر المعمّر زكي أبو ربعيّة ومثله الأستاذ صالح بن مرزوق بن سليم المزيني عن أبيه مرزوق[٣]، كلاهما بأن فخري باشا أمر منادياً ينادي في المدينة ثلاثة أيام: أن على أهل المدينة أن يخرجوا منها، لأنه ستقوم حرب، ويقع جوع ولا يقوى الناس على العيش في هذه الظروف، وأن السلطات ستتفرغ للقتال، وعلى الناس أن تسافر إلى الشام أو تركيا[٤]. وقد استجاب العديد من الأهالي لهذا الأمر، لكن الكثير أيضاً قد رفض الخروج، وذكر أبو ربعية بأن العدد الذي خرج استجابة للأمر كان

(١) «التاريخ الشامل» ٣: ٦٤- ٦٥.

(2) *Kiciman, p. 93.*

(٣) ولد في المدينة المنورة سنة ١٣٠٠هـ تقريباً، وتلقى تعليمه في المدرسة الرحمانية العثمانية، وتخرج فيها ونال الشهادة الابتدائية، وعمل في تجارة الإبل وفي الزراعة، وكان يتقن التركية، وعاصر أحداث السفر برلك، وعمر طويلاً، توفي سنة ١٣٩٩هـ. من «تسجيل» مع ابنه الأستاذ صالح المزيني في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٤٣٨هـ.

(٤) «فضائل المدينة المنورة» ١: ٤٠٣، و«تسجيل» مع الأستاذ صالح بن مرزوق المزيني حفظه الله تعالى.

قليلاً[١]، وفي أحد المراجع أن الذين غادروا برغبتهم يقدرون بنحو (١٥) ألف نسمة[٢].

والواقع أن الأمر كان بخلاف ذلك، فإن الذين خرجوا من المدينة طوعاً بلغت عدّتهم حوالي (٤٠) ألفاً، ما بين المرافقين للأمانات المقدسة[٣]، والمرضى، والعساكر المستبدلين، وعائلات الموظفين والأتراك، و(١٠٠٠) شخص من الضباط، وجماعة ممن يعملون في الصحة والمستشفيات الثابتة والمتنقلة، ومعهم الكثير من أهالي المدينة المنورة[٤]، ولعل هذا العدد يشمل الذين نفوا بتهمة الاعتراض على سياسة الدولة والميل إلى الثورة العربية[٥].

وقد صوّر الأديب عزيز ضياء[٦] أمر الخروج على هيئة حوار دائر بين جده وأمه، يقول:

"قطع الشيخ همسه بالتلاوة ليقول: سوف لن يبقى في المدينة أحد، هكذا أمر الباشا وقد سمعت أنه لم يأمر بإخلاء المدينة إلا بعد أن استأذن السلطان.

(١) «فضائل المدينة المنورة» ١: ٤٠٣. (٢) «سكان المدينة المنورة» ص ٣٧.

(٣) سيأتي تفصيل نقل الأمانات المقدسة.

(4) Kandemir, p.79.

(٥) «سكان المدينة المنورة» ص ٣٧.

(٦) ولد في المدينة المنورة سنة ١٣٢٢هـ، ودرس في كتاب العريف ابن سالم، ورحل إلى الشام وقت السفر برلك، ودرس في المدرسة الراقية الهاشمية في المدينة زمن الأشراف، ثم في مدرسة الصحة بمكة المكرمة فترة من الزمن، والتحق بالجامعة الأمريكية في بيروت، ومعهد التحقيق الجنائي في كلية الحقوق بمصر، لكنه لم يكمل بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية. عمل في الشرطة، ثم مديراً عاماً في وزارة الدفاع، فمديراً عاماً للخطوط السعودية، ثم عين وكيل الأمن العام للمباحث والجوازات والجنسية. كان صحفياً أديباً، ذا قلم سيّال، وأتقن من اللغات: التركية والإنجليزية والفرنسية، وترجم العديد من الكتب، وكان أحد الأعضاء المؤسسين لنادي جدة الأدبي، عمر طويلاً وتوفي سنة ١٤١٨هـ عن ٩٦ سنة. انظر سيرته في كتابه: «حياتي مع الجوع والحب والحرب».

وسمعت أمي تقول: لكن العم محمد سعيد ومعه زوجته الخالة فاطمة، والعم عبد القيوم وزوجته خاتون رفضوا أن يسافروا وهم لا يزالون في بيوتهم.

ورأيت جدي يضحك ساخراً، وهو يقول: لا يستطيع الباشا إكراههم على السفر، ولكن من أين يأكلون؟ سوف لن يجدوا ما يأكلونه بعد أقل من شهر، كل الأكل سيوفر للعسكر.

وقالت أمي: حسناً، ولكن نحن وهؤلاء الذين يسافرون معنا، إلى أين نذهب؟

إلى الشام طبعاً، قلت لكم هذا منذ أكثر من شهر»[١].

مأساة التهجير الإجباري:

بدأ الأمر بعد ذلك يأخذ منحىً جدّياً، فقد كان فخري يخشى أن يستولي الأشراف على خط السكة الحديدية من الشمال تماماً، وبالتالي يمنعون وصول القطار إلى الشام، فأراد أن يسرّع عملية التهجير قبل أن يتوقف القطار، فأرسل جنوده ينذرون الناس بضرورة السفر، لكن لما رأى تباطؤهم في الرحيل، خاصة ممن لم يكن له معارف في الشام أو في غيرها من البلدان، ومن ليس لديه أموالاً كافية أو من أراد الوفاة في المدينة، تقرّر إخراج الناس إجباراً، وأمر فخري جنده بالقبض على الناس وزجهم في القطار لتسريع عملية التهجير، فصار الجنود يجْلون أهل المدينة قسراً[٢]، وحدثت مآسٍ كثيرة، حيث أُخِذ الناس من أماكنهم وأُركبوا القطار من غير استعداد، حتى إن بعض سكان الأربطة والمدارس العلمية سيقوا ليلاً، ولم يأخذوا غير ما يلزمهم من الألبسة والمتاع، والبعض كان يقبض عليه من الأسواق ويساق إلى محطة القطار، وكم فُرّق بين الوالد وذويه، وبين المرأة وابنها[٣].

---

(١) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١: ١٩- ٢٠.

(٢) «التاريخ الشامل» ٣: ٨٦- ٩٦.

(٣) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٣٤٠.

وأخبرني الأستاذ حسن صيرفي، قال: "وكان هذا التهجير أمراً إجبارياً، وإن أي شخص يخرج من بيته في أي وقت من الأوقات يتعرض للقبض عليه وتسفيره حسب الحالة التي هو عليها، دون تجهيز أو استعداد للسفر، وكان للأستاذ عثمان الساعاتي دورٌ كبير في التفريج عن بعض الأهالي"[١].

وقال السيد عثمان حافظ: "وقد قرّر فخري باشا إخلاء المدينة من السكان نهائياً، وألا يبقى في المدينة إلا العسكر أو المزارعون[٢] الذين يعملون في الزراعة فقط، وقد سافر عدد من سكان المدينة إلى الشام ومكة، وبدأت قطارات السكة الحديد تنقل أهل المدينة إلى الشمال، وكانت القطورات[٣] التي تحمل سكان المدينة بعضها يقف في دمشق الشام، وبعضها في حلب، وبعضها في حمص، وبعضها يقف في الأراضي التركية، الأناضول وإسطنبول وبعض المدن التركية الأخرى.

وسافر بعض أهل المدينة إلى مكة المكرمة، هرباً من القبض عليهم وترحيلهم إلى بلاد الشام بالقوة، وكانت القطورات الحديدية لا تسافر من المدينة إلا وهي مملوءة من أهل المدينة، وإذا لم يجدوا ما يملؤها ممن سبق تكليفهم بالسفر يخطفون الناس من المناخة والشوارع ويأخذونهم إلى القطورات ويسفرونهم دون إعطائهم الفرصة لإخبار ذويهم، وكثيراً ما يسافر رب العائلة وتبقى عائلته بالمدينة، أو بعض أفراد العائلة من نساء أو أطفال، لإرغام بقية العائلة على الرحيل"[٤].

وقال زيدان: "واشتدت عزمة فخري باشا على ترحيل أهل المدينة دون أن يعلن ذلك[٥]، وإنما هو الإمساك بصورة عمياء، وبعسف ما بعده عسف، رحلوا

---

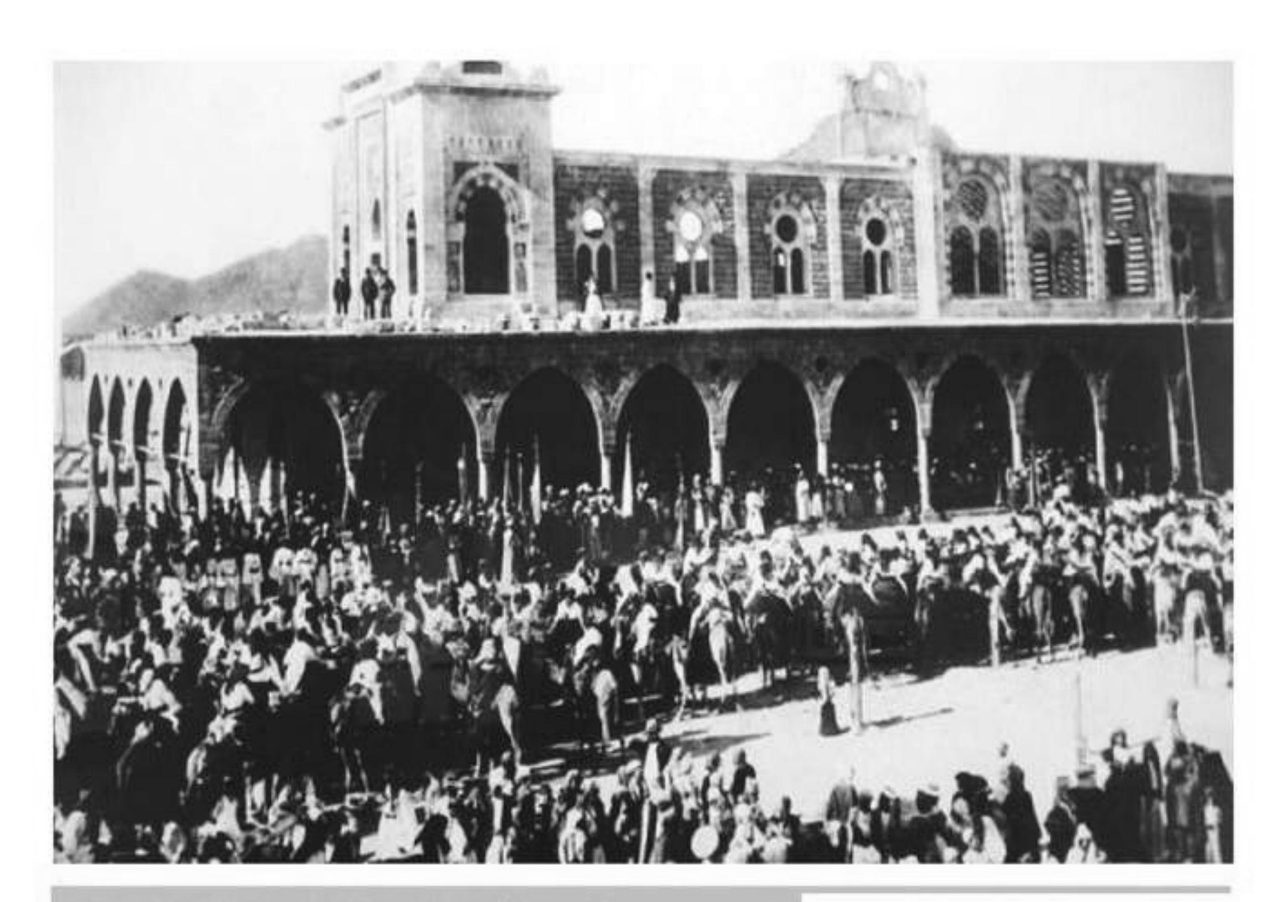
(١) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٢) في الأصل: المزارعين، والصحيح ما أثبتّه.

(٣) هكذا وردت في الأصل، ويقصد هنا: القاطرات، أو المقطورات.

(٤) «صور وأفكار» ص ٣٣٥.

(٥) هذا غير صحيح، بل أعلن فخري باشا عن الترحيل كما بيّنا سابقاً.



تجمع لأهالي المدينة أمام محطة العنبرية
(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



أهل المدينة وهم يستقبلون النازلين من قطار دمشق
(المرجع: Medine Mudafaasi: Naci Kasif Kiciman)

امرأة وبنتيها، وتركوا الرجل في المدينة يهرب إلى ينبع، لم يسألوا كيف تعيش الأم وبنتاها في الشام، ومن يتولى رعايتهم، ماتت الأم وضاعت بنت، ورجعت إلى المدينة بنت وحدها، سألوها عن أبيها في ينبع، وقد وصلت بالباخرة مع أهل المدينة، عرفوا أباها وسلموها إليه"[١].

وقال السيد الزمزمي الكتاني: "ولما صعب على الدولة تموين عساكرها وأهالي المدينة المنورة الذين بلغ عددهم إذ ذاك نحو المائة والثلاثين ألفاً، هناك عمدت الدولة إلى أمر الأهالي بالخروج من البلد، فكانت مصيبة عظمى لم يتقدم لها مثيل. فامتثل من خف حمله وساعده الحظ. أما السواد الأعظم من السكان فرأوا أن هذا فوق المستطاع، وحين تكرر الأمر ولم يقع امتثال، هجمت العساكر على الناس في الطرقات، وصاروا يشحنوهم شحناً داخل (فراكين البابور)[٢] الحديدي فيأخذونهم ويلقون بهم في زمهرير الأناضول حيث يموتون برداً وجوعاً. والذين قُدر لهم السعادة كانوا يذهبون بهم إلى الشام وهم قليل. وهكذا بقيت إلى أن لم يبق بالمدينة إلا القليل من العسكر، ومع ذلك فكان ذلك القليل يموت جوعاً"[٣].

وقال الشيخ الطيب السوسي: "ولقد كانوا يأخذون بعض أهل العلم من حلقات دروسهم في المسجد النبوي، وحملوا الناس على ترك الجُمعات والجماعات، وما زالوا يأخذون الناس إلى محطة السكة الحديد قبضاً من الأسواق، وأخذاً من بيوتهم في جوف الليل وهم نيام من غير مهلة ولا تمييز بين صاحب حرث أو نخيل أو دكان أو صنعة أو وظيفة[٤]، وسواءً كان مجاوراً أو من الأهالي، وغنياً أو

---

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٧.

(٢) الفركون أو الفرقون: عن التركية: (واغون)، وتلفظ: (فاكون)، وهي عن الإنجليزية (waggon)، ويريدون بها: الشاحنة في القطار، وعربة الركاب، أو عربة الشحن. أفادني بذلك الأستاذ محمد علي كاتبي حفظه الله.

(٣) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ١٨٦.

(٤) يظهر لي أن في كلام الشيخ الطيب السوسي نوعاً من التحامل لأنه جاء ضمن خطبة ألقاها

فقيراً، حتى انزعج الناس وانزووا وهجرت المساجد وعطلت الدروس العلمية، ووقفت الأشغال وأقفلت الدكاكين، وانقطعت الخضر من الأسواق، وصار الناس في كرب عظيم لا يعلمه إلا الله تعالى"[١].

وقال السيد أحمد بن مصطفى صقر: "فأخلى -فخري- المدينة المنورة من الأتراك المجاورين، ثم أمر بإرسال عائلات الموظفين والضباط ... وأخذ في إبعاد الأهالي، وحجْر القوت الضروري عن المتخلفين منهم، وأمر دائرة البوليس والجندرمة[٢] بالقبض على من يرونه يتجول في الأسواق من نساء وشيوخ وإبعادهم عن المدينة مكرهين" [٣].

وقال السيد علي حافظ: "ولكي يضمن فخري باشا الهدوء داخل المدينة ويتفرغ للعمل الحربي -لأن المجاعة تسبب قلقاً- أبْعد أهل المدينة عنها وسفّرهم إلى سورية ولبنان وتركيا، وسافر بعضهم إلى مكة، جعلهم لاجئين بما في هذه الكلمة من معنى اليوم؛ سفّرهم حتى لم يبق إلا من يعدّ على أصابع اليد، وحتى سُمّيت تلك السنة سنة (سفر برلك) وقد كانوا يغرون أهل المدينة على السفر ويخيرونهم في البلد التي يريدون السفر له، ثم صار التسفير بالجبر والإكراه، وأكثر أهل المدينة سُفّروا لسورية وحلب وتركيا وسافر بعضهم لمكة، فقد كانوا يُشحنون شحناً في القطارات"[٤].

أمام الشريف الحسين، وإلا فإن فخري باشا قد أبقى على العديد من المزارعين للاستفادة منهم، كما أن مسألة أخذ الناس من بيوتهم وهم نيام لا تخلو من مبالغة، والله أعلم.

(١) «جريدة القبلة» ع ٥٦، ٢.

(٢) الجَنْدَرمة هي الشرطة العسكرية، وأصلها من الكلمة الفرنسية: *gendarmes*، أي رجال مسلّحون. «معجم الدخيل» ص ٩٣.

(٣) «جريدة القبلة» ع ٨٩، ص ٣.

(٤) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٨.

وقال الشريف إبراهيم العياشي[١]: "فأجلى فخري باشا أهل المدينة بصورة وحشية أشبه بصورة إجلاء الفلسطينيين عن بلادهم، يخرج الرجل من داره فلا يرجع، فتخرج المرأة تبحث عنه فلا ترجع، والقطار الحديدي يُقلّ هذا وتلك، وفي كل محطة ينزل من لا يركب بلا زاد ولا غطاء، البنت في دمشق، والأب في استانبول، ومن أدرك السابقة فرّ بأهله إلى الشريف"[٢].

وقال الشيخ حِلّيت المسلّم: "أعلن فخري باشا حاكم المدينة المنورة وقائد المنطقة أيام الحرب العالمية الأولى، أن المدينة أصبحت منطقة عسكرية، فعلى جميع الأهالي والسكان الخروج منها فوراً، وأن يغادروها إلى أي جهة يختارونها، وأعلن فخري باشا أنه أمّن جميع الأرزاق والمزارع والنخيل في المدينة، وادخرها لتموين الجبهات الحربية التي تحت قيادته، فانتشرت المجاعة بسبب تلك الإجراءات القاسية، وأخرج أهل المدينة منها حفاة عراة جياعاً، ومنهم من بقي فيها متوارياً في بيته، مختفياً عن الأعين، متحملاً لوعة الجوع والعوز، راجياً أن يبدل الله من حال إلى حال وتنتهي الحرب بالفرج العاجل، لكن القوة العسكرية

(١) ولد في المدينة المنورة سنة ١٣٢٩هـ، ورحل مع أبيه إلى مكة في سفر برلك، ثم عاد إلى المدينة والتحق بالمدرسة الراقية الهاشمية ودرس فيها حتى السنة الرابعة، واشتغل في طلب العلم في الحرم النبوي الشريف، فأخذ عن الشيخ سعيد بن الصديق الفلاني، والشيخ محمد الطيب الأنصاري، والشيخ عبد القادر الشلبي. واستفاد كثيراً من مكتبة والده الكبيرة، ثم اشتغل مع والده في الزراعة، وبعدها عيّن كاتباً في شرطة المدينة، فمشرفاً على المزارع التابعة لوزارة المالية بمدينة الخرج، ثم مديراً للمدرسة السعودية بمدينة الخرج. ثم انتقل إلى ينبع فتولى إدارة مدرسة ينبع السعودية، وأخيراً عاد إلى المدينة وعمل مديراً للمدرسة الفيصلية، ثم خبير آثار في إدارة التعليم. كان رحمه الله مؤرخاً لمعالم المدينة المنورة، وعالماً بالآثار النبوية المدنية، وله العديد من التآليف المطبوعة والمخطوطة، من أهمها: «المدينة المنورة بين الماضي والحاضر». توفي سنة ١٤٠٠هـ عن ٧١ عاماً. ترجم لنفسه في «مذكراته» المخطوطة.

(٢) «المدينة المنورة بين الماضي والحاضر» ص ٤٧٠.

أخذت تلاحق المتخلفين وتلقي القبض على الكبير والصغير، والرجل والمرأة، وتملأ بهم السجون فإذا حان موعد تحرك القطار الحديدي دفعتهم إلى ما لا يعرفون، ورمت بهم في أحضان المجهول، فمنهم من أرغم على النزول في الأردن، ومنهم من أرغم على النزول في سوريا، فكان كل من ينتهي به المطاف وينزل من القطار يقف حائراً لا يدري إلى أي صوب يتوجه، فمنهم من مات برداً ومنهم من مات جوعاً، ومنهم من مات بوباء الكوليرا»[(١)].

ومن المآسي التي رواها الشيخ خليل ملا خاطر عن المعمر زكي أبو ربعية: أن امرأة ولدت في ليلة من الليالي، فخرج زوجها يبحث عن طعام فلقيه العسكر فأخذوه قسراً إلى محطة القطار، فطلب منهم أن يحمل زوجته وطفله فمنعوه، ولما رأت المرأة تأخر زوجها خرجت لتأخذ ماءً من عند باب الدار، فرآها العسكر فساقوها ولم يمكّنوها من أخذ الطفل مع شدة بكائها وتوسلاتها، وبقي الطفل في المنزل حتى توفي[(٢)].

وقد روى الشيخ خليل ملا خاطر عن الشيخ صدقة بن حسن بن نزيل الكرام خاشقجي، عن أبيه قال: "كنا مجتمعين على الغداء فدخل الجنود وأمرونا أن نخرج إلى القطار، فامتنع والدي نزيل الكرام، وارتفع الصوت بينهم، فقال الجنود: هذا أمر، ومن لم يخرج طواعية سيخرج بالقوة، فخرج الشيخ نزيل الكرام من البيت، وغاب عن الأنظار بعد أن عهد إلى أخيه أسعد أخْذ بقية العائلة وسافر إلى دمشق وسكن في حي المهاجرين»[(٣)].

وروى الشريف إبراهيم العياشي مأساة هذا الأخذ القسري على أمه الشريفة صفية العلوية، وأختيه زينب وهاشمية، قال: "خرجت زينب التي كانت يومها في الخامسة عشر لتشتري حاجة من السوق، فأخذها عسكر العثمانيين -الأتراك- إلى محطة القطار

---

(١) «النخيل بين العلم والتجربة» ص١٥٤.

(٢) «فضائل المدينة المنورة» ١: ٤٠٤.

(٣) «فضائل المدينة المنورة» ١: ٤٠٣-٤٠٤.

الحديدي في العنبرية، واشتد قلق والدتي عليها فخرجت لتبحث عنها، فعلمت أن القطار غادر بها المدينة، وسُحبت هي الأخرى إلى المحطة وبدون رحمة، ودخلت في التجمع الذي بات ليله في الحجز في المحطة بدون رحمة من الجنود، ثم غادر القطار يحمل التجمع الخليط، ولد لا والد له، وأب بدون أسرته، وامرأة بدون زوجها، وفي كل محطة للقطار ينزل من لا يمكن من الركوب في القطار.

كان عبد السلام السراج والد محمود عبد السلام السراج الذي في جمرك المطار، من جملة من رحل في القطار، فأدركته الشفقة وتزوجها فحصنها رحمة الله عليهما، ولم تطل حياة زينب معه فقد مات من شدة البرد في حمص أو في حلب.

ووُجدت والدتي الشريفة صفية فيها تبيع الكسكسوه، وتوفيت بعد أيام والدتي، وهامت هاشمية على وجهها فتزوجت أحد الضباط في جيش الأتراك، وهو من المغرب الأقصى، وبهذا انتهى شطر الأسرة"[١].

ويحكي الشيخ أحمد بن عبد الله ثروت قصة تهجيره، فيقول: "أمسكوني بالمناخة وعمري ست سنوات، فقد أرسلتني والدتي لإحضار بعض الحبوب ولم تفكر أن طفلاً في عمري يمكن ترحيله، حملني أحد الجنود فجأة، ورغم بكائي سلمني إلى جندي آخر على باب القطار، ومضى بي القطار عدة أيام وأنا نائم تحت إحدى كراسيه، وعندما وصل إلى دمشق أنزلوا جميع الركاب بحجة أن بهم وباء، ومن لطف الله لم ينتبه إلي أحد، وعند وصول القطار إلى إسطنبول خرجت من تحت الكرسي ونزلت إلى المحطة ونمت فوق أحد الكراسي الخاصة بالمحطة، ومن حسن الصدف أن أخوالي من تركيا، وجاءني رجل أظنه عطف علي، وسألني: من أين أنت؟ فقلت له اسمي واسم أخوالي فعرفهم وأخذني إليهم ومكثت عندهم سنوات حتى تمت عودتي إلى المدينة مع نهاية عهد الأشراف وبداية الحكم السعودي"[٢].

---

(١) «مذكرات الشريف إبراهيم العياشي» مخطوطة.

(٢) «طيبة وذكريات الأحبة» ٥: ٧٤- ٧٥.

وروى المؤرخ محمد سعيد دفتردار قصة تقطر أسىً لرجل لم يسمه، يقول: "كان رجل من أهل المدينة أجبرته الظروف هو وزوجته أن يعملا في طريق قباء، وكان لهما ثلاثة أطفال، فإذا خرجا للعمل يتركان لأطفالهما بعض الخبز والماء، ويقفلان عليهما الباب ويذهبان للعمل، ثم يعودان إلى منزلهما آخر النهار، فلما اشتدّت الأزمة في المدينة أمر فخري باشا بترحيل الناس جبراً، فكان الجند يجمعون الناس من الأسواق إلى محطة السكة الحديدية ويسافر بهم القطار إلى الشام، فخرج الرجل إلى عمله في الصباح فأخذه الجند إلى المحطة كما أُخذت زوجته في عربة وهما لا يعلمان عن بعض، وسار بهما القطار، فصار يصيح أطفالي، أطفالي، الباب مقفل عليهم. فلم يسمع له أحد، وكذلك المرأة وتوفيت المرأة في الطريق، وأخذ الرجل إلى الشام، وبقي الأولاد الصغار في المنزل يتصايحون حتى ماتوا جوعاً وعطشاً. وبعد أيام ظهرت رائحتهم ففتح الجيران الباب فوجدوهم ميتين، وهكذا كان وأسوأ من ذلك كان"[١].

وممن تأثر بحادثة التهجير المفاجئة الشيخ المجذوب محمد الكامل بن محمد المهدي بن الزرزور الجزائري (ت ١٣٨٤هـ) الشهير بـ «سيدي كامل»، حدثني الأستاذ حسن الصيرفي، بأن بداية جذبة سيدي كامل واختلاطه وتغيّر أحواله كان في حادثة سفر برلك حين اقتادوا والده إلى القطار ورحّلوه إلى الشام، وبقي سيدي كامل في المدينة وأصيب بالجذب[٢]. اهـ

وقال الشيخ محمود بن علي شويل في حادثة التهجير[٣]:

فـإن التـرك قد عاثـوا فسـاداً   ولـم يرعوا حراماً أو حلالا

---

(١) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ ملا سفر بن محمد الكولابي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٢) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٣) «جريدة القبلة»، عدد ٢٣٨، ص ٣.


سيدي كامل


الشيخ محمود شويل
(المرجع: أمدني بها الأستاذ فهد شويل)

نفوا سكانها نفياً ذريعاً ولم يبقوا نساءً أو رجالا
وإنا قد نفينا لا لذنبٍ سوى الإخلاص لم نسأل سؤالا

ومما يجدر ذكره أن الجيش الهاشمي لم يتعرّض للقطارات المهاجرة بأهل المدينة، بل كان يترك القطار يذهب حيث يشاء إذا بلغه أنه يحمل المدنيين[1].

انتشار المجاعة بين أهالي المدينة :

كانت المدينة تعتمد في المؤونة على الإمدادات التي تقدم من الشام عن طريق سكة الحديد، وعلى ما تأتي به القبائل العربية المتحالفة مع الأتراك كجماعات من عشيرة بني سالم من حرب إلى المدينة، حيث كانوا يشترون المؤونة من الإنجليز وهي عبارة عن الأرز المجلوب من مصر وإندونيسيا، ويبيعونها في المدينة، ولم يكونوا يقبلون إلا بالذهب ولا يثقون إلا به، بل كانوا يضربون حافة القطعة الذهبية

(١) «ماضي الحجاز وحاضره» ص ٨٢.

بأخرى حتى يسمعوا رنين الذهب، لأنهم تعرضوا للخديعة عدة مرات[١]. كما أن هناك قوافل غذائية كان يقدم بها ابن رشيد من نجد، وأخرى كانت تأتي من الوجه ورابغ[٢].

وكانت الشاحنات المحملة بالقمح والمؤن تأتي من دمشق، وتوزع أسبوعياً على أهالي المدينة تحت إشراف البلدية وإدارتها [٣]، كما أن هناك عدة نقاط عسكرية مسؤولة عن تدابير التموين والترحيل والقرارات تدعى بـ: المنزل.

وبعد انسحاب القوات التركية من ينبع أدرك فخري والشريف علي حيدر خطورة الموقف بسبب نقص التموينات للحاميات، فأرسلوا إلى الحكومة لتزويدهم بالإمدادات اللازمة، وبعد سقوط الوجه أرسل الشريف علي حيدر إلى جمال باشا في ٥ ربيع الثاني ١٣٣٥هـ يطلب منه إجراءً فورياً، فوعده ببذل كل الجهود الممكنة. كما أن الصدر الأعظم سعيد حليم تجاوب ووعد بأن كل الخطوات الضرورية قد أخذ بها لتهدئة القلق الحاصل في المدينة. لكن بعد أيام تم إعفاء الصدر الأعظم سعيد حليم[٤]، وحلّ محله طلعت باشا الذي أبلغ الشريف علي حيدر بأنه بعد مشاورة مع أنور باشا لم يتفهم الهلع الذي أظهروه نحو الحجاز، ولم يتخذ أي إجراء يذكر من ناحية إمداد المدينة ونجدتها[٥].

يذكر الشريف علي حيدر في مذكراته السبب الخفي لتجاهل الحكومة العثمانية استغاثاتهم، فيقول:

---

(1) Kiciman, p. 93, 318.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ١٢٣ ، ٣٤٠.

(3) Kiciman, p. 93.

(٤) تم إعفاء سعيد حليم باشا في ٣ فبراير ١٩١٧= ١٠ ربيع الثاني ١٣٣٥هـ. ينظر: «الدولة العثمانية تاريخ وحضارة» ١ : ١٣٨.

(5) Stitt, p. 174.



سعيد حليم باشا

"في هذه الأثناء كان خورشيد بك الذي تم نفيه إلى المدينة زمن الصدر الأعظم محمود شوكت بسبب إزعاجه، كان مسؤولاً إلى حد كبير عن تجويع الحامية المحاصرة ... لكن بعد عدة نزاعات مع فخري ذهب خورشيد إلى دمشق حيث أبلغ جمال أن الناس في المدينة لديهم مؤن كافية، واتهم التجار بإخفاء المؤن الغذائية، كانت النتيجة أن جمال لم يرسل المزيد من الإمدادات. كتبت أنا وفخري عدة رسائل قوية معبّرة موضحين أن القصة التي رواها خورشيد محض اختلاق، وأن المدينة كانت تعاني من الجوع المدقع.

لم يَردّ جمال على هذه الاحتجاجات إلا بأن التجار في المدينة يملكون أكواماً من المؤن التي يجب مصادرتها. ولذلك طلبت من بصري باشا أن يأتي ويقابلني وأعطيته أسماء التجار الذين ذُكروا بالتحديد في التقارير التي كتبها خورشيد، وأخبرته أن يُحضر مجموعة من العساكر والشرطة والحمّالين لمصادرة كل ما يمكن أن تقع عليه أيديهم من المؤن، ولكنهم لم يعثروا على طعام إلا ما يكفي يومين لتخزينه. فكتبت رسالة أخرى إلى جمال أبلغه بالوضع"[1].

(1) *Stitt, p. 174-175.*



فخري باشا وبصري باشا مع خورشيد أفندي وهم خارجون من الحرم النبوي الشريف
(المرجع: Medine Mudafaasi: Naci Kasif Kiciman)

وبسبب عدم قدرة فخري على إطعام الجنود والأهالي معاً، أصدر قرار التهجير القسري للأهالي وأتبعه بأوامر صارمة جداً، أدّت إلى تفاقم المجاعة بين أهالي المدينة المنورة، فقد أمر بإغلاق الدكاكين، ومنع الناس من الشراء والبيع، وحتّم عليهم مغادرة المدينة، وأمر بجمع التمور من نخيل المدينة وبساتينها لادخارها للعسكر، وحظر على الأهالي بيع التمر، ومنع إدخال الأطعمة لمن تخلف منهم عن أمره ومكث في المدينة، وأمر ألا يشتري الواحد في اليوم أكثر من ثلاثين درهماً من الخبز، ولم يسمح للقبائل البدوية بإدخال القوت إلى أسواق المدينة، ومن يقبض عليه يحاسب حساباً عسيراً[١].

كما أمر فخري ضباطه بشراء جميع الأغذية الموجودة في السوق، وجمعها في مستودعات اتخذها داخل الثكنات وبعض البيوت المهجورة، وكلف الجند

(١) «جريدة القبلة» ع ٥٦ ص ١، وع ١٢٦ ص ٢، وع ١٩٠ ص ٢.

بجمع التمر وضغطه في قوالب عديدة وجعلها على شكل مكعبات كي لا يؤثر فيها الدود، ووضع الجيش يده على غالبية الأفران والمخابز في المدينة، وأقيمت أفران أخرى في الثكنات العسكرية، وصنعوا نوعاً من الخبز يدعى (القنيطة)[١]، وهو خبز جاف لا يتأثر ولا يصيبه العفن ويبل قليلاً بالماء فيعود كما كان[٢].

وفي ذلك يقول المعمّر خضر الفارسي: "وصار فخري باشا يصنع التمر بعد ضغطه بماكينات خاصة، ويضعها في السلطانيّة، والعيش (الخبز) أصبح كرسنة وخرنوب[٣]"[٤].

وأعطت الحكومة أصحاب البيوت وثائق فيها عدد أفراد أهل كل منزل، وبموجبها يباع لهم مقدار قليل من الخبز الأسود، وأحياناً يتأخرون عليهم في توزيعه، فترى آلام الجوع تقرص أجسام الأطفال وأهاليهم[٥].

ويذكر الشريف العياشي أن الخبز كان يوزع على الأهالي في المناطق بالصف والترتيب، وحسب الأسماء المسجلة في البطاقات، وقد يقف الإنسان في الصف من الصباح ولا يدرك التعيين إلا في العصر، وقد لا يدركه، ويعود إلى الجياع ليولي الجوع نهشهم[٦].

وأدى هذا الاضطراب في المعيشة إلى إجبار أهالي المدينة المنورة على التوجه إلى محطة سكة الحديد مرغمين، بعد بيع كل متاعهم وأغراضهم في المزاد سواءً

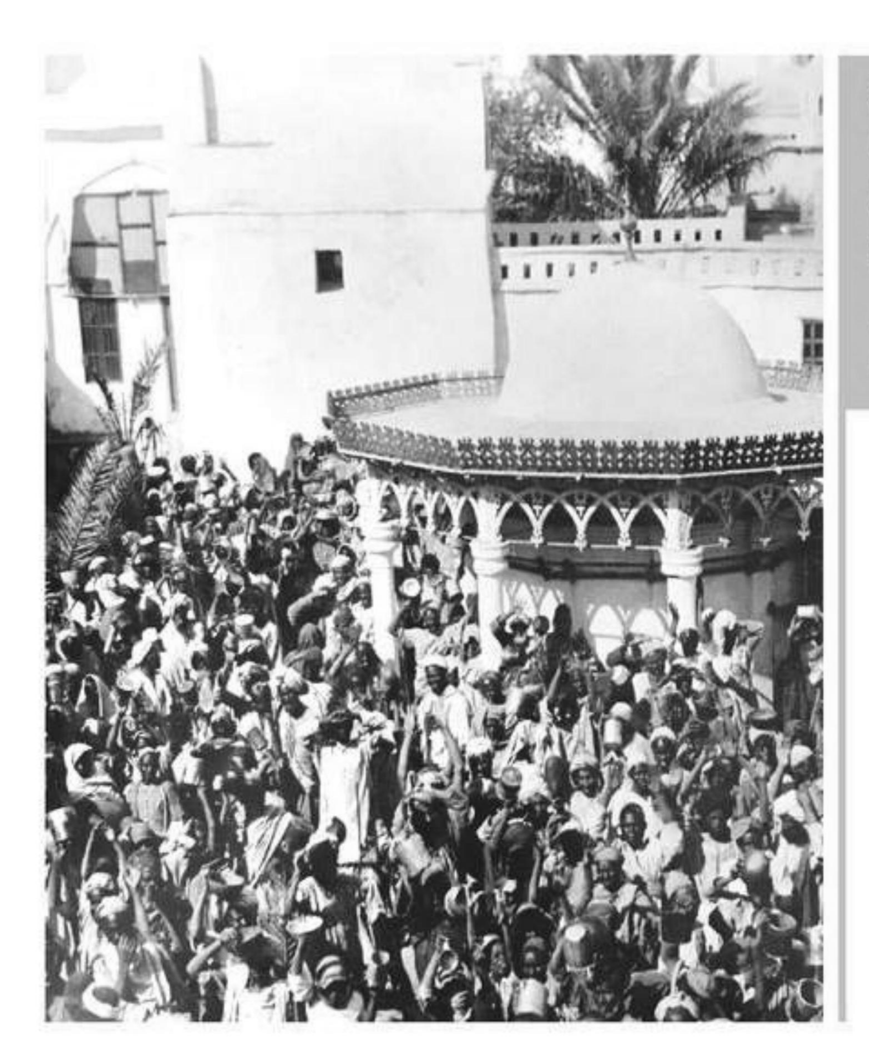
---

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٧. (٢) «التاريخ الشامل» ٣: ٥٦.

(٣) السلطانية هي وعاء أو إناء يوضع فيه الطعام، والكِرْسِنّة نبات عشبي يمتد على الأرض وله زهر، ويعرف علمياً باسم: (*Vicia Ervillia Willd*)، والخرنوب أو الخرّوب شجر معروف، يعرف علمياً باسم: (*Ceratonia siliqua*). وفي عبارة الفارسي اضطراب، ومراده أن الخبز (وأهل المدينة يسمونه عيش) صار يصنع من الكرسنة والخروب.

(٤) «أحداث عاصرتها» ق ١٨. (٥) «جريدة القبلة» ع ٣٨ ص ٣.

(٦) «مذكرات الشريف إبراهيم العياشي» مخطوطة.



الفقراء من الحجاج والمجاورين ينتظرون وجبتهم المقررة من التكية المصرية

(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)

برغبة منهم أو بدون[1].

وبسبب ذلك حلّ الغلاء في البلد وتضاعفت الأسعار، ويصف السيد عثمان حافظ الأوضاع المعيشية في المدينة ذلك الوقت فيقول:

"وبدأ الفزع والرعب يدبّ إلى قلوب الناس، وبدأت تنعدم المؤن الرئيسية من الأسواق، وقالوا إن البحر مليء من الألغام والبواخر والغواصات، وأن البواخر التجارية توقفت عن نقل الأرزاق فارتفعت الأسعار تدريجياً ثم انعدمت من الأسواق الحاجيات الضرورية شيئاً فشيئاً. وكانت والدتنا رحمها الله ترسلنا لشراء بعض لوازم البيت من سكر وشاهي وصابون وأرز وخلافه، وكثيراً من نعود بخفي حنين لانعدام هذه الأشياء من الأسواق.

---

(1) *Kandemir, p.82.*

ومع ارتفاع أسعار الحاجيات وقلة وجودها قلّت النقود في أيدي الناس، واشتدت الفاقة عند الناس، وحتى منتوج المدينة الزراعي من حبوب وتمور منع نزوله للأسواق، وتُفتش عند مداخل المدينة جميع الحيوانات أو العربيات التي تنقل أي منتوج زراعي، ويصادر ما بها من أرزاق من تمور وحبوب وكل شيء، وكانت حكومة الأتراك تدخر كل ذلك للجيش"(١).

وقال السيد أحمد بن مصطفى صقر يصف حالة الجوع في المدينة المنورة، فقال عن الأتراك: "إنهم قد حبسوا القوت عن أهل المدينة، وهذا هو الواقع، حتى لقد كنا نرى المجاعة على قارعة الطريق، ويمر رجال الحكومة من فوقهم وليس ثمة من يرحم، ولإدارة المنزل -أي التموين العسكري- سلطة واسعة في احتكار القوت، ومصادرة كل ما يتراءى لها مصادرته، ولذلك صار الغلاء فاحشاً، وعجز أكثر الناس عن تناول ما يسد رمقهم"(٢).

وبدأت تظهر في المدينة ما يشبه السوق السوداء، فقد ذكر الشيخ جعفر بن إبراهيم فقيه: بأن بعض ضباط الأتراك داخل قشلة باب الشامي استغلوا هذه الظروف فصاروا يبيعون الأغذية الخاصة بالجند بأسعار عالية جداً(٣).

وقال الشيخ عبد القدوس الأنصاري يصف هذه الحال: "وشحّت الأطعمة عندما أمر فخري باشا بقصر الأرزاق على العسكريين، وحرمان من تبقى من المدنيين منها كلّياً، فكان الناس يلتقطون معيشتهم من طريق الشراء الخفي المرعب من بعض جوالة العسكر لتعيينهم -أي مخصصهم من الخبز- وهو قرصان صغيران محشوّان بالنخالة والتراب وشيء يسمى بالكرسنّة، يشترونه منهم بالدس البالغ والحذر بأثمان عالية، وإذا كشف البوليس العسكري الجوّال أمْر شراء بعض

(١) «صور وأفكار» ص ٣٣٥.

(٢) «جريدة القبلة» ع ٨٩ ص ٣.

(٣) «طيبة وذكريات الأحبة» ١ : ١٦٧.

الأهالي من بعض العسكر لهذا الخبز الواهي الذي لا يشبع ولا يسمن من جوع، فالويل أولاً ينصبّ على العسكري المخالف للأوامر، وعلى الوطني المسكين الذي اشترى منه هذا الخبز منه ثانياً"(١).

وقال السيد علي حافظ: "كما حجز فخري باشا كل ما يؤكل من تمرٍ وأرز وحنطة وغير ذلك في مستودعات الجيش فلا يعطى لأهل المدينة منه شيء إلا بطريق التهريب من الجنود وبأثمان مرتفعة، ويتعرّض كل من يعثر عليه بائعاً شيئاً من ذلك لأشد العقاب هو والمشتري"(٢).

وحدثني الأستاذ حسن صيرفي قال: "كان دكان والدي في باب المصري وكان هو الدكان الوحيد المفتوح، فذهب والدي إليه وجاء أحد الجنود وقال له: مصطفى أفندي! الحقني، فتبعه ولقي في الديوان حوالي (٧) إلى (٩) ضباط وأمامهم مخصصاتهم من الطعام، فقالوا له: اشتر منا هذا الطعام، فاشترى منهم نصيبهم هذا من الطعام بـ (٢٩) جنيه ذهب، فقال لهم: أنا اشتريت ولكن الذي يوصله منكم إلى البيت أعطيه جنيهاً ذهباً(٣). وكانت المسافة لا تزيد عن (٧٠) متراً، فحملها العسكري تحت ردائه العلوي، وكان هذا الطعام عبارة عن: كيلو لحم جمل، وكيلو زيت، وكيلو برغل، وكان ثمنها قبل الحرب يساوي قرشاً واحداً والجنيه يساوي (١٠٠) قرش، فكان ثمن هذا الطعام (٣٠٠٠) ضعف، وقد عشنا رمضانية كاملة بهذه الكمية من الطعام، حيث تم تقسيم هذه المواد إلى ثلاثين قسماً كل يوم قسم"(٤).

---

(١) «ذكريات غير منسيّة»، عبد القدوس الأنصاري، مجلة المنهل، جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨هـ، ص ٥٤٤.

(٢) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٧.

(٣) وذلك خوفاً من القبض عليه وبيده هذه الأطعمة، لأنه مما كان محظوراً من قبل فخري باشا.

(٤) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

وقد قدّرت جريدة الهاشميين الغلاء الفاحش في المدينة، فنشرت شيئاً من القيم الغذائية، جاء أن: "ثمن مُدّ الحنطة بلغ خمسة ريالات مجيدية ونص، ومد الرز تسعة مجيديات، ومد الشعير أربعة مجيديات، ومد التمر ثلاثة مجيديات ونصفاً، ومد الملح مجيدين ونصف، أما الخضرة والحطب والفحم والحشيش فإنها معدومة، ولا يوجد منها شيء، ولا يوجد شيء رخيص غير لحم الجمال، فالجزارون يبيعون الأقة منه بقرش صاغ واحد، لأن المتغلبين يبيعون كل عشرة جمال بأحد عشر ريالاً مجيدياً إلى اثني عشر ريالاً. أي أن ثمن الجمل نحو ريال مجيدي واحد وبضعة قروش"(١).

وروى الأستاذ محمد حسين زيدان: أن الشيخ مصطفى بن صادق صيرفي والد الأستاذ حسن -وكان من الأثرياء- أعد غداءً لثلاثة ضباط مع الجيش التركي أحدهم: الأستاذ حسني العلي مدير دار الأيتام، فأحضر لهم تيساً صغيراً كلّفه ذلك خمسين جنيهاً وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت(٢).

ودخلت المدينة في مرحلة جديدة من المسغبة، وجاع الناس جوعاً شديداً، حتى وصل الحال ببعضهم أن أكل ما بقي من الماشية الهزيلة وجلود الحيوانات والقطط ولحوم الميتة، وقيل: إن بعضهم أكل الأموات من البشر(٣)، ويذكر زيدان

---

(١) «جريدة القبلة» ع ٥٧ ص ٢. وللفائدة فإن الريال المجيدي يساوي ١٠ قروش، والقرش هو الوحدة النقدية العثمانية الأساسية وهو نوعان ذهب وفضة، وعيار القرش الذهبي يزن ستة دراهم، أما الفضة فتسعة دراهم ثم تناقص عياره حتى بلغ زمن السلطان عبد الحميد الثاني أقل من نصف درهم. انظر: «الإدارة العثمانية في المدينة المنورة» ص ١١٦-١١٧.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٧.

(٣) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٨، و«حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل سنة ١٣٨٢، ص ٣٤١، و«المحاضرات»، النادي الأدبي الثقافي بجدة، محاضرة الشيخ محمد الحافظ، ٦: ٥١، و«حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١: ١٦٣.

أن البادية أصابهم مثل هذا الجوع أيضاً فأكلوا القطط[١].

قال السيد علي حافظ: "وبلغ من قسوة الحصار كما روى من جلس في المدينة أن أكل البعض القطط والكلاب وجثث الموتى وهم لا يعرفونها، باعها عليهم بعض المجرمين الذين لا يخافون الله، واشتراها من لا يعرفها من الجوع الذي عم البلد"[٢].

وقال الضابط ناجي كاشف كجمان[٣]: "وفي ٢٣ يناير ١٣٣٤[٤] تلقينا نبأ واقعة غريبة؛ وهي أن رجلاً من قبيلة قدمت من الحبشة، وكانت تسكن في أكواخ من الصفيح على أطراف المدينة، أخرج جثة امرأة دفنت لتوها، وقطع أفخاذها وأذرعها ووضعها في كيس (جُوال)، ثم ذهب إلى السوق فباعها، وفيما هو قادم إلى كوخه قبضت عليه الدوريات، واعترف في التحقيقات التي أجريت معه أنه اضطر إلى ذلك، وأنه باعها في السوق بعد أن طبخها في قدر.

لقد وصلت المجاعة إلى هذا الحد، وبدأت القطط والكلاب التي في الشوارع تختفي واحدة تلو الأخرى"[٥].

---

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٧. (٢) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٨.

(٣) ولد سنة ١٣١٢هـ في قوزان جنوب الأناضول، وكان والده قاضي البلدة، وتلقى تعليمه الابتدائي في قلعة عكّا، وأتم الإعدادية في قونية ودمشق، ثم التحق بالمدرسة الملكية وتخرج فيها، وعيّن في وظيفة ضابط احتياط في الجيش العثماني، ثم عيّن في القلم العسكري في المدينة، وضابط مخابرات في حملة الحجاز، وأُسر في مصر من قبل بريطانيا بعد تسليم المدينة. ثم عين عضواً في مجلس الشورى بتركيا، ومديراً للإدارات المحلية في وزارة الداخلية، وتولى محافظة بعض المدن مثل طرابزون وأسبارطة، ولم أقف على تاريخ وفاته. انظر:
Medine Mudafaasi, Naci Kiciman, p. 12- 13.

(٤) في ترجمة مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة ورد التاريخ هكذا: ١٣٣٣، وهو خطأ والصحيح ما ذكرته كما في أصل الكتاب التركي، وهو يوافق بالهجري ١ رجب ١٣٣٦هـ.

(٥) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» ناجي كاشف كجمان، مجلة مركز وبحوث دراسات المدينة، ع ٧ ص ٨٥، و*Kiciman, p. 118* .

وروى الأستاذ صالح بن مرزوق بن سليم المزيني عن أبيه مرزوق، أنه أدرك في تلك الفترة قبل رحلته إلى الشام، الحكومة التركية وقد أعلنت القبض على رجل ينبش القبور، ويقطع فخذ الجثة الميتة، ويبيعها في السوق[١].

وحدثني الشيخ خير الدين بن حسن إلياس قال: سمعت الشيخ أحمد بن مصطفى البساطي يحدث أنه في زمن السفربرلك لم يخرج من المدينة، وأنه جاء إليه رجل يحمل رأساً ملفوفاً بقماش، وقال: هذا رأس غنم مسلوخ بجنيه ذهب، ولم يكن مع البساطي سوى جنيهين فأعطاه واحداً فأخذه، وفي الليل وضعه في القدر ليطبخ وكان البيت مظلماً لا كهرباء ولا قناديل فيه، واجتمع قلة ممن كان موجوداً من الجيران عنده، وبينما الرأس كان يطبخ إذ فتش الشيخ البساطي عليه قبل الأكل فانتبه إلى أنه رأس كلب فعزفوا عنه ورموه!.

وأخبرني الدكتور أنور بن ماجد عشقي يوم السبت ٥ جمادى الآخرة سنة ١٤٣٨هـ، عن رجل يدعى محمد حبيب زنزن، ماتت أخته وقت السفر برلك ودفنها في البقيع، وبعد مدة ذهب ليزورها فوجد قبرها مفتوحاً، وقد أُخذ من لحمها.

ومما يؤيد ما روي عن حالة الجوع ما رواه المعمر زكي بن حسن أبو ربعية: بأن أحد التكارنة تمكن من الإمساك بقط فاعترضه اثنان من أهل المدينة واشترياه منه بـ (٣) جنيهات وذهبا به إلى أحد الجزارين الأتراك فشرط عليهم أن يذبحه ويسلخه لهم على شرط مشاركتهم الأكل[٢].

(١) «تسجيل» للأستاذ صالح بن مرزوق المزيني حفظه الله سنة ١٤٣٧هـ، أمدني به ابنه محمود جزاه الله خيراً.

(٢) «طيبة وذكريات الأحبة» ١ : ١٨٣.

وروى أستاذنا الشيخ عبد القادر السمان عن الشيخ مهدي بن حمدي الجراح (ت ١٣٨٨)؛ وكان ضابطاً في جيش فخري، أن حصاناً خاصاً بأحد الضباط العثمانيين مات، فحمله الجنود ورموه في منطقة المساجد السبعة الخالية من الناس، فاتفق مهدي الجراح مع رفيق له على التسلل إلى هذه المنطقة وقطّعا أجزاءً من هذا الحصان الميت، ودخلا في معركة مع الكلاب الجائعة التي تملأ المكان حتى استطاعا قطع ما أرادا من اللحم والنجاة من الكلاب[١].

ويروي محمد ميكائيل وهو أحد سكان المدينة عن نفسه ما يصور به حالة الجوع التي وصلت إليها أسرته، فيقول: "خلال المجاعة كنا نخرج ونحن أطفال للبحث عن الطعام، ونجري خلف الخيول الخاصة بفخري وكبار أهل المدينة، ثم نجمع روث هذه الخيول ونقوم بتنشيفها لنلتقط منها حبات الشعير ونجمعه ونغسله ونجففه ... أرجو من الله السماح فقد كنا نمسك القطط بأكياس الخيش ونذهب بها إلى أحد الأتراك فوق المدرج بباب العنبرية ليذبحها لنا، ولكن شرطه أن يأخذ جزءاً منها، وأقول وليسامحني الله كنا نأخذ أكباد القطط ونبيعها على أنها كبد غنم"[٢].

وفي هذه المجاعة يقول الضابط العراقي في الجيش العثماني محمد شكري البغدادي:

أما السنانير ما أبقوا لها أثراً   فالبعض يأكلها والبعض يشويها[٣]

وقال المعمّر خضر الفارسي: "أما من[٤] خصوص المدينة وأهلها، فقد حصلت فيها مجاعة وانتشرت في الأهالي الباقين فيه، حتى أصبحت التمرة الصغيرة الواحدة

---

(١) «طيبة وذكريات الأحبة» ١ : ٣٢٣.

(٢) «طيبة وذكريات الأحبة» ٥ : ٧٢- ٧٣.

(٣) انظر القصيدة كاملة في آخر كتابنا هذا ص.

(٤) كذا وردت بالأصل.

تباع بقرش واحد، والتمرة الكبيرة تباع بقرشين، يطلبونها ولا يجدونها. ولشدة المجاعة في أهل المدينة صاروا يأخذون البلح ويسلقونه ويقشرونه ويأكلونه، ولسوء أحوال المجاعة أيضاً أصبح بعض الأهالي خصوصاً التكارنة، يجمعون جلود الجمال، وينظفونها من الشعر، ويسلقون تلك الجلود، ويقتاتون بها لسد رمقهم من الجوع"[١].

ومن صور التحايل لإدخال وتهريب الطعام أن يضع الواحد كمية من التمور في قبة الثوب الداخلي ويلبس فوقه المشلح ليغطي عليه[٢].

ومن القصص التي تصوّر لنا حالة الجوع في المدينة المنورة، ما أخبرنيه شيخنا الأستاذ حسن صيرفي في مذكراته التي أملاني إياها، عن الأستاذ عثمان حلمي الساعاتي[٣]: "أنه في أحد الأيام خرج فخري باشا من المدينة متوجهاً إلى التكية المصرية -أمام الثكنة العسكرية- ليجلس فيها، وهذه التكية كانت محميّة ولا ترمى بالقنابل لأنها تابعة لحكومة مصر؛ فرأى في بيت السيد حمزة غوث رجلاً يرتكز على أعمدة محل الدار، فعرفه وكان هذا الرجل زميلاً لفخري في أيام الدراسة،

---

(١) «أحداث عاصرتها» مخطوط، ق ٢٥.

(٢) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٣) ولد سنة ١٢٩٦هـ في قونية بتركيا، ودرس في إسطنبول، والتحق بالعسكرية الإجبارية في الجيش العثماني، عمل في بعلبك بلبنان، ثم جاءه الأمر بالانتقال إلى حامية المدينة المنورة بوظيفة أمين سر لقائد الحامية فخري باشا، ولما انتهى الحصار ترك العمل العسكري، واشتغل بطلب العلم وحفظ القرآن وجوّده على شيخ القراء الشيخ حسن الشاعر، وعمل مدرّساً في مدرسة بشير آغا، والمدرسة المحمودية. وقام بتأسيس مدرسة النجاح الأهلية مع الشيخ عمر عادل التركي، وتنقل في مدارس المدينة. وشارك والد زوجته الحاج سلطان مرزا باي في إنشاء أول مدرسة بنات في المدينة، وكان مقرها باب بصري، غير أن المدرسة لم تلق القبول المتوقع لذا حولت إلى وقف. ثم افتتح دكاناً لصيانة الساعات، ثم عيّن قائماً لشؤون ساعات الحرم النبوي الشريف وكان يشتغل في هذه الوظيفة لوجه الله، وعمّر طويلاً، وتوفي سنة ١٣٩٨هـ. انظر: «أسرة الوادي المبارك» ص ٢٢٤- ٢٢٥.

وكان أحد أثرياء إسطنبول، فقال له الرجل: أين التعيين؟ -أي حصته من الطعام-، فأعطاه فخري حصته من الطعام مدة ثلاثة أيام، ثم قال له: إن هذا الطعام هو نصيبي وأنا أعطيك إياه، وبعد فترة يسيرة وُجد هذا الرجل ميتاً في البيت من شدة الجوع"[١].

وروى لي الصيرفي أيضاً: "أنه من شدة الغلاء الذي حصل في المدينة أن امرأة عفيفة، كان زوجها أُخذ قسراً إلى القطار جاعت وجاع أولادها، فذهبت إلى جارها الذي يعيش في نفس الحوش لكي تطلب منه المساعدة، وكانت ذات حُسن وجمال، فجرى الشيطان منه مجرى الدم فراودها عن نفسها فامتنعت، لكنها خضعت له في الأخير بعد محاولات، فلما اقترب منها أخذت في البكاء، فقال لها: أنت ستزيلين همي أم ستزيدين همي؟ فقالت له: أنا والله ما أحوجني لذلك نفسي ولكن جوع أطفالي، فانتفض الرجل من مكانه واستغفر ربّه، وقال لها: أحضري أطفالك وسنأكل ما في البيت حتى يفرغ، ولنا رب لن يضيعنا"[٢].

وقال رحمه الله: "كانت الأطعمة محجوزة للعسكر، وكان إدخالها إلى البيوت ممنوعاً، وكان بيتنا آخر بيت في شارع الحماطة بشارع الساعة، ليس بينه وبين الديوان الخاص بالإدارة الحكومية العثمانية إلا مسافة قريبة، ودخل علينا رمضان

(١) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٢) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط، و«تسجيل» للصيرفي في ١٠ ربيع الثاني ١٤٢١هـ. قلت: وهذه القصة تدلّ على ما يتمتع به أهل المدينة المنورة من تقوى وصلاح، إذ لم تمنعهم أشد الظروف الإنسانية وأصعبها من تذكّر الله تعالى وخشيته، وهذه الحادثة تذكرنا بحديث الثلاثة في الغار الذين توسلوا بأعمالهم الصالحة أن يفرج الله عنهم، ومنهم ذلك الرجل الذي قال: «اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها، فلما وقعت بين رجليها، قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة، ففرج لهم». رواه البخاري في «الصحيح»، كتاب حديث الأنبياء، باب حديث الغار، (٣٤٦٥)، ومسلم في «الصحيح»، كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، (٢٧٤٣).

ولا يوجد عندنا ما نتسحر به، وكان لكل واحد من الأسرة المكونة من ثلاثة: أبي وأمي وأنا، كفن جاهز ومطبّق لوقت الحاجة عند حضور الموت"[١].

وكان الناس يغشون المقاهي ويطلبون شراباً يسمونه: (فنجان أزمة) وهو عبارة عن ماء فاتر يضعون عليه القليل من السكر والهيل، مما يدل على فقدانهم حتى الشاهي، وقد استمرّ هذا المسمَّى بعد ذلك إلى بداية العهد السعودي[٢].

ومن الأمثلة على تردي حال أهل المدينة أن رجلاً من أهاليها وهو محمد يوسف عبيد -ابن عم الدكتور رضا عبيد- كان يملك منزلاً في المدينة من ثلاثة طوابق في زقاق الطيار، أمام حوش السمان وحوش بني رشيد، وباعه بكيس رز، ومثله بيت آخر يقع في الجديدة والتاجوري اشتراه شيخ الفلتية محمود مصطفى – عم محمد حسين زيدان- بكيس رز [٣]!.

وآخر باع بيتاً يملكه من طابقين في زقاق المحمودية بكيس رز، وأفرغه في المحكمة[٤].

وأخبرني صديقنا المعتني محمود بن حمزة بن إبراهيم بشناق عن أبيه حمزة أن عمّته باعت بيتها بكيس رز!.

وأما المرفّهون في المدينة من أمثال بيت الكتاني فيحدثنا عن حالهم السيد محمد الزمزمي الكتاني، فيقول: "ونحن كنّا من المرفهين في الجملة، ولم نكن نحصل إلا على كيلة حبوب نطبخها بملعقة زيت إن وجدت، ثم نوزع البرمة آنية وآنية فنملأ بها بطننا، ثم ما تلبث أن تنهضم ونجوع لعدم وجود الإدام"[٥].

---

(١) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٢) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٣) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١١١. (٤) «صور وأفكار» ص ٣٣٥.

(٥) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ٢٨٦.

كما أن الجوع اضطر بعض الشباب إلى سرقة الرطب من البساتين حيث كان محظوراً عليهم الاقتراب منها، حكى الشيخ جعفر فقيه قال: "كان بعض الشباب من أهل المدينة يسيرون داخل الدبول[١] بدون خوف من العقارب أو الحيات، ويخرجون خارج أسوار المدينة ويضطرون إلى سرقة ما يحمله النخل من رطب أو بلح، ثم يعودون من داخل الدبول ليؤمنوا لأهلهم كفاية يومهم"[٢].

ووصل الأمر برجال الأتراك أن يداهموا البيوت، ويفتشوا الأرزاق التي يخزنها الناس في بيوتهم، وكانوا يخبؤون ما يشترونه ويتحصلون عليه في أماكن خفيّة ويتفننون في التمويه، فبعضهم يلصق المؤونة بالجدار ثم يبني عليها جداراً آخر ويترك جزءاً متحركاً، فإذا احتاج إلى كمية من المؤونة فتح الجزء المتحرك وأخرج حاجته وأعاده، وبعضهم عمد إلى الآبار القديمة والسقف فخبأ فيها مؤونته[٣]. ويحكي زيدان هذا الموقف الذي حصل مع أهل بيته فيقول: "وفي غيبته -أي: والده- وكنا نسكن في زقاق الطيار، هاجم بيتنا ابن عمنا أحمد عزوز، وكان من رجال السيد أحمد صافي رئيس البلدية حينذاك، فدخل البيت وتستر البنات من ابن عمهم، وأخذ يفتش عن الأرزاق، وما يدري أننا احتطنا لإخفاء الأرزاق. الحنطة ثلاثة أكياس وضعت في صندوق (سيسم)[٤] كبير، وغطيت (بالبُقَش)[٥] فيها ثياب الأم ولباس البنات من الأنواع الشتى، بعضها نظيف وبعضها وسخ،

---

(١) الدبول يقصد بها مجاري الماء في الأرض، أو قنوات أرضية أو علوية للمياه، تبنى بالحجارة. «المصطلحات الحضارية في مكة المكرمة» ص ١٣٨.

(٢) «طيبة وذكريات الأحبة» ١ : ١٦٧

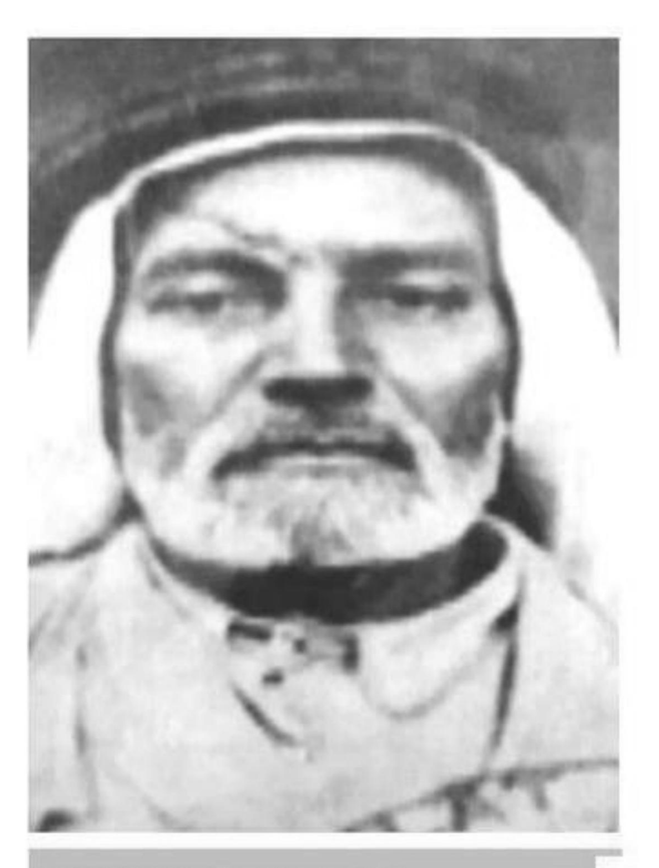
(٣) «التاريخ الشامل» ٣: ٦٦.

(٤) هو نوع من أنواع الصناديق الفاخرة، تستعمل لحفظ الملابس.

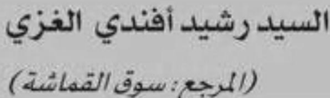
(٥) البقشة أصلها بقجة جمع بقج، وهي كلمة تركية استمدت من اللغة الفارسية، وتكتب بالعثمانية: بوغجة (*bohca*)، وتعني قطعة من القماش تلف بها الأغراض وتربط أطرافها الأربعة. «معجم الدخيل» ص ٦٠، و«المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» ص ٦٣.



الشيخ جعفر فقيه



السيد رشيد أفندي الغزي



(المرجع: سوق القماشة)

أما التمر ففرشناه في الصالون في مجلس النوم وغطيناه بالجلاليل والسباح، لو ضغط برجله قليلاً لأحس به، لكنه ذهب إلى صندوق السيسم يفتحه، فقالت له زوجة أبي الكبرى بخيتة بنت ضرار، حين فتح الصندوق؛ قالت له ابنة عمه: يخص عليك، إيش في الصندوق خروق بنت عمك، لو كان حسين –زوجها- هنا كان دبحك تحت الصندوق.. أخص عليك تفو.. عليك، فتقهقر الرجل وقال: أنا مأمور، وذهب يقول للفريق الذي معه: ما لقيت شيء"[1].

ويقول السيد علي حافظ: "وأذكر أن الوالد رحمه الله كان يتحصّل على الحنطة بأثمان خيالية، وكنا نطحنها في الدار على رحى، ويضعها الوالد رحمه الله في أماكن في الدار لا يعرفها أحد بين الرواشين خوف العثور عليها عند التفتيش، ولكن الله سلم حتى سافرنا"[2].

---

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٩.

(٢) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٨.

وقد حاول السيد حمزة غوث مساعدة أهل المدينة، والتوسط لدى فخري باشا، فقد روى في سيرته قال: "عزمتُ على السفر بعائلتي مهاجراً أيضاً إلى دمشق، فلم يوافق فخري باشا، وعينني رئيساً لبلدية المدينة المنورة، وقلت له: كيف يكون ذلك والمدينة خالية من الأرزاق والمؤن، في حين أنكم تصادرون حتى تمورها وحبوبها أساس قوت أهلنا فيها لصالح الجيش، وترحلونهم بالقوة؟، فأمر بعد هذا لأهل المدينة المنورة بقسم مما يصل إليها من غذاء ومؤن، كما خفف من حدة تسفيرهم إلى خارجها، وبعد ذلك قبلتُ التعيين والبقاء معه في خندقٍ واحد، بيد أني في قرارة نفسي كنت أشعر أن الأوضاع السياسية والأمنية والمعيشية في المدينة المنورة قد تردّت، وأن بوادر المجاعة بدأت تتفشى بين السكان، ناهيك عن انفلات زمام الأمن واستمرار ترحيل أهلها"[(١)].

ومما يُروى من المواقف النبيلة للسيد رشيد أفندي بن طه الغزي[(٢)] مهندس سكة الحديد، ما فعله لما جاءته حصة كبيرة من الأرزاق المخصصة له، في عربة من عربات سكة الحديد، فقام بتوزيعها على المحتاجين من الجيران في المدينة[(٣)].

ومن ذلك أيضاً ما فعله الشيخ إبراهيم بن حسن كعكي، فقد كان يتسلل في الليل خفية إلى بستان المحمودية الذي استأجره، وكان ذلك من المحظورات، فيجز ما يتيسر حمله من ثمر النخيل، ويحملها معه إلى داره ويضعها في مقعد البيت يخزنها عنده ليطعم أهله، ويقوم بتوزيع الباقي على المحتاجين من الأسر

(١) «من رجال المدينة المنورة السيد حمزة غوث» ص ٩٣.

(٢) أصله من قرية داريا من أعمال مدينة دمشق، وكان صاحب ثقافة عالية واطلاع واسع، وله مكتبة ضخمة، توفي سنة ١٣٨٣هـ كما استفدته من سبطه الأستاذ سعود عبد الغني بارك الله فيه، والسيد رشيد المذكور هو والد الشاعر الأديب محمد هاشم رشيد رئيس نادي المدينة المنورة الأدبي، رحمهما الله تعالى.

(٣) «شخصيات متميزة في مجتمع المدينة المنورة» ٢ : ٥٦٨، نقلاً عن د. عزت بن عبد المجيد خطاب.

الباقية من جيرانه في القشاشي[١] في المدينة[٢].

مجاعة العساكر التركية :

ثم إن الجوع بدأ يضرب ضربته في العسكر التركي خاصة مع الحصار وعدم تأمين تحركات القطار بين دمشق والمدينة، وكانت المدينة تعتمد اعتماداً كلّياً على الإنتاج المحلي للحبوب والتمور[٣]. وقد أمر فخري بجمع محاصيل التمور من البساتين وحصرها في جيشه فقط، ومع امتداد فترة الحصار صار التمر هو الغذاء الرئيسي، فكانوا يضيفونه إلى الأرز بالحليب، ويخلطونه مع الدقيق والحلوى، وهناك من صنع منه العسل، واستخرج منه الخل. ولما زادت شدة الحصار أمر فخري بمنع جلب التمر من البساتين والمزارع إلى داخل المدينة، وأمر بحفظ التمور في المخزن العسكري منعاً للإسراف في تناوله، وكان بعض الجنود يتحايلون على هذا القرار، فيستغلون فترات الاستراحة ويخرجون إلى البساتين ويجزون بالخفاء محصولات النخيل قبل أن تتحول إلى رطب[٤].

وكانت دوريات الشرطة لهم بالمرصاد، كما أن فخري باشا كان شديداً في أحكامه لا يرحم، وتتجلى هذه القسوة في عقوباته، فقد قبض على جنديْن من جنده وهما يقطفان التمر فأمر بالتشهير بهما وزجهما في السجن، ومرّة قبض على جندي دمشقي يدعى سعدو بن عبد اللطيف وهو متلبس بجرم قطف التمر، فنعته فخري بأنه جندي شرهٌ، وضربه (٥٠) ضربة بالعصا، وأمر قائداً عنده بضربه عشرة أخرى. كما حبس جنديّين آخرين لأنهما قطفا أربعة أعذاق بلح من بساتين العيون،

(١) سمي بذلك نسبة إلى العلامة السيد أحمد بن محمد القشاشي المدني، المتوفى في ١٠٧١هـ.

(٢) «معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ»، الجزء السابع، ٢: ١٧٩، و٣: ٦٧.

(٣) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٤٩٩.

(4) *Kiciman, p. 197- 198.*

وأمر بضربهما أربع مرات كل مرة خمسين عَصاة. وأمر بحبس رؤساء هذين من الضباط أسبوعاً في السجن لأنهم لم يشددوا على مسألة منع قطف التمور[1].

ولأجل هذه الأحداث والأوامر الصارمة تمكّن الجوع من العساكر وكان أهم أسباب فرارهم، إذ كانت حصة الجندي التركي في اليوم عدساً مسلوقاً بماء، ويحصل على (٣٠) غراماً من اللحم في الأسبوع، ولا يزيد عن ربع ريال مجيدي، ثم لما زاد الحصار شدة انقطعت الجراية من العدس عن الجنود، فبدأ الجند يفرون[2] ومن يقبض عليه فخري باشا يعدمه بتهمة الخيانة.

ومن الحوادث في هذا الباب ما أخبرني به الأستاذ حسن صيرفي عن عثمان حلمي الساعاتي: "أن أحد الجنود الأتراك فرّ وقُبض عليه فحُكم بالإعدام، وصدّق على الحكم فخري باشا، وسأله: لماذا هربت؟، فقال: بسبب الجوع، ثم قال: أريد أن أشبع مرة واحدة وبعدها فليقتلني فخري باشا، فلبوا طلبه وأعطوه رغيفاً من الخبز وصحن فاصوليا، وأكل حتى شبع، ثم أمر فخري باشا بتنفيذ حكم الإعدام فيه"[3].

ومما روي أن بعض الجنود الأتراك اخترعوا حيلة للتخلص من الحرب، وهو أن يتلف بعضهم راحة اليد أو إبهامها أو إبهام القدم، ويزعمون أنهم أصيبوا أثناء القتال[4].

ثم إن الأوضاع ساءت في المدينة وقد يئس فخري باشا من رسائله المتوالية إلى جمال باشا، فأرسل رسالة مشفّرة في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٣٦هـ، إلى مصطفى كمال أتاتورك عن طريق قوات (يلديريم)[5] يشتكي فيها سوء الحال

---

(1) *Kiciman, p. 209.*

(٢) «جريدة القبلة» ع ٣٩ ص ٢، وع ١٢٦ ص ٢.

(٣) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٤) «جريدة القبلة» ع ٣٩ ص ٢.

(٥) هي المجموعة المعروفة بقوات جيش الصاعقة في الشمال وكان يرأسهم القائد الألماني أوتو ليمان فون ساندرس (*Otto liman von Sanders*)، ثم تولى بعده مصطفى كمال

ويذكر أنه مضت عليهم سنتان لم يُر فيهما اللحم في المدينة، واقتصر طعامهم على شربة العدس دون زيتٍ وبرغل، حتى أنهم استبدلوا السيجارة بنوع من الأعشاب، وأصبحت السعرات الحرارية في هذه الثلاثة أشهر تساوي (٢٠٠٠) سعرة، و(الألبومين: *albumin*) لم يزد على (٥٩)، وبدأ الناس يذوبون أمامه، وكثير منهم لم تعد بهم طاقة للعمل ولا للحركة.

وفي آخر ثلاثة أشهر هرب (١٦٤) ضابطاً، وفي اليوم الواحد كان يموت من (٤) إلى (٥) جمال، وما بين (٣) إلى (٤) من الخيول أو البغال.

ويخبر فخري باشا في رسالته: أنه أعطى أهمية كبرى للزراعة، فصاروا يطحنون النوى لكنها لم تسدّ الحاجة، فأمر الناس بجمع النباتات من كل مكان حتى القمح الساقط، ولم يكن هذا كافياً أيضاً.

ثم يقول: "أنا أعلم أن عندكم في منازل الشام في الشمال خيرات كثيرة، ونحن هنا نموت من الجوع، وحمداً لله أن الخط الحديدي الذي يربطنا بالشمال لم ينقطع بعد، وأن قوة حملة الحجاز لن تتلاشى ولن تتهاوى بسبب القحط والمجاعة، وستحتفظ بقوتها إلى انتهاء الحرب، ولن يُكتب على المدينة السقوط بسبب المجاعة فقط. كل هذه الأفكار تدور في ذهني ولم يسعني أن أفهم لماذا لا يجهّز القمح والشعير لقوات حملة الحجاز بوسائل النقل، هذا أولاً، ثم لماذا لا تتحرك القطارات التي وفرنا كل ما تحتاجه من وقود وأخشاب جمعناها بأيدينا من الصحراء لتحمل الأرزاق إلينا، ولماذا إخواننا في الشمال يطمعون في أرزاقنا وهم في رغد من العيش؟

إنني أرجوكم أن تعذروا صيحات قائد قلعة كُتب عليه أن يكون بعيداً عن وطنه الأم بمسافة (١٣٠٠) كيلو متر، وانقطعت صلته بوطنه من الداخل والخارج بسبب العدو الذي حاصره وحرمه من احتياجاته الحياتية مع أفراد جيشه وحيواناتهم ولم

أتاتورك، وسيأتي ذكرهم لاحقاً.

يبق إلا الماء والهواء، ومن الطعام والمؤونة ما يكفي (٢٠) إلى (٣٠) يوماً"[١].

ثم إن فخري باشا تدارك الوضع بتحريض جنوده بالاستعاضة بالجراد بدلاً من اللحم، فجمعوا الجراد وأكلوه، وأصدر فخري باشا قراراً في رجب ١٣٣٦هـ، وتوصيات تعريفية بالجراد بطريقة بدائية جاء فيها:

توصيات خاصة بشأن الجراد

ما الفرق بين الجراد والعصفور، أهو عدم وجود ريش فحسب؟، فلديه هو الآخر جناح يطير به ويتغذى على النبات، وهو شرس كالعصفور أيضاً عصبي مثله، ينتقي ما يأكله بعناية، وكان على مائدة مركز القيادة أمس مقلاة جراد، وطعمت منها مع زملائي فألفيتها ألذ من علب اللسان، كما أن سلطته مع عصير الليمون وزيت الزيتون غاية في اللذة.

والحاصل أنه بالأمس كنا نفكر في وسيلة لطرد الجراد من الحدائق والقضاء عليه، أما اليوم فنبحث عن وسيلة لجلبه. وأرجو من زملائي أن يرسلوا إلي الجراد على سبيل الهدية، ويستفيدوا منه بالوجه الذي شرحته.

قائد قوة الحملة الحجازية

فخر الدين[٢]

---

(1) *Kandemir, p.123- 126.*

(٢) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» لناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٩٤.

ويحدثنا فريدون قاندمير عن هذه المرحلة بالتفصيل، فيقول: "كان الجوع هو الهم الأكبر في المدينة، ففي هذه التربة المباركة كان التمر هو الطعام الوحيد المتوفر، ثم بدأت النِّعم تمطر علينا من السماء، وأقصد بذلك الجراد، والذي لاحظ أن الجراد نعمة لنا هو فخر الدين باشا، وإلا لو عاد الأمر لنا ما كنا نعدّ الجراد نعمة، بل ولن يخطر شيء كهذا ببالنا.

وشرع فخر الدين باشا يشرح لنا الفرق بين الجراد والعصفور، وأنه لا زغب له، وهو عصبي ويأكل أعشاب الأرض، وأنه نظيف ولا يدخل جوفه إلا الأشياء النظيفة، ويسافر في جماعات... وأن العرب يحبون الجراد، وهو مفيدٌ للروماتيزم وللشفاء والتخصيب ... وقد جعلت أطباءنا يحللونه ويبحثونه وقد تبيّن أنه غزير الفوائد، وأنه غذاء ودواء، فينبغي الاستفادة منه.

والجراد يشبه الجمبري في البحر، وأكلُه سنّة، واستشهد بحديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «أحلت لنا ميتتان: الحوت والجراد»[1]. ثم أخذ يستشهد بأقوال الفقهاء ومنهم الإمام مالك الذي اشترط في ذكاته قطع رأسه أو شواءه بالنار[2]، وأما عند أبي حنيفة فأكله حلالٌ دون شرط، كما في (الدر المختار)[3].

---

(١) رواه ابن ماجه في «السنن» (٣٢٨١)، وأحمد في «المسند» ١٠: ١٦.

(٢) عند المالكية لا يؤكل من الجراد ما مات حتف أنفه، وإنما يؤكل ما حصل موته بسبب أو بفعل آدمي، جاء في «المدونة» (١ : ٥٣٧): «قال مالك: لا يؤكل إلا ما قطعت رأسه وتركته حتى تطبخه أو تقليه أو تسلقه، وإن أنت طرحته في النار أو سلقته أو قليته وهو حي من غير أن تقطع رأسه، فذلك حلال أيضا عند مالك». وفي «البيان والتحصيل» لابن رشد (٣: ٣٠٥): «سئل مالك عن الجراد إذا طرح في النار وهو حي، قال: ما أرى بذلك بأساً تلك ذكاة، وأحب إلي أن يقطع رأسه، وأرجو ألا يكون به بأس وإن لم يقطع رأسه».

(٣) جاء في الدر المختار (٦ :٣٠٧): «وحل الجراد، وإن مات حتف أنفه بخلاف السمك، وأنواع السمك بلا ذكاة لحديث: أحلّت لنا ميتتان: السمك والجراد، ودمان: الكبد والطحال».

وذكر أن الجراد يؤكل بطرقٍ أربعة :

- أن يجمع فيُنشر في الشمس وينشّف ويقطع رأسه وأرجله ويُقلى على الزيت.
- أن يسلق بالماء ويقطع رأسه وأرجله ثم يوضع على رز شبه مستوٍ ويطبخ معه.
- أن يوضع في صحن ثم يوضع عليه زيت زيتون وليمون.
- أن يطحنوه حتى يصبح دقيقاً، ويمكن عمل الخبز منه، وهذا النوع هو المفضل عند العرب، ويمكن تخزينه"[١]. انتهى باختصار.

وهذا النص يوضح لنا مدى اهتمام فخري باشا بأمر جنوده، وبحثه في المسألة من الناحية الفقهية والشرعية والطبية بسؤال العلماء والأطباء في محاولة منه لإيجاد الحلول تجاه المجاعة التي يواجهونها.

اشتدّ الجوع ولم يتبق للجنود سوى التمر والماء، وكانت وجبة فخري باشا ومن حوله لا تزيد عن قليل من الملوخية، وأرز بالتمر ومسحوق قمر الدين بزيت الزيتون، وصار الجنود يحسبون وجباتهم بالجرام والسعرات الحرارية، وكانوا يقطعون الخبز إلى لقيمات صغيرة ويشمّونه ثم يأكلونه، ويشربون الماء المثلج حتى يحل محل الرغيف[٢].

ولم يستطيعوا تدبير العلف للحيوانات، فنفق أكثر من ثلاثة آلاف حيوان، واضطر الجنود إلى إطعام حيواناتهم العشب والتبن، وانتهى الأمر بالجياد والبغال والحمير إلى أكل الرمل لإشباع جوعها، ولم يبق في آخر الحرب من حاصل (٣٠٠٠) حيوان سوى نحو (٨٠) إلى (١٠٠) حيوان[٣].

---

(1) Kandemir, p130-132.

(2) Kiciman, p. 199.

(٣) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٩٤- ٩٦، *Kiciman, p. 231-232*.

ولجأ الجنود إلى أكل العشب الذي يجمعونه من الجبال والوديان وكثيراً ما يأكل بعضهم شيئاً من الأعشاب السامة فيموت[١].

وفي هذه المجاعة يقول عزيز ضياء: "لقد جاع أهل المدينة الذين هجرهم فخري باشا إلى سوريا، جاعوا بل ومات الكثيرون منهم جوعاً، ولكن قوات فخري باشا نفسها جاعت في النهاية أيضاً، ذلك الجوع الذي جعلهم يأكلون لحوم الخيل والبغال والحمير التي تنفق من الجوع، بل ويأكلون لحوم القطط والكلاب، ولا أستبعد صحة أخبار قالت إن بعض الجياع قد أكلوا لحوم أطفالهم!"[٢].

الحالة الصحية في المدينة:

كانت المؤسسة الصحية داخل المدينة في بداية الحصار تعمل على مستوى جيد، وكانت الاحتياجات متوافرة في منشآتها الصحية، وقد أنشأ الأتراك عدة مستشفيات منها مستشفى الجرحى، وهو مستشفى قديم وبه حوالي (١٠٠) غرفة للمرضى، وغرفة معدّة للعمليات الجراحية، ويتوسط المبنى حديقة خصصت لاستراحة المرضى. وأيضاً مستشفى الداخلية الذي أسس على يد قوة حملة الحجاز وبه (٥٠٠) سرير. وخُصص للمرضى مبنى أطلق عليه: دار النقاهة، وليس في هذه الدار من عوامل النقاهة شيء سوى الاسم.

ومن المستشفيات التي كان لها دور كبير مستشفى الهلال الأحمر، وكان في أول الأمر خاصاً بالحجاج والزوّار، ثم شمل أثناء الحصار مرضى وجرحى الجنود، ويحوي (٢٠٠) سرير[٣].

---

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٨٢.

(٢) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١ : ١٦٣. ولا يخفى ما في مسألة أكل الأطفال من مبالغة.

(3) *Kiciman, p. 147- 148.*

كما أنشئ مستشفى متنقل في أبيار علي ومجهز بأسرة مصنوعة من جريد النخل ومغطاة بأغطية بيضاء.

وعلاوةً على ذلك كانت هناك أقسامٌ تحوي من عشرة إلى عشرين سريراً في مركز كل طابور عسكري، وأقيمت صيدلية صحية للمدينة لتوفير الأدوية، وكان مخزونها كبيراً بحيث أن حكومة الأشراف استفادت منها كثيراً بعد سقوط القلعة في المدينة وأُنقذ المرضى بهذه الأدوية[١]. هذا إلى غير المستشفيات المتوافرة في المدينة من زمن طويل مثل مستشفى عثمان باشا الذي كان يقع في باب المجيدي[٢].

لكن هذه المؤسسة الصحية والتجهيزات لم تصمد أمام الأحداث والأوبئة التي طرأت في الحصار، وكانت معظم الأمراض الشديدة تنتقل مع الجنود الذين قدموا في الشمال، وفي السنتين الأولى انتشرت الحمّى وكان الجنود يتلقون مصلاً خاصاً، لكن بعد تعثر الخط الحديدي لم تعد تصل الأمصال وصارت الحمى من الأمراض المزمنة ثم انتشرت أنواع الحمى الخبيثة فأودت بالكثيرين[٣].

ولما طال الحصار وازداد الجوع انتشر مرض بين العساكر في المدينة وشاع أمره وكان أول ظهوره في ضباط الشمال في تبوك والمدوّرة[٤]، ومن علاماته انتفاخ في الرأس يدخل الرجل على إثره المستشفى وبعد ٤ إلى ٥ ساعات يقضي

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٨٨- ٨٩.

(٢) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(3) Kiciman, p. 150.

(٤) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٤٩٣. والمدورة محطة لسكة الحديد تبعد (١٢٠) كيلاً شمال تبوك، وهي اليوم تابعة للمملكة الأردنية الهاشمية. «معجم معالم الحجاز» ص ١٥٣١.

نحبه دون أن يعرف الأطباء تشخيصاً لهذا المرض، وظهرت أعراضه في سيقان الجنود وأفواههم ولثاتهم وهي أورام وقروح دامية تسبب سقوط الأسنان ونتانة الفم وتؤدي إلى الموت[١]. وذكرت بعض المصادر أن هذا المرض هو الإسقربوط[٢]. وصار الضباط والجنود يهجمون على الخضروات والأعشاب خوفاً من الإصابة بهذا المرض[٣].

ثم انتشر مرض (الديزنطاريا)[٤] والنزلات الصدرية وامتلأت مستشفيات المدينة، ولم تعد تكفي، فاتخذوا من منازل بعض الأعيان مستشفيات إضافية[٥]، وعمدوا إلى فندق دار السرور (أوتيل مدني)، وجعلوه مستشفى[٦]، كما اتخذوا من بيوت البشناق في باب المجيدي مقراً للمستشفى العسكري[٧].

---

(١) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط، و«جريدة القبلة» ع ٣٩، ص ٢.

(٢) مرض الأسقربوط هو المعروف في الطب بـ (*Scurvy*)، وعند الأطفال يسمى (*Barlows Disease*)، وسببه الأساسي نقص فيتامين سي في الجسم، ويتسبب بتعب وإرهاق عام في الجسم، ونزيف في اللثة والفم، وفقدان الأسنان، وبقع دموية في الجلد، وجفاف في العين والفم، وصفار، وانتفاخ عام، وقد يؤدي إلى الوفاة.

Distr E. Scurvy and its prevention and control in major emergencies. 1999. P.1 - 12.

(3) Kiciman, p. 103.

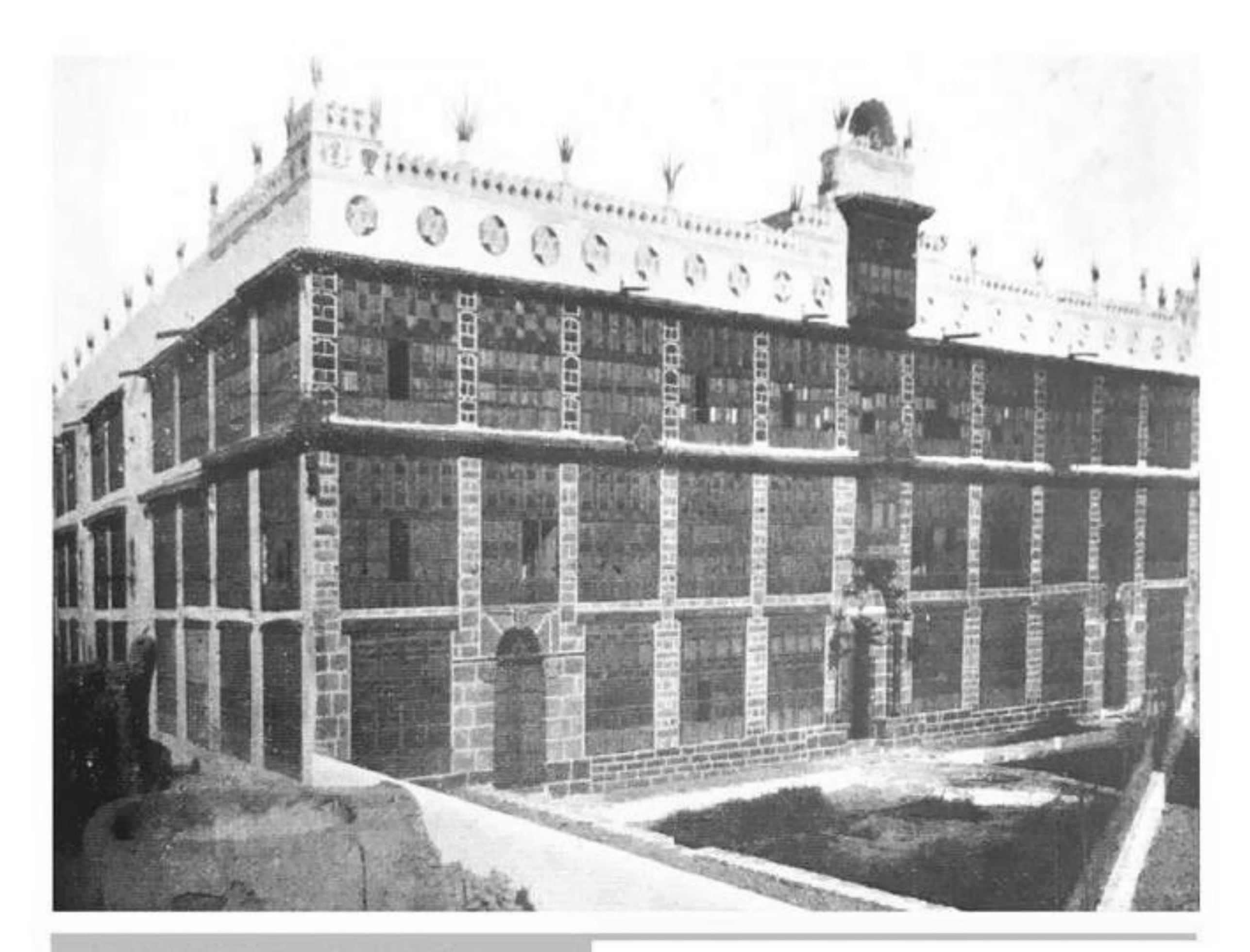
(٤) الديزنطايريا (*Dysentery*) أو مرض الزحار، هو مرض معدٍ، تتسبب به أنواع من البكتيريا من أهمها الشيقيلا (*Shigella*) والإنتميبا هستوليتيكا (*Entamoeba histolytica*)، ويؤدي إلى التهاب حاد في المعدة والأمعاء، يصاحبه إسهال شديد مع دم، وآلام حادة في البطن، وحمى، إلى غير ذلك من الأعراض.

WHO. Dysentery [Internet]. [cited 2017 May 5]. Available from: http://www.who.int/topics/dysentery/en/

(٥) «جريدة القبلة» ع ٣٩ ص٢، وع ٥٧ ص ٢.

(6) Kandemir, p. 429.

(٧) «المدينة المنورة في ذاكرة الصيرفي» مخطوط، وأيضاً نص على ذلك الشيخ جعفر فقيه



فندق دار السرور أو أوتيل مدني
(المرجع: Hicaz, Osmanli Devrinde)

ويذكر زيدان أنه شاع في المدينة مرض الحمى الراجعة (أبو الركب)[١]، وهذا المرض يعرف اليوم بحمى الضنك[٢].

كما في «طيبة وذكريات الأحبة» ١: ١٦٨، وجزء من هذه البيوت تحوّل فيما بعد إلى مقر لثانوية طيبة قبل انتقالها إلى مقر كلية الفنون أو متحف دار القلم الآن في العنبرية.

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٨.

(٢) حمى الضنك (*Dengue fever*) مرض فيروسي ينتقل عن طريق أنثى البعوض المعروفة باسم: (*Aedes aegypti*)، ويصاحبه حمى وآلام في المفاصل والعظام والعضلات مع طفح جلدي، وقد تصل إلى مرحلة النزيف فيما يعرف بحمى الضنك النزفية (*dengue hemorrhagic fever*).

States M,Advi- WHOS, Grade T, Sage T. Weekly epidemiological record Relevé épidémiologique hebdomadaire. 2016;(30):349–64.

وفي أواخر الحصار انتشر وباء الإنفلونزا الإسبانية[١] الذي حصد كثيراً من الأرواح في العالم، ووصل المدينة المنورة بواسطة الهجّانة الذين كانوا يأتون بالسكر والأرز من الساحل، وفي غضون أسبوع تفشى هذا الوباء وحصد أرواح الجنود[٢].

وقد أصيب أيضاً بهذا المرض العديد من التكارنة ممن انضموا إلى عسكر فخري باشا، بسعاية الشيخ الألفا هاشم، وبدأ هذا المرض يحصدهم، وقد حدثني جماعات منهم جدي الشريف حمزة بن عبد السلام صيرفي، قال: "لما بدأ هذا المرض يحصد الناس والتكارنة جاء تكروني[٣] إلى المواجهة الشريفة وصار ينادي بلكنته: يا محمّدُ، حدث ربّك تكارينَ كلٌّ كمّلُوا". أي: ادع الله لنا فإن التكارنة كلهم ماتوا.

كل هذه المصائب جعلت فخري باشا يرسل إلى المستشفيات ويقول: "وضحوا لنا سبب كثرة حالات الوفاة إلى هذا الحد"، فجاءه الرد من المستشفيات: "إن ذلك المرض إنما كان نتيجة للضعف الناجم عن نقص المؤن وهو أقوى عامل في حالات الوفاة". فأخذت القوات العسكرية في الاضمحلال، وأصابهم الإرهاق والجوع والعري[٤].

---

(١) وهو نوع من أنواع الإنفلونزا المعروفة بـ (*H1N1*)، وتعتبر الإنفلونزا الإسبانية أشد الجائحات المسجلة تاريخياً من عام ١٩١٨ إلى ١٩٢٠، وقد قتلت حوالي ٥٠ إلى ١٠٠ مليون نسمة أي ٣ إلى ٥٪ من سكان العالم.

Taubenberger JK, Morens, DM. 1918 Influenza: the Mother Of All Pandemic. Emerg Infect Dis. 2006; 12(1): 15-22.

(٢) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» كاشف كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص٨٩-٩٠.

(٣) يزيد بعضهم أن هذا التكروني هو العلامة محمد الألفا هاشم، والله أعلم بحقيقة الحال.

(٤) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» كاشف كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص٩٠.



فخري باشا يعاين أحد المرضى

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

لم يحصل هذا من قلة عناية واهتمام بل كان فخري باشا شديد الحرص على نظافة جنوده، وقد أصدر أمراً للأطباء بفحص الجنود أسبوعياً، ليشرحوا لهم تأثير إصابات الفم، وأمر قادات جنده بفحص أتباعهم والتفتيش عليهم، فكان الجندي المصاب يستعمل شراباً خاصاً للمضمضة قاتلاً للـ (مايكروبات) ثلاث مرات يومياً، ويدهن الأطباء أفواه المصابين بالمراهم المضادة للـ (مايكروبات)، ويُسجل كل مريض في دفاتر الوقائع الصحية، ومدى بالتزامه بأخذ الأدوية[١].

كما قام فخري بتشكيل لجنة طبية للتحقيق في انتشار مرض الإسقربوط، وقد استطاع الجند بسبب توجيهاته الحد من انتشاره، وأوصاهم بالبصل والثوم لعلاجه، فصار البصل الأخضر أحد الأطعمة الرئيسة في وجباتهم[٢].

---

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» كاشف كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٩٨، ٩٩.

(2) Kiciman, p. 150- 151.

وكان لفخري باشا جولات على المستشفيات يتفقد فيها أحوال المرضى وشكاويهم، وبناءً على ذلك يصدر توصياته الوقائية[١]. وقد افتتح محلاً لتوفير الألبان للمرضى، ومحلاً آخر للدواجن لتوفير البيض، لكنهما لم يعودا بنفع كبير، ويذكر الضابط كجمان أنه قام بالطواف على المستشفيات ولاحظ تقصيراً من قبل إدارة الصحة في توزيع الألبان والأطعمة المحفوظة في مستودع الخدمات الطبية، إضافة إلى العديد من البطانيات والسرر والأقمصة القطنية، وقدّم بذلك شكوى إلى فخري باشا[٢].

كل هذه الإجراءات لم تكن لتحد من تفشي وباء الإنفلونزا الإسبانية، فبدأ الجنود يتساقطون في الأرض ويهلكون واحداً تلو الآخر[٣]، وقد انتقل هذا الوباء إلى البقية الباقية من أهل المدينة المنورة، وحصد أرواح كثير منهم.

كما كان الحر أحد أعداء الجنود الأتراك لعدم اعتيادهم عليه، وكثرت فيهم ضربات الشمس وسامتْهم العذاب، وقضت على العديد منهم، ولما زاد الأمر عن حده وبلغ فخري باشا أن أربعة من جنوده قضوا نحبهم بسبب ضربة شمس، قال: "لا أتحمل أن يموت جنديٌ في الطريق بسبب إهمال الضباط وعدم التزامهم" وأمر بكتابة تقرير حول هذه الحادثة ليكشف المتسبّبين من الضباط وليحيلهم إلى الديوان العرفي لمحاكمتهم[٤].

ثم أصدر أوامر للجنود بمكافحة ضربات الشمس، تضمنت عدة بنود منها: تخفيض نوبات الحراسة النهارية إلى نصف ساعة، وتوفير قِرَب الماء والمظلات، وفتح صدريات القميص وخلعها إن لزم الأمر، وارتداء النظارات الشمسية، والمنع من المشي حفاة على الصخور والرمال الساخنة، والتقليل من الحركة تحت أشعة

---

(1) Kiciman, p. 210.

(2) Kiciman, p. 227, 354.

(3) Kiciman, p. 343.

(4) Kiciman, p. 210.

الشمس، وعدم تعيين المرضى الخارجين من المستشفى حديثاً في أي نوبات حراسة، إلى غير ذلك من الأوامر(١).

ومن الحوادث التي طرأت على الطاقم الطبي في مستشفى الهلال الأحمر، رغبة رئيس الأطباء الدكتور غالب عطا في الرجوع إلى بلده مع طاقمه الموجود في المدينة وذلك بعد خروج الشريف علي حيدر باشا مباشرة، حيث كان يرى أن وجود هذا الطاقم الطبي لم يعد ضرورياً في المدينة، لكنه خاف من رفض فخري باشا، ومن أجل ذلك فقد أرسل أحد أفراد طاقمه وهو فريدون قاندمير إلى الشام، والتقى هناك بجمال باشا الذي أيّد رأي رئيس الأطباء وقال بأنه لم يعد هناك لزوم لبقائهم في المدينة، وإن عليهم الانتقال إلى جبهة سيناء، وطلب من فخري باشا إرسال جمعية الهلال الأحمر إلى سوريا وأصر على ذلك، لكن جاءه الرد من فخري باشا يقول: "إن لهيئة الهلال الأحمر قوة معنوية، وإذا انسحبت الهيئة إلى دمشق فإن الباقين سيتأثرون من هذا الرحيل أشد التأثر، وما دام الهلال الأبيض(٢) هنا، فلا يمكن للهلال الأحمر أن يتحرك إلى أي مكان"(٣).

وأخيراً فإن المرض انتقل إلى الحيوانات، وقد أنشأ الأتراك مستشفيين بيطريين لعلاج الدواب من الحمير والجمال، وكان علاجها يستغرق وقتاً طويلاً، خاصة أن سوء التغذية وتغير المناخ قد أصابها بأمراض عديدة مثل فقر الدم والتهاب الرئة، حتى نَفَق أكثر من (٣٠٠٠) حيوان، وأصيب بالجرب حوالي (١٠٠٠٠) جمل، وفي نهاية المطاف لم يبق في المدينة إلا نحو (٨٠) أو (١٠٠) حيوان(٤).

---

(1) Kiciman, p. 211- 213.

(٢) يعني بذلك العلم العثماني فإنه يتضمن هلالاً أبيض في منتصفه.

(3) Kandemir, p. 82-83.

(4) Kiciman, p. 231.



السيد عبيد مدني

بعض مظاهر المناسبات في المدينة :

ومع كل هذه الأمور إلا أن نصوصاً أخرى تبين أن بعض الأسر كانت لا تزال تحافظ على المناسبات ومظاهرها في بدايات الحصار، فقد جاء في مذكرات السيد عبيد مدني الخاصة بعد حديثه عن جلاء أهل المدينة: "وبالرغم من كل ذلك كانت الوالدة حريصة على الاحتفاظ بمظاهرنا الخارجية، وإحاطتها بضروب من الوجاهة وحسن البروز، على نقيض الواقع الذي كنا نحياه. كان بيتنا مفتوحاً للزوار، ومجالسنا حافلة بكل ما تطلبه مجالس الأثرياء الموسرين، ولا نتأخر عن المآدب عند كل مناسبة تدعو إليها، ولذلك ظن الكثيرون أننا نغترف من معين لا ينضب"[١].

ويحكي قاندمير بأن صبيان المدينة إذا هطلت الأمطار خرجوا يغنون ويرقصون، ويصبح ذلك اليوم كأنه يوم عيد. وأيام الحر ينام الناس في العرائش، وتحت الأسقف المبنية من سعف النخل، كي تحميهم من العقارب والناموس، وترطب لهم الجو[٢].

---

(١) «الشاعر المؤرخ عبيد مدني» لإبراهيم المطوع، ص ٤٣.

(2) Kandemir, p.95.

من أحوال البقية الباقية في المدينة :

وأما العلماء فقد نالهم ما نال الأهالي المدنيين من الأذى والجوع، ورُحّل الكثير منهم إلى الشام وتركيا، وكادت المدينة تخلو من العلماء وبدأت الدروس في المسجد النبوي الشريف تقل حتى توقفت نهائياً وجالت الكلاب في الطرقات، ودخلت المسجد النبوي الشريف كما روى من شاهدها.

قال الشيخ عبد القدوس الأنصاري يصف حال العلماء في المدينة في هذه الفترة: "وفي أوائل الدولة الهاشمية خفّ ثقل العلماء في المسجد النبوي، إذ قلوا عما كانوا عليه أواخر عهد الدولة السابقة كثيراً، وسبب ذلك الهجرة الجماعية والفردية التي فرضت على سكان المدينة إلى ديار الأتراك وديار الشام، بسبب نشوء الحرب العالمية الأولى وحصار المدينة الكارِب الشديد الذي طوقها من سائر نواحيها من قبل الجيش الهاشمي، وبسبب الترتيبات العرفية التي فرضها حاكم المدينة التركي إذ ذاك عمر فخر الدين باشا (فخري باشا) على الأرزاق والتجار إذ خصصها جميعاً لجنده الكثر، استعداداً منه لحصار طويل المدى، يأكل الأخضر واليابس، وكان عدد من علماء المدينة المنورة الذين كانوا يعمرون المسجد النبوي أولاً؛ كانوا قلة، بعضهم لاقى ربه في ديار الغربة بالشام وما وراء الشام، وبعضهم آثر البقاء في البلد الذي هاجر إليه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى فقد تيسرت له أسباب المعيشة والتدريس في جوامعه ومدارسه، وعرف الناس هنالك له الفضل وأرادوا به تعويضاً عما فقدوه لديهم من أضرابه في غمرة شبوب الحرب الطاحنة الأولى للبشرية جمعاء، وبعضهم عاد إلى المدينة ولم تمكنه ظروفه الصحية من مواصلة التدريس، وبعضهم انطوى في داره بالمدينة لأن الجو السياسي لا يلائم مشربه ولا يتفق مع انسجامه"[1].

---

(١) «أدبنا الحديث، كيف نشأ وكيف تطور»، ص ٨٢.

ومن دلائل خلو العلماء أن فخري باشا حين نفى مفتي المدينة الشيخ مأمون بري إلى (إزمير)، جمع البقية الباقية من العلماء لانتخاب مفتٍ للمدينة[١].

إلا أن أفراداً من العلماء قرّروا أن يختبؤوا في منازلهم لا يخرج الواحد منهم إلا لجلب الماء الذي عنده من البئر وبعض الخضروات ومنهم: السيد ملا سفر بن محمد الكولابي البخاري، وكان قد جاور سنة ١٣١٩هـ ودرّس في الحرم النبوي الشريف، ومن تلامذته: الشيخ أحمد البساطي، والسيد أحمد الكماخي، والشيخ عمر بري.

ولما صدر أمر الجلاء بقي مختبئاً طيلة هذه الفترة ثم لما بدأ العمل في شارع العينية خرج يعمل الأعمال الشاقة بيديه من رفع الأنقاض وغيره طيلة اليوم حتى يوفر رزقه، وكان أجر العامل رغيفين من الخبز الأسود وبضعة قروش، وبعد المغرب يتجه إلى التدريس في الحرم النبوي الشريف وعليه آثار التعب من جراء العمل الشاق، فعلم به فخري باشا فأرسل في طلبه وأراد أن يعفيه من أعماله ويخصص له ما يغنيه ويقيم أوده من الخبز، فرفض ذلك وقال: إنني لا أستطيع أن أقبل هذا وهناك من هو أحق مني بالراحة، فأكبره فخري باشا، وأقامه مشرفاً على العمّال، وزاد في مخصصاته من الخبز والدراهم، وبقي على حاله حتى مرض وانقطع عن العمل أسبوعاً كاملاً ثم وافته المنيّة سنة ١٣٣٥هـ، ولما علم فخري بوفاته حضر جنازته وشيّعه مع أعيان الضباط[٢].

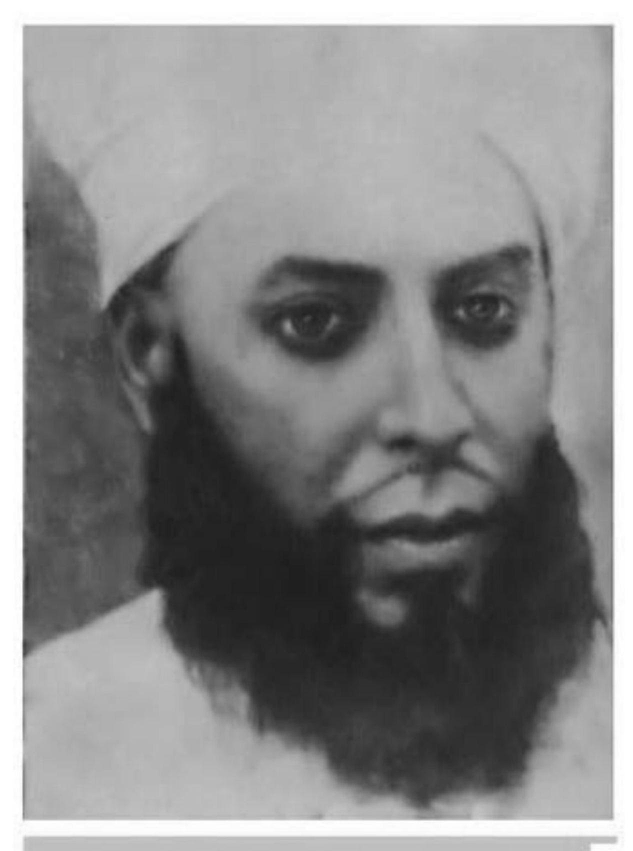
ومنهم الشيخ محمد أعظم بن لطف حسين البكري الذي قدم المدينة بصحبة تلميذته سلطان جهان بيكم[٣] - ملكة بهوبال ورئيسة الجامعة الإسلامية بعليكرة -

---

(١) «الشيخ محمد بن يوسف الكافي» لعلي الرضا الحسيني، ص ٣١.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة: الشيخ ملا سفر بن محمد الكولابي» محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٣) ولدت سنة ١٢٧٤هـ، ونشأت في مهد السلطة، وتعلمت الفارسية والإنجليزية، وقرأت بعض العلوم على المشايخ، وتعد مريدة من مريدات الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي،



الشيخ محمد علي أعظم



الشيخ حسن ديولي

(المرجع: أمدني بها الشيخ سامي ديولي)

سنة ١٣٢٦هـ؛ وكانت قد اتخذته مستشاراً لها، ثم استقرّ به المقام في المدينة سنة ١٣٣١هـ، ولما أمر فخري باشا بإجلاء أهالي المدينة رفض الخروج وآثر الاختباء في بيته حتى توفي سنة ١٣٣٧هـ[1].

وقد حدثني حفيده الدكتور محمد أنور بن محمد علي البكري عن المعمَّر فوق المئة الشيخ عبد المقصود خان نزيل جدة: أن شيخه محمد أعظم توفي وكانت المدينة تحت تأثير الحصار، ولم يشيّع جنازته غير ثمانية أشخاص.

وممن توفي في هذه الفترة المعمَّرة فاطمة شمس جهان التركية معتوقة شيخ الإسلام عارف حكمت، فكانت وفاتها في هذه الفترة سنة ١٣٣٦هـ وصلي عليها

< وكانت كاتبة وخطيبة، وتولت الحكم سنة ١٣١٩هـ، وماتت سنة ١٣٤٨هـ. انظر: «نزهة الخواطر» ٨: ١٢٤٠.

(١) «نزهة الخواطر» ٨: ١١٩٠.

في الحرم النبوي الشريف وكان موكبها مشهوداً[١].

وممن توفي أيضاً الشيخ محمد سعيد بن صالح الديولي، المؤذن في الحرم النبوي الشريف، فقد أخبرني حفيده الشيخ الريّس د.سامي بن محمد بن حسن بن محمد سعيد ديولي عن جدته رقية بنت أبي الفرج سفر: أن والد زوجها الشيخ محمد سعيد ديولي قد جاءه الأمر من فخري باشا أنه سيرحّل إجباراً مع القطار الذي سيتحرك بعد ظهر اليوم التالي، فلم يستطع أن يفارق المدينة، فقام من حينه وصلى ركعتين في بيته ودعا الله أن لا يخرجه من هذه البلدة الطاهرة، فلم يلبث قليلاً بعد انتهائه من الصلاة حتى قبض الله روحه فتولى ابنه حسن تجهيزه وغسله ودفنه في البقيع، وذلك سنة ١٣٣٦هـ، ورحّلت أسرته إلى الشام.

ومن العلماء من حالفهم الحظ في البقاء في المدينة المنورة على نظر من الحكومة، وقد ذكر الدفتردار أن فخري باشا استبقى في المدينة أربعين شخصاً[٢]، وأذكر من هؤلاء: العلامة العزيز بن الوزير التونسي، فإنه بعد نفي العلماء إلى دمشق ومنها إلى بلاد أخرى كما مرّ، جمع فخري باشا العلماء لاختيار مفتٍ للمدينة وكتبوا أسماء المرشحين في ورقة، وكان من ضمن العلماء: الشيخ العزيز الوزير، لكنه لم يختر أحداً، وقدم الورقة وبها أنه لا يعرف من الأصلح، فأمر فخري باشا بإحضاره، فقال له: هذا خطك؟، فقال: نعم، فقال فخري: وكم سنة وأنتم مجاورون في المدينة؟، قال: عشرون سنة، فقال فخري: عشرون سنة وتدعي أنك لا تعرف من يصلح ممن لا يصلح؟، فقال: نعم، إن لي مكتبة أشتغل بها، فإذا سمعت الأذان خرجت للصلاة، وإذا تمت الصلاة رجعت إلى مكتبتي وهذا ديدني، فقال فخري: سنزور مكتبتكم، قال له: وكيف تزورها والسلطة

---

(١) «كناشة السيد عبد الحي الكتاني» مخطوط.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

حاكمة علي بالسفر غداً أو بعد غد، فأمر فخري باشا بكتابة وثيقتين لإبقائه في المدينة المنورة، وإبقاء رفيقه الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي[١]. وقد توفي بعد هذا الحصار سنة ١٣٣٨هـ[٢]، قال الشيخ يوسف النبهاني: "وقد توفي في المدينة في أيام الحروب بعد إخراج أكثر أهلها منها، رحمه الله تعالى"[٣].

وبسببه بقي تلميذه وقيّم مكتبته الشيخ محمد بن محمد بن سالم العقبي الجزائري الشهير بـ (العريف ابن سالم)[٤]، وهو صاحب أكبر كتّاب في المدينة المنورة، وله فضل عظيم على أهالي المدينة، إذ تخرج في كتّابه الجد والابن والحفيد، ولو حلفت أن نصف أبناء المدينة تخرجوا في كتّابه ما حنثت، وكان قد ورث الكتاب من الشيخ إبراهيم بن محمد الطرودي، بعد أن كان عريفاً به، وبعد وفاة الطرودي أصبح العريف شيخَ هذا الكُتّاب الذي عُطل من التدريس أثناء الحرب، حيث اتخذه فخري باشا مكاناً يدخر فيه الأسلحة.

وممن بقي أيضاً الشيخ محمد نزيل الكرام الشهير بـ (نزير) بن صالح خاشقجي، فقد كان معمارياً متمكناً، لذا اختاره فخري باشا ضمن لجنة تقدير الأثمان أثناء الأعمال الإنشائية المعمارية في وقت الحصار[٥]، لكن لما اشتد التهجير جاءه الأمر بالخروج، ودخل عليه الجنود وأمروه بالاتجاه إلى القطار فرفض ذلك وارتفعت الأصوات بينهم، فخرج واختبأ، وعهد إلى أخيه أسعد

---

(١) «الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي» ص ٣١- ٣٢.

(٢) «المعلم بفوائد مسلم» للمازري، ١: ٢٤٤، هامش ٣

(٣) «الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات» ص ٦٠.

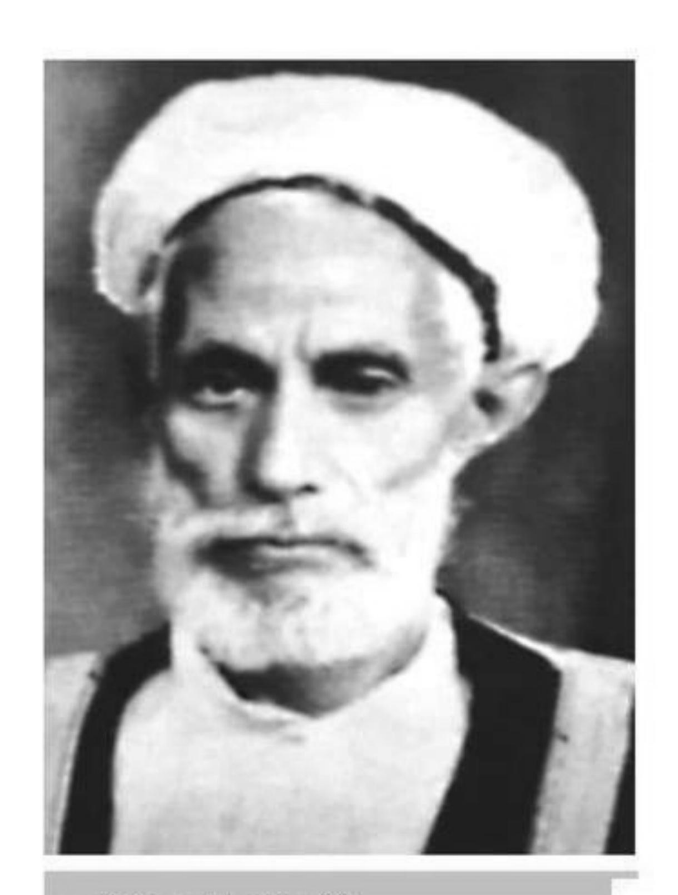
(٤) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ٢: ٦١، و«المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٥) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤: ٣٣٩.



من اليمين العريف محمد بن سالم، والشيخ مصطفى فقيه

(المرجع: زودني بها حفيده الدكتور أشرف فقيه)



الشيخ إبراهيم كعكي

(المرجع: معالم المدينة بين العمارة والتاريخ)

خاشقجي باصطحاب أسرته معه إلى الشام[١]، أما هو فقد حدثني الشيخ إبراهيم ملا خاطر في منزله في ١٩ ربيع الثاني ١٤٣٨هـ، عن الشيخ صدقة بن حسن خاشقجي، أن جده نزيل الكرام بقي حتى سلّمت المدينة للأشراف، ولما سمع بعودة أهله استعدّ لذلك وجهّز منزله وبقي في انتظارهم حتى توفي قبل وصولهم بيومين، وكان ذلك سنة ١٣٣٧هـ[٢].

وممن آثر البقاء في المدينة ولم يخرج منها الشيخ الصالح الفلكي إبراهيم بن حسن كعكي (ت ١٣٩٢)، وقد روى لي قصته ابنه شيخنا عبد الرحمن في داره يوم ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٨هـ، قال: "في أيام السفر برلك خرج أبي إبراهيم إلى مكة، وهناك رأى النبي ﷺ في المنام يقول له: شُغلك في المدينة،

(١) «فضائل المدينة المنورة» ١: ٤٠٣- ٤٠٤.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ نزيل الكرام خاشقجي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

فلم يمكث يسيراً حتى عاد إلى المدينة، وفي يوم من أيام الحصار رآه فخري باشا وأمره بالسفر وحدد له يوم خروجه، فمكث في الحرم النبوي الشريف بجانب الشيخ المقرئ محمد بن إبراهيم الكتامي في الروضة المشرفة، وهناك أصابه حال فأخذ في ذكر الله تعالى والالتجاء إليه، وفي اليوم المحدد لخروجه سُمع صوت انفجار في سكة الحديد بالقرب من العنبرية، فكان ذلك القطار هو آخر قطار مخصص لترحيل أهل المدينة المنورة".

وممن كان له فضلٌ على التكارنة[١] بالبقاء في المدينة المنورة، العلامة المحدث الشيخ محمد الألفا هاشم بن أحمد الفوتاوي (ت ١٣٤٩)، الذي ما إن سمع بخبر إجلاء أهل المدينة حتى خاف على جماعته من الأسر واسترقاقهم من قبل بعض القبائل كما كان يحصل في ذلك العهد[٢]، وذهب إلى فخري باشا، وأقنعه بعدم إخراج التكارنة من المدينة المنورة والاستفادة منهم وتجنيدهم، وكان الألفا هاشم في صف العثمانيين، فاقتنع فخري باشا وأبقى عليهم، وجعل منهم جنوداً دُرِّبوا

---

(١) التكارنة جمع تكروني، وهي محرفة من: تكروري نسبة إلى بلاد التكرور، وكانت مملكة قديمة في إفريقيا تشمل بلاد السنغال ومالي ونيجيريا والنيجر وأجزاء من موريتانيا، وعاصمتها مدينة تعرف بـ: التكرور، وقد ألف في تاريخها وتاريخ علمائهم الشيخ الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي: «فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور»، والأمير محمد بلو بن عثمان بن فودي كتابه: «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور».

(٢) وهذا أمر معروف مشتهر في ذلك الزمان، وفي ذلك يقول الشيخ عبد الحق النقشبندي: «وأكثر الحجاج مرحمة كان فريق السودان (التكارنة)، فكان البدوي إذا ظفر بأحدهم لا يقتله لأنه لا مال عنده، وإنما يبيعه بخمسين ريالاً، ولا يزال بعض هؤلاء المستعبدين باقياً منهم اليوم بعد أن شاخوا في المدينة». وذكر النقشبندي أنه كان يعرف جارية من هؤلاء تدعى مبروكة أعتقها الشريف ناصر. انظر: «مأساة المدينة المنورة، من ذاكرتي قبل نصف قرن»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٢٨١. وكذلك أشار الرحالة آرثر ويفل في رحلته «حاج في مكة» ص ٧٧، إلى رجل حبشي يدعى أمان، أغار عليه العرب واسترقوه وباعوه في مكة حتى اشترى حريته من سيده المكي ثم هاجر إلى المدينة.

فكان منهم ضباطٌ كبارٌ[١]، وعرفت فرقة الجنود التكارنة بالسرية السلطانية، وهؤلاء أنفسهم لما دخلت المدينة تحت الحكم الهاشمي انضموا إلى جند الهاشميين، وصار منهم حراسٌ للشريف علي بن الحسين[٢].

وقد يسأل سائل كيف لقوم يبلغ عددهم عشرة آلاف من التكارنة الذين هاجروا مع شيخهم أن يمكثوا في المدينة بسعاية من الشيخ الألفا هاشم ثم يذكرون أنه لم يبق بالمدينة إلا نفرٌ قليل؟، والجواب: أن التكارنة إنما مكثوا بشرط أن يجنّدوا والمجندون والعساكر كان معسكرين خارج سور المدينة وليس داخلها، وقد حصدهم المرض كما مر سابقاً، على أن هناك أسراً منهم لم يشملهم الأمر بالبقاء فخرجوا مع من خرج من أهالي المدينة.

يقول ناجي كجمان واصفاً جند التكارنة: "وكان قوام السريّة السلطانية في المدينة المنورة فِرقة من المرتزقة من شباب الأفارقة والمقيمين في الأكواخ حوالي المدينة، وكانت الشرطة تستفيد منهم، وألوانهم سوداء فاحمة، ويشتركون دائماً في كل المراسم، ولم يكن دوي الرصاص والمدافع قد خدش سمعهم بعد، ومع ذلك فإنهم كانوا أذكياء جداً رغم قلة خبرتهم ومعرفتهم، وكان من هؤلاء الأفارقة سرية في مكة لكن بعد استيلائهم على مكة دخلوا جميعاً تحت طاعة حكومة الشريف فجأة، وذلك لأنهم يرون أن العسكرية فن وخدمة، وأن الحكومة المسيطرة هي التي تشتري هذه الخدمة"[٣].

ومن لطيف ما يذكر من خوف الألفا هاشم على قومه، ما رواه صديقه العلامة محمد الحافظ التجاني المصري عنه، أنه لما دخلت المدينة تحت حكومة الشريف الحسين، تعرّض بعض التكارنة للأسْر من أفراد بعض القبائل الخاضعة تحت حكم

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١٣، ٩٨.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٨، *Kiciman, p. 171*.

(3) Kiciman, p. 171.

الشريف، فكثرت الشكاوى للألفا هاشم وذهب إلى الشريف الحسين وأخبره بذلك، فأجابه الشريف بأن هؤلاء المعتدين مبتلون بالفقر وجوعى والتكارنة كثر، فقال الألفا هاشم: إن الظلم إذا دام دَمّر، فرجع وما مضت سبعة أيام حتى دخلت المدينة المنورة تحت حكم الملك عبد العزيز[1].

وقد روى لي سبطه[2] العم محمد بن أحمد مكي الفوتاوي في منزله يوم الإثنين ٢٩ شوال ١٤٣٥هـ، أن الذي سُرق هو محمد بن الشيخ الألفا هاشم، وكانت سرقته في مكة، ولما لم يستجب الشريف الحسين لطلب الألفا هاشم، اجتمع مع بعض تلامذته ودعوا عليه مدة أسبوع كامل، وما انتهى الأسبوع حتى دخل الملك عبد العزيز.

وممن حظي بالبقاء محمود بن عبد الله بن إبراهيم الإسكندراني (ت ١٣٤٤) وابنه إبراهيم وأخواته، فإنهم لجؤوا إلى رباط الفلاّتية، ومكثوا وقت الحصار، وماتت أثناء ذلك آمنة بنت محمود الإسكندراني[3].

وأما الشناقطة فقد بلغ كبيرهم العلامة أحمد الشمس الشنقيطي (ت ١٣٤٢) أن فخري باشا حجز سبعة منهم بتهمة موالاتهم للشريف الحسين، وقام بسجنهم وأشيع بأنه سيقتلهم، فغضب أحمد الشمس غضباً شديداً، وتوجه إلى القشلة مع بعض تلامذته، وأراد الدخول فمنعه الحراس، وحدثت جلبة عظيمة عند الباب، فأطلّ الوالي فخري باشا من النافذة وقال لجنوده مستهزئاً: أبعدوا هؤلاء الدراويش، فأشار

---

(١) «الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر» ص ٧٢٨.

(٢) هو ابن حليمة بنت الألفا هاشم، وأخبرتني المعمّرة فاطمة بنت الشيخ محمد الأمين درامة الفلاتي؛ وكانت قد تربت في منزل الشيخ الألفا هاشم، وتزوجت من تلميذه الشيخ علي (قرمة) بن عمر الفلاتي (ت١٤١١هـ)، بأن محمد هذا عاد مرة أخرى وهو كبير، وقد رأته في بيتهم في ذروان.

(٣) روى لي ذلك حفيده الأستاذ خالد بن إبراهيم بن محمود الإسكندراني حفظه الله، وقد أخطأ صاحب كتاب: «طيبة وذكريات الأحبة» ٢ : ٢٨٨، حين عدّ هذه الأسرة ممن رحلت إلى سوريا، والصحيح ما أثبتّه هنا.

الشيخ أحمد الشمس بسبابته مغضباً وصرخ وأقسم له ليرفعن الظلم عن هؤلاء أو لينتقمن الله منه، فحصل لفخري باشا حال وارتاع، وصار يقول له بالتركية: يا خوجا أفندم أفندم، وأمر بإدخال الشيخ واستقبله في الحال بغاية الاحترام والتوقير، وخاطبه باللغة العربية رغم تعصبه الشديد للغة التركية، ثم اعتذر عما بدر منه واسترضاه، وأخرج له الرجال في صورة منكرة كأنما بعثوا من قبور[1].

وأما العلامة الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي فإنه أبى الخروج، فبعث زوجته وأولاده مع صديقه الشريف محمد العربي إلى دمشق، وبقي هو مع ولده الكبير حمزة في المدينة صابرين على لأوائها، فكان يقضي يومه بتناول مقدار بسيط من حريرة الدقيق، والشرب من ماء بئر مدرسة الكشميري التي أقام فيها في هذه المدة.

ولما علم فخري باشا بوجود الشيخ مختفياً في المدرسة المذكورة استبقاه لديه مع (٤٠) شخصاً حوله، وأسند إليه مهمة الوعظ والإرشاد للجنود العثمانيين العرب المرابطين بين المدينة وتبوك، في وظيفة تدعى بـ (إمام طابور) للجنود، فكان يسافر إلى تبوك مع ولده ويؤدي مهمته في حض الجنود على الجهاد في سبيل الله وترغيبهم في نيل الأجر والثواب من الله، ومرات يذهب منفرداً، وأخرى مع المفتي التركي[2].

ومثله الشيخ أمين أفندي، فقد طلبه فخري باشا ليتولى مهمة وعظ الجنود في وظيفة إمام طابور للعسكر، فلم يخرج من المدينة[3].

---

(١) «أعلام الشناقطة بين الحجاز والمشرق» ص ٢٣٣، وقد حدثني بهذه الرواية شيخنا الجليل محمد بن زين العابدين الكنتي الجزائري يوم الأحد ١٩ رجب سنة ١٤٣٨هـ، عن عمه محمد الأمين، عن أخيه زين العابدين بن أحمد البكاي الكنتي (ت ١٣٨٠)، أنه التقى بالشيخ أحمد ابن الشمس الشنقيطي في رحلته إلى المدينة سنة ١٣٤٢هـ قبل وفاته، وسمع منه القصة.

(٢) «الشيخ عبد القادر الشلبي»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، محرم وصفر سنة ١٤٠٢، ص ٤٣٨، و«من أعلام المدينة المنورة: الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة، و«الجواهر الحسان» ٢ : ٦٨٦.

(٣) «طيبة وذكريات الأحبة» ٢ : ٢٢٠.



الشيخ عثمان حلمي الساعاتي

(المرجع: شخصيات متميزة في مجتمع المدينة المنورة)

ومن الذين مكثوا في المدينة الأستاذ المعمّر عثمان أفندي بن عبد السميع حلمي الساعاتي (ت ١٣٩٨)، وهو رجل تركي التحق بالعسكرية في الجيش العثماني في لبنان، ثم نقل إلى المدينة أثناء الحرب العالمية الأولى، ليعيّن في وظيفة أمين سر للوالي فخري باشا، وبالتالي لم يخرج من المدينة المنورة[١].

ومن حالفه الحظ بالبقاء الشيخ عبد السلام بن عبد العزيز النقشبندي والد الشيخ عبد الحق، فإنه اختفى في بيته مكتفياً بالشرب من البئر والأكل من بعض الخضروات والسويق، وقد فقد في هذه المدة زوجته الأولى وبنته وأخت زوجته الأخرى، وباع بيته ودكانه بثمنٍ بخس، وفي يوم من الأيام خربت ساعة فخري باشا اليدوية فأرشدوه إلى عبد السلام النقشبندي لإصلاحها، فلما أصلحها أنعم عليه فخري بأجرة طيبة، فقال له عبد السلام: يا باشا هذا لا يؤكل

(١) ومن الجدير بالذكر أن ننوه إلى أن هذا الأستاذ الفاضل كان من مراجع هذه الحادثة وكان الكثير من أهل المدينة يعودون إليه، وقد استفاد منه أستاذنا حسن صيرفي في كثير من الأحداث في (سفر برلك).

وأنا في حاجة للطعام، فضحك الباشا وعين له غذاء كل يوم يأتي به إليه أحد الجنود[١].

وممن آثر البقاء في المدينة الشريف محمد بن هاشم الدعيّس البركاتي (ت ١٣٤٣هـ)، وله قصة تدل على شهامته رحمه الله، فقد حدثني حفيده الشريف نايف بن هاشم الدعيس في داره يوم الأربعاء ١١ جمادى الأولى سنة ١٤٣٨هـ، عن والده والسيد علي رضا هاشم كلاهما، أن الشريف محمد الدعيّس خرج ذات يوم من باب المجيدي حاملاً سلاحه، وفي هذه الأثناء رأى ضابطان عربيّان من ضباط الأتراك، أحدهما عراقي والآخر أردني وقد تسلطا على أهل المدينة يفتشان الداخل والخارج، حتى وصل بهما الأمر إلى المبالغة في تفتيش النساء، فلما زاد الأمر عن حده اتجه إليه أفراد من بيت خشيم، وأخبروه بما يحصل، فأخذته الحميّة والنخوة وذهب إلى هذين الضابطين واشتبك معهما وما زال بهما حتى غلبهما، وفتح الأبواب وأخرج النساء، فوصل الخبر إلى فخري باشا فلما عرف السبب أكبر شهامته وعفا عنه.

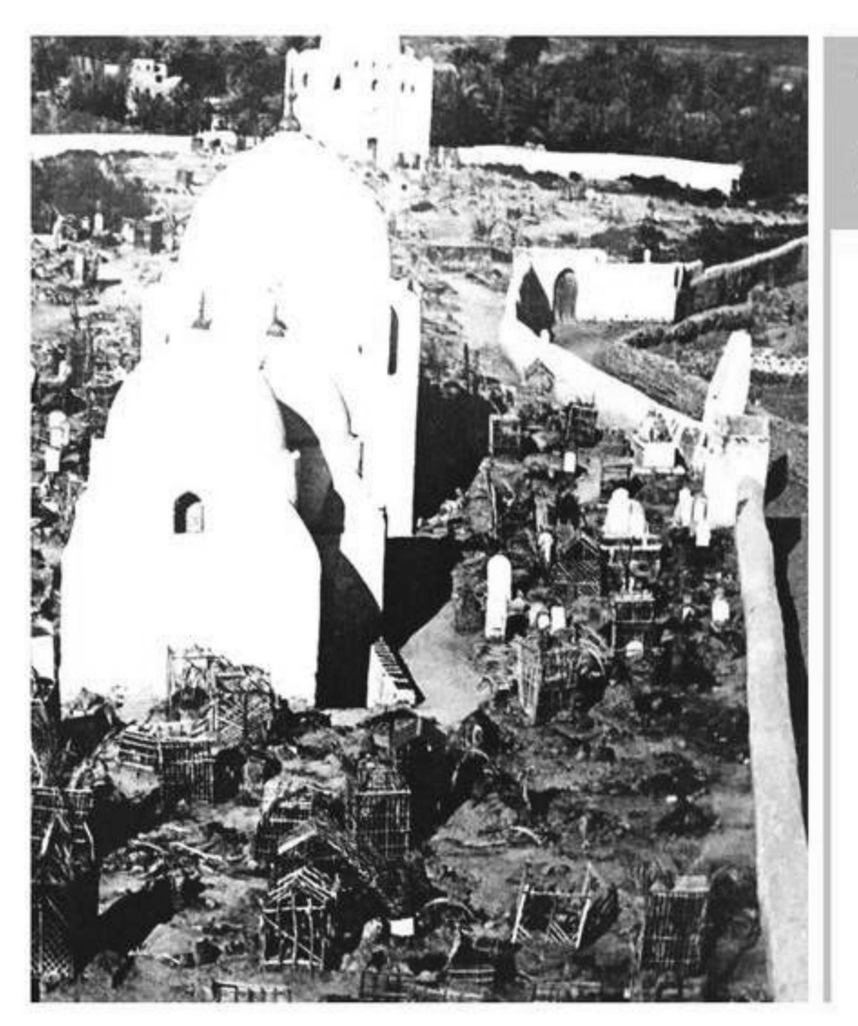
ومما يروى أن فخري باشا مرّ بسيارته الصفراء على رجلين أسمرين هما: حجازي الفرّان وشخص يدعى الكَوْ، وجدهما مستلقيان في المناخة، فسألهما عن طريق مترجمه: لمَ لم يخرجا من المدينة؟ وماذا يعملان هنا؟، فقالا: نريد أن نموت في المدينة، فأمرهما بالذهاب إلى البقيع لدفن العسكر الذين يموتون، ورتّب لهما قرصين من الرغيف وفوقهما تُميرات، فكانا يدفنان الجنود دون غسل أو كفن وكانت تلك أوامر فخري باشا[٢].

وممن حظي بالبقاء أيضاً التاجر حسن بن محمد سلكاوي، فقد أمسكه فخري باشا ومنعه من الخروج لأنه أحد تجار الحبوب والتمور، ويموّن الثكنات العسكرية

---

(١) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل سنة ١٣٨٥، ص ٤٦٨.

(٢) «طيبة وذكريات الأحبة» ١ : ١٨٤، و«فضائل المدينة المنورة» ١ : ٤٠٦.



جانب من بقيع الغرقد

(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)

التركية بالأغذية[١].

وكذلك التاجر جعفر بن محمد الكابلي (ت ١٣٧٠)، فقد بقي في المدينة لم يخرج منها، ومعه ابنه عبد الصمد (ت ١٤١٣)، الذي كان من تجار العقيلات، ويتنقل بتجارته بين المدينة والحناكية[٢].

وممن استبقاهم فخري باشا للاستفادة من خدماته، الشيخ عباس بن حمزة بن عباس قمقمجي (ت ١٣٧٦)، حيث كان أحد المزارعين وله شأن في إحدى اللجان التي أنشئت للمزارعين من أهل المدينة، وأما والده وزوجته وأبناؤه فقد أرسلهم إلى دمشق[٣].

---

(١) «طيبة وذكريات الأحبة» ٢ : ٩٩.

(٢) من رواية الأستاذ محمد بن عبد الصمد بن جعفر الكابلي، في منزله يوم الثلاثاء ١٩ ربيع الثاني ١٤٣٨هـ.

(٣) روى لي ذلك حفيده الأستاذ خالد بن علي بن عباس قمقمجي وفقه الله.

ويبدو أن السيد عمران بن موسى الحبوبي (ت ١٣٥١) كان من الماكثين في المدينة، فقد حظي عند حكّام المدينة ومشايخ الحرم منذ قدومه إلى المدينة من النجف سنة ١٣١٥هـ، وحافظ على مكانته هذه عند فخري باشا، وكان متعهداً للأتراك في أكثر طلباتهم، وقد اشترى في هذه الفترة وفي زمن الأشراف العديد من العقارات والمنازل والأراضي حتى صار من أثرياء الحجاز، وهو صاحب المزرعة الشهيرة بالعمرانية[١].

وبعضهم عمل لدى الأتراك كما فعلت الدادة[٢] منكشة التي تعيش في منزل أسرة عزيز ضياء، حيث عملت خادمةً لدى أحد الجنود الأتراك، وبقيت إلى آخر الحصار[٣].

وأخرى هي الحاجة زينب القابلة الوحيدة التي بقيت في المدينة، وكانت تسكن في حوش الرماد بالساحة، وعملت مدادةً، وهي التي تدعو النساء لحفلات الزواج وغيرها من المناسبات الأخرى.

وكانت العادة أن المدادة عندما تخرج من المناسبة أو الفرح تأخذ معها صحناً كبيراً من الأرز واللحم، وعندما تعود إلى منزلها تفرِش شيئاً من جريد النخل (الخفيف) فوق التراب، وتجفف هذه المواد الغذائية عليها، ولما نشبت الحرب استفادت من بقية أكياس الحبوب المجففة المخزنة عندها، فكانت تقتات منها أثناء الحصار. وامرأة من بيت الشربيني كانت هي الوحيدة التي بقيت في زقاق الطيار وكان رغيفها يأتيها من بيت مصطفى الصيرفي[٤].

---

(١) «من أعلام المدينة المنورة، السيد عمران بن موسى الحبوبي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٢) الدادة (*Dada*) كلمة تركية تعني الحاضنة. «معجم الدخيل» ص ١٠٣.

(٣) «حياتي مع الحب والجوع والحرب» ١ : ١٤٦.

(٤) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

عددُ المتبقين في المدينة :

خلتِ المدينة من الناس وتم ترحيل جميع أهلها، ولم يبق منهم إلا نفر قليل، وقيل أن عدد أهل المدينة المنورة سنة ١٣٣٤هـ بلغ (٧٠-٧٥) ألفاً[١]، والصحيح الذي عليه أغلب المصادر أنه (٨٠) ألف نسمة، بموجب إحصاء فخري باشا لهم[٢]، لكن روى بعضهم أن عددهم بلغ نحو ١٣٠ ألفاً[٣]، وهو قول مرجوح.

ولما بدأت مرحلة الترحيل خرج أهل المدينة أفواجاً، طوعاً ثم كرهاً، وذكر النقشبندي: أن الذين خرجوا من المدينة المنورة لا يقلون عن خمسين ألف شخص[٤]، وقال كرد علي في «خططه»: "وأجْلت الحكومة أكثر أهل المدينة إلى الشام وآسيا الصغرى، وعددهم لا يقل عن أربعين ألفاً، ولم تترك سوى بضعة آلاف، ممن آثروا أن يموتوا في جوار قبر النبي على الجلاء، غير مطالبين الجيش المحاصر بخبز ولا إدام"[٥]. وقريبا من هذا ما حكاه قاندمير من أن الذين خرجوا استجابةً للأمر يقدرون بـ (٤٠) ألف نسمة ما بين أهالي المدينة وأتباع الحكومة التركية[٦].

والذي أرجحه أن هذا العدد يخص الذين خرجوا طوعاً واختياراً كما يفهم من سياق قاندمير، وإلا فإن مثل هؤلاء تقريباً قد خرج قسراً ولم يبق إلا عدد قليل جداً بالنسبة إلى العدد الكلي لسكان المدينة المنورة، بعضهم استبقاه فخري باشا،

---

(١) «صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث» ص ٩٥، و«المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٢) «مأساة المدينة المنورة»، عبد الحق نقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٢٨٠، و«فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٤٩، و«صور وأفكار» ص ٣٣٨، و«مدينتا الجزيرة المقدستان» لإلدون رتر، ٢: ٦٠٢.

(٣) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ٢٤٩.

(٤) «تاريخنا القريب»، عبد الحق نقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٣، ص ١٥.

(٥) «خطط الشام» ٣: ١٤٧.

(6) Kandemir, p.79.

والبعض الآخر استفاد من تقربه لبعض الضباط كغالب شعلان أو عبد الرحمن باشا، فاستطاع من خلال هؤلاء البقاء[١]، وهناك الكثير ممن اختبأ عن الأنظار.

واختلفت الروايات في هذا العدد المتبقي منهم، فمن ذلك ما أخبرنيه شيخنا حسن صيرفي قال: "أخبرني الشيخ عثمان حلمي الساعاتي أمين سر فخري باشا بأن عدد سكان المدينة سنة ١٣٣٦هـ؛ بعد إجلاء أهلها منها، (١٤٤) شخصاً، وبولادتي أصبح العدد (١٤٥)، وأما العسكريون فهم كثر غير أنهم خارج المدينة"[٢].

وروى الشيخ عبد الحق النقشبندي: أنه لم يبق بالمدينة غير زهاء مائة شخص[٣]، وأما الشيخ جعفر بن إبراهيم فقيه فيرى أنهم زهاء (٥٠) رجلاً وبعضٌ من النساء[٤]، بينما الشيخ عبد الرحمن رفة يقول: أنه لم يبق إلا (٤٣) شخصاً[٥]، ويوافقه المعمر زكي أبو ربعية فيذكر بأنه لم يبق في المدينة إلا (٤٠) شخصاً تقريباً[٦].

وجميع هذه الروايات تقريبية من وجهة نظر أصحابها بل بعضها لا يخلو من مبالغة، وهي في العموم تصوّر خلوّ المدينة من أهلها بعد أن كانت تعج بالناس، والذي يترجح لي من خلال الروايات أن العدد كان أكبر من ذلك، فلعله بلغ ألفاً أو يزيدون، فقد نص كجمان في كتابه أنه بقي من أهل المدينة ألفان أو ثلاثة آلاف[٧]. لكن سياقه يدل على أن ذلك في منتصف أحداث الحصار، فإذا علمنا أن كثيراً من هؤلاء قد قضى نحبه بالمسغبة والوباء ومنهم من هرب ورحل بعد ذلك، فإن من المعقول أن يكون العدد أقل من ذلك، ثم إني عثرت على نص صريح للمؤرخ محمد عمر رفيع المكي يشهد

---

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص٩٧.

(٢) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٣) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٣٤١.

(٤) «طيبة وذكريات الأحبة» ١: ١٦٨.

(٥) ««فضائل المدينة المنورة» ١: ٣٩٠- ٣٩١.

(٦) «طيبة وذكريات الأحبة» ١: ١٨٣.

(7) *Kiciman, p.103.*

لهذا الرأي ويحدد العدد في آخر الحصار، يقول رفيع: "قال لي بعض من بقي بالمدينة أنه لم يبق بها من أهلها موجوداً عندما وقعت الهدنة العامة، وأمر فخري باشا بالتسليم سوى سبعمائة وخمسة وثلاثين (٧٣٥) نفراً"[١]. ولعل هذا أقرب الأقوال إلى الحقيقة، وأما ما أورده خليل الروّاف في صفحاته من أنه لم يبق من سكان المدينة عند دخول الأشراف سوى (٧) آلاف[٢]، فيردّه ما ذكرنا من الأقوال السابقة وخاصة تحديد كجمان وغيره، وهذا العدد في الأغلب هو عدد العائدين، والله تعالى أعلم.

ذكر بعض الأسر الباقية:

وعلى أية حال فإن العدد كان قد تناقص في المدينة لدرجة أنها أصبحت خالية، وأن البيوت أصبحت تصطفق بها الأبواب، ولم تعد تكتمل الصفوف في الحرم النبوي الشريف، وتشتت الناس أشتاتاً، وأغلبهم رحّل إلى دمشق وبلاد الشام، وبعضهم خرج إلى مكة وينبع، وبعضهم إلى الحناكية ونجد، وآخرون إلى الجزائر، وبقي القليل في المدينة، قال الصيرفي: "ولم يبق في المدينة حينذاك سوى سبعين أسرة"[٣]، وأذكر بعض من وقفت على أسمائهم ممن بقي في المدينة، فمنهم:

قاضي المدينة وكاتبه ومأمور بيت المال وإمام الحرم النبوي الشريف ومؤذنه وآغوات الحرم وبعض المقربين من فخري باشا[٤].

وأيضا بقي جماعة من آل المدني وهم: السيد عبد الجليل وعبد العزيز وابنا أخيهما السيد عبيد وأمين ابنا عبد الله مدني مع أمهما الشريفة صفية بنت أحمد البرزنجي، وبقي ذووهم عدا السيد زين العابدين مدني الذي رحل إلى الشام، وبقي أيضاً الشيخ مصطفى بن صادق الصيرفي وأسرته، وصادق بن عبد الهادي مسعودي

(١) «مكة في القرن الرابع عشر» ص ٤٥٦.
(٢) «صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث» ص ٩٥.
(٣) «حكاية حسن صيرفي» للدبيسي، ص ٤١.
(٤) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٣٤١.

(والد أزهري)، والشيخ العزيز بن الوزير التونسي، والعريف محمد ابن سالم (صاحب الكتّاب)، والشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي، والسيد أحمد بن صافي الجفري، والسيد أحمد بن أسعد كماخي وأسرته، والشيخ أحمد بن مصطفى البساطي وأسرته، والشيخ عمر بن حمدان المحرسي، والشيخ محمد بن أحمد العمري، وعبد السلام بن عبد العزيز النقشبندي (والد الأستاذ عبد الحق)، والشيخ إبراهيم بن حسن كعكي (والد شيخنا عبد الرحمن)، وباب عرب: ذياب بن أبي بكر ناصر وولده حسن وأسرتهما، والمهندس شريف أفندي العيتاني، والأستاذ عثمان حلمي الساعاتي، والشيخ نزيل الكرام خاشقجي، وإبراهيم الخياري، والشيخ عبد القادر توفيق الشلبي، والشيخ مسعود المجددي، وإبراهيم بن أحمد سمان (والد الأستاذ المربي سليمان سمان)، ورشيد بن طه الغزي (مهندس سكة الحديد ووالد الشاعر محمد هاشم رشيد)، والشيخ محمد بن علي القين وابنه عبد الله، وأخوه خالد بن علي القين وجارية لهم كانت تخدمهم، وأسرة السيد محمد بن أحمد أسعد وابنه السيد ولي الدين، والشيخ توفيق بن عمر الشامي (والد الوزير محمد عمر توفيق)، والشيخ عباس بن حمزة قمقمجي، والمعمر فهيم الدين بن حسين خليفة الهندي، ورفيقه مهدي بن حمدي الجراح؛ وكانا ضابطين في الجيش التركي، والشيخ محمد عبد العال المرّاكشي، وإبراهيم جراح، وجعفر بن محمد الكابلي وابنه عبد الصمد، وخضر بن عبد الله فارسي، وعمر بن حسين فقيه (جد الدكتور هاني بن أحمد فقيه)، ومحمود بن عبد الله الاسكندراني وابنه إبراهيم، وأسرة الدرندري، والتاجر حسن سلكاوي، والسيد محمد سعيد (خال السيد صالح طاهر)، والشيخ الألفا هاشم وتلامذته من التكارنة كالشيخ سعيد الفوتي والشيخ خليل التكروني وغيرهم.

كما أن العديد من مزارعي النخاولة (النخليين) بقوا في المدينة نظراً للحاجة إليهم في فلاحة البساتين على أطراف المدينة، ومما يُذكر في هذا الشأن ما يرويه الأستاذ عبد الرحيم بن حسن بن محمد حِربي النخلي عن والده -وهو أحد مزارعي النخاولة ممن مكث في المدينة وعايش الأحداث- أنه لما صدر أمر الترحيل اختفى

النخاولة في بساتينهم، وفوجئ فخري باشا بقلة العاملين في الفلاحة فسأل عن ذلك، فقيل له: إنك قد أمرت بتسفيرهم، فأمّنهم وأصر على أن يظهر المختفون من الفلاحين، بل كان يعطي من يدله على أي فلاح من النخاولة خمسة جنيهات عثمانية، وقد استغلهم فخري باشا في أمور الزراعة، بل أعطى جماعة منهم بعض البساتين على أن يفلحوها باسم الحكومة التركية[١]، وممن بقي منهم من المزارعين: موسى أبو عيفة[٢]، ومحمد علي الهاجوج[٣]، ومحمد بن حسن حِربي وابنه حسن، وبعضهم رحل في من رحل إلى الشام وتركيا وبعضهم إلى خيبر.

المدينة الخالية :

وقد وصف السيد أمين بن عبد الله مدني حال المدينة بعد أن خرج أهلها منها، فقال في مذكراته: "خلت محلات المدينة وميادينها وأسواقها وأزقتها وأحواشها، وكل دارٍ من دورها من سكانها، فتبدل الضجيج بصمتٍ رهيب، فكأن الدور قد صف بعضها بجانب بعض، مثل كثبان الربع الخالي، لا أنيس بها ولا مسامر، كأنها قمم جبل سلع، وأمست في ليلها كأنها مدينة الأشباح، التي تبدو في ظلال الليل الحائر كتلال من الظلام في هيئة الجن والأبالسة، التي تتحدث عنها العجائز تقفز من سطح إلى سطح، فيفزع [الطفل] إلى حضن أمه مرعوباً، يسأل عن الأشباح وعن الصمت والظلام"[٤].

وكذا نص على ذلك السيد عبيد مدني فقال في موضع من مذكراته: "وسافر

---

(١) «أهل الدار والإيمان» ص ١٨٣.

(٢) أبو عيفة هذا رجل عامي وفلاح قديم، وذكره الأستاذ زيدان في قصة تدل على جهد يحمد له في حفاظه على أمور الزراعة، إذ قال له الأستاذ محمد المغيربي فتيح: "الناس يشكرونك لأنك أعدت للعنب مجده لقد مات كما ماتت العوالي أيام فخري باشا وأنت أحييت العنب". انظر: «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١٥٥.

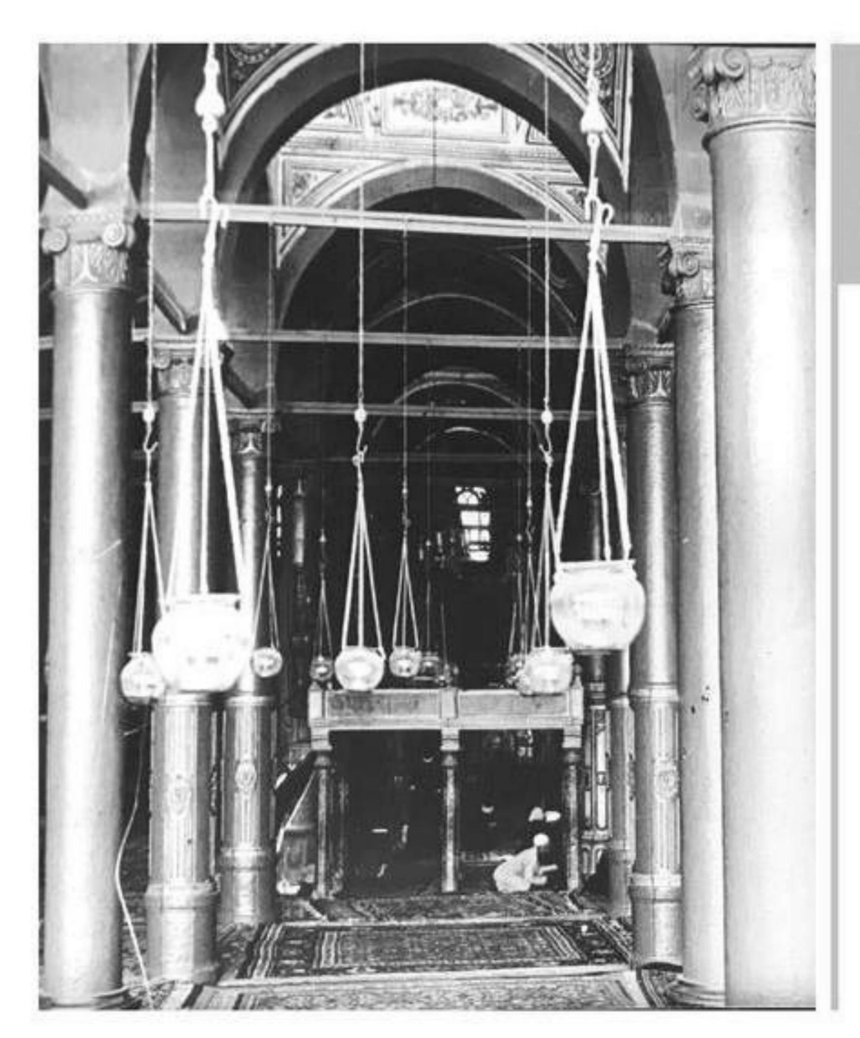
(٣) «المدينة المنورة بين الماضي والحاضر» ص ٤٧٠.

(٤) «الشاعر المؤرخ عبيد مدني» لإبراهيم المطوع، ص ٤٢.

مذكرات السيد عبيد مدني بخط يده

(المرجع: أبحاث ملتقى العقيق الخامس)

عمي السيد زين العابدين ---
الى الآن دامية ..
ولا اريد الوقوف هنا عند الأحداث التي اعقبت وفاة
الوالد رحمه الله ولا وقفة قصيرة .
بعد مضي سنوات قليلة من وفاة الوالد اندلعت الحرب العالمية
الاولى وبدأ نزوح اهل المدينة وسفروا من المدينة ولم يبق
منها الا قليل من سكانها . وسافر عمي زين العابدين
بعائلته الى دمشق وبقي عماي عبد الجليل وعبد العزيز مع عوائلهما
في المدينة واصرت الوالدة على عدم السفر وسافر والدها
فضيلة السيد احمد البرزنجي واولاده وعائلته الى دمشق
ايضا . وسافرت معهم خالتي آمنة وقد كانت تقيم معنا
في بيت الوالد بعد وفاة زوجها عمي السيد درويش مدني
الذي توفي ...
وبقينا في البيت الى ان خلت المدينة او كادت من سكانها
وعند ذلك دعانا العمان السيد عبد الجليل والسيد عبد العزيز
الى الانتقال الى دارهما في الشونة - البيت الكبير -
وبقينا هناك وكنا جميعا نتطلع الى المدينة نقضي الصيف



المكبّرية في الحرم النبوي الشريف

(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)

أهل المدينة، وسُفّروا من المدينة ولم يبق فيها غير قليل جداً من ساكنيها"، وفي موضع آخر يقول: "وبقينا في البيت إلى أن خلت المدينة أو كادت من سكانها"[١].

ولما عاد قاندمير إلى المدينة في الأول من رمضان سنة ١٣٣٥هـ، وصف المدينة قائلاً: "لم يكن بمقدورنا فعل أي شيء، دخلتُ المدينة بعد حروب خفيفة في ٢١ يونيو، وبعدما دخلناها سالمين رأيناها أكثر سكوناً من قبل، ليس كما عهدناها على حالها الأولى، رأيتها قد خضعت لمصيرها بما تعنيه الكلمة، كأنها استعدت للحصار، ولم يبق في السوق الكبيرة أكثر من (١٥) دكاناً مفتوحاً، وخلت الشوارع من المارة تماماً، كما أن بائعي الطعام والشراب قد اختفوا تماماً من السوق وكأن حرارة المدينة ازدادت أكثر من قبل"[٢].

وقال الشيخ خليل ملا خاطر: "وقد أدركت شيخاً كبيراً من أهل المدينة في صيف عام ١٣٨٧هـ قال لي في الروضة الشريفة بعد صلاة الظهر: إنه سابع سبعة في هذا الحرم حيث لم يبق في المدينة آنذاك أحد، وقد رأى بعينه الكلاب تدخل من باب السلام وتبول على سواري المسجد"[٣].

---

(١) «ذكريات المدني» نقلاً عن «أبحاث ملتقى العقيق الخامس» ص ٢٤٢.

(2) Kandemir, p. 94.

(٣) «فضائل المدينة المنورة» ١: ٣٩٠. كنت قد سألت الشيخ خليل ملا خاطر عن اسم هذا الرجل المدني فأخبرني أنه نسي، وعلى أية حال فالروايات متشابهة في هذا الأمر، ودخول الكلاب في المدينة أمر معلوم مشهور منذ القدم فقد ذكر الإمام ابن بطال المالكي في «شرحه على صحيح البخاري» ٤: ٤٥٦ أن المدينة كانت شبه خالية إثر بعض الفتن وأن كثيراً من الناس رأوا الكلاب وهي تبول على بعض سواري الحرم. وأما في حادثة (سفر برلك) فقد ثبت دخول الكلاب في المدينة ولا خلاف في ذلك بين من حضر الحادثة لكن ما وجدت رواية تذكر أن الكلاب بالت في الحرم سوى هذه الرواية، ولا يستبعد مثل هذا لخلو طرقات المدينة والحرم من الناس وليس ثمت إلا الجنود. وأما في أزمنة الاستقرار فقد تكفل الحكّام بطرد الكلاب من المدينة، وفي ذلك يقول الرحالة السويسري بيركهارت الذي دخل المدينة سنة ١٢٣٠هـ، في كتابه: «رحلات إلى شبه الجزيرة العربية» ص ٢١:

ومثله ما حدثني به الدكتور أحمد بن حسين بن يحيى العقبي، عن والده يحيى أنه كان يصلي في الحرم النبوي الشريف وهو خالٍ وليس فيه إلا قَدْر سبعة أنفس يصلون وقد ملئ بالذخيرة.

ووصف الشيخ زكي أبو ربعية المدينة وهي خالية فقال: "تدخل على البيت -تجد الأبواب مفتوحة- وتشاهد الأواني والخزائن، فتدخل على هذه الغرفة فتجد الرجل ميتاً وقد يبس حتى صار كالحوت المجفف، وتدخل على الغرفة الأخرى فتجد المرأة ميتة وصارت كالحوت المجفف، وتدخل على الغرفة الأخرى فترى ولداً أو أكثر ميتين"[1].

رحلة أهل المدينة إلى بلاد الشام:

كان معظم الذين تم إجلاؤهم من أهالي المدينة قد استقر بهم المقام في الشام ما بين دمشق وحمص وحماة وحلب، وكانت الهيئة العسكرية برئاسة فخري باشا تجتمع في مقرهم الذي يدعى بالمنزل العسكري، وهذه الهيئة هي التي تحدد العوائل والأسر الذين يرحلون، كلما تقرر سفر قطار من المدينة إلى الشام، والأسرة التي تقرر رحيلها تعطى مهلة أسبوع أو عشرة أيام للاستعداد وفي حال تخلفها ترحل بالقوة[2]، ولكن بعد أن اشتد الحصار صار الترحيل إجبارياً كما سبق ذكره.

ويوضح هذه المعاناة وطريقة الترحيل هذه السيد عثمان بن عبد القادر حافظ، فيقول:

"ولا أنسى الليلة التي زارنا فيها خالي الشيخ محمد صادق رحمه الله بعد

"تجدر الملاحظة أن المدينة حسبما أعلم، هي المدينة الوحيدة في الشرق التي نبذت منها الكلاب؛ فلا يُسمح لها أبداً بالمرور من البوّابة إلى الداخل، بل يجب أن تبقى في الضواحي. وقيل لي أن حرّاس المناطق المختلفين يجتمعون مرة في السنة لطرد أيٍ من هذه الحيوانات التي قد تكون تسللت خفية إلى المدينة، وقد يكون السبب في نبذ تلك الكلاب خارجاً هو الخوف من دخول أحدها إلى المسجد وتدنيس قدسيّته؛ غير أنها تُقبل في مكة".

(١) «فضائل المدينة المنورة» ١: ٤٠٥. (٢) «صور وأفكار» ص ٣٣٦.

المغرب، على غير عادته، وقال لوالدنا رحمه الله بالحرف: عبّئ نفسك يا سيد عبد القادر ترى أسماءنا طلعت في المنزل.

وبعد حوالي أسبوع من إنذارنا كنا نسير خلف العربيات (الفرش) التي تحمل أمتعتنا في طريقنا إلى الأستسيون- محطة السكة الحديد بالعنبرية، وبتنا تلك الليلة على رصيف المحطة، وفي الصباح الباكر جاء القطار وربط خلفه (الفراقين)[1] المحملة -العربات- من الأهلين، ونادى بصفارته المزعجة ثلاث مرات استعداداً للسفر، ثم تحرك ومعه فيما أذكر ستة عشر (فرقوناً)، منها (فرقون) واحد خلف القطار بالذات به مقاعد ومنافذ قالوا: إنه درجة أولى لركوب الضباط والمسؤولين، والباقي من (الفراقين) كلها (فراقين) شحن وبضاعة لا يوجد بها إلا باب في وسط الفرقون يقدر بمتر ونصف إلى مترين، يدخل منه الناس وكل أسرة تتخذ مكانها حسب عدد أفرادها.

وانطلق القطار بنا من المدينة في الشهر الخامس من عام ١٣٣٥هـ وودعنا ربوع المدينة المنورة، ونحن لا ندري إلى أين نحن ذاهبون، ووصلنا محطة (هدية) عصراً وهي من كبار المحطات بين المدينة ودمشق، وأفقنا من يومنا الثاني وإذا بالقطار الذي أقلنا من المدينة قد ترك (الفراقين) وسافر لأعمال عسكرية وبقينا في (هدية) حوالي أسبوع، وكلما جاء قطار إلى (هدية) رجونا المسؤولين هناك نقْلنا لما لمسنا من متاعب، ومن (هدية) انتقلنا إلى تبوك، وكانت عبارة عن قرية بسيطة بها دكاكين مثل الأخنان، وليس بها مساكن أو متاجر، وهي تشبه القرى التي بأطراف المدينة، ثم انتقلنا إلى العلا ومدائن صالح[2] ودرعة، وفي كل محطة من هذه المحطات أقمنا ثلاثة أو أربعة أيام وما رأينا دمشق الشام إلا بعد متاعب ومشاكل كبيرة"[3].

ويصف عزيز ضياء حال الناس المتراكمة داخل القطار في سيرته فيقول:

(١) قد مر معنى هذه الكلمة سابقاً.

(٢) هناك اضطراب في السرد، فالعلا ومدائن صالح قبل تبوك ودرعا.

(٣) «صور وأفكار» ص ٣٣٦.

"وأدهشني أن أرى عدداً من الرجال والنساء قد جلسوا على صناديق وركائب، بحيث كانت رؤوسهم تكاد تلامس السقف. ثم ليس هناك ذلك الحاجز الذي يفصل بين الساحة التي يجلس فيها جدي مع أمي وخالتي، وبين غيرهم من الموجودين في القطار، ولذلك فقد جلس جدي ـ وأنا في حضنه كالمعتاد ـ بحيث يفصل هو بين أمي وخالتي وبين رجال ونساء أسدلن على وجوههن الأحجبة السوداء، وأمام بعضهن أو في أحضانهن الأطفال لا يكفون عن البكاء ومعهم أخي في حضن خالتي، يصرخ هو أيضا، وقد غمرت وجهه الصغير الدموع، ويزداد صراخه كلما انتهرته أمي، ودفعت يده عن صدرها، حين يحاول أن يصل إليه.

وارتفع صوت صفارة القطار أخيراً، وأنا أعرف الآن أنه سيمشي، وأن هناك على الأرض أولئك الناس الذين يقفون وفي عيونهم الدموع ومعهم آخرون يحملون ما يبيعونه من الفواكه والحلوى، ولكني في هذه المرة لا أراهم، ولا أرى كيف يظلون واقفين، ولكنهم مع ذلك يمشون ويمشي معهم كل ما تقع عليه العين، حتى الأشجار والجبال، إنني الآن في حضن جدي، وحوله هؤلاء الناس الذين جلسوا على أرض العربة، وإلى جانبهم أو حولهم الحقائب والصناديق والسلال.

ومشى القطار بعد أن أغلق أحدهم الباب العريض في الوسط، وارتفع ضجيجه وهديره، وضاع معه صراخ الأطفال، وبدأ كل شيء يهتز ويرتعد. وأخذت همهمة جدي تتلاحق كالعادة بما يتلوه من أدعية وأذكار، واستغرقت أنا في نوم عميق لا أدري كم طال، حين أحسست أن جدي يزيحني عن حضنه وينهض مسرعا ويفتح صندوقاً صغيراً يحرص على أن يظل في متناول يده، ليخرج زجاجة صغيرة يأخذها في يده، ثم يشرع في التحرك متجها إلى الجهة المقابلة، حيث كان الجميع يلتفتون وفي عيونهم تساؤل وقلق، وبعضهم يردد (لاحول ولا قوة إلا بالله)، وآخرون يقولون (قد تموت قبل أن نصل)، ويعلق آخر: (لو ماتت قبل أن نصل، فلا بد أننا كلنا ‹ نتكرتن ›)[1].

---

(١) نتكرتن: أي نحجز في الحجر الصحي، وهي من الكرنتينة، وأصلها من *quarantine*

لم أفهم شيئاً أكثر من أنها قد تموت وأنا أعرف أن التي تموت، لابد أن تؤخذ إلى مكان بعيد، لا أدري أين هو؟ ولكنهم قالوا لي أنه الجنة، وأن الجنة مكان طيب فيه أشجار وأزهار، ومياه، وعصافير، هذا ما سمعته عندما قالوا أن جدتي حميدة قد ماتت، وحملوها إلى ذلك المكان البعيد.

ووقفت ورأيت جدي يشق طريقه إلى حيث انحنى رجلان وامرأة وطفلة على امرأة ملقاة على الأرض.

وسمعت أمي تقول لخالتي: يالطيف، كثيرون ماتوا في الشام، يقولون أنه مرض لا يدخل بيتاً إلا ويأخذ أكبر عدد من العائلة.

ورددت خالتي: يا لطيف!

ورأيت جدي يعود بعد قليل إلى مكانه مبتسماً، وهو يقول: الحمد لله ليس بها شيء، مجرد (دوخة) يظهر أنها حامل، وقد تعبت من السفر ثم بعد لحظات سمعت أمي تهمس في أذن خالتي:

- وإنتي، عساك طيبة يا خديجة.

- الحمد لله

قالتها خديجة وهي تتنهد، ثم حنت رأسها على أخي في حضنها وضمته إلى صدرها، ورددت: الحمد لله"[١].

ولم تكن هذه الصعوبات مقتصرة على عوام الناس بل طالت رجالات الحكومة، مثل السيد حمزة بن إبراهيم غوث (ت ١٣٩٠) الذي عزم على الرحيل إلى دمشق، لكن

بالإيطالية، وهو مشتق من *quaranta* بمعنى الأربعين، ذلك لأن الحجر الصحي كانت مدته سابقاً أربعين يوماً. «معجم الدخيل» ص ١٧٧.

(١) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١ : ٢٧، ٢٨.

فخري باشا رفض ذلك وعيّنه رئيساً للبلدية، وما زال به حتى استجاب له، ويحدثنا السيد حمزة عن كل هذا في مذكراته فيقول: "قابلت الفريق فخري باشا والحاكم بأمره على المدينة المنورة حينها وأخبرته إزاء ما يجري في المدينة المنورة بتأكيد رغبتي في الرحيل إلى دمشق، ولكنه رفض واستمررت على موقفي، وبعد قرابة الشهرين استدعاني إلى مكتبه فذهبت إليه فوجدته مضطرباً، وقال لي: تلقيت الآن تلغرافاً من أنور باشا الحاكم العام لتركيا يأمرني فيه بالانسحاب بجيشي من المدينة المنورة على طريق سكة الحديد لأن الضغط يتزايد على تخريب الخط الحديدي، والشريف حسين والإنجليز جادون في تخريب الخط حتى النهاية لقطع المدد عنا، فأجبته -أي فخري باشا-: بأنني سوف لن أنسحب من المدينة قطعياً ولو اجتاحها الأشراف والإنجليز معاً، وفي هذه الحال أفضل الموت فيها تحت الردم على تسليمها.

ولم تمض بضعة أيام حتى استدعاني فخري باشا مجدداً إلى مكتبه، وقال لي: أفيدك بأن فلسطين سقطت اليوم في يد الإنجليز وأن الخطر أصبح عظيماً، لذلك يمكنك أن ترسل عائلتك إلى دمشق، وتبقى أنت وحدك معي في المدينة المنورة، وسأمنحك رتبة ضابط في الجيش، حتى إذا دخل الشريف المدينة المنورة تعامل معاملة أسير حرب معنا، فقلت له: إن الأحوال هنا وفي دمشق واحدة، وكما تعلم فأنا لا يمكنني في مثل هذه الظروف ترحيل عائلتي والبقاء هنا، فقال لي: إنني أتعهد لك بتأمين راحة عائلتك، وسوف أرسل معهم ضابطاً لإيصالهم إلى دمشق، وسأكتب إلى والي دمشق بالعناية بهم، ولكني اعتذرت وبقيت مصراً على مرافقتي لعائلتي، فطلب مني بعد ذلك وعداً بالرجوع إلى المدينة المنورة فوعدته بذلك، فقال لي: إذن لا بد أن تسافر غداً، وإذا تأخرت عن الغد فلن أكون مسؤولاً عنك بعد أن أديت واجبي نحوك.

وفعلاً سافرت في اليوم التالي بعائلتي بالقطار من المدينة المنورة تحت تهديد نسف الخط الحجازي على طول مساره وبخاصة من تبوك إلى دمشق،



السيد حمزة غوث وقت ذهابه إلى سوريا

(المرجع: من رجال المدينة المنورة السيد حمزة بن إبراهيم غوث)

وبالتالي احتجاز بعض قاطراته من قبل الإنجليز وقوات الشريف. وصلنا إلى تبوك وأخبرني القائد التركي فيها أن (عمّان) سقطت الآن بيد الشريف فيصل بن الحسين والإنجليز، وأن الطريق إليها قد انقطع، ولما وصلنا إلى (معان) تحققنا من ذلك، وجاء إليّ ضابط من جواد باشا القائد العسكري لمدينة (معان) آنذاك، بحسب توصية فخري باشا، وأخبرني أنه اختار مخبأ خاصاً لي ولعائلتي، حيث إن الطائرات الإنجليزية تأتي إلى محطة معان وتقصفها بالقنابل، وكانت الأرض تهتز من تحتنا ودويّها لا يكاد يتوقف، ثم جاءني رئيس بلدية معان وطلب إليّ النزول إلى البلد وقد هيأ لي بيتاً فيها، ولما كانت البلدة بعيدة عن محطة القطار اعتذرت عن ذلك، وبقيت وعائلتي أسبوعاً في القطار تحت رمي قنابل الطيارات في انتظار الفرج من الله، وفي اليوم العاشر من إقامتي في (معان) أتى إلي ضابط مرسل من جواد باشا وقال لي: يا سيد حمزة بيك، لقد استردينا عمّان، وفي هذه الليلة سوف يصل المهندس الألماني (مسيو دكمان) إلى هنا، ويسحب القطار وجميع العربات الموجودة، وفعلاً بعد منتصف الليل وصل المهندس الألماني وأصلح القطار وتوجهنا إلى (عمّان)، وقريباً منها اعترضتنا الطائرات الإنجليزية، ولحسن

الحظ أنها قد أفرغت ما معها من القنابل قبل أن تصلنا، أفرغتها على (عمّان) التي استردها الترك بعد ذلك، وصلنا إليها وأقمنا ساعتين ورحلنا منها رأساً إلى دمشق، فوصلناها ولله الحمد بأمان وسلام"[(١)].

وأما الشيخ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي فيذكر شيئاً من رحلته في القطار حتى وصوله إلى دمشق ببعض التفصيل، وكان قد فرّ من المدينة إلى القطار بعد أن قرر والده البقاء، فيقص قصته يقول:

"قدّمت أني فررت من المدينة بناءً على عدم سفر والدي وإزماعه البقاء بالمدينة حيث سمع الحديث الشريف: «من صبر على لأوائها وجبت له الجنة»[(٢)] وهكذا كان الصابرون. هربتُ في أواخر عام ١٣٣٥هـ في شهر ذي القعدة، وانحشرت في القطار مع المسافرين إلى دمشق ولم يتنبه لي أحد منهم حتى تحرك القطار، وكان بعضهم من معارف الوالد فأرادوا إرجاعي للمدينة حيث كنت صغيراً لم أتجاوز الثالثة عشرة غير أن ضابط القطار التركي أصر على بقائي معهم وكنت لا أملك إلا قرشاً واحداً وثوبي الذي على جسدي، فكان الركّاب يطعمونني معهم من الخبز الجاف و(البقسماط)[(٣)] وبعض التمرات، وكان القطار يمشي بالحطب بطيء الحركة فوصلنا مدائن صالح بعد ثلاثة أيام، وهناك علمنا بانقطاع السكة لنسف جزء كبير منها، وكان في القطار السابق مهاجرون من المدينة، ومنهم

---

(١) «من رجال المدينة المنورة، السيد حمزة بن إبراهيم غوث» ص ٩٣- ٩٦.

(٢) الحديث ليس بهذا اللفظ، وإنما الحديث الصحيح ما ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ: «لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة». رواه مسلم في «الصحيح»، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، (١٣٧٧)، والإمام مالك في «الموطأ» ٢ : ٨٨٥.

(٣) أصلها كلمة تركية: (*Peksimet*)، وأهل المدينة ينطقونها بالصاد أحيانا فيقولون: بقصمات، وهو خبز جاف هش يتزود به المسافر، ويعرف اليوم بالشابورة. «معجم الدخيل» ص ٦١ ، و«المصطلحات الحضارية في مكة المكرمة» ص ٧٩.

الشريفة عائشة جمال الليل[١] غير أنهم لم يصابوا بسوء، وقد وجدنا بالمدائن طابوراً من الجيش التركي وفريقاً من جنود ابن الرشيد الذي كان موالياً للأتراك فبعث بقسم من جنوده لمعاونة الدولة، وفي الوقت نفسه بعث الإنكليز بالكولونيل لورنس لتخريب السكة وحض البادية على الثورة فكان البدو يضعون الديناميت تحت قضبان السكة فإذا مشى القطار على السكة انفجر بما فيه، وكان القصد من التخريب قطع خط الرجعة عن حامية المدينة وحصر جنود الترك هناك.

مكثنا في المدائن ما يقرب من نصف شهر حتى تم إصلاح الخط وتحرك القطار بنا قاصداً تبوك، وبعد وصولنا لتبوك علمنا بخرابٍ آخر لحق بالخط فجلسنا مقدار أسبوع وأدركنا عيد الأضحى هناك، وأخيراً قمنا من تبوك إلى عَمّان. ولتضجّر بعض المسافرين نزل قسمٌ منهم خفية فنزلت معهم في عَمّان بيْد أني اشتقت إلى أهلي بدمشق فيمّمت المحطة في اليوم الثاني وسألت عن موعد القطار الذاهب إلى دمشق، فلم يكن هناك غير قطار محمل بالجنود فانزويت في أحد أركان العربات، فالتقيت بزميلي الأخ عبد الكريم ومحمد أركوبي ومعهما والدهما الشيخ حمزة رحمه الله، فسألني عن أحوالي فزعمت له بأن والدي قد توفي، وأصبحت مشرداً قاصداً أهلي بالشام فرقّ لحالي وصحبني معه في العربة مع الجنود، وكان غير مصرح للأهالي بالاختلاط مع الجند، فكان المفتش يهددنا بالنزول، فكان يردد لهم هذه العبارة (بن مهاجر)[٢] أي نحن مهاجرون.

ولما وصل القطار لمحطة القدوم أشاروا علينا بالنزول وكان الوقت ليلاً فنزلنا نحن الأربعة وأخذنا في طريق الميدان فذهبوا لبعض معارفهم هناك، ومشيت وحدي قاصداً الصالحية حيث سكن أهلي لحفظي لعنوانهم: (الصالحية- جوار

---

(١) من أسرة (جمل الليل) الشهيرة التي تعود بنسبها إلى آل باعلوي الحسينيين، لكن أهل المدينة ينطقونها: جمال الليل.

(٢) الصحيح أن (بَن مهاجر) = *Ben muhacir*، تعني: أنا مهاجر.

ضريح محيي الدين العربي)، فطفقت أمشي حتى كلّت قدماي، ووصلت في مسيري إلى المَرجة (ساحة الشهداء) وهناك ارتميتُ بلا وعيٍ أمام أحد الدكاكين المغلقة، وأصبت بالإنفلونزا بسبب البرد والتعب، ولم أفق إلا بعد شروق الشمس، فقمت أسأل عن طريق الصالحية وبدأت أمشي ما يقرب من ساعة حتى وصلت إلى الجسر؛ أول طريق الصالحية، وهناك رأيتُ أمام باب حانوتٍ العم عبد القدير -والد أخي عبد الحميد عنبر- فتلقاني بالسلام، وسألني عن الوالد فانفجرت باكياً، وحكيت قصتي باختصار مُسبباً له هروبي بسبب زوجة الوالد وشجاري معها، وجمع الله شملي بجدتي وخالاتي وخالي هناك، وكان دليلي وصديقي أخي عبد الحميد عنبر فكان يستضيفني بقروشه ويذهب بي إلى الأسواق معه، وكانت مصادفةً أن التقيت بوالد عبد الحميد رحمه الله فقد انتقل أهل والدتي من جوار ضريح ابن عربي إلى حارة الأكراد بالزينبية في عمارة جميلة عبارة عن دارة تابعةً لأحد زعماء الأكراد كان منفياً من السلطات التركية غير أنهم أخرجونا منها بعد شهرين»[1].

وأخبرني الأستاذ عبد الرحيم بن فرغلي بن سعيد فرغلي، عن ابن عمّ والده التاجر صدّيق بن مسعود فرغلي (ت ١٤١٨) أن أسرته كانت ممن طالها التهجير، فسيق والده إلى القطار، وركب هو بصحبة أمه إلى قطار آخر لا يعرف أحدهم شيئاً عن الآخر، ولما وصلوا إلى الأردن انفصلت العربة التي بها حقيبة ملابسهما، وأكملت العربة التي تحملهما مسيرها، حتى وصلوا إلى دمشق ثم اتجهوا إلى تركيا، ونزلا من القطار وسارا على غير هدى حتى وصلا إلى مسيل ماء، فحملته والدته على ظهرها وخاضت به المسيل حتى وصل الماء إلى صدرها وأيقنت بالهلاك، فصارت تقول لابنها مسعود الذي لم يتجاوز السادسة: هل تعرف أن تقول لا إله إلا الله، فقال: نعم، فصارا يرددانها، حتى أدركهما رجل تركي على فرس، فتمسكا بذيل فرسه، وأنقذهما من المسيل، وأنزلهما تحت شجرة

---

(١) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٣٤٢، ٣٥٤.

وأعطاهما صرة فيها طعام، وأشار لهما إلى جهة معينة يمضون إليها، فاتجها إلى حيث أشار فوجدا قرية استضافوهما ومكثا فيها حتى وصل الخبر بالسماح لأهل المدينة المنورة بالعودة، وفي طريق عودتهما وجدا رب الأسرة مسعود فرغلي في الأردن ينتظر أي خبر عنهما، وكان قد نزل في الأردن ومكث فيها، ثم عادوا جميعاً إلى المدينة.

أحوال أهل المدينة في بلاد الشام :

ضمت دمشق بين جنباتها أكثر من (٥٠٠٠) نسمة من أهالي المدينة المنورة، أجبروا على الرحيل إليها، وكانت أحوالهم المادية متفاوتة ما بين موسر وفقير، وتاجر وصاحب مهنة، فهؤلاء تدبروا حالهم فاشتغلوا وعددهم لا يجاوز الألف، في حين أن الباقين عاشوا على خبز الجراية والراتب القليل وباعوا ما لديهم من حُلي وزينة[١].

وقد اعتنت الحكومة العثمانية بالموظفين لديها من المدنيين، فأسندت إليهم أعمالاً هناك في دوائر سوريا الحكومية، وممن يرجح أنه عمل كاتباً هناك في دمشق، الشيخ إسماعيل بن مصطفى حفظي (ت ١٣٦٦) رئيس ديوان الإمارة في العهد السعودي[٢].

ومثله الشيخ الشاعر عبد الحق بن رفاقت علي العثماني (ت ١٣٧٤)، فقد هاجر برفقة من هاجر إلى الشام، وعيّن مدرّساً للعلوم والآداب العربية في المدرسة الجقمقية في دمشق[٣].

---

(١) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٤٦٦.

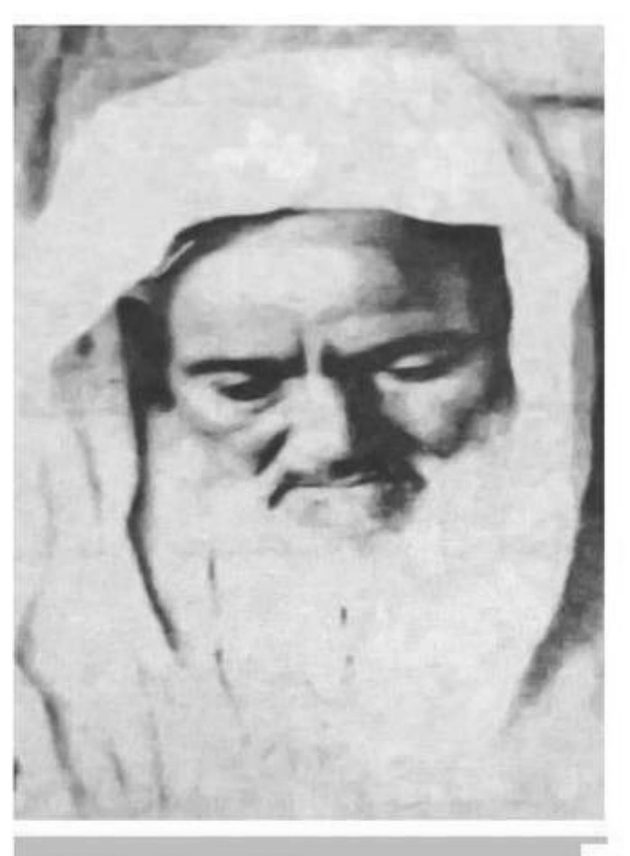
(٢) «من أعلام المدينة المنورة، إسماعيل بن مصطفى حفظي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٣) «أعلام العلم في جزيرة العرب، الشيخ عبد الحق العثماني»، عبد القدوس الأنصاري، مجلة المنهل، سنة ١٣٧٧، ص ٣٢٩.



الشيخ إسماعيل حفظي

(المرجع: طيبة وذكريات الأحبة)



الشيخ حميدة الطيب

وفي هذه المدرسة تلقى جماعة قليلة من أهل المدينة تعليمهم زمن (السفر برلك)، ومنهم السيدان أسعد وعمران ابنا محيي الدين الحسيني[1].

ومما يذكر من نُبل أهالي سوريا أن العديد من الأسر الشامية قد وضعت في حسابها استضافة أسرة مثلها من أسر المدينة، ولا يستغرب ذلك خاصة إذا أُخذ في الاعتبار تلك العلائق الاجتماعية بين هذه البيوتات وما كان بينهم أثناء زيارتهم لمثيلاتها في المدينة المنورة في موسم الحج والزيارة، كما حصل مع أسرة عزيز ضياء حيث نزلت في ضيافة بيت الصابوني بحماة[2].

وقد أثّرت هذه المعاملة اللطيفة في الشيخ حميدة بن الطيب الجزائري الإبراهيمي (ت ١٣٦٢)، فسجل انطباعاته هذه في كتابه المفقود: "آراء في أحوال

(١) «طيبة وذكريات الأحبة» ١ : ١٧١.

(٢) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١ : ٣١.

أهالي طيبة ودمشق الفيحاء»[(١)].

وقد روى لي الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن كعكي في متحفه الموسوم بـ (دار المدينة) يوم الثلاثاء ١٣ ذي القعدة سنة ١٤٣٧هـ، أن جدته روضة بنت عبد القادر عباس رحمها الله كانت ممن أُخذ قسراً إلى القطار وخُلع كتفها أو أصيبت بكسر ما في يدها، ونزلت ضيفاً عزيزاً على بيت الصفدي في الشام.

كما سمعت الأستاذ صالح بن مرزوق بن سليم المزيني يحدّث عن والده مرزوق أنهم لما سمعوا منادي فخري باشا يحث أهل المدينة على الرحيل عنها إلى الشام، وأن الحكومة العثمانية تكفلت بأمورهم واستضافتهم لدى الأسر الشامية، قرر الرحيل إلى الشام، وصحب معه أخوه حمزة وأختهما، ومريم الحريبي الرحيلي زوج إبراهيم مهدي، فأبوا الذهاب بالقطار خوفاً من تفجيره، وسافروا مشياً على الأقدام حتى وصلوا الشام بعد حوالي ٤٥ يوماً، وهناك نزلوا عند إحدى البيوتات الشامية، وأكرموهم غاية الإكرام[(٢)].

على أن الأغلبية العظمى من أهل المدينة في الشام عانت الجوع والضياع وأنواع البلاء، فبعضهم تعرّض للسرقة كما حصل لأسرة عزيز ضياء، قال في ذلك:

"كان اللصوص قد أفرغوا الصندوق الخشبي الأسود، الذي تحتفظ فيه أمي بأغلى مقتنياتها، ومنها ما يملكه جدي من النقود الفضية والذهبية، من كل ما فيه تقريباً، ومن تلك المجموعة من الشوك والسكاكين والملاعق بعلبتها الأنيقة، وعلب الوثائق والحجج، كما فتحوا صندوقاً آخر لخالتي، وأفرغوا أيضاً كل ما فيه ومنه حليها، بل لم يتركوا حتى تلك الملابس الغالية، من الحرير

---

(١) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ حميدة بن الطيب الجزائري»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٢) من تسجيلٍ خاص مع الأستاذ صالح بن مرزوق المزيني حفظه الله، بعثه لي ابنه الأستاذ محمود جزاه الله خيراً.

والقطيفة والموشاة، وملابس الأطفال وأحذيتهم التي كان جدي اشتراها من الشام"[١].

والباقون من أهل المدينة عاشوا حياة الرعب في الشام، كما يصف هذه الحال السيد عثمان حافظ فيقول:

"وأقمنا في دمشق سنتين كلها رعب وخوف وضياع، لم يقدر لنا دخول المدارس، لأن الأمن مفقود والأرزاق قليلة والفلوس أقل من القليل، ولا نسمع إلا أخبار الضرب والنهب والقتل والمقتول، وكنا ما زلنا أطفالاً لا ندرك خطورة هذه الأحداث وقد تحمل مسؤوليتنا والدينا رحمهما الله"[٢].

لجنة خاصة لأهل المدينة في الشام:

شكلت الدولة العثمانية لجنةً خاصة، لإحصاء أهل المدينة وتخصيص مرتبات لهم على قدر عوائلهم وصرف احتياجاتهم، ورأس هذه اللجنة السيد زين العابدين مدني[٣]، وعين السيد عبد القادر حافظ أميناً لصندوق هذه اللجنة، وأما أعضاء هذه اللجنة فهم: حسين جباد، وعرفة شطبي، ويوسف دويدار. وقد رُتّب للمدنيين خبزاً يستلمونه يومياً من أفران مخصوصة هناك، كل أسرة على عدد أفرادها[٤].

---

(١) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١: ٤٣.

(٢) «صور وأفكار» ص ٣٣٦.

(٣) هذه رواية النقشبندي، بينما نص السيد عثمان حافظ بأن رئيس اللجنة هو السيد حسن بن محمد فدعق المتوفى سنة ١٤٠٠هـ، وكان إمام وخطيب الأمير علي بن الحسين، ولعله تولى رئاسة اللجنة بعد السيد زين العابدين مدني وبعد هزيمة العثمانيين.

(٤) «صور وأفكار» ص ٣٣٧، و«حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٤٦٦.



السيد عبد القادر حافظ
(المرجع:فصول من تاريخ المدينة المنورة)

قال النقشبندي: "وكان منظر الأهالي وهم يتجمعون أول كل شهر وفي فصل الشتاء أمام مركز اللجنة –ساحة الشهداء- يدعو للشفقة والرثاء، فهذا السيد فلان متزملاً بلحاف، وذاك الأفندي في جبة مهلهلة، وهذا الشيخ ينتفض من البرد، وبعض الأولاد يلبسون أثواب الدمسكو[١]، وقد لا يصل أحدنا إلى بيته ليلاً حتى تدهمه البرداء"[٢].

ويحدث عزيز ضياء عن هذا الموقف في مدينة حلب من واقع عيانه فيقول: "لم أكن أدري إلى أين يذهب جدي في هذا الوقت المبكر من الصباح، إلى أن وقف أمام بوابة كبيرة، يقف أمامها خلق كثير، في أيديهم محافظ أو دفاتر في حجم جواز السفر، ما كاد جدي يتسلل بين الواقفين حتى عرفه أحدهم، ثم آخر، ثم ثالث، كانوا من أهل المدينة، ولكن ما أشد هزالهم، وشحوب وجوههم، أغلبهم يلف رأسه بخرقة أو قطعة بالية من القماش، واحد فقط كان يعتمر العمامة

---

(١) هو نوع من أنواع الأقمشة الدمشقية، ولعل الكلمة مأخوذة من دمشق (*Damascus*).
(٢) «حلقة هامة من تاريخنا القريب» للنقشبندي، مجلة المنهل، عام ١٣٨٢، ص ٤٦٦.

المدنية ولكن بدون جبة، رأى جدي فأسرع إليه يصافحه ويتحدث معه بالتركية، وناول جدي المحفظة التي يحملها، وهو يكرر عبارات الشكر.

كانت المسألة كلّها استلام الجراية من خبز الشعير، وعلب اللحم المفروم، والقِنّيطة. وكان هؤلاء المتزاحمون على البوابة، يتلاحقون في الدخول، وليتناولوا من رجل يطّلع على هذه المحفظة، ثم يأمر أحد الواقفين إلى جانبه، بتقديم العدد المقرر من أرغفة الخبز من الشعير، وعلبة اللحم المفروم، والعدد المقرر من القِنّيطة، كان واضحاً أن هؤلاء كلهم من أهل المدينة، الذين هجّرهم فخري باشا، إلى الشام، ومنها الآن إلى حلب"[1].

ويكمل النقشبندي حديثه قائلاً: "وإني ما زلت أذكر منظراً للأطفال المشردين وهم ينشدون هذه الأغنية الشعبية:

يـا خالتـي حنـي علـيّ مـن جـودك والحنّية
قضّينـا سـنة سـوده جـوع وعـري وبـرديـة
خبّيـزة تشـكي وتقـول ما خلوا لي عرق يطول
عملونـي غـدا وفطـور كله من الجوع يا خيّه

وقد اشتدت الأزمة وشحت الأقوات، بسبب تسلط الجيش الألماني على موارد الدولة، وتسلمهم لزمام القيادة في ميادين القتال، ورأيت بعيني في حي الصالحية الناس يتخطفون الخبز من حامليه، كما كان الكثير من المهاجرين يتدافعون أمام تكيّة ابن عربي، لمغرفةٍ من حساء الأرز، وهم في أسمالهم البادية والقمل يتمشى عليهم من جراء القذارة والبؤس، ولم يكن هناك طبيب يتفقد المرضى من قبل الحكومة أو مستشفى يعالج بالمجان"[2].

(١) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١: ٦٦، ٦٧.

(٢) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٤٤٦.

وباء حمى التيفوس (*Epidemic Typhus*)[١]:

كان من أخطر الصعوبات التي واجهت أهل المدينة شبح المرض الذي حصد أرواح الآلاف، فقد انتشرت حمى التيفوس انتشاراً واسعاً وأصبحت وباءً عاماً في بلاد الشام وما جاورها، ففتكت بالناس وذهب ضحيتها قرابة ألفين أو يزيدون من أهل المدينة، وصار مشهد الموت معتاداً، فبعضهم يموت في الأزقة وفي المساجد، بل حتى في الشوارع والأسواق، فتجمعهم الحكومة وتحملهم على العربيات، وتدفنهم مع بعضهم في الحُفر[٢].

قال عزيز ضياء يصف الأموات: "وقبل أن أسأل جدي كيف تمشي العربات، ظهرت عربة يجرها حصانان ويقودها جندي، عربة طويلة مكشوفة، أعجب ما تحمله تلك الجثث. جثث آدميين تتدلى رؤوس بعضهم من نهاية العربة، أفواههم مفتوحة يتطاير أو يتجمع حولها ذباب كثير، وعيونهم مفتوحة جامدة لا تتحرك، وإلى جانب هذه الرؤوس أقدام زرق أو سود تتدلى وتهتز معها هذه الرؤوس ولا أدري لم ارتعبت، وكدت أصرخ وأنا أشدد من انضمامي إلى صدر جدي، الذي رأيته يضع كفه على فمه وأنفه ويردد: إنا لله وإنا إليه راجعون"[٣].

---

(١) هو مرض معدٍ حاد، يسببه بكتيريا الريكتسيا (*Rickettsia prowazekii*)، وتنتقل بواسطة القمل، وتسبب حمى طويلة الأمد وصداعاً وطفحاً جلدياً لذا تعرف بـ (الحمى النمشية) وتنتشر في الحروب، وقد قتلت في الحرب العالمية الأولى ملايين من الناس.

CDC. Epidemic Typhus]Internet[.]cited 2017 Mar 26[. Available from: https://www.cdc.gov/typhus/epidemic/index.html

(٢) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١: ٧٥، و«حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٤٦٦.

(٣) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١: ٢٥.

الأسر المهاجرة إلى الشام:

خرج الناس من المدينة أفواجاً، وكانت دمشق ثم حمص وحماة وحلب من أهم المدن التي تمركزت فيها الهجرة، حتى أن الذين سبق أن نفوا إلى ولايات الأناضول والروملي قدموا بعد سنتين أو ثلاث إلى بلاد الشام بعد قرار السماح لهم بالانتقال إلى سوريا أو أي مكان شاؤوا، وذلك في شعبان ١٣٣٦هـ[١].

وقد بيّن ذلك الشيخ حسين برادة حين قال: "ولما كنت منفياً من جملة من نُفي إلى بلدة عشاق، وجاء الإذن بموجب قرار المجلس بترك الشيوخ يذهبون إلى حيث أرادوا، وكنت عزمت إذ ذاك على التوجه إلى الأستانة، لقضاء بعض الأشغال، فوافاني مكتوب من الأستانة من محبنا الشيخ محمود شويل، يذكر لي فيه خبر القرار المذكور، وخبر وفاة بعض أقاربنا، وبعض مخصصات رتبت لبعض أحبابنا"[٢].

وأذكر بعض الأسر التي أجبرت على الرحيل إلى بلاد الشام، فمن أولئك العلامة المحدث السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي وأولاده عدا ابنته الشريفة صفية (والدة السيدين عبيد وأمين مدني)، ومرض السيد أحمد هناك ووافته منيته سنة ١٣٣٧هـ ودفن بالصالحية بجبل قاسيون بجانب مقام سيدنا ذي الكفل عليه السلام[٣]، وهذا الرجل يعتبر شيخ المدينة بلا منازع في وقته، فقد كان وجيهاً عالماً مقتدراً، وتولى إفتاء الشافعية في المدينة، وله مشاركة كبيرة في الأحداث العلمية في المدينة المنورة، وكان قد ألّف رسالة في نصرة الدولة العثمانية سماها:

---

(١) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عمر بن إبراهيم بري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٠، ص ٢٦٠.

(٢) «مجموع» لشعراء مدنيين، مخطوط.

(٣) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٤٦٦.

«النصيحة العامة لملوك الإسلام والعامة»، ألفها قديماً وطبعها زمن السلطان عبد الحميد وبعد حرب الروس.

ومنهم الشريف محمد العربي بن رشيد العلوي (ت ١٣٥٨) فقد رحل بأسرته وولده الشاعر المربّي السيد أحمد العربي إلى دمشق، وصحب معه زوجة الشيخ عبد القادر الشلبي وأولاده عدا حمزة[١].

ومنهم الشيخ محمد بن محمد كمال الدين الإخميمي (ت ١٣٤٦)، ومعه ابنه صالح، حيث تنقلا بين دمشق وحلب، وحظي بشهرة هناك نظراً لعلمه[٢].

ومنهم الشيخ محمد بن إبراهيم الغاطس المالكي، المؤذن في الحرم النبوي الشريف وصاحب الكتّاب المشهور، فقد رحل إلى دمشق، وتلقّى عنه بعض مؤذني المسجد الأموي نغمة الأذان المدني[٣].

وكذلك الشيخ البصير عمر بن مصطفى العيطة (ت ١٣٦٠)، نزح بأسرته إلى الشام ونزل بحي الميدان وأقام دروسه في جامع القلبقجية، واتخذ من دمشق مستقراً له إلى أن مات[٤]، وما زالت هذه الأسرة في المدينة.

وأيضاً المقرئ السيد ياسين بن أحمد الخياري (ت ١٣٤٤) رحل بصحبة أهله وابنه السيد أحمد، ومكث أربع سنوات في الشام، واتصل بعلمائها هناك من أمثال: السيد بدر الدين الحسني، وعطا الله الكسم، والسيد عبد القادر الخطيب،

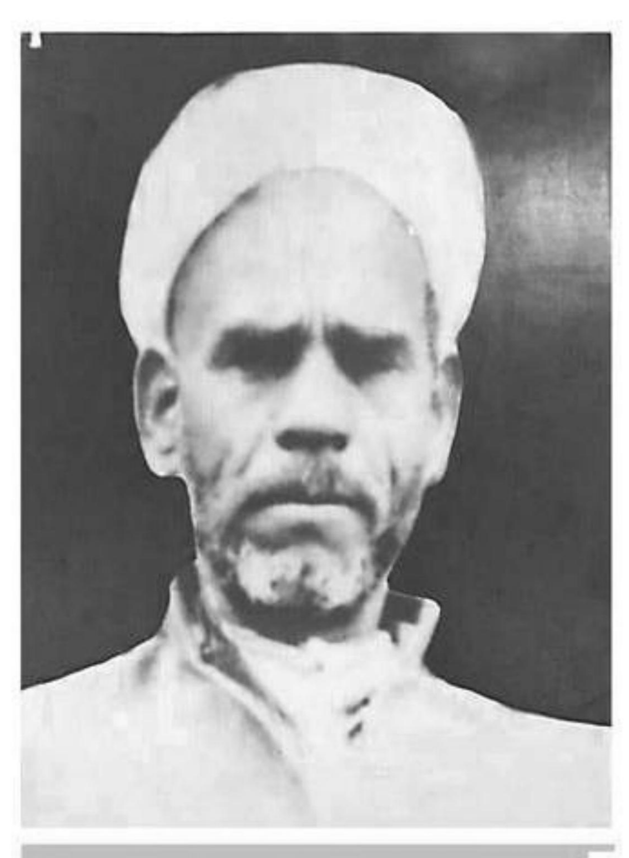
---

(١) «الشيخ عبد القادر الشلبي»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٤٠٢، ص ٤٣٨، و«صديقي وزميلي الأديب الشاعر السيد أحمد العربي»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ محمد بن محمد الإخميمي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

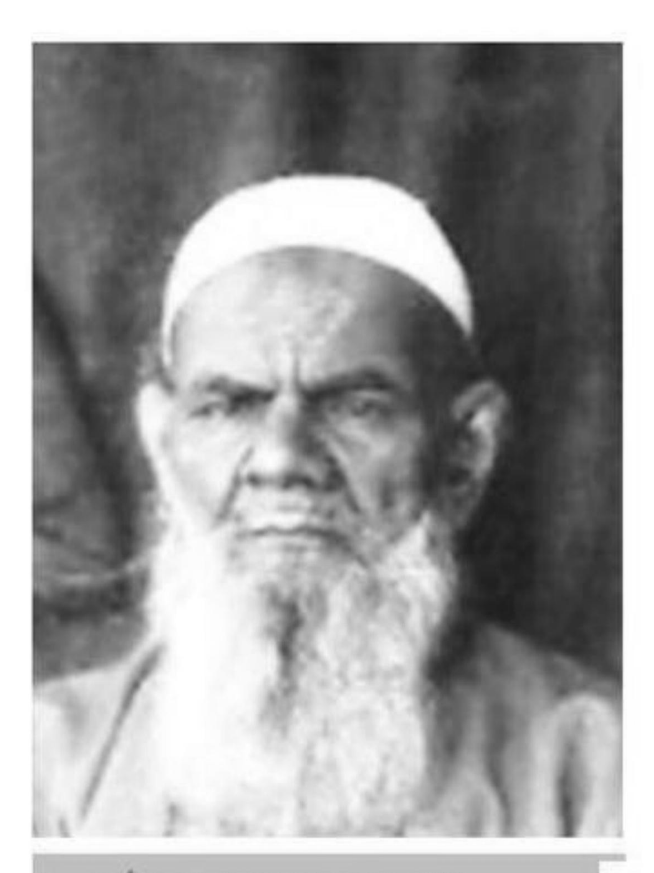
(٣) «ذكريات علي الطنطاوي» ١ : ٧٨.

(٤) «تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر» ٣: ١٦٠.



الشيخ محمد بن محمد كمال الدين الإخميمي

(المرجع: أمدني بها حفيده الأستاذ كمال الأخميمي)



الشيخ محمد عبد الباقي الأيوبي

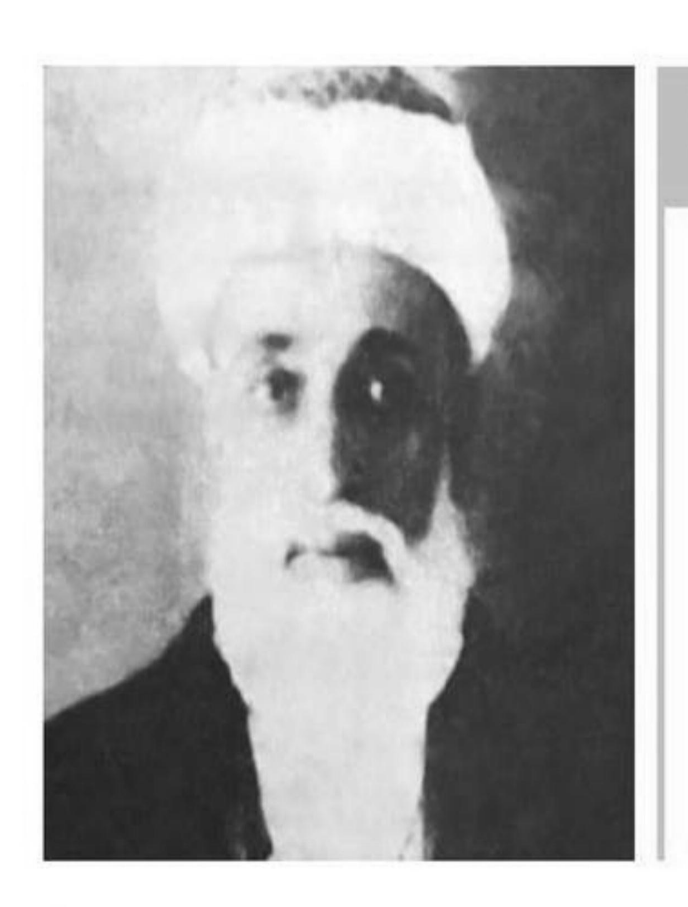
(المرجع: زودني بها الأستاذ خالد الأيوبي)

والسيد هاشم الخطيب وغيرهم، ودارت بينهم مطارحات علمية ومساجلات أدبية، وقرأ عليه بعض طلاب العلم في القراءات[1].

وممن خرج من المدنيين إلى الشام العلامة الشيخ محمد عبد الباقي الأيوبي اللكنوي، والشيخ محمد علي أعظم البكري، والشيخ حميدة بن الطيب الإبراهيمي؛ الذي ألف في رحلته هذه كتاباً مفقوداً سماه: «آراء في أحوال أهالي طيبة ودمشق الفيحاء»، والسيد زين العابدين بن حمزة مدني، والشيخ عبد الحق بن رفاقت علي، والسيد عبد القادر بن عثمان حافظ وابناه علي وعثمان، والشيخ محمد بن محمد صالح حماد وافتقر وتوفي هناك، والأستاذ عبد المجيد خطاب، والشيخ حسين جباد، والشيخ أبو بكر بن محمد التنبكتي، وعثمان الحوكي وابنه

---

(١) «من أعلام المدينة المنورة، السيد ياسين خياري»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.



السيد إدريس هاشم
(المرجع: طيبة وذكريات الأحبة)

حمادي، وسليمان مراد وابناه حبيب ومحمد ولي الدين، والشيخ عبد الحكيم بن أحمد عثمان الشامي، والشيخ محمد علي بن محمد الربيع (والد الأستاذ عبد العزيز الربيع)، والسيد إدريس بن حسين هاشم وكانت زوجته حاملاً بابنه إدريس الذي ولدته في الشام، والشيخ إبراهيم بن أحمد فقيه ومعه ابناه مصطفى وجعفر وأمهما آمنة تفّاحة التي وافتها المنية في مدائن صالح ودفنت هناك[١]، والسيد أسعد بن أمين الطرابزوني، وإبراهيم شاكر[٢]، والشيخ حسين بن عمر فقيه ومعه جميع أسرته إلا ابنه عمر[٣] الذي مكث ليحفظ مساكنهم وأملاكهم، والشيخ إبراهيم بن علي ملا[٤] وابنه الشيخ عبد القادر، والشيخ عبد الستار بن أمين عاشور البخاري

(١) روى لي ذلك الشيخ عبد الوهاب بن إبراهيم فقيه في منزله يوم الجمعة ١٨ صفر ١٤٣٨هـ، وكذلك الصديق الدكتور أشرف بن إحسان بن جعفر فقيه.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٣٧.

(٣) هو جد الدكتور هاني بن أحمد بن عمر فقيه، أستاذ الحديث الشريف في الجامعة الإسلامية، ومنه استقيت هذا الخبر.

(٤) من ذرية الشيخ العلامة محمد حياة السندي، وهو جد شيخنا الأستاذ أحمد بن محمد بن عبد القادر ملا الذي وافته منيته ظهر يوم الأحد غرة جمادى الأولى سنة ١٤٣٨هـ، تغمده

وقد سيق إلى القطار سوقاً ومن حسن حظه أن والده كان معه في القطار[1]، والشيخ حمزة بن محمد سعيد ديولي خرج بأهله إلى دمشق، ووافته المنية ودفن هناك، وهو والد الريّس أبي السعود ديولي (ت ١٤٠٨).

وأما الشيخ عبد الحق النقشبندي فقد مرت قصة هروبه في القطار، ولحاقه بأهل أمه، وهم جده الشيخ عبد القادر عنبر خان ومعه صهره عبد القدير عنبر وابنه الأديب عبد الحميد عنبر، وكان الشيخ عبد القادر يتكسب بالخياطة، وتوفي هو وأختاه وصهره عبد القدير في دمشق ودفنوا في جبل قاسيون سنة ١٣٣٦هـ[2]. وكان في القطار معه الشيخ حمزة بن خضر الأركوبي وابناه عبد الكريم ومحمد.

ومنهم أيضاً الشيخ محمد الحبيب الجدّاوي، والسيد عطا الله عطا الله وابنه حمزة وأسرتهما وقد استقروا في الشام ثم انتقلوا إلى مدينة سمنود بمصر ثم عادوا إلى المدينة، وكذلك الشيخ محمد علي بن محمد الربيع (ت ١٣٦٣) فقد كان ممن هاجر إلى الشام وعمل إماماً في كفر سوسة، وبقي هناك حتى عام ١٣٤٣هـ، وعاد مع بداية العهد السعودي، وهو والد الأستاذ عبد العزيز الربيع مدير التعليم في المدينة سابقاً.

ومنهم السيد أحمد بن جعفر الذهبي (ت ١٣٦٥) فقد هاجر إلى الشام، ومعه بنات أخيه السيد إبراهيم وأمهما التي توفيت هناك، وهو الذي اصطحب معه فهمي بن محمد الحشاني الليبي إلى المدينة، بعد أن تيتّم في الشام، وزوّجه من بنت أخيه[3].

الله بواسع رحمته.

(١) «طيبة وذكريات الأحبة» ٢ : ٢١٢.

(٢) «المختار من تراجم الذين عاصرناهم من الرجال، الأستاذ عبد الحميد عنبر»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل.

(٣) من رواية الدكتور علي بن أبي بكر جاد حفظه الله تعالى.

ومنهم حمزة بن عباس قمقمجي وزوجة ابنه عباس وهي سارة بنت درويش قمقمجي وأبناؤها يوسف وآمنة وريّة، وأيضاً بيت كمال، وبيت عزي، وبيت حوالة، وأسرتنا من بيت طوله، والشيخ محمد بن عثمان الداغستاني رحل إلى دمشق فحلب، وأسرة عزيز ضياء رحلت إلى حماة، وغيرهم.

ومنهم السيد جنيد بن فيض خان العباسي[١] فقد خرج بأسرته المكونة من ستة أنفس إلى حلب، وتولى إمامة أحد المساجد هناك، وما عاد إلا بعد دخول المدينة تحت الحكم السعودي بفترة كانت عودته سنة ١٣٥٣هـ[٢].

وكذلك الشيخ عبد الله بن جعفر بالي وزوجته سرة أسعد وأختها زين الشرف والدة السيد أحمد الرفاعي، جميعهم رحلوا إلى حلب، وتوفي عبد الله وزوجته هناك ودفنا في القلعة، وعاد ابناهما جعفر وأحمد مع عمهما حسن بالي[٣].

ومثلهم بيت جلّون وبيت السندي، وفي ذلك يقول الدكتور عدنان بن درويش جلون أثناء حديثه عن أفراد أسرته التي هجّرت: "وكان من بينهم جدتي فاطمة المرّاكشية وتوفيت في مدينة حلب عام ١٣٧٦هـ، ووالدي ركب القطار وعمره حوالي الحادية عشر، عاد إلى المدينة المنورة، وتوفي في الإسكندرية عام ١٣٨٤هـ خلال دراستي بها، وعمتي بدرية بنت درويش جلون وكان عمرها حوالي السادسة عادت إلى المدينة المنورة عام ١٣٨٦هـ، وتوفيت ودفنت في بقيع الغرقد بالمدينة المنورة عام ١٤٢٠هـ، وكذلك عاد جدي الشيخ عمر صالح سندي وتوفي بالمدينة المنورة عام ١٣٨٤هـ، كما عاد مع جدي خالي عابدين

---

(١) وهو أخو الشيخ الفقيه السيد ثابت أبي المعاني النمنكاني صاحب الفتاوى المطبوعة باسم: «الفتح الرباني» المتوفى سنة ١٣٤٦هـ، وكذلك جد الدكتور يحيى بن محمود بن جنيد الساعاتي حفظه الله تعالى.

(٢) «طيبة وذكريات الأحبة» ٤ : ١٨٢.

(٣) من رواية اللواء الدكتور فيصل بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بالي متع الله به.

عمر سندي توفي بالمدينة المنورة عام ١٤٠٧هـ، ودفنا في بقيع الغرقد بالمدينة المنورة، أما خالي يوسف عمر سندي فقد تاه ضمن من فقدوا في تركيا ولم نسمع عنه شيئاً منذ ذلك الحين... وقد وجدت بعضاً من الكربونات التي كان والدي وجدتي يستلمون بها بعض القروش ليقتاتوا بها كغيرهم من أهل المدينة المنورة"[١].

وأما آخر فوج هاجر بالقطار فهم السيد عبد الله جمل الليل وأسرته، والشيخ إسماعيل بن مصطفى حفظي وأسرته، وعائلة الشيخ حيدر الأفغاني، والسيد محيي الدين بن عبد الرحيم الحسيني وابناه السيد أسعد وعمران[٢].

وأما العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني، فقد مكث في المدينة مع من مكث ومعه كافة أسرته، وأرسل إليه جمال باشا من الشام أن يذهب هو بمعية السيد بدر الدين الحسني لنصح الشريف فيصل بن الحسين، فاكتفى السيد بكتابة رسالة طويلة إلى الشريف فيصل في ٣ صفر سنة ١٣٣٥هـ، ينصحه فيها ويبيّن له الأحكام في خروجهم على الدولة العثمانية، وتحالفهم مع الإنجليز، لكن ذلك لم يُجدِ نفعاً فأرسل جمال باشا رسالة بواسطة بصري باشا إلى السيد الكتاني يقول فيها: "بلغنا أن السيد الكتاني يريد المجيء إلى الشام، فإذا كان هذا الخبر صحيحاً فطمّنوه بتأمين سكناه ومعيشته"، ففهم السيد من الرسالة أن هذا استدعاءٌ وطلبٌ بأن يقدم إلى الشام[٣].

يقول ابنه السيد الزمزمي: "فأجاب سيدنا الوالد بصري باشا: إني الآن مريض وبعد الراحة أجيبك، وبعد أسبوع رجع، فقال له الوالد: سأعمل الاستخارة

(١) «معجم الألفاظ المتداولة عند أهل المدينة المنورة» ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) «طيبة وذكريات الأحبة» ١ : ١٧١، نقلاً عن السيد عمران بن محيي الدين الحسيني رحمه الله.

(٣) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ٢٨٧.



السيد محمد الزمزمي الكتاني
(المرجع: زودني بها حفيده السيد حمزة الكتاني)

النبوية، ثم بعدها قال: نحن لا قبل لنا بالسفر مع ما الناس عليه، فقال له بصري باشا: سيكون البابور كله رهن إشارتكم. ثم ساعد الوالد وضرب له المحافظ موعداً أتت فيه الزبانية، فشدوا الكتب في عشرين صندوقاً، ولفوا سائر الفرش والأثاث والمواعين وغير ذلك من جليل وحقير، وشحنوا ذلك داخل فراكين البابور. ويوم السفر وكان في أواخر شهر ربيع الثاني عام [١٣٣٥هـ][1]، خرج لوداعنا جميع الهيئات الحكومية زيادة على من بقي من الناس، وكان وداعاً لائقاً حكومياً بسيدنا الوالد وأمثاله، وكان ذلك الوداع بباب العنبرية أشهر أبواب المدينة المنورة والذي به محطة السكة الحديدية، فجاء المحافظ بصري باشا السابق الذكر، وقائد البلد العسكري الكبير فخري باشا ...، وجاء أمير مكة الجديد مولانا الشريف علي

(١) وهِم السيد الزمزمي في السنة فذكر أنها كانت سنة ١٣٣٦هـ، والصحيح ما أثبتّه سنة ١٣٣٥هـ، وبيان ذلك أنه ذكر أن بصري باشا كان محافظاً للمدينة المنورة وأن الشريف علي حيدر حضر خروجهم، ولم يكن ذلك إلا في سنة ١٣٣٥هـ، لأن بصري باشا عزل عن محافظة المدينة في شهر رجب ١٣٣٥هـ، وأمر علي حيدر بالخروج من المدينة في جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ.

حيدر باشا والأمراء أنجاله الكرام في فصيلة من العسكر، وغيرهم»[١].

وحدثني الدكتور أحمد بن حسين بن يحيى العقبي يوم الإثنين ١٦ جمادى الأولى سنة ١٤٣٨هـ، في مجلس الشيخ أحمد بن سعيد ابن سلم، قال: "لما أمر فخري باشا بترحيل أهل المدينة، أرسل والدي أسرته كلها إلى الشام مع أخي الأكبر محمد، وكان يملك بيتاً في الغوطة بدمشق، وعزم هو على البقاء وكان صديقاً لبصري باشا وجاراً له، وبعد أن خلت المدينة من أهلها، ضاق الحال بأبي، ويذكر أنه صلى في الحرم النبوي الشريف وليس فيه إلا سبعة، وقد امتلأ بالذخيرة، ولما خرج وجد اثنين من الجنود ملقيين على الأرض ميتين قد انتفخ جثمانهما، فتأثر لذلك وقال: أموت في المدينة ولا أجد من يدفنني، فعزم على الرحيل، واستأذن فخري باشا فأذن له، وركب القطار حتى إذا وصل إلى (عمّان) وجد أخي محمد في المحطة مصادفة، وذهب مع أسرته وبقي في دمشق حتى انتهت الحرب".

وقد سبق أن أشرنا إلى أن هناك أسراً طالها قرار النفي فرحلت إلى الأناضول والروملي، لكن بعد قرار الحكومة بالسماح لهم بالانتقال إلى بلاد الشام إن شاؤوا، رحلوا للقاء أهاليهم، ومن أولئك الشيخ الخطيب يحيى بن محمد سعيد دفتردار (ت ١٣٤٥)، فقد نُفيَ إلى مدينة (ويزه) لأنه كان من مؤيدي الشريف الحسين، ثم انتقل بأسرته إلى (قونية) والتقوا هناك بأسرة البري الذين كانوا في (العشاق)، ورحلوا جميعاً بقطار واحد إلى أضنة فحلب ثم دمشق، وفي أسبوع واحد توفي الشيخ عبد القادر بن عمر بري وزوجته بنت الشيخ صالح فضائلي وولد له صغير[٢].

---

(١) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عمر بن إبراهيم بري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٠، ص ٢٦٠.

وذكر الشيخ حميدة بن الطيب أن الشيخ يحيى ألقى خطبة في مسجد من مساجد الصالحية بدمشق، يعظ فيها أهل المدينة ويذكرهم بالله حتى يعودوا إليه فيفرج كربتهم ويرد غربتهم[١]. وقد صحبه في هذه الرحلة حفيده الأستاذ المؤرخ محمد بن محمد سعيد دفتردار رحمه الله تعالى، وقد التحق هناك بمدرسة الصنائع في دمشق[٢]، وعادت الأسرة كلها سنة ١٣٣٨هـ.

وكذلك أسرة السيد حبيب الله بن بير علي، فقد حُبس هو وابناه سيد أحمد الفيض آبادي (مؤسس مدرسة العلوم الشرعية) ومحمود أحمد (والد السيد حبيب) في المدينة المنورة ثم نفوا إلى بلدة (إيدريانوبل) التي يقال لها (أدرنة)، ولم يحتمل السيد حبيب الله شدة البرد، وأصيب بمرض ذات الجنب[٣]، وفاضت روحه هناك، وبقي النساء في المدينة منهم زوجة حبيب الله وأزواج أبنائه سيد أحمد وحسين أحمد وبنته وولده الصغيران، ثم رحلوا جميعاً إلى الشام، وانتقل الشقيقان السيد أحمد ومحمود أحمد إلى دمشق بعد السماح لهما بالعودة إلى سوريا والتقوا الأسرة هناك[٤].

---

(١) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ حميدة بن الطيب الجزائري»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٢) «نبذة من تاريخ حياة فقيد العلم والأدب الشيخ محمد سعيد دفتردار»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٩٢هـ، ص ٧٨٧. ومدرسة الصنائع كانت تعرف بدار الإصلاح أو الإصلاح خانة، ثم بعد عام ١٩٠٨م عرفت بـ (مدرسة مدحت باشا للصنايع) أو (مدحت باشا صنايع مكتبي). انظر: «المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني» ص ٣٨٢- ٣٨٥.

(٣) يعرف هذا المرض في المصطلح الطبي بـ: (*Pleurisy*)، ويعنون به كل ألم ينشأ من أي مرض يصيب الغشاء المحيط والمبطن للرئة (*Pleura*)، وكثيراً ما يصاحب مرض التهاب الرئة (*Pneumonia*).

(٤) «نقش حيات» ص ٥٠- ٥١، «السيد أحمد الفيض آبادي»، عبد القدوس الأنصاري، ص ٣٢، و«السيد محمود أحمد كاتب عدل المدينة المنورة»، عبد الحق النقشبندي، الأعمال الكاملة.



السيد محمود أحمد

(المرجع: أعلام الحجاز)



السيد ماجد عشقي

(المرجع: طيبة وذكريات الأحبة)

وهناك بيوتات أخرى من أهل المدينة لم يهاجروا قصداً، وإنما صادف أنهم كانوا وقت التهجير في الشام، ومثال هؤلاء أسرة السيد ماجد بن أنور عشقي (ت ١٣٨٤)، فإن والده كان محتسباً للمدينة ولخلاف بينه وبين بصري باشا استقال من وظيفة الحسبة، وعارض أهل المدينة هذه الاستقالة، فأرسل إلى ولده ماجد الذي كان في جدة وقتها، فلحق بأبيه في المدينة ومنها انتقلت الأسرة إلى دمشق، وثارت الحرب العالمية وبدأ التهجير وعمت المأساة، وانتقل السيد أنور إلى رحمة الله سنة ١٣٣٦هـ ودفن في جبل قاسيون، وأما ابنه السيد ماجد فقد عمل مدرّساً في إحدى المدارس بمنطقة البحصة، حتى عاد في زمن الأشراف[١].

---

(١) «من أعلام المدينة المنورة، السيد أنور بن مصطفى عشقي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة، ورواية الدكتور السيد أنور بن ماجد بن أنور عشقي، في مكتبه بجدة يوم السبت ٥ جمادى الآخرة سنة ١٤٣٨هـ.

وكذلك بعض أسرة الدعيس، فقد خرج الشريف حمزة بن هاشم الدعيس وعائلته وصحب معه ابن أخيه الشريف هاشم بن محمد وأمه إلى تركيا لقضاء بعض مصالحهم هناك، وعند وصولهم إلى (تل الكلخ) في حمص جاء الأمر بالتهجير واشتدت وطأة الحرب فأقاموا بها حتى تسليم المدينة[١].

ولا يفوتني هنا أن أذكر قصة الموسيقار الريّس المؤذن في الحرم النبوي الشريف الشيخ إبراهيم بن محمد زين السمان (ت ١٣٨٣)[٢]، فإنه كان يمتاز بنداوة الصوت وجماله مع كثرة محفوظاته، وقد أقبل عليه فخري باشا ولقبه بـ (الحافظ بلال الحبشي)، ولشدة إعجابه قدّمه لأنور باشا وأرسله إليه برفقة سكرتيره أمين بك لكي يؤذن له في إسطنبول، ولما سمع صوته السلطان محمد رشاد أصدر فرماناً بتعيينه مؤذناً خاصاً في السرايا الخاصة به، واستمر مؤذناً في القصر إلى عهد السلطان وحيد الدين. في هذه الفترة طال أمر الترحيل أهلَه وأبناءه ومنهم الشيخ أحمد الذي وصل دمشق، فأدرك قرب هزيمة الترك فأخذ يتوسل بلطف في السماح له بزيارة أهله بدمشق، حتى تحصل على الإذن ورحل هناك وبقي حتى انتهت الحرب، وعاد سنة ١٣٣٧هـ[٣].

موقف نبيل ووفاء نادر :

ومن المواقف النبيلة التي سجلها التاريخ، ما فعله السيد طه بن محمد بن حسين عثمان القباني والد السيدين حسين وياسين، وذلك لما ضاقت الحيل بالأتراك احتاج جمال باشا مبلغاً من المال وهو محصور، فاستعان بفخري باشا،

---

(١) «من ذكريات الشريف هاشم»، مجلة المنهل، ربيع الثاني سنة ١٤١٣، عدد ٤٩٩، ص ٢٧٨، ورواية ابنه الشريف نايف بن هاشم الدعيّس حفظه الله تعالى.

(٢) هو والد شيخنا الأستاذ عبد القادر بن إبراهيم السمان المتوفى في ٧ محرم سنة ١٤٢٧هـ.

(٣) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ إبراهيم السمان»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.



الشيخ إبراهيم السمان
(المرجع: جريدة اللطائف المصورة)



التاجر محمد بن عبد الكريم الخريجي
(المرجع: طيبة وذكريات الأحبة)

لكن سكة الحديد كانت مقطوعة بفعل القبائل الموالية للأشراف، ولا يُضمن أي ضابط تركي أن يصل بالمال لأنه سيفتضح بهيئته مهما تنكّر، فلم يجد فخري أمامه سوى السيد طه فناداه فخري وقال: خذ هذه أربعة آلاف جنيه ذهباً عثمانياً فأوصلها لجمال باشا.

فأرسل السيد طه أهله إلى مكة بعد أخذ الإذن، وأخذ المبلغ ورحل إلى نجد والتقى في عنيزة بصديقه عبد العزيز الخريجي وابن أخته محمد بن عبد الكريم، فعاونوه واشترى بهذا المبلغ التمر والحنطة، وانطلق عبر الفلاة إلى دمشق، وباع البضاعة كلها في دمشق، فكانت غوثاً للجياع هناك، وانطلق إلى جمال باشا ليسلمه المبلغ وهنا نطق جمال باشا قائلاً: "أبيت يا سيد طه إلا أن تثبت أن العرب أمناء"[1].

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١٠٥.



السيد زين العابدين مدني
(المرجع:فصول من تاريخ المدينة المنورة)

ويشبه هذا الموقف ما فعله الشريف ناصر بن علي الحسيني (ت ١٣٥٢) مع السيد زين العابدين مدني، فإن السيد زين العابدين كان أحد من رُحّل إلى الشام، وقد عانى من نفاد ما كان يملكه من مال مع ثرائه حتى أنقذه صديقه الشريف ناصر بن علي فأعطاه ألف جنيه مكّنته من العودة بكرامة، مع الأخذ بالاعتبار أن السيد زين العابدين كان من مناصري الأتراك، والشريف ناصر من مناصري الأشراف، لكن الصداقة كانت فوق كل شيء[1].

ومن المواقف النبيلة أيضاً ما سمعته من الأستاذ عبد الرحيم بن حسن حِربي عن والده أن الوجيه عبد الله بن خالد خاشقجي لما جاءه النذير يعلمه بالاستعداد للرحيل إلى الأناضول، دخل بيته في حي الساحة، ودخل عليه حسن بن محمد حِربي إذ كان يعمل لديه في المزرعة، وكان الخاشقجي فاتحاً خزانة نقوده وبين يديه أحزمة من الأقمشة فكان يضع النقود في هذه الأقمشة، ووضع في آخرها أرباعٌ مجيديات، وأعطاها لحسن هذا على أنه سيرافقهم في السفر، وبينما هم كذلك إذا بأحد أفراد الأسرة يخرج إلى الباب فوجد امرأتين عنده، فسألهما عن

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١١١.

حالهما، فقالت إحداهما: ابني حسن عندكم وأريده، وأمرت ابنها بعدم السفر، فلما علم الخاشقجي بذلك قال له: اذهب إلى أمك، فنزع حسن الحزام من وسطه وأرجعه للخاشقجي، فقال له: خذه واذهب مع أمك.

الأسر المهاجرة إلى بلاد أخرى:

استطاع كثير من أهالي المدينة الخروجَ إلى مقرات الأشراف كالفريش ثم الانضمام لهم هرباً من شبح الحصار والجوع. والبعض حاول الخروج إلى أماكن أخرى، مثل السيد أحمد بن أحمد بن عبد القادر الجزائرلي مفتي المالكية، حيث ذهب إلى فخري باشا واستأذن منه أن يذهب إلى بلدة العلا، لأن جميع أهلها يتمذهب بالمذهب المالكي، وكانوا يبعثون إليه يستفتونه، فأذن له فخري فذهب وبقي هناك مدة يفقه الناس ثم أصيب برمد في عينه لكثرة الذباب في تلك البلدة، وعالج نفسه بشتى الطرق فلم يفلح معه، فعزم على العودة إلى المدينة في أحلك ظروفها، والحصار ضارب عليها، واتجه إلى الأمير سعود بن عبد العزيز ابن رشيد[1] وكان مرابطاً لصالح العثمانيين في مدائن صالح فأكرمه، وسهّل مهمته في دخول المدينة، وهناك قضى نحبه فغسله جنود الأتراك بمعاونة مدير الأوقاف غالب تحسين بك، ودفن بالبقيع وذلك سنة ١٣٣٦هـ، وأما أسرته فبقيت في العلا مع ابنه القاضي السيد عبد القادر الجزائرلي (ت ١٤٠٢)، حتى نهاية الحرب وتسليم المدينة[2].

وممن لم يحالفه الحظ من علماء المدينة العلامة السيد حسين أحمد بن حبيب الله المدني، فإنه كان بصحبة شيخه العلامة محمود الحسن الديوبندي في مكة وقت

---

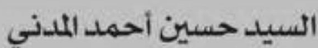
(١) ذكر الدفتردار أن الأمير الذي لجأ إليه الجزائرلي هو محمد بن طلال ابن رشيد، وهو وهم منه رحمه الله، والصحيح ما ذكرته لأن سعود كان هو الحاكم في تلك الفترة، وأما محمد بن طلال فهو آخر أمراء آل رشيد.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة: السيد أحمد بن أحمد الجزائرلي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.



السيد عبد القادر الجزائرلي





السيد حسين أحمد المدني

اندلاع الثورة، ومن المفارقات أن الحكومة التركية كانت تشك في أسرته خصوصاً وفي الهنود عامة، لذا نفت والده وأخويه[١]، بينما كان السيد حسين أحمد يرى وجوب نصرة الدولة العثمانية وحرمة الخروج عليها، ويذكر زيدان أنه جمع ما يقرب من مليون روبية وذهب بها إلى غالب باشا في الطائف بغية نصرة الحكومة العثمانية[٢].

وروى الزمزمي الكتاني أنه لما ذهب إلى مكة مع شيخه أمر الشريف الحسين جماعة من العلماء أن يفتوا بكفر الأتراك[٣] فأبى الشيخان أن يفتيا بذلك قائلَيْن: القول بتعميم هذا غير ممكن. فغضب عليهما الشريف وهددهما بالحبس، فقالا له: عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة[٤]. فأمر بأسرهما ومعهما ثلة من العلماء

---

(١) «نقش حيات» بالأردو، ص ٥٠. (٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٣٦.

(٣) ذكر السيد محمد ميان في كتابه: «أسيران مالطة» بالأردو ص٦٠، أن الحكومة الهندية التابعة لبريطانيا أرسلت خان بهادر إلى الحجاز لطلب فتوى في تكفير العثمانيين، وقد استعان بالعلماء التابعين للشريف الحسين.

(٤) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ٢٨١.

والأعيان، وسلمهم إلى الإنجليز بصفتهم أسرى حرب، ثم نفوا إلى جزيرة مالطة سنة ١٣٣٥هـ، وقضى السيد حسين أحمد هناك ثلاث سنوات وشهرين، ثم أُطلق سراحه سنة ١٣٣٨هـ، وعاد إلى الهند وقاد حركة العصيان على الاستعمار الإنجليزي هناك، وكان له دور سياسي عظيم، وسطّر أحداث نفيه في كتابه: «سفرنامة مالطة» باللغة الأردية[١].

وأما الشيخ زاهد بن عمر زاهد (ت ١٣٤٨) فله قصة أخرى، فإنه قبيل بداية الثورة استدعاه الشريف الحسين واستشاره في أمر الخروج والاستقلال عن الدولة العثمانية، فلم يوافقه وأخبره بأنه لم يتأهل لذلك بعد، فغضب الشريف الحسين عليه وخاف الشيخ زاهد على نفسه لما رأى أن الأشراف قد قاربوا دخول المدينة فخرج منها إلى جزر موريس في إفريقيا وتعرف اليوم بـ (موريشيوس)، وهي جزيرة إفريقية في المحيط الهندي قريبة من مدغشقر، ومكث بها الشيخ زاهد ٨ سنوات، ثم عاد في بداية العهد السعودي[٢].

وكان أوفر المهاجرين حظاً أولئك الذين خرجوا إلى معسكرات الشريف حول المدينة، ومع ذلك فقد عانوا معاناة شديدة، وأذكر منهم جماعة الشيخ محمد الطيب الأنصاري التنبكتي فقد قرروا الذهاب إلى معسكر الشريف وذلك بعد أن أخليت المدينة وصارت فراغاً مطبقاً، ومن هذا المعسكر انطلقوا إلى ينبع ثم ركبوا البحر إلى جدة، وأخيراً دخلوا مكة،، ويروي قصة هذه الرحلة الشاقة الشيخ عبد القدوس الأنصاري، وأنقل حكايته على طولها لأنها تصور واقع حالٍ لأهل المدينة وما عانوه من خوف وجوع ومشقة، فيقول:

"وسرت في الشوارع الصغيرة والكبيرة وحدي حتى وصلت إلى محطة السكة الحديدية بأقصى غرب المدينة، فما وقع بصري على إنسان، فخفت من هذا

---

(١) «نزهة الخواطر» ٨: ١٢١٤، و«عقد الزمرد والزبرجد» ص ٢٨١.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة: زاهد عمر زاهد» للدفتردار، مجلة المنهل، سنة ١٣٧٩هـ.



الشيخ زاهد عمر زاهد

(المرجع: فصول من تاريخ المدينة المنورة)



الشيخ عبد القدوس الأنصاري

الفراغ المطبق، وعدت أجري بكل قواي حتى وصلت إلى المنزل فدققت الباب دقاً عنيفاً ففتحوا لي الباب وارتميت مغشياً علي في داخل دهاليز البيت، ثم رشوني بالماء وأفقت بعد لأي، عندئذ قال الشيخ رحمه الله: الآن أصبح من اللزوم السفر إلى مكة، وكان اسمٌ ممنوع الذكر رسمياً، وإنما يقال: الجفر أو الجليجلة[1] آخر مواقع المعسكر العثماني المحافظ على حدود المدينة من ناحية الغرب حيث يربض وراءه في الجفر معسكر الشريف علي بن الحسين الموكول إليه حصار المدينة من هذه الناحية.

وفعلاً اتصل الشيخ في المسجد النبوي بتلميذه البار اليوزباشي العربي السوري عبد الرحمن باشا وكيل فخري باشا، وطلب منه تجهيز أسباب سفرنا إلى الجفر

(١) يعني أن النطق باسم مكة محظور عليهم، وأما الجَفْر فهي قرية صغيرة غرب المدينة المنورة، وتبعد عنها نحو ٣٠ كيلاً، وتتبع إدارياً مركز الفريش، والجليجلة جبل شمال غرب المدينة المنورة. انظر: «معجم معالم الحجاز» ص ٣٦١-٣٦١، ٣٦٩.

للأسباب التي مر ذكر بعضها، وجاؤونا بجمال هزيلة هي أقرب إلى الأشباح منها إلى الجمال، وسلموا كل واحد منا تعييناً من خبز العسكر ومطرية ماء، وركبناها إلى باب العنبرية التي وصلناها بعد المغرب فوجدنا أُسراً من أسر المدينة التي رغبت في النزوح عنها اضطراراً للجوع الضارب أطنابه عليها وعدم وجود القوت، وخرجنا من باب العنبرية وكنا نحو خمسين شخصاً ما بين رجال ونساء وأطفال، ومضت بنا قافلة الجمال الشبحية مثل ركابها تماماً حتى بلغت بنا آخر مضارب عسكر العثمانيين بالجليجلة، فأنزلوا من على الجمال الأشباح، أشباحاً من أشباح الناس مثلها، وقالوا لنا: اذهبوا قُدماً إلى الأمام، ومشيناها خطى كُتبت علينا مشياً وئيداً هلوعاً لأننا ما كنا نعرف المصير، ولا نعرف إلى أين نحن ذاهبون.

وأذكر أن أحد أئمة وخطباء المسجد النبوي من المذهب المالكي نفد ما معه من ماء، فرأى أن يعود إلى معسكر الأتراك، الذي لا يزال قريباً منا جداً، فنصحه الناس بأن يقلع عن رغبته هذه خوفاً على حياته فما سمع، وعاد وكان الليل مقمراً وسرعان ما سمعنا طلقة رصاص فعلم الناس أنها موجهة إليه ولم يعد إلينا، حيث وقف الركْب هنيهة انتظاراً لإيابه والسير معه رحمه الله.

ولقد مضينا في طريقنا قدماً، يلسعنا في بطون أقدامنا شوك السعدان وهو من أشد أنواع الأشواك وقعاً وألماً وقسوة لأن له خمسة رؤوس حادة، وكنت حافي القدمين في سن التاسعة هزيلاً ضامراً من قلة الغذاء أغلب الأعوام الثلاثة الماضية، فلما أصابني بعض شوك السعدان المنتشر في تلك الطريق المهجورة الواقعة بين حدود العثمانيين والهاشميين، آلمني جداً وقعه فوقعت على كفّيّ ونشب في كفي فوقعت على مرفقي، ومن ثم صحت متألماً مستغيثاً، وسرعان ما أقبل تلميذ الشيخ الأثير إلياس رحمه الله وحملني على يديه ونفض ما علق بي من شوك السعدان، ثم أخذ عمامته وقطع منها ما لفه على قدمي، ومن ثم استطعت المشي بدون ألم. فإن شوك السعدان بعدئذ لم يستطع النفوذ من اللفافة إلى قدمي مطلقاً.

وقبيل الفجر وكان القمر متلألئاً في الآفاق، كان بدراً كاملاً، رأى الموكب أو المشاة أن يأخذوا قسط راحة قبل أن يسافروا إلى المجهول المخوف، وتحت أشجار السُّلّم المجاورة إلى الغرب من الجليجلة توقف الموكب، وأخذ كل منهم بعض راحة، في استرخاء عجيب، وأذكر أني كنت أنظر إلى القمر الساطع وأنظر من خلال ضوئه الواديَ المنتشر به السُلّم الذي كنا به، وأذكر أن أفكاراً غريبة مفزعة طرقت ذهني الصغير، من أين؟ وإلى أين؟ وما هو المصير؟ وأين الماء؟ وأذن مؤذن منا للفجر ونهض الموكب بعد الصلاة يقصدون الناحية الغربية ولا يعرفون ماذا يقصدون، وطلعت الشمس حارة قوية الشعاع ملتهبة، ولمح إلياس أشباحاً من بعيد سرعان ما اختفت تحت صخور هنالك، فصاح: إني أرى أشخاصاً مختبئين تحت الصخور تلك، فقلّ مصدقوه، فالأرض موحشة ولا عَريب بها، ثم رأى الناس طيوراً سوداً صغيرة، فقال إلياس: إن الطيور هي طيور الماء لا تكون إلا حيث يوجد الماء، وبينما نحن سائرون على وهن ورهق وهلع، وقد قربنا من الصخور التي أشار إليها الصارخ فإذا برجلين من البادية مرتدين ثياباً بيضاء يقفان ويبرزان من وراء الصخور، وفي أيديهما بندقيتاهما، وقد سمعناهما وهما يصيحان: سلمتم.. سلمتم.

وقد استقبلا الموكب بترحاب كبير، وكان الألم النفسي يلوح على جبينهما من هذا المنظر المزعج الكارب، وقادانا إلى منعطف قريب منا فإذا ببيوت شعر سود وأناس ونعم وحركة نشطة، وأقبل علينا القوم مرحبين وأنزلونا ببيوت شعر أخلوها لنا، وصرخنا كلنا بهم: نرجوكم الماء .. الماء، إننا ظامئون إلى أقصى درجات غليان الظمأ، فطمنونا، وسرعان ما وافونا بالقِرَب الكبار يقطر منها قطرات خلناها قطرات الماء البارد، وأمروا كلا منا أن يفتح كفيه بعد ضمهما إلى بعض، ففعلنا وصبوا عليها مما في القرب، فإذا هو سمن بارد من السمن البري الذي لم نره ولم نسمع به منذ ثلاثة أعوام، فشربنا وشربنا حتى ارتوينا من هذا السمن الذي ظننا لأول مرة أنه ماء بارد، ثم عرفنا فيما بعد أنه سمن حرّي بري عبق أصيل، وبعد الفراغ من الشرب التهبت أحشاؤنا وطلبنا بصفة أشد الماء البارد، ولكن القوم

لسبب صحي خفي علينا حينئذ أجمعوا أمرهم وأصروا أن لا يستجيبوا لرغباتنا مهما يكن إلحاحنا عليهم شديداً، ومكثنا هكذا حتى سالت البطون المحشوة بالكرسنة، وظللنا طيلة نهارنا هكذا في كرب شديد حتى إذا غابت الشمس وبدأت النجوم تتلامع في الآفاق سمعنا حركة مقبلة تتمثل في عشرة أشخاص أشداء يحمل كل خمسة منهم جفنة ذات حلقات مفعمة بالأرز المطهو وذبائح الضأن، تفوح منها رائحة زكية قبل وصولهم إلينا ثم جاء بعدهم مثلهم، ونصبوا الجفان أمام كل جمع، فأكلنا تلك الليلة ألذ أكل طعمناه، وجاؤوا بالقرب الكبيرة الملأى بالمياه الباردة وملؤوا الزبادي البِيض المدهونة الملونة الكبار بذلك الماء وصرنا نشرب ونشرب ونأكل ونأكل حتى لم نستبْق مكاناً في بطوننا لأكل أو شرب، ولم نرتح تلك الليلة لهذا الانقلاب المفاجئ في نظام معيشتنا وقد صدمت بطوننا بالسمن واللحم فأسهلت، وأسهلت، وعند الصباح حمد القوم السرى»[١].

وممن ذهب إلى مكة المعلم محمد بن عيسى بن عبد الوهاب صفرجي ووالدته وأخته في قصة مأساوية، حيث خرجوا مع الركب قاصدين مكة وكان الطريق مليئاً بالعساكر فاضطر الركب إلى التمويه فأخذ طريقاً آخر إلى الفريش، وعانوا الجوع الشديد والمسغبة والظمأ، حتى أنهم وجدوا بقايا أحد الجمال الميتة فقطعوا ما يسد جوعهم وأكلوه. ولما وصلوا إلى ينبع ركبوا في قارب (ساعية) إلى جدة واستغرقت الرحلة عشرين يوماً، حيث تاهوا في البحر ونفد ما لديهم من المؤونة، وأيقنوا بالهلاك فأخذ كبار السن يستغيثون بالله ويكبرون ومعهم رجل صالح يعرف بالشريف المحجوبي فرفع يديه إلى السماء يبتهل بصوت شجي ومؤثر، وطلب من الجميع الاستغفار والإلحاح على الله في الدعاء بأن ينجيهم من هذا الكرب، فما هو إلا قليل حتى لاحت لهم معالم جدة، فوصلوها واتجهوا منها إلى مكة[٢].

---

(١) «ذكريات غير منسية»، عبد القدوس الأنصاري، مجلة المنهل، جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨، ص ٥٤٥- ٥٤٧.

(٢) «طيبة وذكريات الأحبة» ٢: ١٣٣-١٣٤.

وروى الشريف العياشي قصة خروجهم من المدينة في «مذكراته»، قال: "وذات يوم غاب والدي، وكانت الحكومة تهد الأبنية التي في غرب المسجد النبوي بدءاً من المدرسة المحمودية حتى الخزينة وما في شمال المسجد وما في شرقيّه وجنوبيّه. جاء العصر ثم المغرب وخرجت الناس من صلاة العشاء ولم يأت والدنا فدخلْت وأختي بدور في أحد دكاكين الهدميات، والخوف والجوع والطفولة كل هؤلاء يوجه سهام الإرجاف إلينا مع الصراخ ولا مغيث.

كان أحد الجيران المدعو أحمد حنيني ساهراً في جمعية وعاد يريد داره، وسمع صراخي وأختي فأخذنا إلى بيته، وفيه زوجته وأولاد لهما، فأطعمنا وأنامنا، وفي الصباح سرّحنا، وبعد الظهيرة جاء والدي إلى الدار ونحن نصرخ، ودخل الدار ونحن معه، وأخذ شيئاً من الدار ثم خرج ونحن بصحبته إلى باب الشامي عند بِركة الحج في مضرب سبيل الأسعدية، فإذا هناك رجل معه حماران، ركب أبي واحد وأخذ أختي معه، وركب الرجل الحمار الآخر وأردفني وراءه. كانت الرحلة على الحمارين بعد الظهر إلى بستان لنا عقاره، وكان فيه على ما أعتقد رشيد السراني أو أحد القرافى، وعند المغرب كنا في سطح الغرفة وقدم إلينا شيئاً من شوربة الدشيشة كانت ألذ عندي من أكل ذبيحة مشوية.

وفي اليومّ الثاني، كان أحد البدو الذي تعاقد معهم الوالد يحضر جملاً، ركب عليه الوالد وكنت خلفه وأختي بدور أمامه، وذهبنا من الجرف إلى الجفر ومنها إلى الفريش، حيث كانت رحبة الفريش أشبه بعرفات إلا أن عرفات فيها خيام وهذه ما فيها إلا العراء، ولا تسمع إلا صريخ الأطفال وعويل النساء، لا فراش ولا غطاء ولا مؤونة إلا ما حمله أولئك على ظهورهم، وكان في المساء يوزع الأرز البريص (الشلب) المطبوخ واللحم بوفرة على الناس كلهم تقريباً.

وجاء أبي بجمل فركب وركبتُ خلفه وركبتْ أختي في حجره، ولا أدري كيف وصلنا إلى الينبع، ولا أدري كيف وصلنا إلى مكة، ولكن والدي عليه رحمة

الله قد تخرّقت ضلوعه ومرض أشد المرض، وأصبحنا نعيش على ما توزعه التكية المصرية، شوربة أرز مصري وخبزتين لكل واحد»[١].

وممن خرج إلى ينبع أسرة الأستاذ محمد حسين زيدان في رحلة مرهقة، وذلك بعد أن اشتد القبض على الناس وإجلاؤهم خرج والده حسين زيدان في غفلة من الناس بعد أن جهز له قريبه ناقة مع دليل وراء حوش القشاشي، واتجه إلى الحائط فالحويط فخيبر[٢]. وهنا انتبه إلى أنه ترك أهله في المدينة، فقرر العودة مرة أخرى وذهب إلى محطة القطار (هدية) بالقرب من خيبر، وانسل في آخر عربة وفتح الباب خلسة وكمن في أكياس القمح المرسلة إلى فخري باشا وجنوده، حتى إذا وصل إلى قرب محطة العنبرية فتح الباب وفي يديه عكتا سمن فقفز من القطار، وذهب إلى مزرعته (بلاده) القاضية[٣] وتسلل إلى المدينة حتى وصل بيته، وأخذ أهله إلى الجرف واستأجر جملاً، ومنه إلى الضرسية[٤] فالفريش ومن هناك اتجه إلى ينبع البحر[٥].

وأيضاً بعض أفراد بيت بالي، مثل إبراهيم بن سالم بالي وأخيه أبي بكر مع أمهم أم السعد صويغ، خرجوا إلى الحائط، وذهبوا إلى ينبع وركبوا مركباً انقلب بهم هناك فأكلت أسماك القرش أبا بكر، ونجا البقية في حادثة مأساوية رواها لي الأستاذ عبد العزيز بن إبراهيم بالي رحمه الله.

---

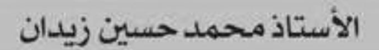
(١) «مذكرات الشريف إبراهيم العياشي»، مخطوطة.

(٢) الحائط هي الشهيرة تاريخياً باسم (فَدَك)، وتقع شرقي مدينة خيبر، وتتبع الآن إدارياً منطقة حائل في الجنوب الغربي منها، وأما الحويّط فقرية جنوب الحائط. «معجم معالم الحجاز» ص ٣٩٧، ٥١٨.

(٣) درج أهل المدينة على تسمية المزرعة أو البستان باسم: بِلاد بالجمع، والقاضيّة هي اسم المزرعة نسبة إلى بيت القاضي.

(٤) شعبة تصب في وادي مخيط من الغرب، وتجتمع مع المبروكية قبيل سكة الحديد. «معجم معالم الحجاز» ص ١٠٣٢.

(٥) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٩، ١٠٠.





وأخبرني السيد أحمد بن محمد بن حمزة البيتي أمد الله في عمره في منزله في ٤ ذي القعدة سنة ١٤٣٧هـ قصة هجرة أهله المؤلمة، فإنه لما صدر أمر التهجير خرج جده السيد حمزة بن حسن البيتي إلى بلدة الحائط، واصطحب معه أبناءه محمد وهاشم وسلمى، وولد لمحمد ابنه بكر في الحائط، وكان يصحبهم في هذه الرحلة عدة أسر منهم: صالح ومصطفى ابنا أمين خشيم، ومصطفى أبو الطاهر، وأسعد[1] وعارف وحمزة أبناء صالح سمان، وغيرهم. ثم انتقلوا من الحائط إلى القصيم فالوجه ثم ينبع، ومن ينبع ركبوا قارباً متجهين إلى جدة واصطدموا ببعض الشعب المرجانية مما أدى إلى تحطم القارب، وغرق العديد منهم مثل هاشم وحمزة سمان وأختهما، وقد استطاع أسعد أن ينقذ من أمكنه إنقاذهم ووضعهم فوق جزء من اليابسة المرجانية في وسط البحر، وأخذ النساء يبكين والرجال يستغيثون وقد فقدوا جميع صكوكهم وأموالهم التي اصطحبوها معهم، حتى مرّ قارب يقوده خواجة نصراني فنادوا عليه كي يوصلهم إلى جدة، فأبى إلا بمقابل

(١) توفي سنة ١٣٨٤هـ، وهو والد الشيخ الصالح محمد سعيد بن أسعد بن صالح سمان الذي وافته منيّته في شهر ربيع الآخر سنة ١٤٢٧هـ، رحمه الله تعالى.

مادي، فنزع النساء ما يملكنه من مصاغ ذهبية في أذرعتهم من بناجر وخواتم وحلي، حتى وصلوا إلى ميناء جدة. وهناك تلقّف أخبارهم الوجيه النبيل أحمد بن عبد الرحمن باعشن، وكان رجلاً محباً لأهل المدينة وقد كلّف أحد أتباعه بتتبع أخبار من يأتي الميناء من أهالي المدينة، فأبلغه بوصول هذه الأسر، فاستضافهم في داره حتى سُلمت المدينة وحملهم بالجمال والمؤونة إلى المدينة مرة أخرى.

وممن عانى من ركوب البحر آل أبو خضير، فقد خرج الشيخ عبد الحي بن عبد الرحمن أبو خضير (ت ١٣٨٠) مع جماعة من أسر المدينة متجهين إلى بلدة رابغ، فلما وصلوها ركبوا البحر قاصدين جدة فاصطدمت السفينة بإحدى صخور البحر فتحطمت وغرقت وغرق أكثر ركابها، وكادت تزهق روحه لولا تعلقه بخشبة في عرض البحر كانت سبب نجاته، وفقد جميع متاعه في البحر، وما زال كذلك حتى مرت سفينة أخرى فالتقطته وأوصلته إلى جدة لا يملك شيئاً، وتوجه من هناك إلى الطائف ومكث بها حتى تسليم المدينة المنورة[١].

وروى الصيرفي كذلك شيئاً من مأساة الذين خرجوا، وأخبر بأن منطقة قريبة من القطار توفي فيها قرابة (٢٠٠) شخص من أهل المدينة من شدة العطش، بعضهم من آل جمل الليل، ولم يكن بينهم وبين الماء سوى أكمة واحدة! [٢].

ومن الأسر والبيوتات[٣] التي خرجت إلى تركيا أسرة الشيخ محمد سعيد بن صالح مدرس ومعه ابن أخته أحمد ثروت، وسكنوا في قونية ثم إسطنبول،

---

(١) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عبد الحي بن عبد الرحمن أبو خضير»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٢) «حكاية حسن صيرفي» ص ٤١، ويظهر لي أن هذا العدد مبالغ فيه، إذ يستبعد أن يتوفى جماعة بهذا الحجم في وقت واحد بسبب واحد في مكان واحد إلا إذا كان بوباء أو قتل.

(٣) أخذت أخبار هذه الأسر من مصادر مختلفة بعضها شفاهاً من الأسر ومما هو متفرق في بطون المقالات والكتب.

وكذلك الشيخ حسونة بن علي البسطي رحل إلى أدرنة، وأيضاً السيد جعفر بن حمزة جعفر كان ممن خرج إلى تركيا.

وأما أمين مكتبة عارف حكمت الشيخ المقرئ حسن بن محمود الأكنلي (ت ١٣٧٧هـ)، فهاجر إلى الشام ثم انتقل إلى أضنة بالأناضول، وعمل إماماً في (أولو جامع) ومكث ثلاث سنوات هناك ثم عاد بعد أن انتهت الحرب[١].

وهناك بعض المحظوظين ممن وجدوا عناية في الترحيل كما حصل مع فاطمة بنت حسين بن يحيى العقبي، فإن أسرتها كانت من جيران بصري باشا وكانت بينهم علاقة حسنة، ولما اشتدت عملية التهجير استأذن بصري باشا والدها أن يصطحبها معه وكانت صغيرة، فأذن له وأخذها لما خرج بصري من المدينة وأرسلها إلى إسطنبول، وبقيت هناك ولم ترجع، بل زوّجها هناك من رجل تركي وأنجبت له أولاداً، وقد حدثني أخوها الدكتور أحمد أنه زارها في إسطنبول ووجدها تتحدث التركية ولم تعرفه.

وممن رحل إلى الأردن يعقوب بن يوسف عفيفي حيث قفز من القطار وهرب إلى عمّان، وكذلك بيت أبو عوف.

وممن سافر إلى الهند السيد عبد الحق وابنه عبد القادر، وعبد الله شيرة، والسيد عبد الكريم بن حسن حافظ، والشيخ عبد العليم الهندي، والريس حمزة بن عبد الله الكردي وغيرهم. ورحل سليمان بن علي الكردي إلى بنغلاديش، وما أعاده إلا أخوه عبد الحميد.

وكذلك قائد القطار محبوب علي بن فضل حسين، فقد لحق بأبيه وأخته وابنته إلى حيدر آباد الدكن بالهند في أواخر عهد فخري باشا بعد أن تعطل القطار.

وذهب السيد جعفر بن حسين هاشم مع أسرته إلى فلسطين، ذكر ذلك حفيده

---

(١) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ حسن بن محمود الأكنلي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.



السيد جعفر هاشم

(المرجع: طيبة وذكريات الأحبة)

السيد هاني[١] لكن رأيت بخط ابنه السيد إبراهيم على طرة دفتره الذي كتبه في أسماء الأئمة والخطباء، قال: "باشرت الخطبة فوق المنبر الشريف النبوي يوم الجمعة ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٧هـ وهي أول مباشرة لي ولله الحمد والمنّة بعد أن رجعت من حلب سالماً. إبراهيم هاشم الحسيني"[٢]، وهذا يدل على أنهم انتقلوا إلى حلب.

وممن انتقل إلى الفلبين السيد بكر بن منصور البديري، وأعقب ذرية هناك.

كما خرج جماعة من بيت العقبي إلى الجزائر منهم حسين وإبراهيم ابنا الشيخ صادق العقبي بأسرتهما، وهما من أعمام الشيخ حسن الصيرفي[٣].

وممن خرج إلى ينبع أسرة عبد الله بن محسن زارع، وبيت الشربيني، وبيت أبو طربوش، وأسرة إبراهيم حسوبة، والشيخ عبد الغني مشرف ولم يعد إلى المدينة إلا سنة ١٣٥٨هـ.

---

(١) «طيبة وذكريات الأحبة» ٣: ٣٢٢.

(٢) «أسماء الخطباء والأئمة المباشرين للخطابة والإمامة بمسجد سيد المرسلين»، مخطوط بخزانة آل هاشم.

(٣) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

ومن خرج إلى مكة بيت طاهر، وأسرة الشيخ محمد الطيب التنبكتي ومعه أسرة الشيخ عبد القدوس الأنصاري، والسادة آل صقر، وآل الصفرجي، وبيت البيجاوي، والشيخ علي بن عبد الله الطيب، والشيخ محمود عبد الجواد، والشريفان عبد المطلب وماجد ابنا هاشم الدعيس.

ومن رحل إلى جدة أسرة محمد بن سليمان طه ولم يعودوا إلا في عهد الملك عبد العزيز، وأيضاً بيت السمان، والبيتي، وأبو الطاهر.

وأما السادة آل رضوان فقد ذهبوا إلى الواسطة بوادي الصفراء عند حلفائهم من قبيلة حرب، إلا أن المنطقة كانت وبيئة، وطال الحصار فقرروا الذهاب إلى بلدة بدر ومنها إلى مكة ووصلوها في رمضان سنة ١٣٣٥هـ[١]، ثم عادت الأسرة إلى المدينة عدا أبناء السيد محمد أمين رضوان الذين آثروا البقاء في مكة وما زالوا إلى يومنا هذا، وأما السيد عباس بن محمد رضوان فقد رحل إلى مصر[٢].

ومن رحل إلى الحناكية بعض آل الخريجي، والشيخ بشير بن محمد العقبي جد آل بشير(صاحب الكتّاب)، وبيت عباس ولهم في ذلك قصة، فقد روى لي الأستاذ أحمد بن عبد الحميد بن أحمد بن إبراهيم عباس حفظه الله يوم الخميس ١٢ جمادى الأولى سنة ١٤٣٨هـ في مجلس أسرته الشهير بالعباسية، أن فخري باشا صعد على منارة قباء لينظر بالدربيل[٣] جهة المزارع، ورأى بعض البدو من مناصري الشريف وقد دخلوا في مزرعة جده أحمد بن إبراهيم عباس (ت ١٣٠٠)[٤] الشهيرة

---

(١) «سير وتراجم» ص ٢٩٠.

(٢) من رواية السيد شهاب بن أحمد بن محمد رضوان رحمه الله في داره يوم الثلاثاء ٢٠ محرم ١٤٣٤هـ. وقد توفي رحمه الله أثناء طبع هذا الكتاب في يوم الثلاثاء ١٧ شوال سنة ١٤٣٨هـ.

(٣) هو المنظار، وأصل هذه الكلمة من الفارسية (دُوربين)، وهي مكونة من كلمتين فارسيتين: (دور) بمعنى بعيد، و(بين) أي الناظر. «معجم الدخيل» ص ١٠٤.

(٤) وهو والد الشيخ الصالح الجليل عبد الحميد عباس الذي أسس مجلس العباسية، والمتوفى سنة ١٤٠٨هـ.

بالعباسية، فظن فخري أن الشيخ أحمد متعاون مع الأشراف وسلّط جنوده على المزرعة، فغضب الشيخ أحمد، وخرج مع أهله عن طريق المغيسلة[1] حتى وصلوا إلى الحناكية.

ورحل الشيخ حسن ومحمد ابنا خير الدين بن مصطفى إلياس مع أسرتهما إلى بدر[2]. أما العلا فكانت من نصيب السيد سالم بن أحمد خليفة ولم يكن من ضمن الذين هاجروا بسبب الحادثة وإنما أرسله بصري باشا إليها قاضياً فيها بقرار يقصد به التأديب بسبب وشاية ضده[3].

كما كانت بلاد نجد والقصيم محط رِحال كثير من الأسر المدينية، فمن أولئك التاجران الشهيران عبد العزيز بن عبد الله الخريجي وابن أخته محمد بن عبد الكريم الخريجي، فقد نزحا إلى القصيم وعنيزة هي بلدهم الأساس، وتعاطيا التجارة بين القصيم وجيش الأشراف[4].

وممن نزح إلى نجد أيضاً الأستاذ سليمان بن إبراهيم سمان وذلك بصحبة خاله محمود سمان حيث نزلوا عند جماعة الملك عبد العزيز[5]، وكذلك بيت أبو الفرج ومنهم حمزة بن جلال بن عمر أبو الفرج، وبيت المسلّم ومنهم عبد الله بن محمد المسلم ومعه أسرته وابنه حليت، ورجل من بيت الميمان[6]، والشيخ صالح بن

---

(١) هي الآن حي من أحياء المدينة المنورة، في الجهة الجنوبية من مبنى إمارة المدينة المنورة الحالي، وكانت في العهد النبوي جزءاً من منازل بني دينار من بني النجار الأنصاريين.

(٢) من رواية الشيخ خير الدين بن حسن بن خير الدين إلياس حفظه الله في منزله يوم الثلاثاء ٢١ ربيع الثاني ١٤٣٦هـ.

(٣) «من أعلام المدينة المنورة، السيد سالم بن محمد خليفة»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٤) «في جوانب من تاريخ المدينة المنورة في العهد السعودي» ص: ي.

(٥) «طيبة وذكريات الأحبة» ٢ : ٢٥٨.

(٦) «رسالة من أمير عنيزة السابق عبد العزيز بن عبد الله السليم إلى الملك عبد العزيز آل


التاجر عبد العزيز الخريجي
(المرجع: طيبة وذكريات الأحبة)


الشيخ حليت مسلّم
(المرجع: النخيل بين العلم والتجربة)

عبد الله الزغيبي[1] وغيرهم.

وللشيخ حليت بن عبد الله المسلم كلمات لطيفة حول ما لاقوه من حفاوة وتقدير لدى أهل عنيزة، قال رحمه الله: "هذه المحنة مرت على أهل المدينة من غير استثناء، وكان من حسن الحظ أن والدي حين أرغم على الخروج من المدينة، اختار عنيزة مكاناً للإقامة فيها، وتوجه بنا إليها، فلقينا من أهلها صدوراً رحبة، ووجوهاً مسفرة، وكرم الضيافة، وحسن الجوار، فكان والدي رحمه الله يذكرهم في مجالسه بالثناء العاطر، ويتمثل بقول النابغة الجعدي رحمه الله:

بشاشة وجه المرء خير من القِرى فكيف بمن يأتي به وهو باسم

سعود، مؤرخة في ٩ ذي القعدة سنة ١٣٣٧هـ»، أمدني بصورتها أخي الأستاذ خالد بن سليمان الخويطر، بارك الله فيه ونفع به.

(١) روى ذلك ابن أخيه الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الزغيبي في خوخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الحرم النبوي الشريف سنة ١٤٢٥هـ، وتوفي رحمه الله في شعبان سنة ١٤٣٦هـ.

ولم يكن ذلك حظنا وحدنا، بل هو حظ جميع المدنيين الذين ساقتهم الأقدار السعيدة إلى عنيزة، ليكونوا كما قال المثل: (عند أهل ومرقد سهل)، فترة دامت أكثر من ثلاث سنوات وهم على (ماها ومرعاها).

ثم منّ الله على المدينة وأهلها بالسلم والسلام، فغادروا عنيزة إلى المدينة المنورة مودعين بمثل ما استقبلوا به من حفاوة وإكرام.

فأنا أذكر هذا الجميل لأهل عنيزة، لأن طفولتي ترعرعت بينهم، على أرضهم وتحت سمائهم، وصحيح أني كنت صغيراً يومها لا أميز الأمور، ولا أدرك الحقائق، ولكن سمعي كان مطرقاً لما يقوله والدي وأعمامي، فورثت عنهم ما وعيت من ولاءٍ لأهل عنيزة، وثناء عليهم، وعرفان لفضلهم، مردداً فيهم قول القائل:

فما كان من خيرٍ أتوه فإنما ... توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطّي إلا وشيجه ... وتغرس إلا في منابتها النخل"[1]

وأما بيت القين فقد أرسلهم الشيخ محمد بن علي القين (ت ١٣٣٨) الذي بقي في المدينة مع ابنه الأكبر عقيل، فاتجه إلى الحناكية قاصداً القصيم فاعترضه الشريف جدوع وكان أمير الحناكية من قِبل الأشراف، فسجن عقيلاً انتقاماً من خاله ذياب ناصر لما بينه وبين الأشراف من عداء مستحكم، ولما علم ذلك الشيخ علي الملحس وهو أحد مشايخ حرب وكان صديقاً للشيخ محمد القين، تسبب في إطلاق عقيل على أن يتوجه إلى الشريف علي في الفريش، ففعل ومكث بأسرته هناك حتى توفيت والدته ودفنت بها، فاتجه إلى أبو ضباع فسكنها طيلة حكم الأشراف حتى سُلمت المدينة للملك عبد العزيز[2].

كما أن كثيراً من النخاولة نزحوا إلى خيبر، ويذكرون أن فخري أمر بترحيل خمسين امرأة منهم وأُنزلن في خيبر، ولم يعد منهن إلا عشرون، أما الأخريات

---

(١) «النخيل بين العلم والتجربة» ص ١٥٤- ١٥٦.

(٢) «ترجمة موجزة عن حياة محمد القين وأبنائه» مخطوط.


الشيخ يوسف النبهاني


الشيخ عبد الله بن محمد القين
(المرجع: أمدني بها الصديق ريان القين)

فلا يُعرف عنهن شيءٌ. وبعض النخاولة رحلوا إلى تركيا مثل عبد الهادي الصاوي كما تحول بعضهم إلى إيران[1].

وممن خرج من العلماء المجاورين ولم يعد، العلامة الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني الذي عُزل من وظيفته في القضاء في بيروت، وقدم المدينة المنورة، ويظهر والله أعلم أنه نُفي[2] إلى المدينة المنورة سنة ١٣٢٧هـ حيث رفع عليه النصارى قضية بسبب قصيدته التي رد عليهم فيها والمعروفة بـ (الرائية الكبرى)،

(١) «عوالي المدينة المنورة والإبادة الجماعية لفخري والدويش» مخطوط.

(٢) الملاحَظ في تاريخ المدينة أنها قد اتُّخذت منفى من قبل الحكومة ينفون إليها بعض السياسيين، وبعض الأغوات والنساء المبعدين من إسطنبول، وذلك لخصوصيتها الدينية وعزلتها عن أماكن الأحداث السياسية، وممن نُفي إليها: الشيخ غازي محمد بن الإمام شامل الداغستاني. وقد نص على ذلك الشيخ عبد الرشيد إبراهيم في سيرته: «حياتي» ص ١٥٧-١٥٨، والعقيد عبد العزيز دولتشين الروسي في رحلته: «الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين إلى الحجاز» ص ٢٢١.

وجاء الأمر بحبسه، فسجنه محافظ المدينة بصري باشا في سجن القلعة، لكنه ترك له الحرّية احتراماً لعلمه، فكان يخرج من السجن ليصلي الصلوات الخمس ويزور ويزار، ومكث على هذا مدة ثم أطلق سراحه[١].

القصيدة العُمريّة:

وقد أحسن الشاعر محمد بن أحمد العُمري في تصويره لحال أهل المدينة الذين أخرجوا منها في قصيدته الشهيرة التي كانت تنشد في المجالس المدينية، ومن أشهر من أنشدها السيد حسين بن إدريس هاشم (ت ١٣٩٨هـ) بصوته الجميل، قال العمري[٢]:

دارَ الهدى خف منك الأهلُ والسكنُ ... واستفرغتْ جهدَها في ربعها المحنُ
عفا المصلى إلى سلع إلى أحد ... والحرتان ومرأى أرضها الحسنُ
أهوى العقيقُ إلى الجمّا إلى جُشَم ... إلى قباء التي يحيى بها الشجنُ
منازل شب فيها الدين واكتملت ... آياته فاستعارت نورها المدن
لأي أرض يُشد الرحلُ بعدكِ يا ... دارَ الرسالة أو يُثوى به سكن
أبعد روضتها الفيحا وقبتها الـ ... خضراء يحلو بعينيْ مسلمٍ وطن؟
ما غوطةُ الشام؟ ما نهر الأبلّة؟ ما ... حمراءُ غرناطةٍ؟ ما مصرُ؟ ما اليمن؟
منازلٌ نفحت بالطيب واكتملتْ ... بالنور يأوي لها الفرقانُ والسنن
ما كنتُ أعرف ما للشوقِ من أثرٍ ... حتى ترحّل بي عن ربعها البدن
يا راكباً حمّلت شوقاً مطيته ... نضواً تغوّله الأحزانُ والشجن
قد أرغم الدهرُ أنفي إذ أفارقها ... مروّعاً قد جفاني النوم والوسن
كأنني طائرٌ قُصت قوادمه ... فراحَ يحجلُ لا عشٌ ولا وكنُ

---

(١) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ٢٦٦، و«سيدي ضياء الدين أحمد القادري» بالأردو، ١: ٢٩٦.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ محمد العمري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، رجب سنة ١٣٧٩هـ.

يـا أهـل طيبـة والآلامُ عاصفة والناعياتُ يبكّين الأولى دُفنوا
عودوا إلى الله علّ الله يسـعفُكم من فتنة دونها الأهوال والفتنُ
وأخلصـوا توبـة لله صادقـةً إن القبول بعفو الله مرتهن
ثم الصلاة على الهـادي وعترته ماقِيمتِ الصلواتُ الخمسُ والسنن

وحدثني شيخنا الأستاذ حسن الصيرفي، قال: أنشد الشيخ حامد شحاتة المدني وهو يساق إلى محطة القطار بصوته الحسن بالعامية المدينية:

يـا طيبـة كنـتِ عـروس وكـان البـين نايِبْكي
زعّـق عليكِ غـراب البين ونـقّـا مـطـايِـبْـكـي
يـا دنيـا عليـك الشـوم يـا مكـتـر مصايبْكي
مـن ضحـك فيـك يـوم ولاّ بـاسـمـاً يـبْـكـي
الطفـل فيـكِ شـاب والـلـي مـا حبى يِبكي

أعمال فخري باشا في المدينة :

ومن العجيب حقاً أن فخري باشا كان يعيش في المدينة كأن كل هذا الحصار لم يؤثر فيها، وكأنما كان متيقناً النصر، فقام بالعديد من الإصلاحات والتعمير، أراد بذلك أن يثبت للأعداء أنه باقٍ في المدينة ولن يستسلم مهما حصل، وفي ذلك يقول قاندمير: "وفخري باشا منذ قدومه إلى المدينة وهو مهتمٌ بالمشاريع وافتتاح الطرق وتوسيع الميادين وتنظيم المساحات الخضراء، ويجمع لذلك أهل المدينة ويحتفل معهم، ويغني ويشارك العمال الفقراء، يريد أن يثبت للأعداء أنه لن يترك المدينة لأحد ولن يغادرها"[1].

ويذكر كجمان والصيرفي كلاهما أن تشغيل الجنود وأهالي المدينة المنورة كان بغرض إشغالهم عن الشائعات وإبعادهم عن الفراغ![2].

(1) *Kandemir, p. 161.*

(٢) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط، *Kiciman, p. 265* .



فخري باشا وهو يشارك في عملية إعمار المدينة

المرجع: *Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, (Feridun kandemir*

وأياً يكن الأمر فإن فخري قام بالكثير من الأعمال والإعمار خلال الأربع سنوات التي قضاها في المدينة، ومنها تأسيس مصنع للثلج في المدينة والبدء في توزيع إنتاجه، بغية التبريد لما عانوه من حرارة المدينة الشديدة، وكان الماء المثلج متوافراً بين الجنود، ويعملون منه مثلجات وآيسكريم(١).

ومن أوامر فخري باشا التشديد في إغلاق الدكاكين والمحلات وقت صلاة الجمعة، ومنع تسكع الناس قبيل الصلاة في الشوارع، ومنع تدخين السجائر والأرجيلة داخل السور الداخلي للمدينة المنورة، وأصدر أمراً بذلك جاء فيه:

"راعني أن كل الدكاكين كانت مفتوحة ومستمرة في عملية البيع يوم الجمعة الماضي وقت الصلاة، وقد أصدرت الأوامر اللازمة لرئاسة البلدية للقضاء على

---

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ٨٦، ٩٦. *Kiciman, p. 105*.



احتفال للمدنيين والوحدات العسكرية في مراسم دينية وفي الصورة فخري باشا وعلي حيدر باشا

(المرجع: Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir)

هذه الظاهرة القبيحة وإغلاق الدكاكين وقت الصلاة، وقد منعت منعاً قطعياً تسكع الأفراد في الشوارع قبيل وقت الصلاة واستنفادهم الوقت في البيع والشراء أمام الدكاكين. وإنني لفت نظر قيادة الموقع بهذا الشأن، كما أوصيت بعدم تدخين رعاع الناس السجائر والنرجيلة[١] في الشوارع، في منطقة السور الداخلي القريب جداً من الحرم النبوي الشريف، وسوف تتصدى قيادات الشرطة والبلدية لكل من يضبط مخالفاً لتلك الأوامر"[٢].

ولما اشتدّ الحصار استغلّ ذلك بعض المخرّبين فحصلت حوادث قتلٍ وسرقة في بعض شوارع المدينة وبيوتها وبساتينها، فاتخذ فخري باشا تدابيراً صارمة

(١) نارَجيلة بفتح الراء، هي المعروفة اليوم بالمُعسِّل أو الشيشة أو الأرجيلة، مستمدة من (نارَجيل) بالجيم المعقودة، وأصلها كلمة فارسية تعني: جوز الهند. «معجم الدخيل» ص ٢٠٩.

(٢) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» كاشف كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٩٨.

حول ذلك، وفرض حظر تجوّل لأي شخص بقي في المدينة من الجنود أو الأهالي ابتداءً من ٩ مايو ١٣٣٤ رومي= ١٠ شعبان ١٣٣٦هـ، فلا يخرجون بعد الظهر ولا يجولون بين المحلات سوى الدوريات المسلّحة، وتمت مكافحة هذه الاضطرابات الداخلية المخلة بالأمن(١).

ويبدو أن بعض المعارك قد أدت بفخري إلى تخريب بعض الآثار، فقد ذكر الشيخ عبد القدوس الأنصاري أنه زار حصن كعب بن الأشرف النبهاني نسباً اليهودي خؤولة سنة ١٣٤٧هـ ورأى مواطن الخراب الذي أحدثه فخري باشا في الحصن(٢).

توسعة المسجد النبوي الشريف وهدم ما حوله:

وخطر لفخري باشا أن يقوم بإعمار المدينة المنورة، وإشغال جنوده عن الشائعات، فإن الحوادث الصغيرة كانت تسري بينهم فلا تمكث مدة حتى يُسمع صداها في أنحاء المدينة، وذلك بسبب ارتباطه الوثيق بمركز الهاتف واللاسلكي، فأراد فخري باشا أن يزرع فيهم الثقة بأنهم باقون في المدينة، وأن مشاريع التعمير كافية في غرس هذا المعنى في نفوسهم، فأنشأ مجموعة تدعى بسريّة الاستحكام، وظيفتها العناية بشق الطرق وتنظيم الشوارع(٣).

ولما كانت مشاريع الإعمار تتطلب هدماً وتدميراً، فقد أثار الرأي الآخر مسألة الهدميات على أنها تخريب متعمد(٤)، ويرد على ذلك تقرير من العميد صادق بك يحيى مؤرخ في ٩ جمادى الأولى سنة ١٣٣٧هـ، يقول فيه:

---

(1) Kiciman, p. 170.

(٢) «آثار المدينة المنورة» ص ٦٥.

(3) Kiciman, p. 265.

(٤) انظر مثال ذلك في: «جريدة القبلة» ع ٥٧، ص ٢.

"لم يأمر فخري باشا بتدمير أي مكان أو أخذ أي شيء للأغراض العسكرية بدون صدور قرارات من اللجان الخاصة التي عينها لهذه الغاية.

لقد اعتاد أن يصدر الأوامر إلى اللجان بتثمين أي مكان يلزم تدميره، وتقوم اللجنة بعد تعيين الثمن بإعلان إشعار رسمي على جدار البناية يبيّن الثمن ومنح المالك مدة (٨) أيام لتقديم الاستئناف. واتبعت الإجراءات نفسها سواء كان المالك في المدينة أم لا. وكل ملّاكي المباني التي دمّرتها الحكومة تسلموا رسميّاً أثمان مبانيهم من المحكمة الشرعية ورئيس مجلس بنايات البلدة. كل القضايا مسجلة في جداول رسمية. كان أعضاء لجنة تقدير الأثمان الأشخاص الآتي ذكرهم:

الشيخ عثمان الحوكي[١] (ملّاك)، إبراهيم بدوي (شيخ البنائين)، محمود درويش (مهندس البلدية)، مصطفى امبوشاه؟ (ملّاك)، نزير[٢] خاشقجي (ملّاك).

وحلف المذكورون أعلاه اليمين الشرعية أمام قاضي المحكمة عند تعيينهم"[٣].

وكان من أهم المشاريع المقرر إنشاؤها هو توسيع الحرم النبوي الشريف مسافة (٤٠) متراً وقيل: (٥٠٠) متر[٤]، وقد خصصت الحكومة العثمانية مبلغ (١٥٠٠٠) ليرة عثمانية[٥].

---

(١) ورد اسمه في المصدر هكذا: عثمان الحقي، والصحيح في اسمه عثمان الحوكي، وهو رجل تونسي من كبار المبرّزين هناك، هاجر إلى المدينة بأسرته وسكن في الساحة، وأقامه فخري باشا رئيس الهيئة التي تقدر قيمة الأملاك التي ستهدم لفتح شارع العينية، ثم رحل إلى الشام وعاد، وتوفي سنة ١٣٣٩هـ، وله ابن أديب اسمه: حمادي. انظر: «من أعلام المدينة المنورة: الشيخ عبد الحق رفاقت علي»، محمد سعيد دفتردار، سنة ١٣٨٦، ص ١٣٢٠.

(٢) ورد اسمه في المصدر هكذا: نظير، وهذا حسب نطقه لها، واسمه الحقيقي نزيل الكرام خاشقجي، لكن أهل المدينة يختصرون اسمه فيقولون: نزير كما هو متعارف عليه في لهجتهم.

(٣) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤: ٣٣٨- ٣٣٩.

(٤) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٣٤٠.

(5) *Kandemir, p. 62.*

فعمد فخري باشا في هذه المدة سنة ١٣٣٥هـ بناءً على الأوامر من إسطنبول[١]، إلى الذين مكثوا في المدينة المنورة من الأهالي مع العساكر من سريّة الاستحكام فقام بتشغيلهم لأمور التوسعة، وأمر بهدم المنطقة الممتدة من باب الرحمة إلى باب السلام ولم يبق منها إلا المحمودية والبيت الذي فوقه منارة باب الرحمة[٢]، وجاء في جريدة القبلة التابعة للهاشميين بتاريخ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ، هذا الخبر: "يبتدئ تخريب المتغلبين[٣] للمدارس التي حول الحرم النبوي الشريف من المدرسة المحمودية إلى حدود دار الضيافة والشرشورة[٤] إلى حد زاوية السمان، وفي كل يومين أو ثلاثة يبيعون أنقاض هذه المباني من أحجار وأخشاب بالمزاد العلني"[٥].

يقول الشريف العياشي في مسودة كتابه المخطوط «المدينة بين الماضي والحاضر» وهو غير المطبوع: "وأقول إن الذي حضرته من أوائل عهد الأشراف[٦] في عام ١٣٣٦هـ إلى دخول الحكومة السعودية أن الدور التي كانت تلي دار آل فقيه من جهة المشرق إلى حد الشرشورة مغسل الأموات قد هدم أعاليها، ويليه حوش كبير استعمله دادا الهندي لتربية الدواجن وكان عنده منها الشيء الكثير جداً. وعندي أن الدور المهدومة في نواحي الشرشورة الثلاثة مع هذا الحوش إلى دار الضيافة من حش طلحة"[٧].

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٥٤١، ٤: ٣٣٩.

(٢) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

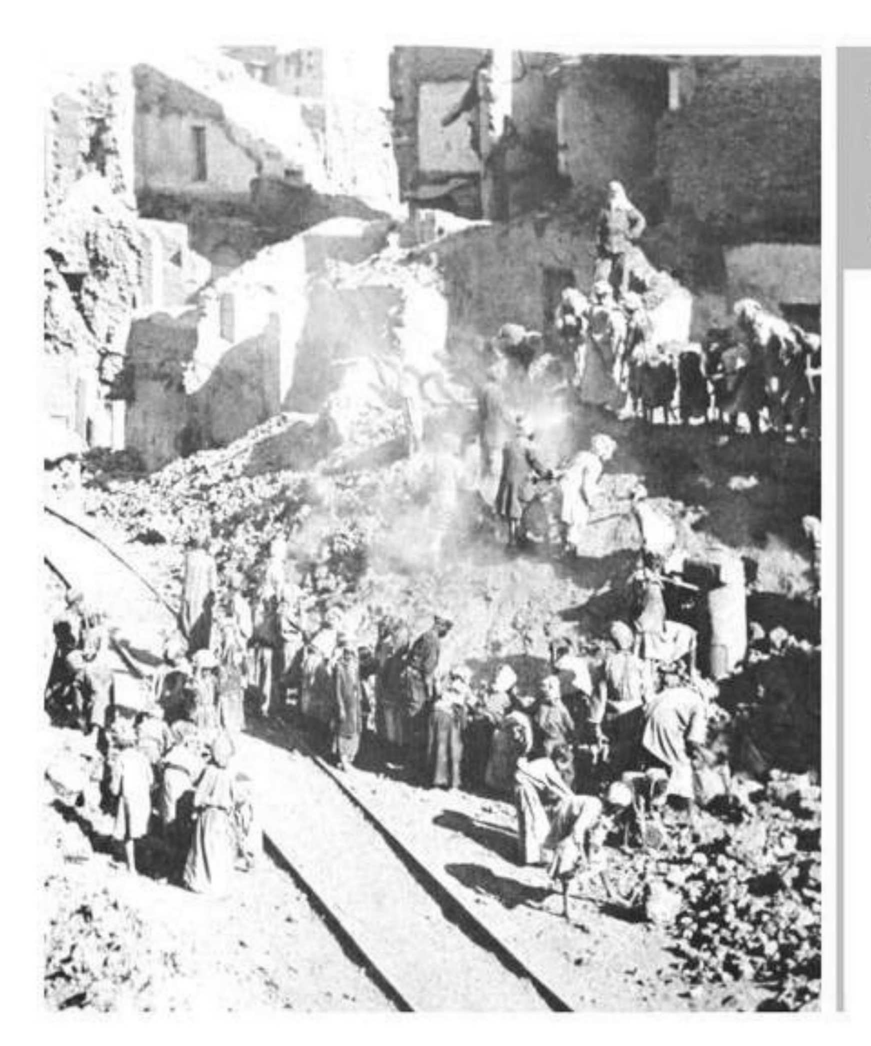
(٣) المعني بالمتغلبين هنا: الأتراك.

(٤) الشرشورة هي محل غسيل الموتى.

(٥) «جريدة القبلة» ع ٥٧ ص ٢.

(٦) هذا سبق قلم منه رحمه الله، وعهد الأشراف ابتدأ سنة ١٣٣٧هـ.

(٧) «المدينة بين الماضي والحاضر» مخطوط، ص ١٠٥.



أهل المدينة يزيلون الأنقاض

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

وذكر الصيرفي أن عيناً تدعى بعين السلام بينها وبين باب السلام نحو ٨٠ متراً ينزل لها بدرج، كان فوقها بيت لأسرة الإزمرلي قد أزيل في هذه الأحداث[١].

ومن الدور الأثرية التي أزالها دار (رباط) خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقد ذكر عبد القدوس الأنصاري أن فخري باشا هدم أعاليه وترك القبة الصغيرة الواقعة بمقدم الرباط الملاصقة لزاوية السمان[٢].

وفي ذلك يقول الشريف العياشي: "والذي حضرته وأنا طفل، أن الدولة التركية كانت قد بدأت في هدم الدور التي كانت حول المسجد النبوي، لتوسيع الرحبات حوله، وكانت قد شرعت في هدم دار ريطة، وأزالت الطابق الأعلى كما

(١) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط. وقد ذكر هذه العين الشيخ علي بن موسى في «وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣هـ» ص ١٨.

(٢) «آثار المدينة المنورة» ص ٣٨.

هدمت ما بعده إلى الشمال، وفي الهدميّات السعودية ظهرت دار خالد بن الوليد في الركن الشمال الشرقي من زاوية السمان (دار ريطة)[١] وهي صغيرة جداً، وكان فيها قبة أثرية مزركشة الألوان»[٢].

وأيضاً دار مطيع بن الأسود رضي الله عنه، ويقال لها: دار أبي مطيع، فقد ذكر الشيخ محمد الطيب التنبكتي في تعليقاته على «عمدة الأخبار» للعباسي، أن فخري باشا هدم هذه الدار وما تليها بقصد التوسعة حول المسجد[٣].

كما قام سنة ١٣٣٦هـ ببعض الإصلاحات داخل الحرم النبوي الشريف، فرمّم المحراب النبوي والمحراب السليماني والبئر التي كانت في بستان السيدة فاطمة رضي الله عنها في صحن المسجد[٤].

ومن أعماله تشجير المنطقة المحيطة بالحرم النبوي الشريف، وكان في نيّته إزالة المدرسة المحمودية وتحويل مكانها إلى ميدان فسيح[٥].

فتح شارع العينية ومد سكة الحديد :

ومن أهم مشاريعه شقه لشارع العينية، وسمي بذلك لأنه افتتحه من وسط بستان كان يقال له: العينية[٦]، وكان فخري يخطط لأن يصل شارع العينية من

---

(١) هي ريطة بنت أبي العباس السفاح العباسية.

(٢) «المدينة بين الماضي والحاضر» ص ١٤١.

(٣) «عمدة الأخبار» ص ١١٨.

(٤) «آثار المدينة المنورة» ص ٩٠، ٩١، ١٠٣.

(٥) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» لناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ص ١٠٦.

(٦) شاع بين المؤرخين المتأخرين أن (العينية) نسبة إلى الإمام بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥) صاحب الشرح الشهير باسم: «عمدة القاري في شرح صحيح البخاري»،

باب السلام ليمتد إلى المناخة ومنها إلى محطة القطار في العنبرية، ليمد سكة الحديد إلى باب السلام في الحرم النبوي الشريف. ويرى السيد أحمد الخياري والعياشي كلاهما أن مقصد فخري باشا من افتتاح هذا الشارع أن يشاهد الزائر من باب العنبرية أو من المناخة باب السلام[1]، وهذا القول ضعيف، وإنما الصحيح ما ذكرناه من نيته في مد سكة الحديد إلى قبالة باب السلام، لعدة أسباب منها: نقل الأنقاض والأتربة الناتجة من الهدميات إلى خارج السور، ونقل الأمانات المقدسة، ونقل الذخائر من القلعة إلى الحرم كما سيأتي لاحقاً.

قال النقشبندي: "ووصل القطار حتى باب السلام لحمل الأتربة والأحجار،

ولم أجد نصاً قديماً يفيد ذلك، ولا أرى ذلك يصح، لأن الإمام العيني لم يجاور المدينة ولم يذكر أحدٌ ذلك في ترجمته، ورأيت السيد عثمان حافظ نسبها في «صور وذكريات» ص ٥٩، إلى رجل يدعى السيد العيني أقام حول المزرعة بيوتاً فعرفت المنطقة بوقف العيني. قلت: الذي أراه وأرجحه أنها نسبة لأسرة مدنية قديمة تدعى العيني نسبة إلى مدينة رأس العين، قدم جدهم نور الدين علي بن عمر بن قنان الزبيري العيني الدمشقي إلى مكة سنة ٨٠٧هـ، ثم تردد إلى المدينة وسكن بها واشترى أملاكاً وصار يتردد إلى مكة حتى مات بها سنة ٨٣٩هـ. انظر: «معجم الشيوخ» لابن فهد، ص ٣٧٣، و«الضوء اللامع» ٥: ٢٧١. وحفيده هو العالم الجليل فخر الدين أبو بكر بن أحمد بن علي العيني، وكانت بيده بئر أريس وبئر إهاب المعروفة بزمزم، كما في «التحفة اللطيفة» ١: ١١٤، ١١٦. وقال فيه السخاوي في «الضوء اللامع» ١١:٢٠ : "وهو عاقل متودد متأدب ذو عيال، ولا يخلو من أفضال، وبيده بالمدينة الشمسية موضعٌ بهجٌ فيه بستان وبحرة وكذا بقباء". ويظهر لي أن بستان الشمسية هو للتاجر محمد بن عمر الشهير بالخواجا الشمس ابن الزمن (ت ٨٩٧) وقد اختص به الفخر العيني كما في ترجمته في «التحفة اللطيفة» ٨: ٣٣٤، ورأيت في «وثيقة شكر واستشفاع من شيخ الحرم النبوي الزيني محمود جلبي وعلماء المدينة المنورة إلى السلطان سليمان القانوني» توقيع محمد بن فخر الدين محمد العيني الحنفي، وحلّا نفسه بشيخ رباط ابن الزمن مما يدل على الصلة القوية بين العيني وابن الزمن، ولعل الفخر اشترى منه المزرعة وسميت بعد ذلك بالعينية نسبة إلى أسرته.

(١) «تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً» ص ٢٦٧، و«المدينة بين الماضي والحاضر» ص ١٩١.

وقد عوّض أصحاب الأملاك بقيمة بخسة من الورق التركي، فقبض بعضهم تلك القيمة وبعضهم لم يقبض»[١].

وقد أمر بإبلاغ الأهالي على مدى ثلاثة أيام بوجوب تسليم حجج بيوتهم وأملاكهم للحكومة، ويُعْطَون مقابلها ورقة صغيرة إثباتاً لملكيتهم لها[٢].

ولأجل اكتمال هذا الشارع على الطريقة التي ترضي فخري باشا، رأى أن باب العنبرية بحجمه المفرط وشكله الذي يشبه قوس النصر لم يكن مناسباً لشارع العينية، وكان على جانبي هذا الباب مدفعان صغيران على اليمين والشمال، وفي أعلاه نُقش شعار العثمانيين من الداخل والخارج ويقع بين التكيّة المصرية وقشلة العساكر العثمانية (مبنى الإمارة حالياً)، لكن هذا الباب الجميل لم يُرض ذائقة فخري باشا فاجتمع مع جنوده على مائدة طعام يسألهم عن آرائهم، ولم يستطع أيٌ منهم أن يبدي أي اعتراض عليه، بل كانوا يؤيدون هدمه خوفاً من عاقبة الاعتراض عليه، ولم يقف في وجهه إلا ضابط واحد. يقول ناجي كجمان: "وحان دوري في المشاورة، فقلت: إن مثل هذه الأبواب تعتبر زينة مدن المشرق، وبمثل هذه الأبواب تستمر وتبقى حياة المشرق، ومن غير المعقول أن يهدم أثراً تاريخياً مثل هذا، وأرى أن هذا الباب يذكر الزائرين من جميع العالم الإسلامي بوحدتنا المعنوية. وهكذا جعلت أحرض على المحافظة عليه من باب أن هذه المدينة مقدسة ودينية، لكن الباشا عقد حاجبيه، وبعد يومين كان الباب قد سوّي بالتراب وتحول إلى كومة من الأنقاض»[٣].

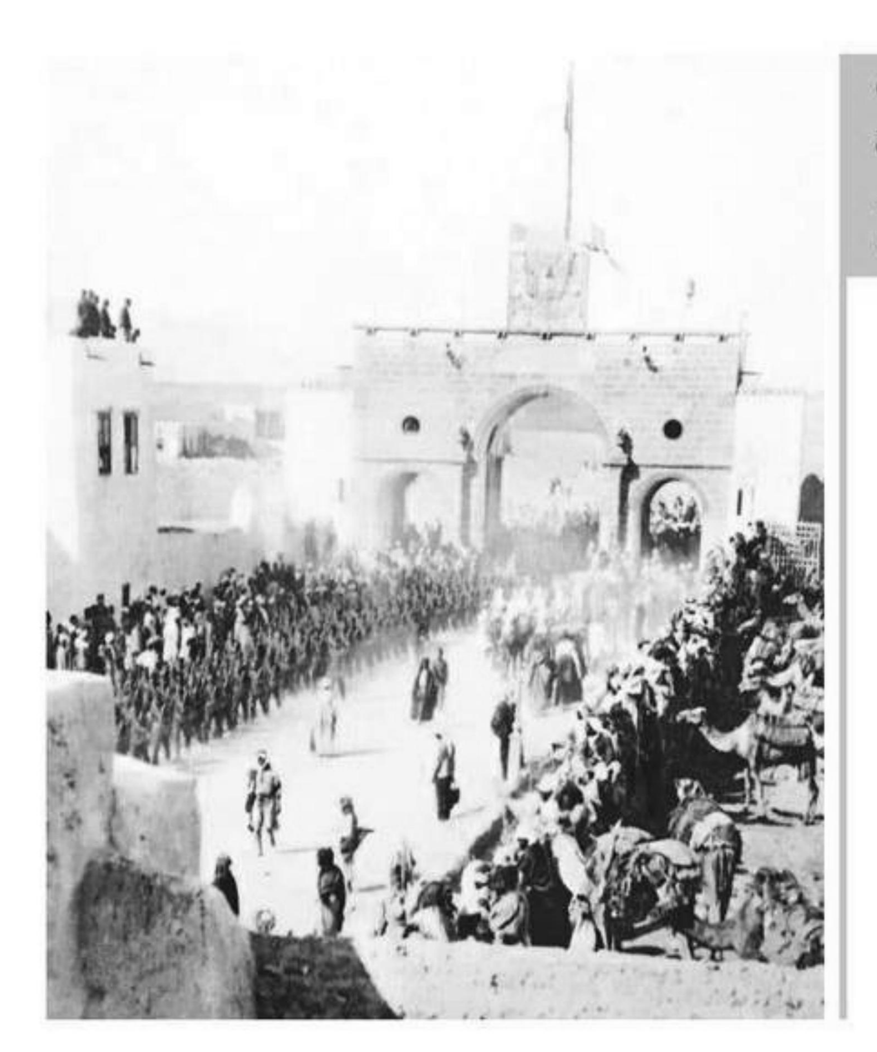
وقام ببناء باب آخر للعنبرية بعد محطة سكة الحديد بالقرب من مسجد العنبرية المعروف اليوم.

---

(١) «حلقة هامة من تاريخنا القريب» لعبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢.

(٢) «جريدة القبلة» ع ٥١ ص ٢.

(3) Kiciman, p. 116- 117.



استقبال المحمل الشريف أمام بوابة العنبرية

(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)

وقد تمكن فخري أن يمد سكة الحديد من العنبرية إلى ميدان باب السلام، حيث ربط بين شارعي العنبرية والعينية بسكة حديد ممتدة في جزء من المناخة[١]، ووضَع العلم على بيت غالب شيخ الواقع في ركن زقاق الطيار من جهة المناخة[٢]، وقام بإزالة حوانيت سوق المناخة القريبة من مسجد الغمامة، ويتساءل الأنصاري يقول: "ولا ندري لأي غرض؟ اللهم إلا إذا كان قصده تشغيل بعض العاطلين، لإعطائهم من الأجور ما يسد بعض رمقهم في ذلك الظرف الحربي القاسي"[٣]. وهذا الرأي غير منطقي فأي فائدة يجنيها من تشغيل العاطلين ليخسر أموال الحكومة عليهم؟ وإنما الرأي أن هذه الحوانيت كانت معترضة لمسار سكة الحديد المزمع توصيله بين شارع العينية والعنبرية فأزالها.

---

(١) «صور وذكريات» ص ٥٩.

(٢) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٣) «آثار المدينة المنورة» ص ١٥٩- ١٦٠.



مسجد الغمامة في وسط المناخة

(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)



القطار وهو يحمل الأتربة

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

واستعمل فخري القطار لحمل الأنقاض المجتمعة من الهدميات حول الحرم النبوي الشريف، وكانت الأحجار والأتربة توضع في خنادق بين محطة سكة الحديد والقشلة[1].

وقد استخدم فخري الديناميت لتفجير موضع سور المدينة الجوّاني المعترض لشارع العينية وغيره من المواضع، وبالتحديد فقد أزال السور من باب الشامي الصغير إلى باب القاسمية عدا باب المصري الذي تركه كما هو[2].

قال السيد عثمان حافظ: "وأذكر أن فخري باشا -حاكم المدينة العسكري في العهد العثماني- أزال بعض مواقع هذا السور وفتح بعض الأبواب، فقابله بعض رجالات المدينة وقالوا له: إن هذا السور هو حصن المدينة من الأعداء، فقال: إن الحصون يجب أن تقام في الجو، وإن العدو إذا وصل باب السور وطرقه لا بد أن يدخل"[3].

ويذكر الشريف العياشي قصة هدم السور عند مشهد الصحابي مالك بن سنان رضي الله عنه، يقول: "وقد أخبرني الشيخ فهيم الدين الحسيني تاجر الحديد[4]، أن فخرى باشا التركي لما أراد هدم السور، من باب المصري الذاهب الى باب الصغير، تعسر على العمال هدم الناحية التي فيها قبر مالك بن سنان رضى الله عنه، فوضعوا

---

(1) Kiciman, p. 116.

(٢) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط، و«آثار المدينة المنورة» ص ١٦٩.

(٣) «صور وذكر[illegible]» ص ٥٩.

(٤) الحسيني نسبة [illegible] اسم أبيه، وهو المعمّر فهيم الدين بن حسين بن خليفة الهندي، قدم مع أمه من الهند وهو صغير، وكان تاجر حديد، والتحق بالجيش التركي، وكان ممن مكث في المدينة وقت الحصار، وبعد دخول الأشراف خرج إلى الأردن، ثم عاد إلى المدينة قبيل العهد السعودي، وكان ممن شارك في إنشاء دار الأيتام مع مؤسسها عبد الغني دادا، وتوفي في المدينة المنورة سنة ١٣٨٦هـ عن قرابة ١١٥ سنة. استفدت ترجمته من ابنه الأستاذ محمد حسين بن فهيم خليفة حفظه الله تعالى.



عملية هدم السور بالديناميت

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



السور بعد هدمه

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

أسفله الديناميت، وأقدموا عليه مراراً، فلم يشتعل مما اضطرهم الى تركه، والظاهر أن جسد مالك بن سنان بني عليه السور، وبقيت رجلاه خارجه في ركن مسجد أصحاب العباءة الجنوبي الشرقي، ومسجد أصحاب العباءة، في سوق البرسيم آخره من الشمال، وفى غربي المشهد، ويعرف اليوم بمسجد سيدنا مالك"[(١)].

ويروي في موضع آخر يقول: "وقد ذكر لي فهيم الدين الحسيني الهندي المجاور منذ ستين عاماً في المدينة، أنه حضر زمن أواخر الدولة العثمانية، وكان فخري باشا أراد هدم السور من تلك الناحية، ومن ناحية جنوب باب المصري، وفيه قبر رافع بن مالك الزرقي[(٢)] - أحد شهداء أحد- أن العمال وضعوا في أصول السور قوالب الديناميت، وأشعلوا الفتيل في الجهتين، عند قبر رافع بن مالك، ومالك بن سنان، فلم يشتعل الفتيل والديناميت، فعلوه غير مرة، أقول : ولعل هذا حفظاً لكرامة الجسدين الكريمين أن يعبث بهما بالديناميت"[(٣)].

ولاح لفخري أن يكمل السور الذي حول مبنى اللاسلكي الواقع الآن في بداية شارع العيون، فبنى سوراً يتجه إلى الشرق ويقطع طريق سيد الشهداء ليصل إلى باب الوسط، ويستمر السور إلى باب الصدقة فباب التمار فالرومية أو الأبارية وهكذا يكون حصّن المدينة من الجهة الشمالية والشرقية[(٤)].

---

(١) «المدينة بين الماضي والحاضر» ص ١٣٣.

(٢) يرى العياشي رحمه الله أن هذا المكان كان موضع قبر الصحابي رافع بن مالك رضي الله عنه، لكن السيد أحمد ياسين الخياري في «تاريخ معالم المدينة المنورة» ص ٢١٨، كان يرى أن هذا الصحابي دفن بمحيط مسجد السادة السنوسية أو الكاتبية الكائن بحي الزاهدية وقد أزيل هذا المسجد سنة ١٤٣٢هـ واتضح عدم وجود أي رفات في تلك المنطقة.

(٣) «المدينة بين الماضي والحاضر» ص ١٩١- ١٩٢.

(٤) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط، و«التاريخ الشامل» ٣: ٧٦. وذكر الرحالة (إلدون رتر) الإنجليزي في رحلته: «مدينتا الجزيرة العربية المقدستان» ٢: ٦٠٣، أن هذا السور من بناء الشريف الحسين، وهو وهمٌ منه والصحيح أن السور رُمّم في عهد الأشراف فلذلك نسب إليهم.

السور المعروف بالأشراف الذي بناه فخري باشا

(المرجع: التاريخ الشامل للمدينة المنورة)

كما قام بتهديم أقسام من جهة القلعة الداخلية، وفُتحت شوارع صغيرة هناك[١].

ومن المهم أن نذكر هنا أن هذه الإصلاحات إنما قامت على أكتاف كثير من الجنود وأهالي المدينة وسكانها من الرجال والنساء والعلماء والأجلة[٢]، وقد حدثني الدكتور عاصم حمدان، عن أبيه حمدان بن علي[٣]، أن فخري باشا شغّل أهل المدينة في حمل الأتربة والأنقاض مقابل قرص خبز، وأنه رأى بعينيه نساءً من أهل المدينة يعملن في حمل هذه المخلفات بغية الأجرة من الطعام.

ويشهد لذلك الصور المأخوذة في هذه الأحداث وفيها صور النساء وهن يعملن في حمل الصخور.

وفي ذلك يقول الشاعر الضابط محمد شكري البغدادي:

كم عالم مات جوعاً بعد أن حملت ... أكتافه من صخور جلّ باريها

كم حـرة نقلت صخـراً مبرقعة ... بقرص خبز من الأنات ينجيها[٤]

وأيضاً قال الشاعر عبد المحسن الصحاف يهجو فخري باشا:

رتّـب القرصين للشـخص ولم ... يعطها إلا بـإجـراء العمل

خـدّم النسـوة مـن خسّـته ... جهة السـكّة والأمـر جلل

---

(1) *Kiciman, p.117.*

(٢) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢هـ، ص ٣٤٠.

(٣) جاء في «طيبة وذكريات الأحبة» ٣: ٢٨٠، في ترجمة الشيخ حمدان بن علي حمدان من كلامه أنه وُلد سنة ١٣٣٣هـ، وهذا التاريخ تقدير تقريبي منه، والصحيح أنه ولد قبل ذلك في حدود سنة ١٣٢٧هـ كما يرى ذلك ابنه الدكتور عاصم، ودليل ذلك أعمار لِداته والروايات التي يحكيها، ومنها هذه الرواية التي أوردتها، فإنه صرّح فيها برؤية النساء وهن يحملن الأنقاض، وهذا لا يمكن أن يذكره طفلٌ لم يميّز.

(٤) ملحق: «مناقب سيد الشهداء»، السيد جعفر البرزنجي، ص ٢١.

أصبح القوت لديهم غالياً فشكوا لله من ظلم حصل
وتوفي بالطوى أكثرهم كم أمات الجوع قوماً وقتل[١]

وقال في ذلك المعمر خضر الفارسي: "وهدّ -أي فخري- العينية لكون مرور سكة الخط الحديدي منها، ومدّ الخط الحديدي لعند باب السلام، وصار بعض أهالي المدينة يملؤون التراب في شاحنات الخط الحديدي، بما فيهم العلماء والأفاضل، وكل ذلك في سبيل تحصيل قرصين[٢] عيش يشدّون بهما رمق الجوع"[٣].

ويصور لنا الضابط ناجي كاشف كجمان في مذكراته عمل فخري باشا في المدينة، من وجهة نظر الأتراك فيذكر: "أن فخري باشا والمدافعين في المدينة لم يخشوا عدوهم، وبدؤوا يتوافرون على إعمار المدينة دون أن يعطوا أهمية للمناوشات، وكان من المقرر شق طريق فسيح للغاية حتى قبالة باب السلام، وكان من المقرر توسيع الحرم الشريف مسافة أربعين متراً تقريباً، وإنشاء حدائق جميلة، وكان من المتعين اتخاذ تدابير إزاء احتمال عدم كفاية الغاز[٤] الموجود، لأهم وسائل الحرب والدفاع مثل: التلغراف. وعليه تمّ إنارة حجرات المعسكر، والمنزل ومركز القيادة والمنشآت العسكرية عامة بالكهرباء، وبذلك تم الاستغناء عن الغاز، وتوفر الكمية التي كانت ستستهلك فيها"[٥].

---

(١) «جريدة القبلة» ع ١٩٢، ص ٢.

(٢) كذا في الأصل، والصحيح: قرصي.

(٣) «أحداث عاصرتها» مخطوط، ق ١٨.

(٤) والغاز المقصود به هنا هو مادة الوقود السائلة والتي تعرف بالكاز.

(٥) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» ناجي كاشف كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٨٦.



أهل المدينة يزيلون الأنقاض

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



أهل المدينة يزيلون الأنقاض

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



أهل المدينة يزيلون الأنقاض

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



فخري باشا أمام مسجد قباء

(المرجع: Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir)

طريق قباء وطريق قبة هارون :

ومن أعمال فخري باشا الرئيسية سنة ١٣٣٦هـ شقه طريقاً واسعاً من المدينة إلى مسجد قباء، عُرف بالطريق المستقيم، طوله حوالي (٣) كيلو مترات، وعرضه نحو (١٢) متراً[١]، وكان هذا الطريق في السابق ضيقاً متعرجاً وعراً ومليئاً بالمخاوف، ويواجه الناس فيه اعتداء بعض الأعراب وسلب أموالهم[٢]، لذا شقّ فخري هذا الطريق ووسّعه، وغرس في جوانبه الودي (صغار النخل) والأثل لتظليل السائرين، وحفر عدة آبار لسقي هذه الأشجار[٣].

وتدل الخرائط القديمة والصور إلى أن فخري مدّ خطاً من سكة الحديد ممتداً من المناخة إلى وادي أبو جيدة حتى يخرج من باب قباء ويصل إلى هذا الشارع الجديد، ومن الأرجح أنه استخدم هذه السكة في نقل الأنقاض.

ويذكر السيد علي حافظ بأن فخري لم يدفع لأصحاب الأملاك التي فتح فيها الشارع أي تعويض[٤]، وذلك أمر مؤكد لأنه كان يعوّل على تعويضهم بعد انتهاء الحرب لذا كان يعطيهم أوراقاً لإثبات ملكيتهم كما مرّ سابقاً. وقد استمر هذا الشارع مفتوحاً سالكاً طيلة العهد الهاشمي إلى العهد السعودي حيث أصدرت الحكومة إذناً لأصحاب البساتين باستعادة ما اقتطع منها، فحجز كل واحد منهم ما يخصه، فبدأ الطريق ينقطع إلى أن أغلق تماماً وعاد مثل الطريق القديم الملتوي، حتى جدده مرة أخرى وكيل أمير المدينة عبد العزيز بن إبراهيم سنة ١٣٥١هـ كما هو معروف ومسطر في تواريخ المدينة الحديثة[٥].

---

(١) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٣٣٥.

(٢) «مرآة الحرمين» ١ : ٣٩٩.

(٣) «آثار المدينة المنورة» ص ٧٩، و «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٣٣٥.

(٤) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٣٣٥.

(٥) «آثار المدينة المنورة» ص ٧٩- ٨٠، و«صور وذكريات» ص ٦٠، و«فصول من تاريخ



الطريق المستقيم الذي شقه فخري باشا إلى مسجد قباء

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



فخري باشا في الطريق إلى جبل أحد

(المرجع: Medine Mudafaasi: Naci Kasif Kiciman)

ومن المثير للانتباه وجود لوحة تمثل هذا الشارع بالطريقة التي فتحها فخري داخل الحرم النبوي الشريف فوق باب الرحمة أعلى الآية القرآنية: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، فلعل فخري أمر برسمها إلا أني لم أقف على أحد أشار إلى ذلك، فيبقى الأمر مجرد احتمال حتى يثبت، والله أعلم.

وأخيراً فإن من أواخر أعمال فخري في العمران شقه طريقاً جديداً على يد سريّة الاستحكامات من عند مسجد سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه إلى قبّة هارون[1]، والغرض من فتح هذا الطريق وضع المدافع بعيدة المدى على أعلى جبل أحد وعلى المواضع الملائمة منه لحماية المدينة من أي تقدم واعتداء قادم من جهة الشمال. ومن عجائب فخري باشا أنه في اليوم الذي جاءه الأمر بتسليم المدينة المنورة، ذهب إلى جبل أحد ليقيم مراسم افتتاح هذا الطريق، وذلك في يوم ٤ ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ[2].

الحرم النبوي مستودعاً للذخائر:

على أن من أعجب صنائع فخري باشا وأشد ما عوتب فيه ولامه الناس عليه وأثيرت حوله الأقوال نقله للذخيرة والعتاد الحربي إلى الحرم النبوي الشريف، لذا يقول السيد أحمد بن مصطفى صقر في ذلك: "وكذلك القوّاد فإنهم يصدرون في

المدينة المنورة» ص ٣٣٦.

(١) هي قبة على بناية صغيرة ليس فيها إلا أربعة جدران، تقع في أعلى جبل أحد على ارتفاع ١١١,٢ متراً، ويزعمون أن نبي الله هارون عليه السلام دفن بها، وهو قول غير صحيح، كما أن كجمان أورد أن الخليفة هارون الرشيد بناها وهو قول لا يؤيده نقل، ويميل بعض الباحثين إلى أنها نسبت لضابط عثماني كان يرابط هناك، وآخرون يرون أنها لرجل صالح كان يختلي في هذه المنطقة وهو الأقرب للمنطق والله أعلم.

(2) Kiciman, p. 348, Kandemir, p. 161.

الصباح أمراً وينقضونه في المساء، مثال ذلك أن عِلْجهم فخري أمر بنقل الأدوات الحربية من القلعة إلى مسجد المصلّى النبوي بميدان المناخة، فنقلها الجنود على متونهم في خمسة أيام تقريباً، ولم يمض على ذلك بضعة أيام حتى أمرهم بنقلها لمحطة السكة الحديدية ثم عاد فأمرهم بإعادتها إلى القلعة التي كانت فيها، ثم وزعت على المواضع الثلاثة"[١]. وقال أيضاً: "ولقد عمد المتغلبون إلى ارتكاب أفظع جريمة وهي اتخاذ الحرم النبوي ثكنة عسكرية، فأودعوا فيه المهمات الحربية وصنوف الديناميت والمفرقعات والذخائر والأرزاق حتى الرحى التي يطحنون بها حبوبهم كما أخبرنا الثقة بذلك عقب خروجنا!"[٢].

لكن المتأمل في هذا الصنيع الغريب لن يعدم تبريراً معقولاً لفخري في فعلته هذه، وبيان ذلك أنه لما حلقت إحدى الطائرات الإنجليزية في سماء المدينة في جمادى الأولى ١٣٣٥هـ كما ذكرنا سابقاً، خشي فخري من الغارات الجوية على القلعة العسكرية وما تحتويه من عتاد وذخائر وأرزاق، فظنّ أن المساجد أبعد ما تكون عن هدف الغارات الإنجليزية، فنقل معظمها إلى الحرم النبوي الشريف، وملأ الكتاتيب العثمانية بمؤخر الحرم النبوي الشريف بالعتاد الحربي، من باب الرحمة وباب النساء إلى باب المجيدي ومنع الزوّار من الدخول إلى الحرم بعد مغيب الشمس[٣]. كما نقل كثيراً منها إلى مسجد الغمامة في المناخة وغيرها من المساجد، وملأ التكية المصرية لضمانه عدم التعرّض لها من قبل الطائرات لأنها تابعة لحكومة الخديوي بمصر الذي كان تابعاً للإنجليز[٤].

(١) «جريدة القبلة» ع ٨٩، ص ٢.

(٢) «جريدة القبلة» ع ٨٩، ص ٣.

(٣) «صور وأفكار» ص ٣٣٤، و«الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ٣٣٩.

(٤) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.



التكية المصرية
(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)

يقول السيد عثمان حافظ: "وكلما وصل عتاد حربي وضعوه في المساجد الأخرى إلى أن امتلأت معظم مساجد المدينة بالرصاص والقنابل والأسلحة لاعتقادهم أن المساجد سوف لا تكون هدفاً للغارات الجوية"[١].

وقال زيدان: "إن فخري باشا جعل المسجد النبوي مستودعاً للذخيرة؛ لأنه كان يخاف من أن تلقي طائرات الإنجليز؛ حلفاء العرب حينذاك، قنابلها على القلعة، فكان من حماقة الرأي أن جعل من شمال المسجد النبوي مستودعاً للذخيرة، ولم يحسب حساباً لقائد الطائرة الإنجليزي الذي إذا ما أراد أن يدمر الذخيرة فإنه لا يسأل عن المسجد"[٢].

ويبدو أنه غاب عن ذهن الأستاذ زيدان رحمه الله مسألة الحِلف القائم بين الإنجليز والأشراف، فإن بريطانيا لن تقدم على مثل هذا التهور مهما كلفها ذلك

---

(١) «صور وأفكار» ص ٣٣٤.
(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١٤.

من أمر، لأن المسجد النبوي مقدس عند العرب والمسلمين أجمعين ولن يسرها أن تخسر هذا التحالف الذي يصب في مصلحتها بعد أن استمالت معظم العرب إلى صفها، لذا لا يُستبعد أن فخري فهِم هذا الأمر وخصص المساجد للذخائر حفاظاً عليها من أي اعتداء على القلعة البعيدة عن الحرم.

عناية فخري بتاريخ المدينة :

ولا بد من الإشارة هنا إلى عناية فخري بتدوين تاريخ المدينة المنورة في هذه الفترة، فقد روى أستاذنا الدكتور عاصم بن حمدان عن الشيخ المعتني جعفر بن إبراهيم فقيه: أن فخري أثناء الحصار انتخب جماعة من العلماء ليسطروا مؤلفات خاصة في تاريخ المدينة ومنهم: الشيخ عبد القادر الشلبي، والسيد أحمد كماخي، والشيخ أبو بكر الداغستاني، والشيخ نزيل الكرام خاشقجي[١].

ولم أقف على شيء من مؤلفات هؤلاء العلماء سوى الشيخ الشلبي، فإني تحصلت على جزءٍ مخطوط من تاريخه الموسوم بـ : «الفرائد في تاريخ المدينة المنورة والآبار والقبور والمساجد» وقد كتب على طرّته بخطه الجميل:

"هذه مقدمة تاريخ المدينة المنورة، الذي لم يتم، ألفتها زمن (السفر برلك) أثناء حرب الدولة العثمانية مع أعداء الله سنة ١٣٣٤هـ، وكنت إذ ذاك بالمدينة المنورة، وبها عظمت المجاعة، وأخرجت أهلها إلى جهات مختلفة، ولم يرجع منهم بعد انتهاء الحرب إلا القليل، كتبه الفقير إليه تعالى عبد القادر توفيق الشلبي، مدير المعارف فيها، والمدرّس في الحرم النبوي الشريف".

كما ألّف كتاباً آخر في فضائل الدولة العثمانية سمّاه: «الدرر الحسان في فضائل سلاطين آل عثمان» وذلك في سنة ١٣٣٥هـ، ثم اختصره في جزء سماه: «تعطير الأكوان في فضائل سلاطين آل عثمان» جاء في آخره: "وقد كان الفراغ من تلخيص

---

(١) «المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ» ص ١٦٢، ١٨٠.

١

هذه مقدمة تاريخ المدينة المنورة الذي لم يتم الفته في زمن النفير [illegible]
حرب الدولة العثمانية مع اعدائها سنة ١٣٣٤ وكنت اذ ذاك بالمدينة المنورة
وبها حصلت المجاعة واخرجت اهلها الى جهات مختلفة ولم [illegible] منهم بعد [illegible]
الحرب الا القليل كتبه مؤلفها الفقير اليه تعالى عبد القادر توفيق الشلبي
مدير المعارف بها والمدرس في الحرم النبوي الشريف

خط الشيخ عبد القادر الشلبي من كتابه المخطوط (الفرائد)

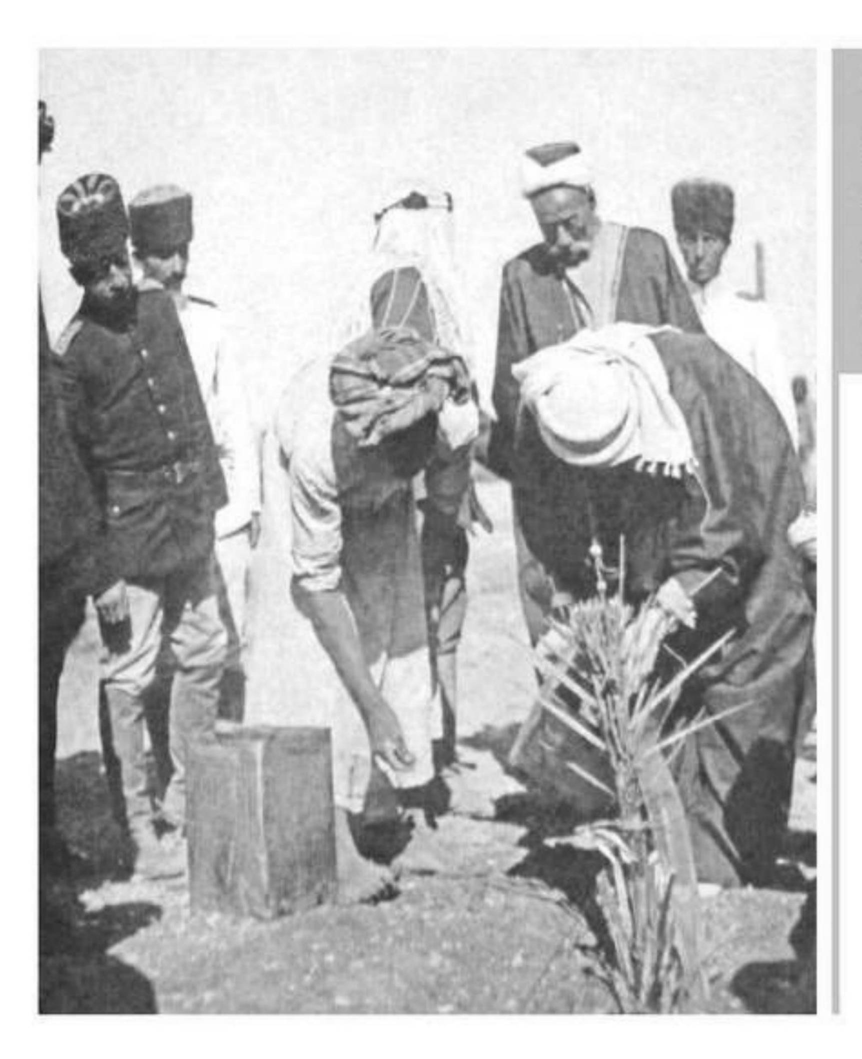
هذه الرسالة في الخامس عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٥هـ في زمان سلطنة مولانا أمير المؤمنين وحامي حوزة الملة والدين، السلطان بن السلطان، محمد رشاد خان، اللهم أيّد به الحق، وأعزّ جانبه، وبدّد به الباطل وأذلّ طالبه"[١]. وهذه التآليف تبيّن توجهه في هذه الثورة بطريقة أو بأخرى.

عناية فخري باشا بأمور الزراعة في المدينة:

دأب فخري باشا خلال مدة الحرب على التفكير في جميع الطرق التي تؤدي إلى تحقيق الانتصار، فأولى جانب الزراعة في المدينة اهتماماً كبيراً، ولم يكن غرضه في ذلك إلا الوصول إلى الاكتفاء الذاتي في المؤونة للصمود أمام أعدائه، وما عُرف عنه الإضرار بالزرع إلا في حادثة العوالي التي حدثت أول الثورة لما عرف تجمع المعادين له هناك فقام بحرق البساتين وطمر الآبار كما مرّ سابقاً، ولما غادروا تلك المنطقة عني كل العناية ببساتين المدينة وخاصة منطقتي العوالي والعيون[٢].

(١) كلا الكتابين محفوظين في قسم المخطوطات بمكتبة السيد حبيب بن محمود أحمد رحمه الله تعالى.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ٣٤١.



فخر الدين باشا يترك فرصة لابن الشريف علي حيدر باشا لكي يغرس هو الآخر فسيلة نخل

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

ولما أمر بإجلاء أهل المدينة استبقى لديه المزارعين كي يستفيد من خبرتهم وأعمالهم في الزراعة من أمثال السيد عبد العزيز بن حمزة مدني، ومحمد عبد العال المراكشي، وعباس بن حمزة قمقمجي، وبعض النخاولة مثل موسى أبو عيفة ورجل من بيت الهاجوج[١].

وأنشأ سريّة خاصة عرفت بسريّة الزراعة برئاسة اليوزباشي شكري أفندي، وعيّن زهدي بك مديراً للزراعة، ووزّعت هذه السريّة على بساتين وحقول المدينة، وتتلخص مهمتها في أمرين:

الأمر الأول: تنظيم المشاتل الزراعية لتوفير ما تتطلبه الحاجة من الخضروات والمزروعات، وهذه المهمة مخصصة للبساتين التي تروى من مصدر ماء واحد، وتشمل بساتين: قباء، وقربان، والعوالي، والداودية، والبِرْكة، والطيّارية،

(١) «صور وأفكار» ص ٣٣٥، و«المدينة بين الماضي والحاضر» ص ٤٧٠.

والسكرانية، والزُّهرة، والشنيبلية، وعين موسى.

والأمر الآخر: زراعة الحبوب في البساتين القابلة لزراعتها، وتشمل: قربان، والعوالي، والبركة، والمدافعية، والجرابية، والعباسية، والزهرية، والحيدرية، والصديقية، والمقبولية(١).

وكان أشد ما يعانونه الجراد إذا هجم على الزرع، والبرَد إذا تساقط مع المطر، وكانوا يحاربون الطيور بوضع الأخيلة، ويوكلون صبيان النخاولة(٢) كي يقذفوا الطيور بالحجارة، ومن أناشيد النخاولة:

يا طير يا أبو الغناس لا تاكل زرع الناس

لا تحسبه ببلاش

ترى حق الدولة ترى حق الملة(٣)

وقد منع فخري باشا قطف أي من محصولات النخيل سواءً من العساكر أو الأهالي وكان يعاقب على ذلك أصناف العقوبات، يريد أن يستأثر بالتمر ويخزنه في المستودعات لتوزيعه على أتباعه(٤).

وتدل رسالة فخري باشا التي بعثها إلى مصطفى كمال أتاتورك على هوسه بأمر الزراعة، حيث كتب إليه: "وقد أعطيت أهمية كبرى للزراعة حتى ألهى ذلك الناس، وإن كانت الأراضي الصالحة في المدينة قليلة جداً، فقد لجأت إلى تدابير عديدة فأمرت أفراد الجيش بجمع النباتات من كل مكان حتى القمح والشعير الساقط في أرض المعسكرات والمحطات، والنوى الملقى على الأرض،

---

(1) Kiciman, p. 267.

(٢) في النص التركي عند كجمان وردت الكلمة بهذا الشكل: (*Nahve*)وتنطق: نخوة، ولعلها تصحيف من (*Nahle*) فتكون نخلي، والنص في عمومه وسياقه يدل على النخاولة.

(3) Kiciman, p. 267- 268.

(4) Kiciman, p. 209.

والأعشاب في الحقول وبين الحجارة، كل ذلك من بعد صلاة الفجر إلى أن يحل المساء، لكن إشباع الجيش بمثل هذه الألاعيب غير ممكن»[١].

وذكر العميد التركي صادق بك يحيى في تقريره أن فخري اشترى (٦٠٠٠) كيلوجرام من القمح قبل شهر من تسليم المدينة، وأمر بزرعها في الأراضي المجاورة للعيون، وقد نما الزرع بصورة جيدة حتى بلغ طول السنابل نحو (١٠) بوصات[٢].

وأخبرني الشيخ حسن صيرفي بأن فخري هو أول من غرس شجر السدر في الحبابة[٣].

كما قام بافتتاح حنفية المياه فوق آبار علي بوادي العقيق عند سفح جبل عير للاستفادة منها[٤].

وفي كل الأحوال لم تُجدِ هذه المشاريع الزراعية نفعاً إلا ما كان في وقته، وقد هلك الناس جوعاً وحُرم المزارعون من منتجاتهم في سبيل دفاع الأتراك عن المدينة.

نقل نفائس الحجرة الشريفة:

ولم يكتف الأتراك بهذه التجديدات بل قاموا بنقل نفائس المدينة المنورة وكنوزها إلى تركيا وديعةً هناك[٥]، وذلك بغرض ترميمها وصيانتها وحفظها تحسباً لجميع الاحتمالات[٦]، وتدل الوثائق أن هذا الفعل كان برغبة جمال باشا قائد

---

(1) Kandemir, p. 125.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ٣٤١.

(٣) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٤) «صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني» ص ٢٣٢.

(٥) جرت عادة الأمراء والسلاطين منذ قديم الأزمنة على إهداء قناديل الذهب والفضة إلى الحجرة الشريفة، على أنها هدية لا تستعمل أبداً، ولينظر في ذلك: «وفاء الوفا» ٢ : ١٤٠ وما بعدها.

(6) Kandemir, p. 79, Kiciman, p. 85.

الجيش الرابع وذلك بإشراف الحكومة العثمانية ممثلة في الصدر الأعظم والقيادات العليا [١]، فقد جاء في رسالة مشفرة من جمال باشا إلى أنور باشا مؤرخة في ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ، يخبره بأن الأمانات المقدسة في المدينة المنورة يجب إرسالها إلى إسطنبول حالاً [٢].

وصدر الأمر من الحكومة العثمانية بإحصاء الهدايا النفيسة التي كانت تضمها الحجرة النبوية الشريفة، ومن ضمنها الكوكب الدرّي والمجوهرات وبعض المصابيح النفيسة في الحجرة، ثم القيام بتغليف الموجودات الأثرية والهدايا في الحجرة النبوية، ووضعها في صناديق محكمة، ونقلها إلى إسطنبول، فقدم ناظر الأوقاف من الأستانة إلى المدينة للإشراف عليها، ولما مضى عليهم نحو الشهرين، نُقلت كلها سراً بحراسة تامة إلى دمشق ومنها إلى إسطنبول عن طريق سكة الحديد الحجازية [٣].

ويذكر السيد عثمان حافظ بأن جميع السلاسل الذهبية والفضية والهدايا التي كانت بالحجرة الشريفة سُحبت وصُبّت سبائك وكفوفاً ذهبية، إذ كانوا ينوون ضرب عملة جديدة باسمهم، وقال: "أعتقد أنها ما زالت موجودة حتى الآن في مستودعات المسجد النبوي" [٤].

وفيما قاله السيد رحمه الله مبالغة كبيرة، وإلا فإن الوثائق تدل على أن الأمانات المحفوظة في الحجرة الشريفة لم يتم نقلها حتى صدر فرمان عثماني من السلطان محمد رشاد بتشكيل لجنة برئاسة شيخ الإسلام موسى كاظم، وعضوية رئيس المرافقين توفيق أفندي وعبد الرحمن شرف بك، ومستشار الأوقاف الهمايوني منير بك، وشيخ الحرم زِيوَر آغا، ومدير الخزنة الهمايونية رفيق بك، مع الاستعانة برأي

---

(١) «مكة المكرمة والمدينة المنورة، بحوث ودراسات من واقع الأرشيف العثماني» ص ٩٧.

(2) *Kandemir, p. 76.*

(٣) «عقد الزمرد والزبرجد» ص ٢٨٢، و«جريدة القبلة»، عدد ٤٩.

(٤) «صور وأفكار» ص ٣٣٥.

نائب الحرم وأمين الخزنة والمتسلم وآغا البوابين وجلبهم إلى إسطنبول عند اللزوم.

وختم على ذلك: الصدر الأعظم محمد طلعت، وشيخ الإسلام موسى كاظم، وناظر الخارجية وناظر الحربية، وناظر التجارة والزراعة، وناظر المالية، وناظر العدالة ورئيس شورى الدولة، وناظر النافعة (الأشغال العامة)، وذلك في ٢٥ رجب سنة ١٣٣٥هـ[١].

وقد أشرف على عملية النقل فخري باشا بنفسه، لكنه لم ينقل كل ما في الحجرة إنما اختار أنفسها وأعلاها شأناً، ففي رسالةٍ منه إلى جمال باشا مؤرخة في ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ، يقول: "لقد تشاورت مع شيخ الحرم النبوي حول نقل الأمانات ذات القيمة المادية والمعنوية، واكتفيت بنقل قطع الماس الكبيرة والشمعدانات المرصعة، والثريّات والقناديل والشماعات والسُبح، والمخطوطات النادرة في مكتبة عارف حكمت والمحمودية، وتخليت عن إرسال الأشياء الفضية والكتب المطبوعة. جميع هذه الأشياء سأرسلها في داخل صناديق مختومة ممهورة، وسيصحبها شيخ الحرم والعبد مظفر آغا والموظف المكلف بتسليمها، وكل قطعة قد قيدت بالتفصيل والتاريخ وسجّلت محتوياتها في عدة نسخ من الدفاتر"[٢].

وقد تم التدقيق في المحتويات كلها، وتم عمل محضر خاص يحصي عددها، ويصف كل قطعة منها وصفاً دقيقاً، وقد أعد هذا المحضر في المدينة المنورة، وشكلت لجنة يرأسها مدير الحرم النبوي الشريف مظهر بك ومعه عدد من الأغوات حملوا هذه الأمانات من المدينة إسطنبول، كما شكلت لجنة أخرى في مجلس الوزراء وافق عليها السلطان، فأعيد ترميم الأمانات وصيانتها في الخزانة السلطانية في (طوب كابي)[٣].

---

(١) «مكة المكرمة والمدينة المنورة بحوث ودراسات من واقع الأرشيف العثماني» ص ٩٠.

(2) Kandemir, p. 79- 80.

(٣) «مكة المكرمة والمدينة المنورة، بحوث ودراسات من واقع الأرشيف العثماني» ص ٨٣.



القطار وهو يحمل أمانات الحجرة الشريفة

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

وتبيّن الدفاتر التي أحصت هذه المجوهرات والأمانات أن عددها بلغ حوالي (٨٧) قطعة، منها مصحف منسوب إلى سيدنا عثمان مخطوط على جلد غزال، ومصاحف أخرى، ومسابح وقلائد وسلاسل وسيوف وصناديق من ذهب وفضة وألماس وجواهر وأحجار كريمة[١]، ومن أثمن ما نُقل أربعة عشر شماعة ذهبية، واحدة منها يقدر ثمنها بـ (٥) ملايين قطعة ذهبية عثمانية، وشماعتان تقدر الواحدة منهما بمليون قطعة ذهبية، ومن أنفس هذه الأمانات الماسة الشهيرة بـ (الكوكب الدري) وقدرت قيمتها بـ (٣٠١) ألف قطعة ذهبية عثمانية، وقد بلغ إجمالي قيمة الأشياء المنقولة أكثر من (١٠) مليون قطعة ذهبية عثمانية[٢]، وقيل: (١٣) مليون قطعة ذهبية[٣].

---

(١) «مكة المكرمة والمدينة المنورة، بحوث ودراسات من واقع الأرشيف العثماني» ص ١٠١-١١٢، *Kiciman, p. 27-28*.

(2) Kiciman, p. 28- 29.

(٣) «جريدة القبلة» ع ٤٩، ص ٢.

وجميع هذه الأمانات قد وضعت في صناديق مدموغة بالرصاص وأخرجت من المدينة بصحبة أمين الخزنة النبوية والآغوات وحراسة من فرقة عسكرية على متن القطار في ٢٢ رجب ١٣٣٥هـ، ووصلت إلى إسطنبول في ٥ شعبان سنة ١٣٣٥هـ بسلام لم يمسسها أذى[١].

وتشير الوثائق إلى أن هذه الأمانات إنما أرسلت وديعة لتحفظ في الخزنة الهمايونية في قصر (طوب كابي) وبشكل مؤقت إلى أن تنتهي الحرب ويتم الانتهاء من ترميمها وصيانتها ثم تعاد إلى مكانها في الحجرة الشريفة[٢]، لكن الحرب انتهت على عكس ما أمّل الأتراك وبقيت هناك.

وبالعودة إلى ما ذكره السيد عثمان حافظ من أن الأتراك سحبوا السلاسل الذهبية والفضية وصبوها سبائك وكفوفاً ذهبية، فإن حقيقة الأمر أن فخري باشا أبقى على بعض الشمعدانات والسلاسل الفضية تحت أمر الخزنة النبوية، ولما ضاقت الحال بالجيش ولم يمكن توفير المؤونة للحامية العسكرية، أمر بتوزيع هذه السلاسل بعد أن أحضر الصاغة وأمرهم بوزنها وحساب قيمتها بالذهب، فعادلوا الليرة الذهبية بـ (٢٠) جراماً من الفضة، وسجل فخري كل ذلك في وثائق رسمية ثم وزعها على الجنود والضباط[٣].

وقد أثرت حادثة نقل النفائس في الأشراف، فنددوا بهذه الفعلة، وكتب الكثيرون في ذلك وأرجفوا بأن الألمان دخلوا الحجرة الشريفة، وزعموا أن الأتراك نهبوا الحجرة وعرضوا هذه المجوهرات على بعض البنوك لقاء مال يأخذونه ليستعينوا به على ما هم عليه[٤]، وكل ذلك إشاعات لا صحة لها.

---

(1) Kiciman, p. 27.

(٢) «مكة المكرمة والمدينة المنورة، بحوث ودراسات من واقع الأرشيف العثماني» ص ٩٤، ٩٧.

(3) Kiciman, p. 321.

(٤) «جريدة القبلة» ع ٢٠ ص ٣، وع ٤٨ ص ٢، وع ٤٩ ص ٢، وع ٥٧ ص ٢، وع ٨٩ ص ٢.

وقد روى لنا الضابط في حامية المدينة ناجي كجمان شيئاً من أراجيف الثوّار فقال: "وقد أشاع رئيس المتمردين كثيراً من الأراجيف بين العربان، مؤداها أن القوات العثمانية التي عاملوها وخبروها منذ أربعمئة سنة وعرفوا أنها مسلمة ما هي إلا ألمان كفرة، واقتنع المتمردون بذلك. وكانت تتعالى صيحاتهم من الجبهة قائلة: نصراني، فكان يقابلها تصعيد الأذان الإسلامي، فيصيح العربان: كذاب، ويمطرون المؤذن بوابل من الرصاص"[١].

وقد يظن البعض أن الأمانات المنقولة هي المتعلقات النبوية وما ينسب إلى الصحابة من سيوف وعمائم مما هو محفوظ في (طوب كابي)، وهذا خطأ شائع والحقيقة أن هذه المتعلقات موجودة هناك منذ عهد قديم، فقد أرسلها الشريف بركات بن محمد (ت ٩٣١) مع ابنه الشريف أبي نمي الذي كان يبلغ من العمر (١٠) سنوات، إلى السلطان سليم الأول في مصر أثناء فتحها وانتصاره على المماليك، حيث مكث هناك نحو (٨) أشهر، فأسبغ السلطان العطاء للشريف أبي نمي، وأرسل الأمانات داخل صناديق في حجرة القصر السلطاني، وذلك سنة ٩٢٢هـ[٢].

وأما التي نقلها فخري باشا فهي الذخائر التي كان يهديها السلاطين والأمراء والوجهاء إلى الحجرة النبوية الشريفة، وقد سجلت في دفاتر مكتوبة ونشرها الدكتور سهيل صابان في بحوثه[٣].

---

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» ناجي كاشف كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٨٠.

(٢) «آثار الرسول ﷺ في جناح الأمانات المقدسة في متحف قصر طوب قابي بإسطنبول» ص ٨، *Kiciman, p. 312- 313* .

(٣) «الأمانات المنقولة من الحجرة النبوية إلى إستانبول»، د. سهيل صابان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع ٢، ص ١١- ٤٠.

نقل مكتبتي عارف حكمت والمحمودية :

ومن الأشياء التي نقلها فخري باشا مكتبة عارف حكمت، والمكتبة المحمودية، ويبدو أن اختياره لهما دون سائر المكتبات لأنهما أكبر مكتبتين في المدينة، ولصلتهما بالنسبة التركية، فالأولى كانت من أوقاف شيخ الإسلام السيد أحمد عارف حكمت الحسيني سنة ١٢٧٠هـ، والثانية من وقفيات السلطان محمود الثاني بن عبد الحميد خان سنة ١٢٣٧هـ[١].

ولم ينقل فخري كل ما في المكتبتين، إنما اكتفى بالمخطوطات فقط، وترك المطبوعات في المدينة [٢].

وحملت المخطوطات إلى سكة الحديد بغرض الوصول بها إلى إسطنبول، لكن الحرب كان قد حمي وطيسها فسار بها القطار وتوقف في دمشق، حيث أنزلت ونقلت إلى مسجد التكية السليمانية، ووضعت في عدد من الغرف الملحقة به، والمخصصة لطلاب العلم[٣].

ثم إن الشريف فيصل بن الحسين أعادها معه إلى المدينة المنورة سنة ١٣٣٧هـ بعد انتهاء الحرب وجلاء الترك ودخول الشريف فيصل مدينة دمشق[٤]، إلا أن هذا الانتقال لم يؤثر في عدد الكتب بل عادت كما هي، وإنما النقص الذي حصل فيها كان أثناء وضعها في المكتبة في المدينة ومقابلتها بالقوائم الموجودة، حيث وجد نقص بمقدار (٦٦) كتاباً كان قد تم إرسالها مع أمين المكتبة عمر

---

(١) «مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت» محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، سنة ١٣٧٩هـ، و«أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة» ص ١٥٣، ٢٠٢.

(2) *Kandemir, p 80.*

(٣) «مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت»، محمد سعيد الدفتردار، مجلة المنهل، سنة ١٣٧٩هـ، و«التاريخ الشامل» ٣: ٧٠.

(٤) «المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ» ص ١٧٣- ١٧٤، و«قديم الأدب وحديثه» ص ١٤٢، و«التاريخ الشامل» ٣: ٧٠.



مكتبة عارف حكمت
وأمينها الشيخ الأكنلي

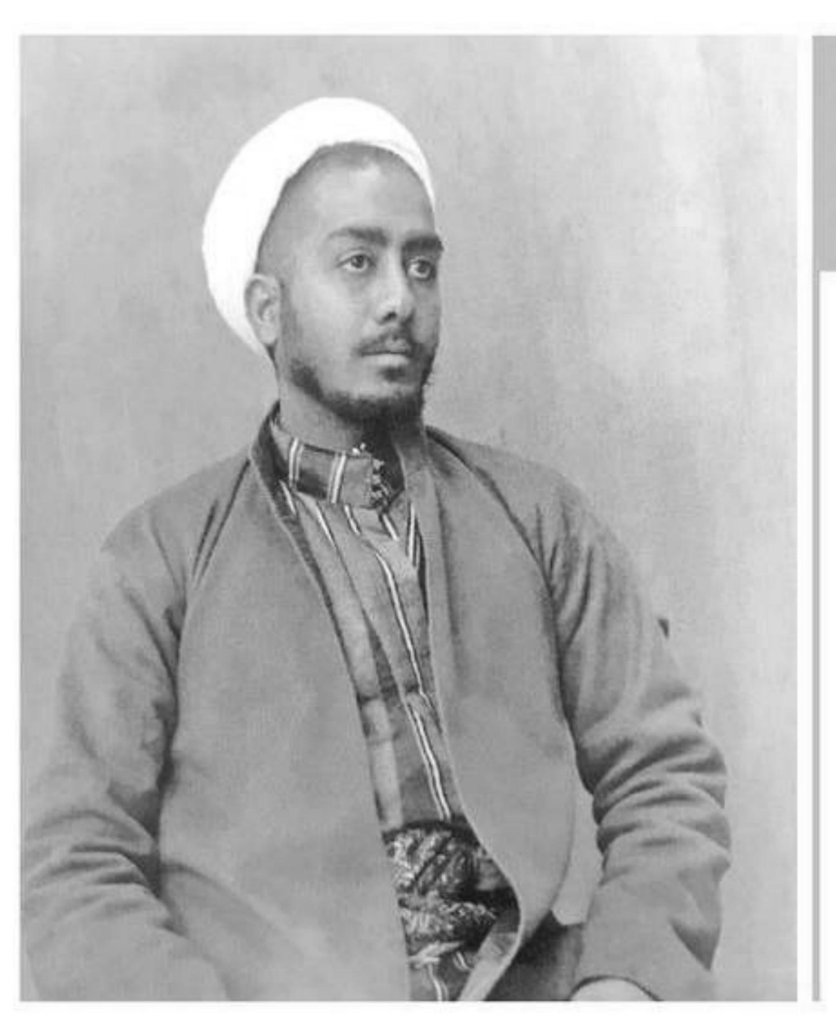
لطفي أفندي إلى إسطنبول مقابل عهدة رسمية من لدن شيخ الحرم زيوَر بك، و(١٦) كتاباً آخر ضاعت من المكتبة، لم يعلم كيف ضاعت. وهناك خمسة كتب أخرى ثبت ضياعها في العهد السعودي وكان أمين المكتبة وقتها الشيخ إبراهيم بن أحمد حمدي الخربوطي (ت ١٣٧١هـ) وقد اتهمه البعض بسرقة الكتب زمن الأشراف[١]، وبعد بحث في ذلك تبين براءة ساحة الشيخ الخربوطي من السرقة[٢].

أما المكتبة المحمودية فقد روى الشيخ جعفر بن إبراهيم فقيه أنها وضعت في التكية السليمانية، وفاض عليها نهر بردى، فأصاب جزءاً من محتوياتها، ثم أعيدت مع الشريف فيصل رحمه الله [٣].

(١) «مكة المكرمة والمدينة المنورة بحوث ودراسات من واقع الأرشيف العثماني» ص ٢٤٤.

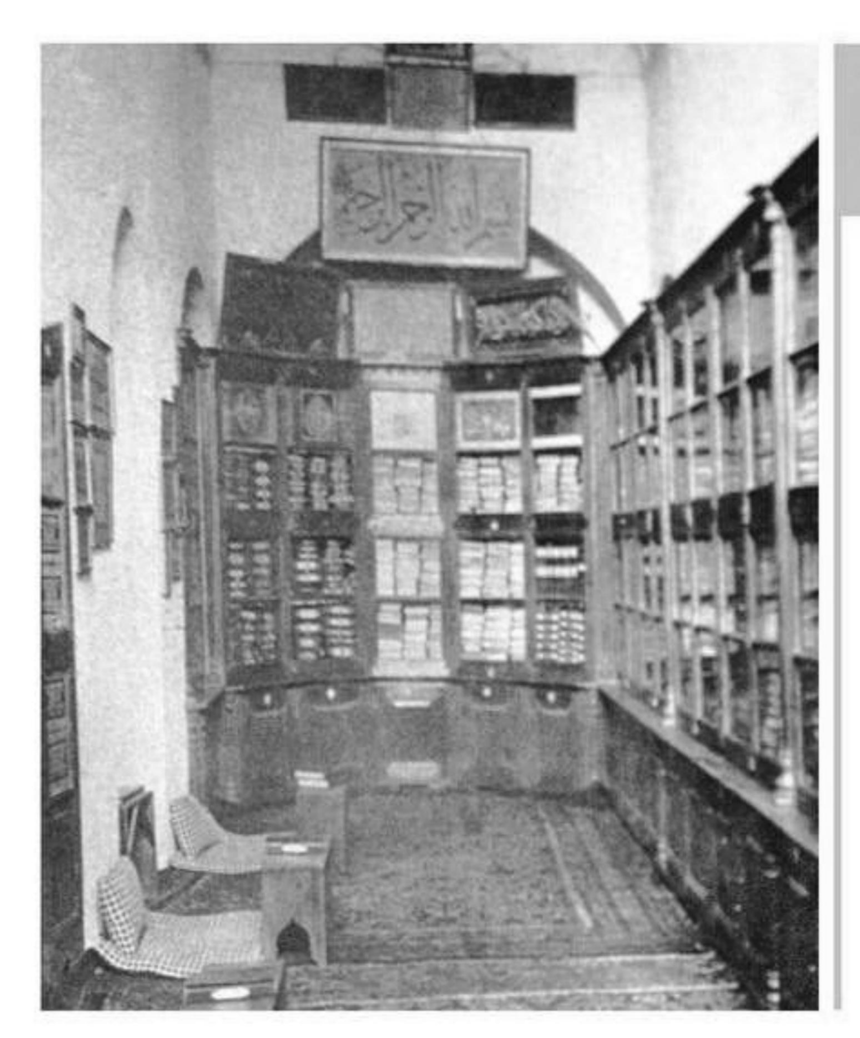
(٢) «صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة» ص ١٨٢، و«قديم الأدب وحديثه» ص ١٤١.

(٣) «أثر الوقف الإسلامي على الحياة العلمية في المدينة المنورة» ص ١٥٧.



الشيخ إبراهيم حمدي الخربوتي

(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)



المكتبة المحمودية

(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)

ومما ينبغي ذكره هنا ما روي: أن فخري باشا استأذن فاطمة شمس جهان هانم بنت عبد الله القفقاسي الشركسي – معتوقة عارف حكمت[١]- في نقل مكتبة سيّدها فلم تأذن له ورفضت ذلك، لكنه لم يأبه لذلك وفعل ما أُمر به[٢].

---

(١) وهم كثير من الباحثين في عدّ فاطمة شمس جهان زوجاً لعارف حكمت، ومنهم السيد عبد الحي الكتاني في «فهرس الفهارس» ١: ٦٦، ٢: ٧٢٤، والجودي القيرواني في رحلته «مجلة العرب» سنة ١٦ ص ٨٧٤، وزاد الكتاني في بعض المواضع من كتبه أن عارف تزوجها سنة ١٢٥٥هـ، والصحيح أنها كانت جارية من جواريه أعتقها وبقيت في المدينة المنورة، وقد ورد اسمها في صك الوقفية المؤرخ سنة ١٢٧١هـ وفيه أنه خصص لمعتوقته فاطمة شمس جهان ٢٥٠ قرشاً لكل شهر. انظر: «أثر الوقف في الحياة العلمية بالمدينة المنورة» ص ٢١٢.

وأما أزواج عارف حكمت فقد أفادني الشيخ محمد فاتح قايا التركي نقلاً عن كتاب «شيخ الإسلام الشاعر أحمد عارف حكمت بك- حياته وآثاره وأشعاره» للدكتور بلال كميكلي، أن له ثلاث زوجات هن: نُزهت (ت ١٢٢٠)، وخديجة (ت ١٢٣١)، وفاطمة ديل نيش (ت ١٢٥٦). انظر: *Sair Seyhulislam, Arif Hikmet Beyefendi, Hayati-Eserlri-siirleri, Bilal Kemikli, p 3-7*.

(٢) كنت قد قيّدت هذه الفائدة لكن نسيت مصدرها، لذا صدّرتها بصيغة التمريض، ثم إني رأيت الدكتور عاصم حمدان رواها عن السيد حبيب بن محمود أحمد في كتابيه: «قديم الأدب وحديثه» ص ١٤١، و«المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ» ص ١٧١، لكنه ذكر أن المستأذنة هي حفيدة عارف حكمت، وهذا لا يصح لأن شيخ الإسلام لا يعرف له أولاد سوى بنت له تدعى حسيبة توفيت في ١٢٣١هـ، ولم يعرف له أحفاد أو حفيدات في المدينة *Kemikli, p.6*.

وهناك سبب آخر يضعف هذه الرواية وهو أن فاطمة شمس جهان معتوقة عارف حكمت لم يكن لها شأن يذكر في أمور المكتبة، لا هي ولا أحد من أقارب الشيخ لو فرضنا وجود حفيدة له، وإنما المسؤول هو أمين المكتبة في ذلك الوقت الشيخ عبد القادر بن محمد حواري (ت ١٣٥٣) ومشرفوها حسب نظام الوقف، لذا من غير المعقول أن يترك فخري باشا هؤلاء ويذهب إلى فاطمة المذكورة ليستأذنها في وقف سيّدها.

أحداث ومناسبات في المدينة :

حظيت المدينة خلال هذه المدة الحافلة بالتطورات السياسية بكثير من المناسبات والأحداث، ومع كل الضيق واللأواء الذين ابتليت بهما المدينة إلا أن مظاهر الاحتفالات كانت تتخللها بين الفينة والأخرى، وتشير الصور التي نشرت في فترة فخري باشا إلى كثرة هذه المناسبات التي كان يقيمها في الحرم النبوي أو المدينة المنورة عموماً، ويذكر قاندمير أن فخري كان يتعمد الإكثار من ذلك ويجمع أهل المدينة والأطفال ويحتفل معهم، ويغني ويشارك العمال الفقراء بغرض أن يثبت للأعداء أنه لن يترك المدينة[1]. وسأطل إطلالة سريعة على بعض هذه الأحداث داخل المدينة المنورة.

رمضان في المدينة المنورة :

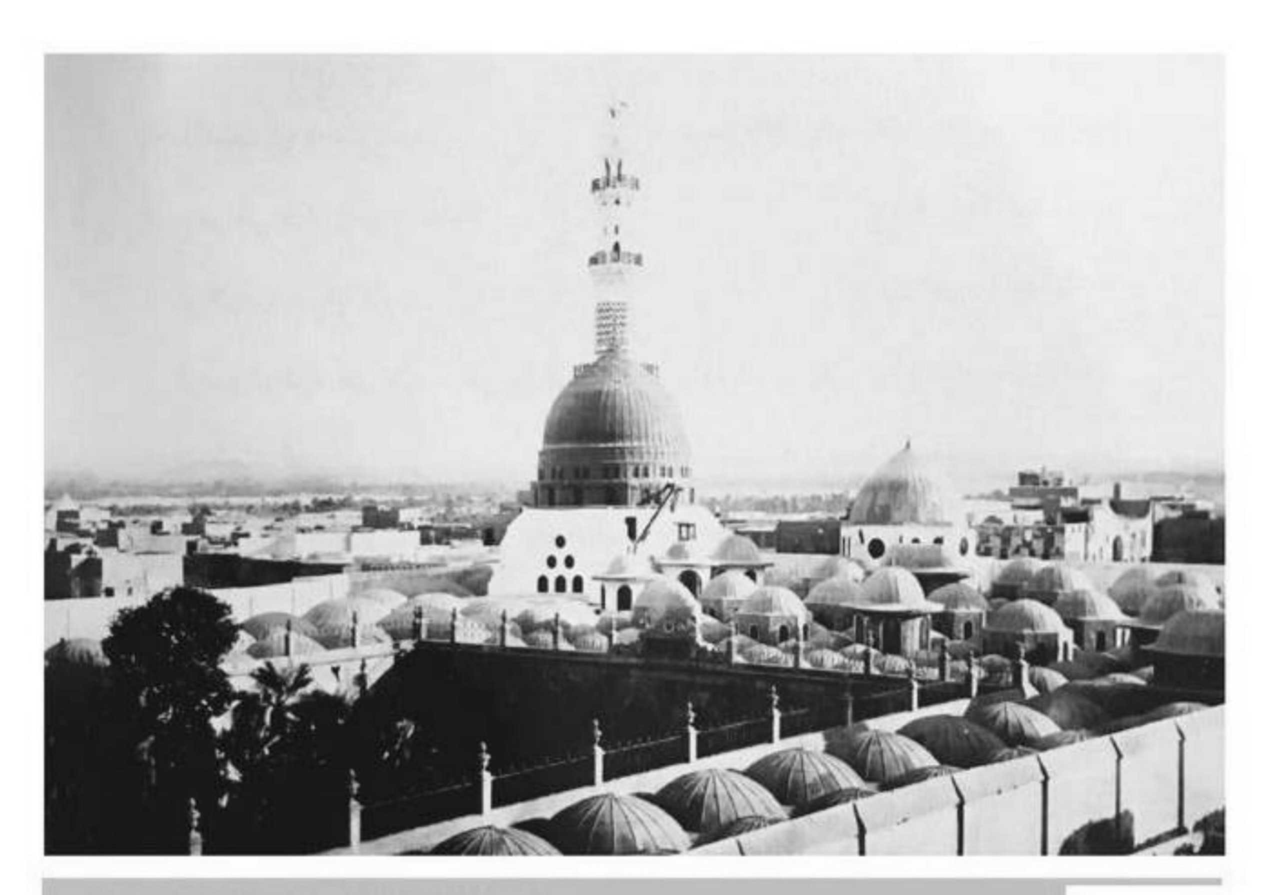
يصف كجمان المدينة المنورة في رمضان سنة ١٣٣٥هـ وكانت في ذروة عملية الإخلاء، فيذكر أن القناديل والشموع والكهرباء كانت تبث الضوء في كل الجهات، وأن منظر المنارة الرئيسية بجانب القبة الخضراء، وقد زينت بالمصابيح من أعلاها إلى أسفلها، يشبه دليل التائهين في الصحراء وكأنه عمود من الضوء. ولأن الحر كان شديداً فإنهم ينتقلون في صلاة التراويح إلى الحصوة الأولى بجانب حديقة السيدة فاطمة، حيث الهواء الطلق والنسيم العليل، وكانوا يصلون على حصير رقيق أبيض، وسجادات حمراء حريرية ناعمة. وكان المؤذن ندي الصوت، والإمام شيخٌ مشهور بالصلاح والزهد.

وقُدّم طعام العشاء على مدى ثلاثة أيام، لمن بقي في المدينة من الأعيان والوجهاء والموظفين، كما وُزّع الطعام مجاناً على الفقراء والمساكين في المدينة بمناسبة هذا الشهر الكريم. وأخيراً حلّ عيد الفطر وأقيمت الصلاة في روحانية عميقة[2].

---

(1) *Kandemir, p. 161.*

(2) *Kiciman, p. 96.*



الحرم النبوي الشريف والقبة الخضراء

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

عيد الأضحى في المدينة المنورة :

كانت الأشهر الحرم في السنة الأولى من الثورة محترمة من جميع الأطراف، خاصة في أيام الحج حيث يتوقف الطرفان فيها عن القتال، لكن بعد أن اشتدت الحرب وأَلِف الجنود المعارك صارت الغارات لا تتوقف[1]، ويصف كجمان حال المدينة في عيد الأضحى أثناء الحصار وقد أُجهد الناس والجنود من هذه الحرب فيقول بشيء من العاطفة الوطنية:

"نعم في يوم الأحد ١٦ سبتمبر ١٩١٨ (١٠ ذي الحجة ١٣٣٥هـ)، كان عيد الأضحى، وقبل صلاة الصبح توافد الجند والأهالي والناس عن بكرة أبيهم إلى الحرم الشريف، وحل وقت التكبير والتهليل وأقيمت صلاة العيد، ولم يكن بإمكان شخص أن يقول شيئاً لشخص آخر، وكان الجميع يخافون وكانت الألسنة تسكت لتتحدث العيون، ولم تكن الطرق تفتح، ولم يكن الحصار يُرفع، وكانت

(1) Kiciman, p. 305 .

المؤن تنفد، وكان الأجل يوافي الأصدقاء، وكانت قوة الحملة تُسحق، كان كل شيء يقترب من النهاية، لكن قدسية المهمة، والشرف التاريخي كانا يأمران -باستمرار- قوة الحامية في ظل إمكانيات تحت الصفر"[١].

الاحتفال بالمحمل الشريف والصرة الهمايونية :

درج السلاطين العثمانيون على إرسال الصرة الهمايونية إلى الحجاز منذ القدم، وأول صرّة أرسلها آل عثمان كانت سنة ٧٩١هـ، وانتهت هذه العادة سنة ١٣٣٦هـ[٢].

والصرة باختصار هي مرتبات وهدايا نقدية مخصصة لأهالي الحرمين الشريفين من الحكام والسادة والأشراف والأعيان والفقراء، وتعرف بالصرة الرومية أو السلطانية أو الهمايونية (صرّئي هُمايون)[٣].

وكانت الصرة تُرسل برفقة المحمل الرومي، وتخرج من إسطنبول في ١٢ رجب من كل سنة، ومن المعلوم تاريخياً أن أول من أرسل المحمل إلى الحرمين الشريفين هم الأمويون، وأما السلاطين العثمانيين فكانوا يبعثون بالمحمل الشريف من قصر (يلدز) في ١٥ شعبان إلى الحرمين محمّلاً بالصرة الهمايونية ومعها أستار الحجرة الشريفة والحرم النبوي الشريف، مصحوبة في أحيان كثيرة بكسوة الكعبة المشرفة، كل ذلك في احتفالات عظيمة ومواكب ضخمة[٤].

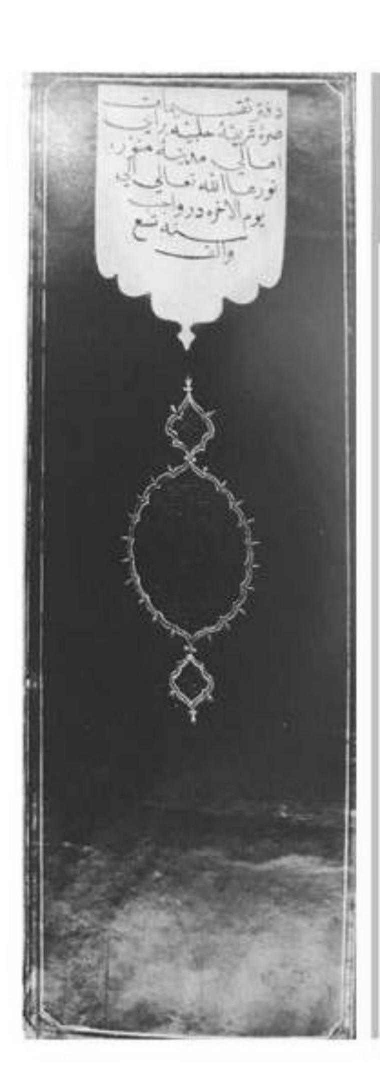
---

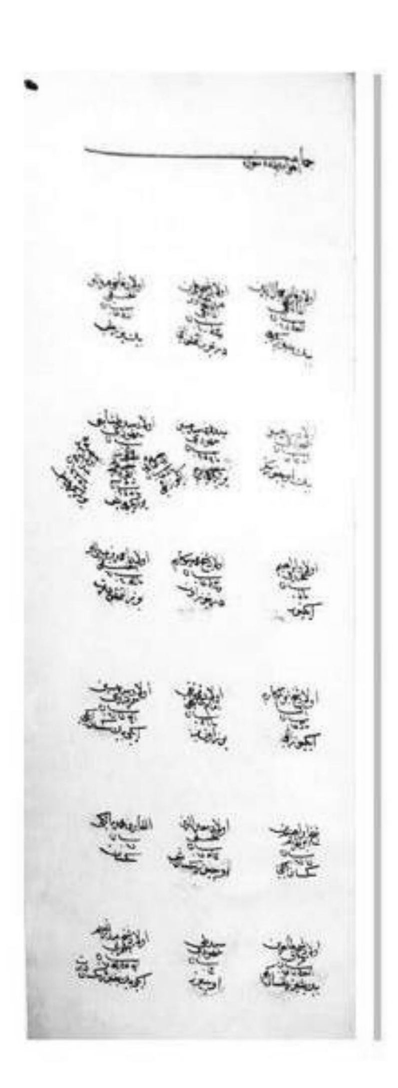
(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، عدد ٧، ص ١٠٧.

(٢) ورد في «عقد الجواهر والدرر» للشلي ١: ٢٠٦، أن أول من أرسل الصرّة هو السلطان محمد جلبي بن بايزيد العثماني، والصحيح أنها ابتدأت في عهد والده بايزيد بن مراد خان كما في: «خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين» ص ٢٦، «المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين» ص ٢٥.

(٣) «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التايخية» ص ١٤٤.

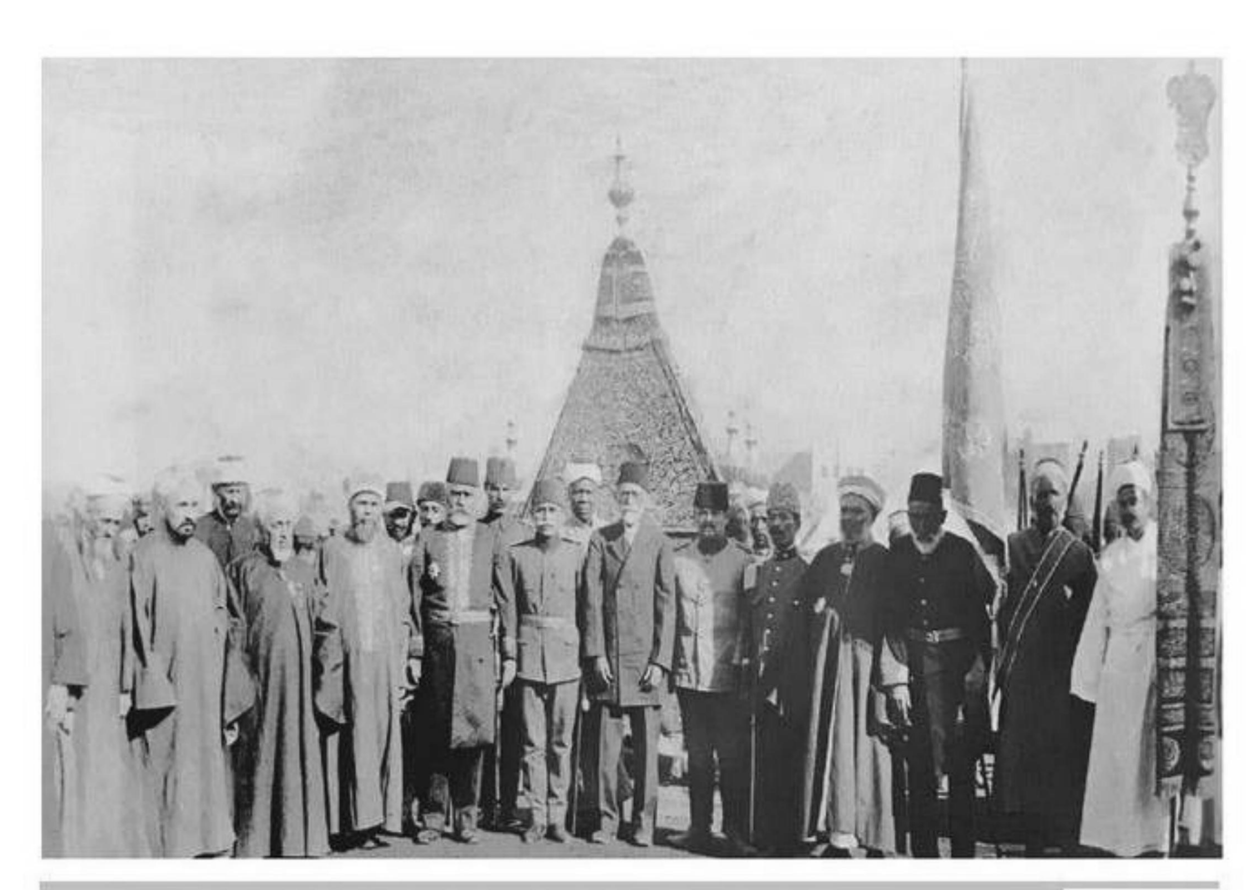
(٤) «المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين» ص ٢٥.





دفتر الصرة الهمايونية

(المرجع: المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين)



المحمل الشريف قبل ذهابه من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة

(المرجع: المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين)

فإذا وصل المحمل إلى المدينة المنورة خرج لاستقباله أمير المدينة ووجهاؤها ووضع في الحرم النبوي الشريف، ثم توزّع الصرة على المستحقين من لدن خزانة الحرم النبوي الشريف، كما أن هناك مخصصات من الصرة لمشايخ القبائل التي يمر عليها المحمل الشريف[١].

وفي أحداث سفر برلك أرسل المحمل الشريف سنة ١٣٣٤هـ إلى المدينة المنورة، واستقبل بمراسم فخمة ووزعت الصرة على الناس، وكان من المنتظر أن يكمل المحمل موكبه إلى مكة المكرمة حيث كانوا يؤملون في فخري باشا وتدابيره أن يستطيع استرداد مكة من يد الشريف الحسين، لكن طول الانتظار أدى بموظفي الصرة أن يعودوا إلى إسطنبول بصفة غير رسمية[٢].

وجاء الخبر بقدوم أحد مشايخ الطريقة النقشبندية في بورصة كان قد أرسله السلطان رشاد برفقة موكب الصرة الهمايونية، ومعه رسالة من السلطان أوصاه أن يضعها عند الحجرة الشريفة، ويقال أن السلطان قال للشيخ لما سلمه الرسالة: «ماذا عساي أن أفعل وليس بمقدوري أن أسمع كلامي أحداً»، وأما مضمون الرسالة فهو التضرع إلى الله تعالى لكشف الغمة وتفريج الكربات عن الأمة الإسلامية والتماس النصر للجيوش العثمانية، وأن يقبض الله روحه إذا قدّر عليهم الهزيمة لأنه لن يقوى على احتمال ذلك[٣]، وبالفعل فإن السلطان رشاد فارق الحياة في ٢٤ رمضان سنة ١٣٣٦هـ قبل قرار إعلان الدولة العثمانية لاستسلامها للحلفاء في محرم ١٣٣٧هـ.

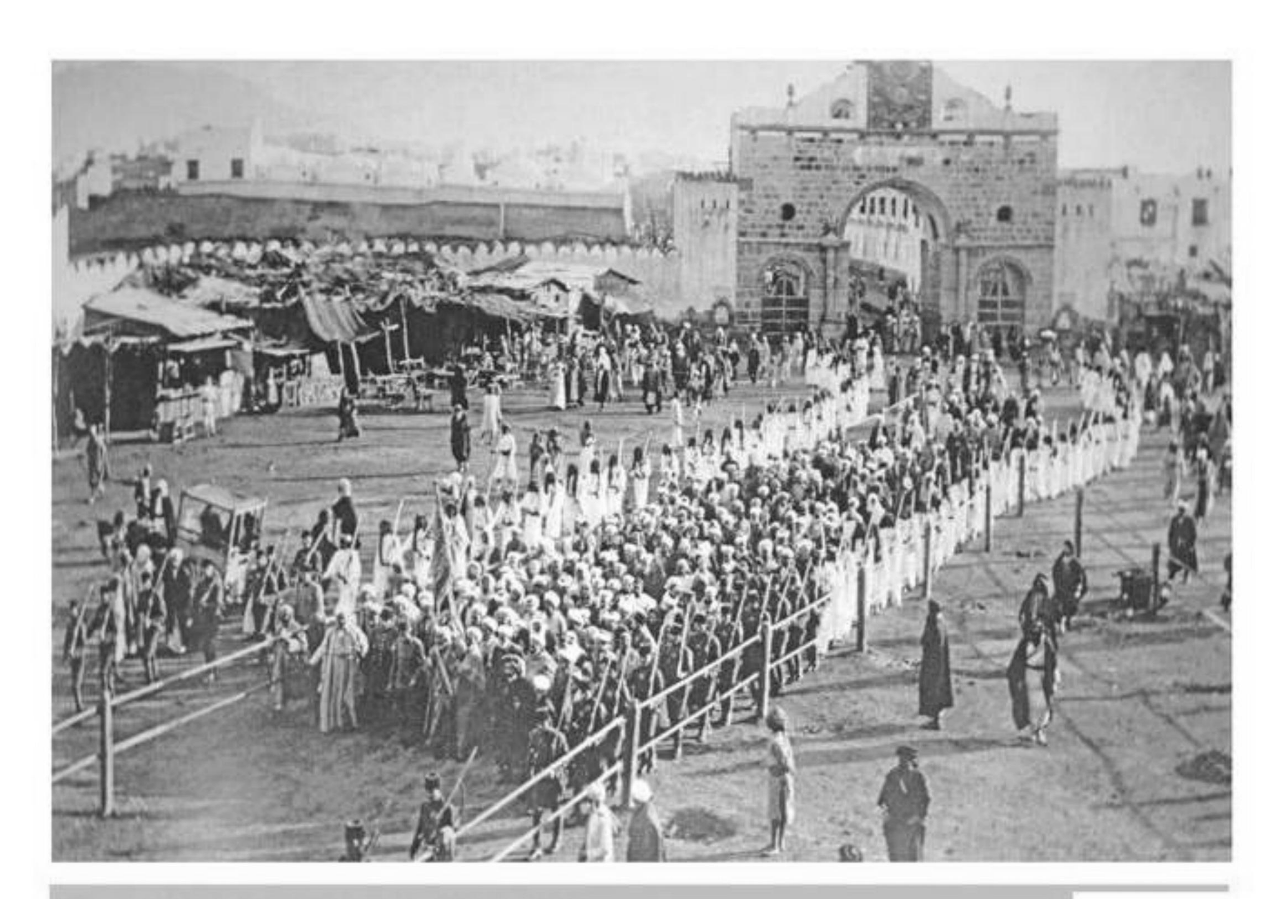
وفي يوم عرفة سنة ١٣٣٥هـ وصل المحمل الخاص بهذه السنة مع أمين الصرة وأجريت المراسم وأطلقت المدافع، وفي ثاني أيام عيد الأضحى جُهز في محطة العنبرية على جمال مزينة، وحمل المحمل تصحبه الفرقة الموسيقية العسكرية وأغوات الحرم والموظفون المدنيون، وعلى يمينه الضباط وعلى يساره

---

(١) «المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين» ص ٥٨، ٦٦-٦٨.

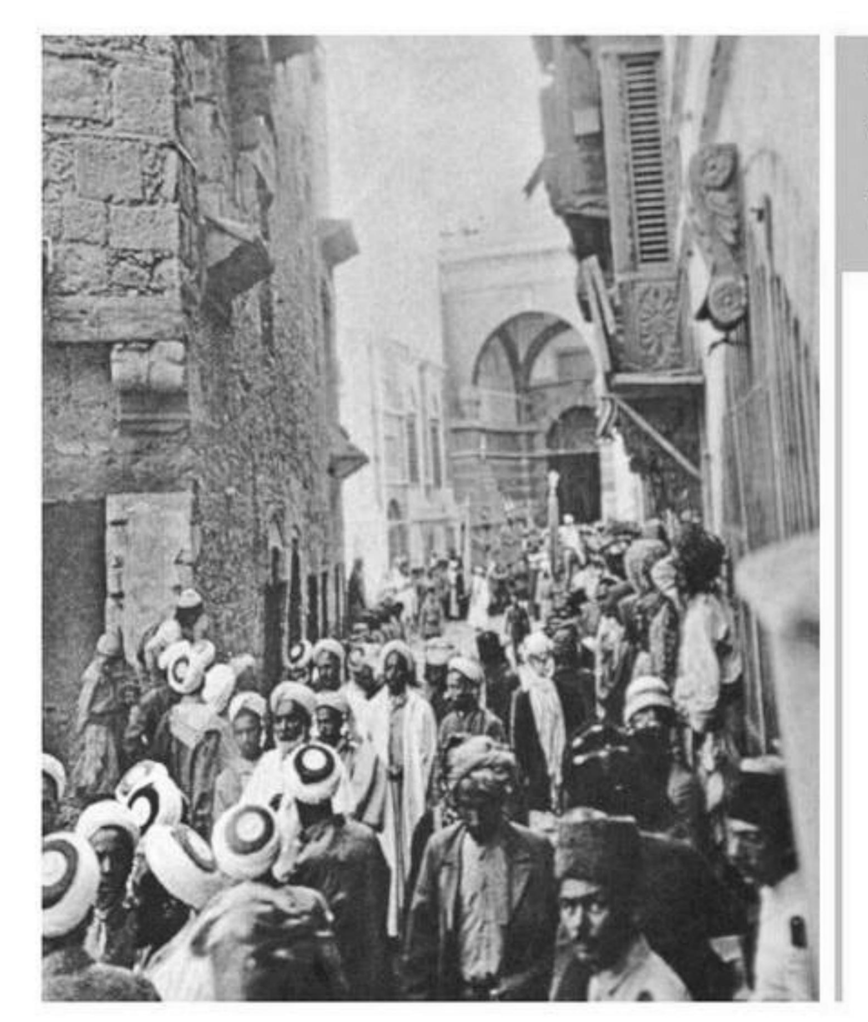
(2) *Kiciman, p. 57.*

(3) *Kiciman, p. 57.*



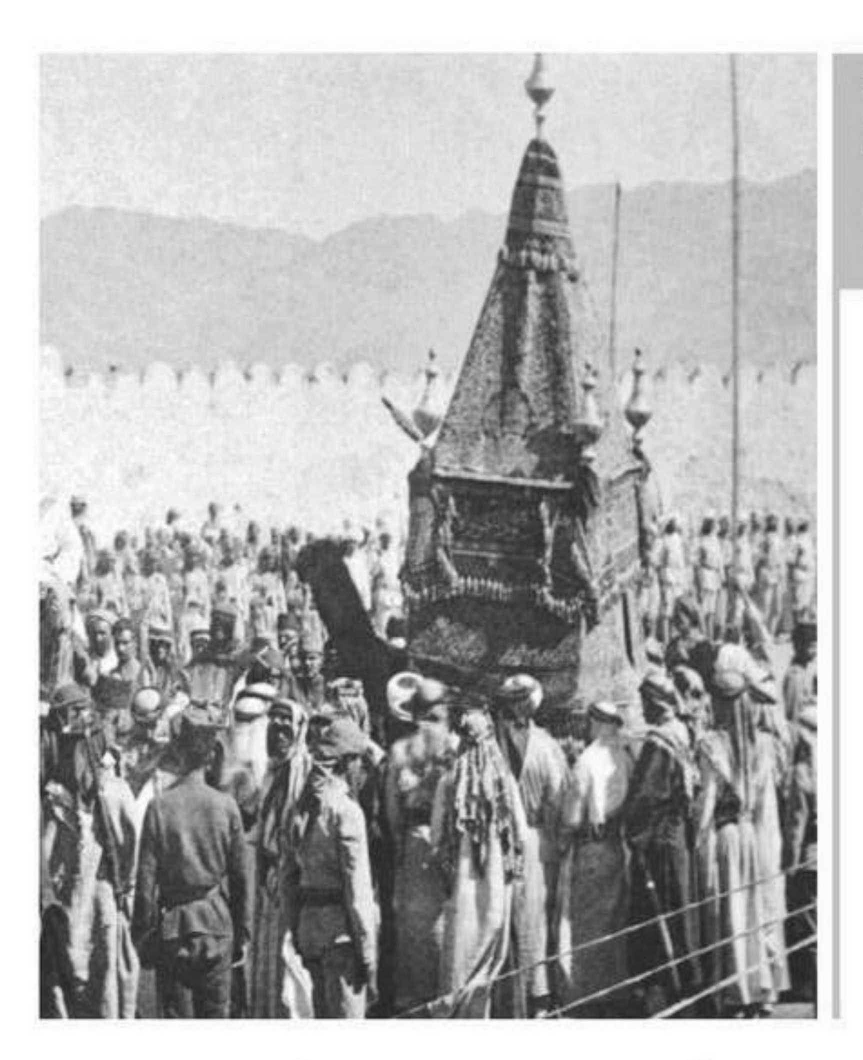
المحمل الشريف يخرج من باب العنبرية

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



وصول المحمل أمام باب السلام

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



آخر محمل وصل المدينة المنورة زمن فخري باشا

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

فرقة الهجّانة، وفخري باشا ومعه الأمير سعود ابن رشيد وأمين الصرة يمسكون بزمام الجمل واتجهوا إلى الحرم النبوي الشريف، وبطبيعة الحال لم يصل إلى مكة المكرمة[١].

وكان هذا هو آخر محمل يحمل آخر صرة عثمانية ترسل إلى المدينة المنورة، وأما موكب الصرة سنة ١٣٣٦هـ فقد وصل إلى بلاد الشام ولم يتجاوزها[٢].

المولد النبوي الشريف :

من المناسبات الاعتيادية التي اعتنى بها العثمانيون كغيرهم من الحكام في ذلك الزمان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف[٣]، وهذا العمل جرت به العادة أن

---

(1) Kiciman, p. 99- 101.

(٢) «المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين» ص ٣١٠.

(٣) كان المولد النبوي الشريف يُحتفل به في المدينة المنورة في زمن العثمانيين ثم الأشراف

يقام في كثير من المناسبات في الحجاز لكنه يتخذ طابع الرسمية في شهر ربيع الأول، وفي ذلك يقول قاندمير: "ويحتفل الناس في المدينة بمولد النبي ﷺ أعظم احتفال، ويهنئ بعضهم بعضاً، وتغلق في ذلك اليوم الدكاكين والأسواق، ويلبس كل شخص ملابسه الجديدة، ويتجه إلى الحرم النبوي الشريف، وهناك تُقرأ قصة مولد النبي صلى الله عليه وسلم أمام جموع غفيرة، وتُزيّن الأماكن حتى المساء، وتطلق المدافع وتعم البهجة والحبور"(١).

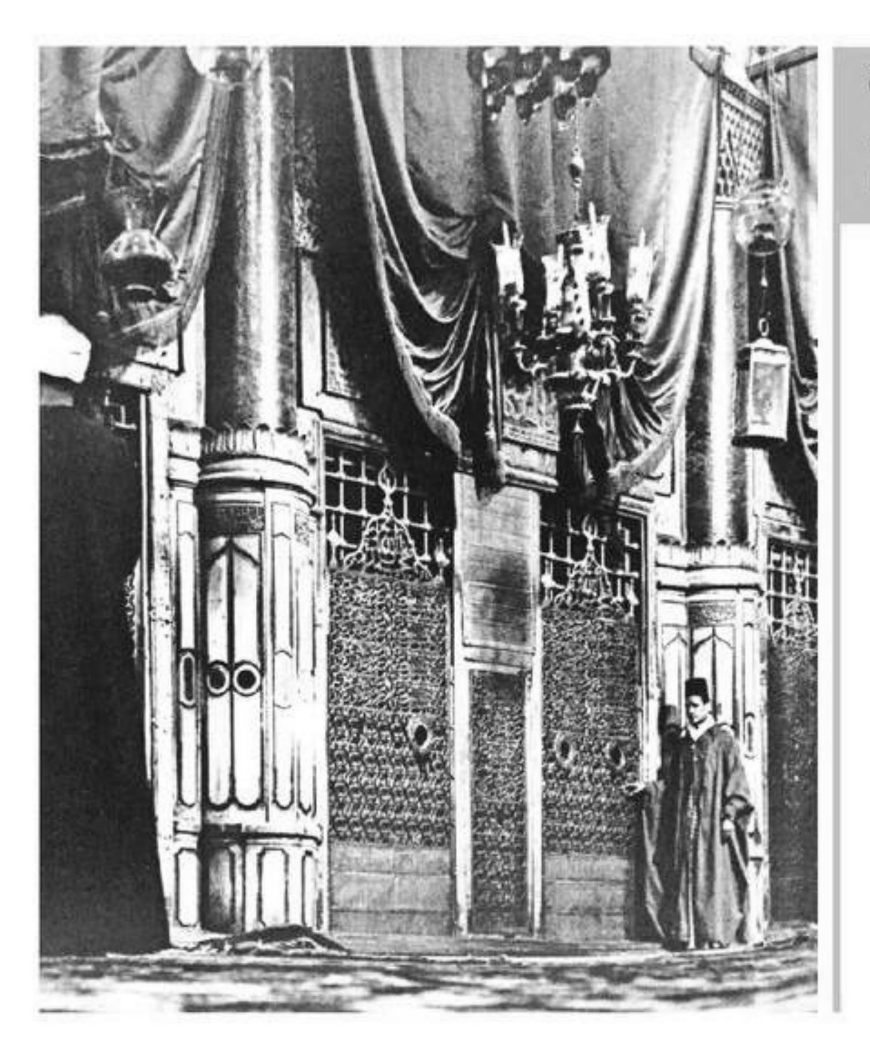
ويصف الضابط كجمان مراسم الاحتفال، فيذكر أنه في يوم الأربعاء ١٦ ديسمبر ١٣٣٣رومي= ٢ ربيع الأول ١٣٣٦هـ زيّنت المدينة المنورة بالرايات وأضيئت بالأنوار وأطلقت المدافع، وعند صلاة الصبح في اليوم التالي اكتظ الحرم بالضباط والجنود والأهالي الموجودين، وقرئ المولد النبوي الشريف في الحرم، ثم قام فخري باشا وكرّم اللواء الثاني والأربعين في الجيش ومنحهم ميدالية الامتياز الفضية، وقام بتوزيع الحلوى والأرز واللحم على الجنود ليلة الثاني عشر من ربيع الأول(٢).

والملاحظ أن فخري لم يقطع هذه العادة حتى في آخر الحصار وقبيل تسليم المدينة، فإنه أصدر أمراً في ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ باستدعاء عدة فصائل من كل وحدة من وحداته المنتشرة حول المدينة لحضور مناسبة المولد في الحرم،

على مدى شهر ربيع الأول وفي المناسبات الأخرى على مدار السنة، ثم انتهت هذه العادة في عهد الدولة السعودية بعد دخول المدينة تحت حكم الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٤هـ وذلك بناءً على فتاوى المشايخ، وللعلماء في هذه العادة رسائل وتآليف في حكمها لا تخفى، وليس هذا مكان سردها، والغرض من ذكري لها هنا إثبات واقعة تاريخية وتبيين ما كانت عليه العادات الاجتماعية في تلك الفترة.

(1) Kandemir, p. 97.

(2) Kiciman, p. 115.



الحجرة النبوية الشريفة

(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)

فاجتمعوا يوم الأحد ١٢ ربيع الأول وقرؤوا المولد النبوي الشريف، ورفعوا أكفهم بالأدعية، ثم انصرفوا[1].

مراسم غسيل الحجرة المشرفة:

كانت الحجرة المشرفة تفتح للتنظيف والكنس مرتين في السنة، ويصف هذه المناسبة كجمان في كتابه فيقول: "وفي يوم الأربعاء الموافق ٢١ أغسطس رأس الباشا القائد قافلة تتألف من الضباط والجنود الذين أرسلتهم الوحدات والتشكيلات للخدمة داخل الحجرة النبوية الشريفة بمراسم خاصة، وفي يوم الخميس تم غسل رخام الحجرة المطهرة، وفي اليوم الذي يليه وهو يوم الجمعة تم تنظيف قناديلها واحداً واحداً، والحقيقة فإن دخول الحجرة النبوية الشريفة شرف ما بعده شرف، وسعادة ما فوقها سعادة، ولهذا كان الجميع يهرعون إلى تلك الخدمة، ولكن كان

---

(1) *Kiciman, p. 348-349.*

ذلك يتطلب من القائمين بها صدق النية والمشاعر الدينية، ومن الناس من لم يكن يستطيع أن يتحمل ثقل خطاياه وذنوبه فكان يحجم عن حمل هذه المهمة على عاتقه، فكان يحرم نفسه من نيل هذه السعادة والبركة الدينية"[١].

مناسبات وطنية :

تُحدث كتب الأتراك الذين عايشوا فخري باشا داخل المدينة عن مدى عنايته بالمناسبات الوطنية الرسمية أثناء الحصار والضيق، حتى يظن القارئ أن حياة العسكر غارقة كلها في المناسبات، فيذكرون مثلاً أنه أقام الأفراح والاستقبالات الرسمية في المدينة المنورة في يوم ٢٣ يوليو ١٣٣٣ رومي = ٣ شوال ١٣٣٥هـ بمناسبة العيد القومي، كما ضم معه مراسم افتتاح طريق قباء كما مرّ سابقاً[٢].

ولما تواترت الأنباء بعقد الصلح بين الدولة العثمانية وروسيا واستعادة بعض الألوية في ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٦هـ، أقيمت الاحتفالات العسكرية في المدينة المنورة، وزينت بالأعلام والقناديل الكهربائية، وأقيمت ألعاب المصارعة والأراجوز، وفي الحرم النبوي الشريف رُفعت الأدعية في نصرة الجيش، ووزعت الحلوى واللحم على الجنود، وصُرف لهم رغيفان من الخبز زيادة على المستحق[٣].

ومن المناسبات أيضاً الاحتفال بيوم ميلاد السلطان محمد رشاد الذي صادف يوم الجمعة ٢٧ نيسان ١٣٣٣ رومي الموافق لـ ٥ رجب ١٣٣٥هـ، فقد غص الحرم النبوي الشريف بموظفي الحكومة من مدنيين وعسكريين وجماعات من الأهالي الموجودين، وكُرّمت بعض الفرق في الجيش ومنحوا ميداليات الحرب،

---

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، عدد ٧، ص ١٠٥.

(2) Kiciman, p. 96.

(3) Kiciman, p. 152.

وركزت الرايات في حديقة السيدة فاطمة، كما رفعت الرايات باحترام على الحجرة المشرفة، ودعوا للجيش والسلطان[١].

كما احتفل فخري أيضاً بذكرى تربع السلطان على عرش السلطنة وذلك في ٢٧ إبريل ١٣٣٤رومي الموافق لـ ١٦ رجب ١٣٣٦هـ، وأقام المراسم والاحتفالات والمقابلات وأطلقت المدافع وصواريخ الزينة[٢].

وأما وفاة السلطان رشاد الكائنة في ٢٤ رمضان ١٣٣٦هـ فقد أثرت في فخري وجنوده تأثيراً كبيراً، فإنه كان في ذلك اليوم على مائدة الطعام مع كبار قادته وضباطه في مقر قيادة قوة الحملة، وأثناء ذلك ناوله أحد الضباط ورقة صغيرة حمراء مشفرة فعُمل على حل شفرتها بأقصى سرعة ممكنة، فلما قرأها وجم مليّاً، ولم ينبس ببنت شفة ونهض قائلاً: انتظروا قليلاً. ثم ذهب إلى غرفته واستدعى أعضاء مجلس القيادة وضباط المعسكر، وأخرج الورقة ولبس نظارته وقرأ عليهم المكتوب بصوت مرتجف خافت:

"إن خاقاننا وخليفتنا وقائدنا الأعظم السلطان محمد رشاد خان لم ينج من مرضه فانتقل إلى رحمة الله، وتربّع على عرش السلطنة والخلافة من بعده ولي عهده الأمير وحيد الدين بلقب السلطان محمد خان السادس"[٣].

وتأثر الجميع لأنهم تذكروا دعاء السلطان محمد رشاد المكتوب الذي أرسله إلى الحرم النبوي مع شيخ الطريقة النقشبندية بأن يقبض الله روحه إذا كتب عليهم الهزيمة، فبقوا شاردين خائفين[٤].

لكن اليوم التالي كان يوماً جديداً عليهم، كأن ما بالأمس لم يكن، فكانوا يحيّون بعضهم بسرور وامتنان استعداداً لمراسم الاحتفال بتربع السلطان وحيد الدين على

---

(1) Kiciman, p. 93.

(2) Kiciman, p. 168.

(3) Kiciman, p. 199-200.

(4) Kiciman, p. 57, 201.

العرش، وكنسوا طرق المدينة ورشوا شوارعها بالماء وأقاموا صلاة الصبح في الحرم النبوي الشريف. واجتمع الضباط والجنود وموظفو الحرم النبوي الشريف والبقية الباقية من الأهالي في شارع العنبرية بالقرب من محطة القطار بين مقر القيادة والتكية المصرية، وخرجت الوفود الدينية والعلمية والمدنية والعسكرية، واصطف العساكر على يمنة الطريق ويسرته، وقرئت الخطب والأدعية، وعزفت الموسيقى العسكرية نشيد السلطان الجديد، وهتف مفتي المدينة الحنفي: يحيا السلطان طويلاً. ثم تقدمت الوفود للسلام على فخري باشا وإعطائه البيعة للسلطان وحيد الدين، ووزعت المثلجات وعصائر الليمون عليهم[١].

ومن اللطيف أن فخري باشا خطب فيهم، وخصص موضوع الخطبة في كيفية المصافحة بين الناس وأين توضع الأيدي، وجعل الناس يجربون ذلك بمصافحة بعضهم البعض بعد أن أراهم نموذجاً لذلك. وبعد أسبوع جمع فخري باشا العساكر ورجال الحكومة والأهالي أمام محطة العنبرية، وعلق أوسمته كلها، ثم قرأ عليهم الفرمان الأول للسلطان الجديد[٢].

ومع كل هذه المناسبات تنبئنا المصادر أن فخري باشا كان يمتعض أحياناً منها، وذلك أنه لما عاد إلى المدينة المنورة في ١٦ جمادى الآخرة ١٣٣٦هـ، وكان مع جنده في مدائن صالح، استقبله جنوده في المدينة بالزينة والأعلام والصور ولوحات كُتب عليها: (مرحبا)، وأطلقت الألعاب النارية وما إلى ذلك، لكن وجه فخري لم يكن مسروراً، وأغلظ في الكلام على من خلّفهم مكانه في مركز القيادة[٣].

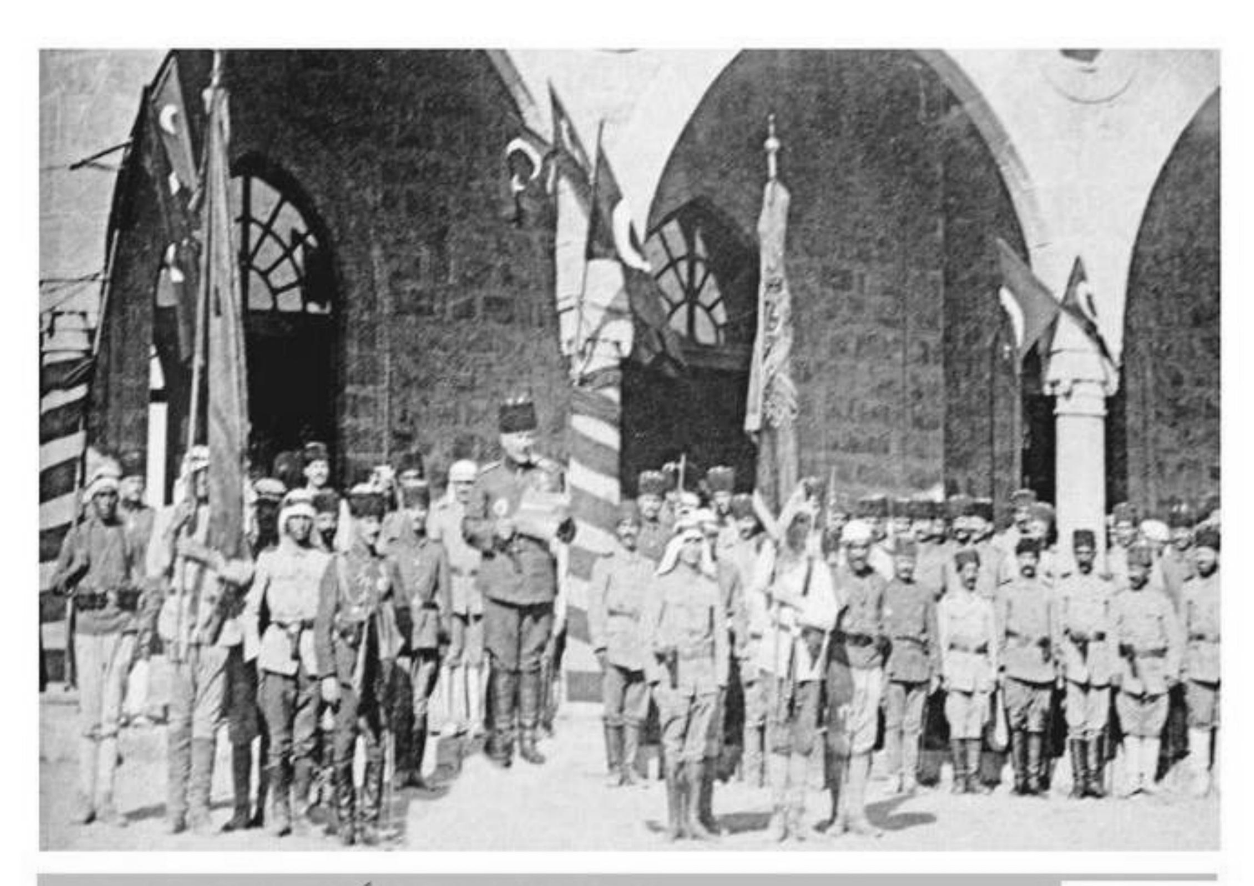
---

(1) Kiciman, p. 201.

(2) Kiciman, p. 202-203.

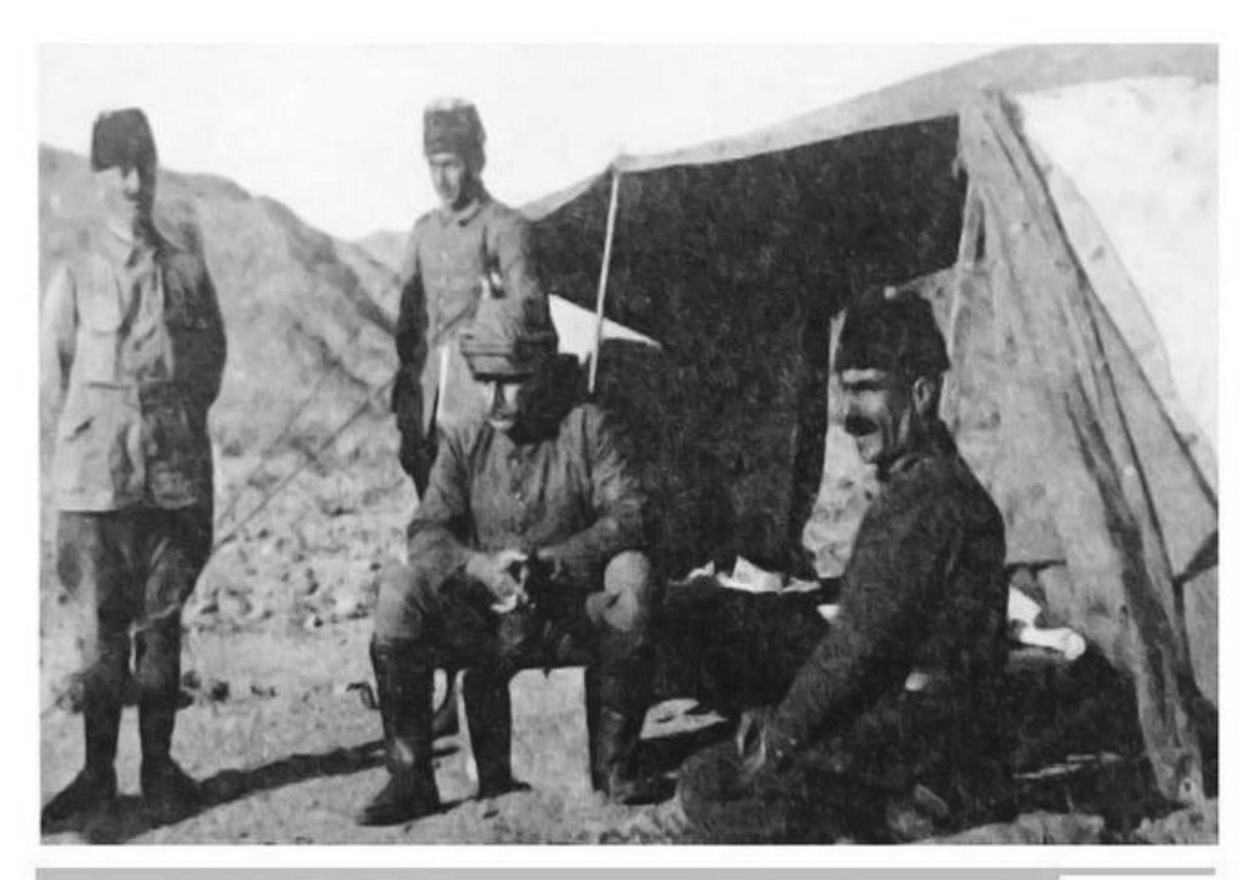
(3) Kiciman, p. 122.





فخري باشا يلقي خطاباً في محطة سكة الحديد

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)



فخري باشا مع علي نجيب بك

(المرجع: Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir)

تعامل فخري باشا مع جنوده :

وتعكس هذه الحادثة لنا شخصية فخري باشا التي أثيرت حولها القصص والروايات، فمن المشهور أن فخري كان رجلاً بديناً[١]، مهيباً، عنيداً في آرائه، مستبداً بأوامره[٢]، كما تمليه عليه طبيعته العسكرية لكن هناك أحداثاً تشير إلى جوانب أخرى من شخصيته خاصة مع جنوده لا بد من التعريج عليها حتى نفهم شخصية هذا الرجل المثير للجدل، ومن ذلك تقديره لشجاعة الجند الذين أبدوا بسالة في المواجهات، ففي مرة سمع فخري بجندي شاب كان منقطع النظير في إطلاق الرصاص ورمي القنابل، فاستدعاه إلى مقر القيادة، وقبّل جبينه، فشكى الجندي من اسوداد خاتمه المصنوع من النيكل، فأمر فخري أن يُعطى خاتماً مطلياً بالفضة من خواتم (الدفاع المدني)، وأخذ فخري خاتم الجندي ولبسه مفتخراً به[٣].

كما يتجلى تقديره هذا لعمّال السكة الحديدية الذين يقودون القطار ويعملون عليه بفدائية فكان يكرّمهم ويكبر فيهم جهودهم. ولما انتصر جنوده في الدفاع عن منطقة الجليجلة قام بتكريمهم وناولهم شهادات تقدير خاصة لهم. وكذلك لما انتصر جنوده في أبيار الماشي علّق لنفسه ميدالية الامتياز الفضية التي حازها أيام مشاركته في معركة (جناق قلعة) الشهيرة، وقام بتهنئة جنوده وضباطه[٤].

وفي ٢٤ شوال ١٣٣٦هـ صدر الأمر بترقية فخري إلى مرتبة فريق، فقام الضباط من جميع الوحدات بتهنئته، فشكرهم جميعاً وأرسل لوحداته رسالة، جاء فيها:

"بفضل ما بذله ضباطي وجنودي من إخلاص وتفانٍ وحماسة وغيرة ومساعٍ

---

(1) *Kiciman, p. 308.*

(٢) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٣٤١.

(3) *Kiciman, p. 160.*

(4) *Kiciman, p. 87, 157-158, 273.*



فخري باشا مع ضباطه

(Medine Mudafaasi: Naci Kasif Kiciman :المرجع)



صورة الأسرى المدافعين عن المدينة من الحامية التركية

(Medine Mudafaasi: Naci Kasif Kiciman :المرجع)

حريّة بالتقدير، فقد رقّيت درجة. والحقيقة أن ما أظهرتموه بشأني من مشاعر صادقة بالتهاني كان بالنسبة لي أعظم مفخرة وأرفع درجة، وإني أعيش وأنا أفتخر بكم وبمحبتكم لي، وأبتهل إلى الله دائماً وأدعوه ليحفظكم ويكلل جهودكم بالتوفيق والنجاح، وأنتم جميعاً أبنائي»[1]. اهـ بتصرف.

ولما ضاق الحال بالجيش استعان فخري بوسائل عديدة لإشغالهم عن الإشاعات والتفكير في خاصة آلامهم، فأجرى لهم مسابقات لتزجية وقتهم، وأمرهم بتدوين كتابات خاصة تثير الحس القومي والعسكري بينهم، أو يقوم بعمل استفتاءات واستبانات لهم، حتى لا يتسلل اليأس والقنوط إلى نفوسهم، فمن ذلك مسابقة خاصة أُجريت عن العلم العثماني، وعلى كل جندي يستطيع الإمساك بالقلم أن يشترك بها فيكتب ما يعرفه تاريخياً عن هذا العلم[2].

وذات مرة أمر بتوزيع وثائق تعارف على جنوده، وطلب منهم أن يملؤوها ببياناتهم التي تخص حياتهم وعملهم بموضوعية تامة، وكان يهدف من ذلك إلى الاطلاع على حياة زملائه وشكاواهم[3].

كما عمد إلى تثقيف جنوده بالمعلومات والمعارف من خلال محاضرات تلقى عليهم، وتوزيعها من ثَم على هيئة منشورات، فألقى وكيل كبير الأطباء الدكتور سيف الدين بك عدة محاضرات عن الأمراض المختلفة، وعُقدت مناظرات في الجيولوجيا نوقشت فيها طبقات الأرض، ونشأة الأخاديد حول المدينة، والبراكين الخامدة في حرار المدينة. ووزعت نشرات تاريخية عن مراسم تقليد مشايخ الدولة السيفَ للسلاطين أثناء إعلان السلطنة، وعن الصرة الهمايونية، والأمانات المقدسة، إلى غير ذلك من الموضوعات[4].

---

(1) *Kiciman, p. 235.*

(2) *Kiciman, p. 189-196.*

(3) *Kiciman, p. 208.*

(4) *Kiciman, p. 310-313.*

ولما سمع أن جنديين من جنود المدفعية عثرا على ما يشبه الكبسولة، وأخذا يعبثان به فتبيّن أنه لغم وانفجر بهما، فأطاح بسبابة وإبهام اليد اليسرى لأحدهما، وجرح الآخر في صدره، أمر قادة القلعة بإلقاء دروس ومحاضرات عن الألغام وكيفية الوقاية منها[١].

وكانت مسابقات الرماية والمصارعة وحفلات (الأراجوز) أمر شائع بين الجنود في أوقات الاستراحة[٢]. وإدراكاً لأهمية هذه الاستراحات فقد وكّل فخري باشا أمر تنسيقها إلى هيئة خاصة من موظفي الصحة تعرف بـ (لجنة إكرام الضيوف)، ورئيسها غالب عطا بك رئيس أطباء الهلال الأحمر، فكانوا يختارون بستاناً من بساتين المدينة المنورة، ويحددون لكل مجموعة من الضباط وأفرادهم إجازة أسبوع يستريحون فيها، فيمضون الوقت في اللعب والتسلية والاسترخاء والاستماع إلى الموسيقى ودخول الحمّامات، ثم يعودون إلى مناطقهم مرة أخرى[٣].

ولم يُغفل فخري باشا مسألة التركيز على الجانب الروحي بحكم شخصيته المتديّنة، لأنه يرى أن الأعمال المقدسة تبث الأمل في نفوس اليائسين، فأمر بالمصاحف الموقوفة على الحرم النبوي الشريف؛ والتي ظلت مهجورة لا يقرؤها أحد، فوزّعت على القوات العسكرية لتلاوة القرآن الكريم في الليالي والأيام المباركة، وإهداء شطر من الأجر إلى روح الواقف[٤].

ويحدثنا قاندمير في مذكراته، عن بعض ما كان يفعله فخري باشا في مواساة جنوده فيقول: "في يومٍ من الأيام الماطرة الذي صادف قبيل يوم صيام رمضان، هطلت أمطار غزيرة أغرقت ما أغرقت ولاحت المدينة بعدها كأنها اغتسلت وانتعشت وقد خلا نصفها، وكانت المجاعة قد بلغت بنا حداً لا نستطيع معه الحصول على

(1) Kiciman, p. 214.

(2) Kiciman, p. 82, 152.

(3) Kiciman, p. 94.

(4) Kiciman, p. 216-217.



فخري باشا مع ضباطه
(المرجع: Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir)

فاصوليا جافة، وكنا نجد الرز لكنه الأسوأ نوعاً، وكان يُعطى للرجل الواحد مقدار (٥٠) جم من الخبز فقط، وارتفعت الأسعار وغلت الأثمان، وأرخص شيء يمكن أن نجده هو التمر، الذي ارتفع سعره (٤) أضعاف عن الموسم الفائت.

وملّت الناس التمر، إذ كان فطورهم شاهي وتمراً، وفي العصر يأكلون أي طعام ساخن مع التمر، وفي الليل يشربون الحساء مع التمر، حتى صار الوضع لا يحتمل، وهكذا كنا نمضي رمضان، إلى أن جاء يوم ١١ تموز، هذا اليوم البهيج هو الذي أنسانا أحزاننا، وعشنا فيه أمتع أيام حياتنا.

في ذلك اليوم تلقينا دعوات خاصة إلى الحرم، فذهبنا بكامل هيئتنا لأداء صلاة التراويح، وبعد الصلاة، لبس كل شخص منا جبة بيضاء طويلة، ولف على رأسه عمامة بيضاء، ودخلنا في جمع من الناس والمشايخ وعُمل مولدٌ شريف ونحن ننشد التواشيح الدينية، والشموع كانت مشتعلة حول المرقد الشريف، فأخذناها وخرجنا بهدوء ونحن ندوس على أطراف أقدامنا، وذهبنا إلى داخل الحرم، وأخذت التواشيح الدينية تعلو مرة أخرى، وشكلنا حلقة في داخل الحرم، وقمنا بتسليم الشموع إلى الأغوات، وهذه المراسم الدينية كانت عادة هنا في المدينة.

وبعد هذه المراسم أتى شيخ الحرم ليدعو لنا، وأخبرنا بأن شرف حمل الشموع في الروضة المطهرة ليس بالهيّن أن يحظى أحدٌ به، لذا كان هذا الأمر أكبر شرف لنا، ثم وصلتنا الأخبار بأن هذا الذي حصل هو من تخطيط فخري باشا تكريماً لنا"[١]. انتهى بتصرف واختصار.

ومن شدة عناية فخري بأمر جنوده، كان لا يقبل أي تقصير تجاه أحد منهم، بل يشتد في حسابهم ويعاقبهم بأصناف العقوبات، ولما هزم جيشه في معركة (عين القطر) أخذه الغضب من الهاربين، واسودت الدنيا في وجهه لما علم أنه خسر حوالي ستين جندياً من جنده، فأغلظ باللائمة على من تبقى منهم، وقال لهم: "لقد تركتم زملاءكم المصابين وهربتم كالنساء تبغون النجاة بأرواحكم، يا للأسف"[٢]. ونفس الأمر حصل له لما سقطت (المدوّرة) على يد الأشراف، لأنه كان يرى أن على الجندي أن يؤدي ما عليه فوق طاقته، وكان يقول: "لا أحتمل أن يموت أي جندي لدي"[٣].

وهذا الأمر أدى إلى صرامته في عقوبات الإعدام الجائرة كما مرّ وسيمرّ علينا في موضعه، وأكتفي هنا بذكر تقريره لعقوبة من يهمل التحية العسكرية من الضباط، وهي الحبس الانفرادي في السجن مدة أسبوع كامل[٤].

وكان في بعض الأحيان إذا رأى نفوراً من أفراد جيشه صرّح بتمنيه أن يكون عنده جنوداً غير جنوده، كما قال مرة لما رأى بأس قبيلة الرحلة والردادة: «لو كانت هاتان القبيلتان معي، لكان خيراً لي من جميع عساكري»[٥].

---

(1) *Kandemir, p. 96-97.*

(2) *Kiciman, p. 239-240.*

(3) *Kiciman, p.208.*

(4) *Kiciman, p. 213.*

(٥) «جريدة القبلة» عدد ٥٧ ص ٣. والرحلة واحدها الرحيلي، والردادة واحدها الردّادي، قبيلتان من بني سالم من حرب.

وسام الصليب وموقف فخري مع العلماء :

في خضم الحصار والمجاعة، مُنح فخري باشا وسام الصليب الحديدي تكريماً له، لكنه في إحدى أيام المراسم تحرّز أن يعلق هذا الوسام على صدره تديّناً، لأنه يحمل الصليب، فوضعه على مكتبه، واستفتى علماء المدينة الموجودين عن جواز تعليق هذا الوسام، فاعترض العلماء على شكل الوسام ورأوا عدم جواز تعليقه بسبب هيئته الصليبية، بيد أن فخري باشا اعترض عليهم ورأى أنه بناءً على فتواهم فإنه لا يجوز لبس غطاء الرأس الحاوي للشريط الحريري الأحمر والأسود الذي يلبسه أهل المدينة على رؤوسهم منذ زمن بعيد، على اعتبار أن كل ثنية منه على هيئة صليب، فسكتوا ولم يعقبوا على كلامه، لكن في اليوم التالي قام أهالي المدينة بسد الصلبان في غطاء الرأس بأقمشة من حرير[1].

الهيئة الأدبية في المدينة المنورة :

في غرة صفر سنة ١٣٣٥هـ وصل إلى المدينة عدد من الأعيان الوطنيين من رجال الثقافة والأدب، وعرف هذا الجمع بـ (الوفد الأدبي) أو (الهيئة الأدبية)، وقد استقبلهم الشريف علي حيدر وفخري باشا استقبالاً حافلاً، وأُولمت لهم الولائم، وقام الوفد بزيارة الحرم النبوي والقبر الشريف، والدعاء للسلطان والجيوش الإسلامية[2].

وقد شكّك كجمان في أفكار هذه الهيئة ونيّاتهم، وذكر أنهم لا يعترفون إلا بالمناطق التي تملك سيارات الدرجة الأولى، لذا فإنهم لا يعتبرون بالعراق وبلاد القوقاز وغيرها ويرونها شيئاً خارج نطاق الوطن، ويعتقدون أن الوطنية تجاه البلاد التي لا تملك إمكانيات جيدة ليست إلا غفلة وسذاجة أدبية، لذلك لما

---

(1) Kiciman, p. 234- 235.

(٢) «جريدة القبلة»، عدد ٤٨، ص ٢، و*Kiciman, p.281*.

قدموا المدينة لم يكلفوا أنفسهم عناء تفقد الخنادق والمعسكرات، والسؤال عن أحوالهم، ولم يكترثوا بحال العين الزرقاء[١] ولا الخبز اليابس اللذين يعكسان وضع الجيش في المدينة، واكتفوا بالولائم وعادوا[٢].

كانت هذه وجهة نظر الجنود في المدينة تجاه هذا الوفد، ولم يمض هذا الخبر بلا أي تعليق من جهة الأشراف، فقد كتب الشيخ علي الغاياتي الدمياطي الأزهري (ت ١٣٧٦) مقالاً في جريدة المستقبل نُقل في جريدة القبلة بعنوان: (قبر محمد في خطر)، يستنكر هذا الفعل من الاتحاديين، وكان من أهم انتقاداته أن الوفد ضم دكتورين ألمانيين مسيحيين هما: (هِر بيلهور) مدير جريدة (اللويد أتومان)، و(هِرفلدمان) مراسل جريدة (برلينرتاغبلات) في إسطنبول، وذكر الغاياتي أن هذين المسيحيين دخلا المدينة وزارا الروضة المطهرة، ورأى أن دخولهما إحدى

(١) الأصل في اسمها: عين الأزرق، والعامة يسمونها بالعين الزرقاء، وأول من أجراها مروان ابن الحكم بأمر من معاوية رضي الله عنه، ويذكر مؤرخو المدينة أنها سميت بذلك لأن مروان كان أزرق العينين، ولم أجد نصاً عند المؤرخين في تراجمهم وطبقاتهم أن مروان كان أزرق العين، سوى رواية أوردها ابن طيفور في «بلاغات النساء» ١ : ١٣، على لسان أروى بنت الحارث بن عبد المطلب أن مروان كان أزرق العينين أحمر الشعر، وفي الرواية ما فيها، على أنها وردت في «أخبار الوافدات» للضبي، ص ١٣، من غير ذكر زرقة العين أو حمرة الشعر، والمنصوص عليه كما في: «نسب قريش» للزبيري، ص ٢٥١، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر، ٣٢: ١٠، أن مروان كان ينسب إلى إحدى جداته وهي أم أم أمه واسمها مارية بنت موهب بن نمر الكندي، ويقال لها: الزرقاء أو أرنب، ويقال لبنيها بنو الزرقاء. فلعل هذا سبب تسمية العين التي أجراها بهذا الاسم، وقد يكون اختلط على بعضهم حين رأى في ترجمة مروان الجعدي الملقب بالحمار وهو حفيد مروان بن الحكم بأنه كان كان أزرق العينين إذ كانت أمه كردية كما في «البداية والنهاية» ١٠ : ٥٠، فظنه المعني بذلك. وذكر الشيخ غالي الشنقيطي في: «الدر الثمين» ص ١٣١، أن مروان كان يلقب بالأزيرق ولم أقف على ذلك، وأياً يكن من أمر فإن سبب التسمية التي ذكرها مؤرخو المدينة غير معقولة ولا أراها تصح.

(2) Kiciman, p. 281-282.

كبائر حكومة الاتحاديين التي لا تغتفر[١].

ومن خلال المصادر المتوافرة فإنني لم أقف على تفاصيل أكثر توضح حقيقة هذا الفعل، غير أن دخول المسيحيين إلى الحجاز كان أمراً محظوراً في أنظمة الدولة العثمانية حتى وقت الحرب العالمية الأولى، ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن المنطقة من جنوب مدائن صالح والعلا كانت تعتبر جزءاً من الحجاز، فكان محرماً على غير المسلمين دخولها، ولذلك لما أقامت الحكومة العثمانية مقرات اللاسلكي على النظام الألماني، لم يكن من الممكن دخول المهندسين الألمانيِّين إلى هذه البقاع، فاستقدمت الحكومة ضباطها العثمانيين الذين أنهوا دراستهم في ألمانيا، ليقوموا بمهمة تشييد مراكز اللاسلكي ثم القيام بصيانتها إن لزم الأمر. ولما قدم القائد الثاني لأركان الحرب العامة إلى بلدة العلا، وكان ألمانياً، أوضح أنه لا يسعه إلا أن يحترم القوانين الدينية للمسلمين في ذلك، والتقى بفخري باشا في الشمال[٢]. وهذه الأخبار تجعلنا نشكك فيما أورده الشيخ الغاياتي بخصوص وصول الألمانيِّين إلى الحجرة المطهرة، والله أعلم بحقيقة الحال.

جمعيات تطوعية:

كثيراً ما كان يعمد فخري باشا إلى اختلاق أفكار عاطفية للإبقاء على حماس جنوده، وذلك من خلال جمعيات معينة ينشئها، كما حدث مرةً ووزع بياناً في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦هـ، يشير فيه إلى فتح جمعية تعرف بـ (أحباء الحجاز)، يتضمن تعهد الجنود من قوات الحملة بالبقاء حتى النهاية، ووضع دفتر خاص باسم: (أصدقاء الحجاز) يسجل فيه أفراد الجيش أسماءهم[٣].

---

(١) «جريدة القبلة»، عدد ٤٨، ص ٢.

(٢) «حاج في مكة» لآرثر ويفيل، ص ٦١، و*Kiciman, p. 260-261*.

(3) Kiciman, p. 158.

ولما تأخرت الإمدادات التي كانت تأتي من الشمال وبالتحديد من طياري قوات الصاعقة الألمانية، نشر فخري باشا بياناً يحرّض فيه القوات العسكرية على المشاركة فيما يسمى بمسابقة (حب الوطن) أو (الحميّة الوطنية)، وهي بمثابة قرض حسن من غير فوائد ربوية، يهدف إلى سد العجز الناجم من تأخر الإمدادات.

وقد قال فخري باشا في بيانه آنف الذكر: "ليستأمنني كل شخص منكم ادّخر ما يزيد على حاجته، وأنا كفيله ما دمت حياً، وإذا ما وافتني المنيّة فإني سأترك وصيّة أوصي فيها الحكومة بتقدير هذه الحميّة، وإعادة الحقوق إلى أصحابها كاملة من غير نقصان"[١].

وقد علّق جدولاً على مدخل مقر القيادة عرف بـ (دفتر أحباء المدينة)، سجل فيه أسماء الوحدات التي قدمت هذه القروض، ومقدار الأموال التي سلموها إلى الخزانة المالية، ومنح كل من أقرض الخزانة سنداً مطبوعاً بما أقرض. وقد أظهر الجنود استجابة كبيرة تجاه هذا الأمر، فكثير منهم قدموا العديد من الأموال، والذهب، حتى أن رجلاً أفريقياً كان في معسكر الشريف علي ثم انضم إلى الأتراك، قدّم (٩) قطع ذهبية و(٥) عثمانية و(١٧) مجيدية، مُبدياً حماسة دينية وهو في غاية السرور[٢]. وقد استطاع فخري أن يشتري بهذا الذهب الذي اقترضه من الناس، كميات كبيرة من الرز من تجار القبائل، وذلك لأنهم لا يقبلون من العملات إلا الذهب، وكانوا يهربونها من جهتي الشرق والغرب، وكان بعض الأرز المجلوب من الغرب يأتي مسمماً وقد توفي بسببه جماعة ممن أكلوا منه[٣].

---

(1) Kiciman, p. 318-319.

(2) Kiciman, p. 319-320.

(3) Kiciman, p. 418.

قصة أثرية غريبة :

روى الشيخ عبد القدوس الأنصاري قصة غريبة حدثت وقت إقامة التمثال التذكاري، بمناسبة تعيين علي حيدر باشا شريفاً على مكة المكرمة، وهي مهمة لدارسي الآثار وتدل على وجود أحافير ومدينة قديمة تحت المدينة الحالية، قال رحمه الله: "وفي عام ١٣٣٥هـ كان العمال يحفرون لوضع أساس النصب التذكاري، الذي أمر فخري باشا بإقامته بالمناخة، جنوبي السبيل، تذكاراً لتولية الدولة العثمانية للشريف علي حيدر، على إمارة مكة، بينما كان العمال يحفرون هناك إذ انفتحت لهم هوة كشفت عن بيوت سقوفها تحت سطح هذه الأرض فنزلوا إليها ووجدوا بها ثياباً معلقة على حبال، ومع بِلاها فإنها كانت محتفظة بهندامها، متماسكة بفعل الرطوبة وعدم تخلل الهواء للغرف المعلقة بها، ولكن بمجرد لمس الناس لها تناثرت كما يتناثر الرماد، وتساقطت تساقط الأجساد المحنطة إذا مستها يد، فدمر العمال البيوت وشادوا عليها بناية التذكار، وقد دمرت هي أيضاً في عهد الحكومة الهاشمية"[1].

---

(١) «آثار المدينة المنورة» ص ١٨٩، ونقلها عنه محمد حسين هيكل في رحلته: «في منزل الوحي» ص ٥١٩. والشيء بالشيء يذكر فقد روى الشريف إبراهيم العياشي قصة أغرب في كتابه: «المدينة المنورة بين الماضي والحاضر» ص ٢٢٢ : "وقد أخبرنى أحد طلابى الذين درستهم فى المدرسة الفيصلية فى الفوج الأول من افتتاح المدرسة الابن عمر بن يوسف عمر المصرى صاحب البلاد الناصرية، وكان قد تخرج مهندساً للطرقات، أنه حين أجرى الحفريات فى شارع بنى حبيب، فى زقاق النخاولة، مما يلى جنوبى بئر ذروان، وجد إلى عمق أربعة أمتار أو يزيد، من سطح الأرض الحالية، دبلاً وكان أحد العمال حين وجد المشقوق فى الدبل، نزل ليراه فاذا به يجد رجلاً متدثرا بعباءة قصيرة، وله لحية كثة وهو جميل المحيا يفتح عينه كأنه ينظر القادم، وظنه العامل أنه أحد العمال، يريد أن يهزأ بمن يراه، وهو مضطجع فى ذلك الدبل المظلم، فقال له العامل الذى منزل قُمْ يا شيخ ما هو محل اللعب، فلم يرد عليه ولا يزال كأنه يحملق فيه بنظره، فارتاب العامل منه، لأنه لم يره قبل هذه الساعة، فأخبر المهندس عمر يوسف بذلك، فنزل عمر ومن معه، فوجده لا حراك به، فأخبر المسؤولين فنقلوه إلى البقيع، وفى ظني إن صدق فهو أحد شهداء أحد، أو نحو شيء من ذلك، ولولا أن قبر رافع بن مالك الزرقى عند باب المصرى، لقلت أنه هو، والله فى خلقه شؤون".

القطار الأخير :

لا يخفى على الباحث في تاريخ سكة الحديد، أن من أهم استعمالات القطار في هذه الحرب، نقل المؤن القادمة من الشمال إلى المدينة المنورة، ونقل الضباط المرضى إلى الشمال، وتهجير أهل المدينة المنورة إلى الشام.

وقد استمر هذا التهجير قرابة سنة كاملة، فبدأ من ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٥هـ، وانتهى يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦هـ[١]، حيث وصل آخر قطار إلى محطة العنبرية، وقائده هو الكابتن محبوب علي بن فضل حسين (ت ١٣٩٤)، وكانت عربته تحمل الرقم ١٠٥[٢]، ويحمل هذا القطار بداخله البريد والصحف والخطابات والمؤن والملابس الآتية من الشمال. وأما آخر قطار خرج من محطة العنبرية محملاً بخطابات الجنود فهو المنطلِق يوم الخميس ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦هـ، ولم يعد مرة أخرى[٣].

وقد حدثني جماعة منهم شيخنا عبد الرحمن بن إبراهيم كعكي عن والده أن آخر قطار وصل إلى المدينة، قد انفجر عند محطة العنبرية انفجاراً أدى إلى تعطله فتوقف[٤].

فخري باشا والملك عبد العزيز :

كان العثمانيون يؤملون في حاكميْن نجديّيْن هما الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، والأمير سعود بن عبد العزيز آل رشيد، حيث كان لكل واحدٍ منهما قوته في نجد، وكانا يتبعان شكلياً الدولة العثمانية.

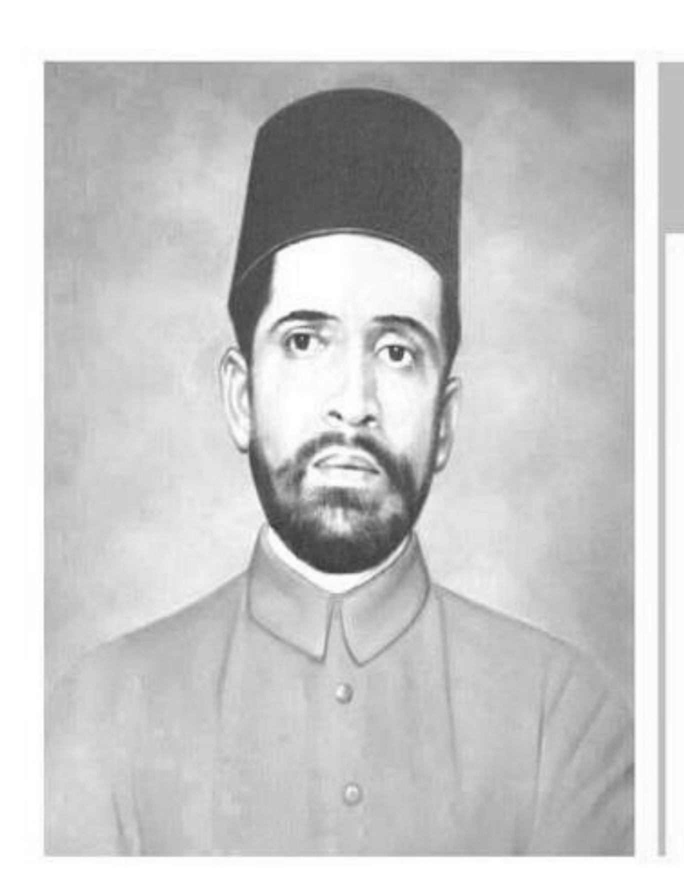
---

(1) *Kiciman, p. 152.*

(٢) ذكر لي ذلك حفيده الأستاذ حسين بن حيدر بن محبوب علي بارك الله فيه.

(3) *Kiciman, p. 153.*

(٤) روى لي ذلك في داره مساء يوم ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ، تغمده الله بواسع رحمته.



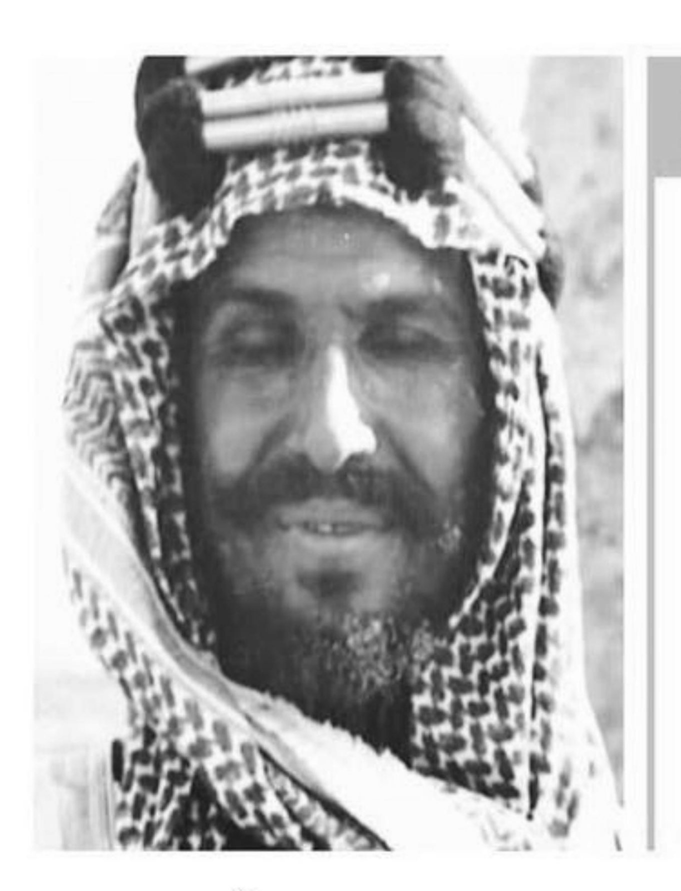
قائد القطار محبوب علي

(المرجع: زودني بها حفيده الأستاذ حسين بن حيدر محبوب علي)



فخري باشا يتفقد عربة من عربات القطار

(المرجع: *Medine Mudafaasi: Naci Kasif Kiciman*)



الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

وذكر بعض المؤرخين بأنه في ١٢ شوال ١٣٢٩هـ أبرق سلطان نجد عبد العزيز بن سعود إلى الدولة العثمانية يقول: "إن مقاطعة نجد تفتخر اليوم من كل جوارحها بأنها مقاطعة عثمانية... وأنه وجميع القبائل التي تحت إمرته مستعدون للزحف في ظل الأعلام العثمانية إلى حيث تأمرهم الدولة العلية"، وذكر بصورة خاصة الجهاد في طرابلس الغرب ضد إيطاليا المعتدية[١].

ولما استطاع الملك عبد العزيز الاستيلاء على الأحساء سنة ١٣٣١هـ، وإخراج القوات العثمانية منها، لم يكن للعثمانيين بدٌّ من الإقرار به، وتحويل نجد إلى ولاية، والاعتراف بالملك عبد العزيز والياً عليها وأنها ستكون إرثاً في أولاده، ومنحه لقب (باشا)، وذلك باتفاق مكتوب بين الطرفين سنة ١٣٣٢هـ[٢].

(١) «مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه» ص ٦٩، و«الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» ٣: ٧٦.

(٢) «العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني» ص ٣٧٧- ٣٩٥، و«وثائق العلاقات السعودية العثمانية في السنوات المبكرة من حكم الملك عبد العزيز في الأرشيف العثماني» ٢: ٤١٨، ٥٠٨، ٥٩٣، ٦٠٢.

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى حاول العثمانيون استمالة الملك عبد العزيز إلى جانبهم بموجب أنه والي نجد من طرفهم، فأرسل أنور باشا إليه يطلب منه التوجه إلى البصرة، ويعرض عليه الإدارة العسكرية في البصرة، وغير ذلك من الرسائل، وكان الملك عبد العزيز في كل هذا يعتذر عن القبول، لأن لديه مشكلات محلية تستلزم منه عدم تشتيت جهوده[١].

وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا تحاول استمالة الملك إلى جانبها، ودارت رسائل بينه وبين حكومة الهند البريطانية[٢]، ووقع مع بريطانيا معاهدة (دارين) في القطيف سنة ١٣٣٤هـ، وفيها اعتراف الحكومة البريطانية بتبعية نجد والأحساء للملك عبد العزيز، وأن يمتنع عن كل مخابرة أو اتفاق أو معاهدة مع أي حكومة أخرى، والتعهد لبريطانيا بإعلامها عن كل تعرض وتجاوز من أي حكومة أخرى[٣].
وقد ذكرنا سابقاً أنه كان أحد الحاضرين لعقد (دربار) الذي عُقد من قبل الحكومة البريطانية الهندية في الكويت في ٢٤ محرم سنة ١٣٣٥هـ، وتحدث خطيباً في المشايخ يخبرهم بما ارتكبه الأتراك من مظالم[٤].

ومع كل هذا إلا أن أفعال الملك عبد العزيز تدل على أنه وقف على الحياد، واهتم بشؤون دولته الداخلية، وقام بمهادنة ومداراة الحكومات الخارجية كما تدل عليه الرسائل الدائرة بينهم وبينه، فيُظهر في خطاباته ما يرضي به كل فريق، من غير تدخل فعلي منه، وهو ما قصده فؤاد حمزة حين عبر عن موقف الملك

---

(١) «الدولة العثمانية والملك عبد العزيز في ضوء المصادر العثمانية» ص ٢٤٨- ٢٥٢.
(٢) «يقظة العرب» ص ٢٢٨، و«الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٢: ٣٨١- ٤٢٣.
(٣) «شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» ١: ٢٨٥، و«جزيرة العرب في القرن العشرين» ص ٣١٨-٣١٩، و«تاريخ نجد» لفيلبي، ص ٣١٨، و«صقر الجزيرة» ١: ٥٥٢-٥٥٤.
(٤) «يقظة العرب» ص ٣٠٢، و«الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٢: ٧٩٣- ٧٩٤.

عبد العزيز بالقلِق الذي لا يعلم أي طريق يسلك، وهذا ما وصفه الأتراك بـ (سياسة الصحراء)[١].

ولما بدأت الثورة العربية أرسل والي المدينة بصري باشا سنة ١٣٣٤هـ إلى الملك عبد العزيز الشيخ المفتي إبراهيم بن عبد القادر بري ليقنعه بالدخول في صف العثمانيين، كما أرسله أيضاً إلى الأمير سعود ابن رشيد[٢].

وقد بيّنا سابقاً أن الشريف علي حيدر أرسل إلى الملك عبد العزيز في ١٤ شعبان ١٣٣٤هـ، يشرح له أمر الشريف الحسين وخبر عزله، ويطلب منه أن يؤدي الواجب الديني تجاه مكة، ويتخذ التدابير المرضية تجاه الشريف الحسين[٣].

فكتب إليه الملك عبد العزيز، يقول: "عائلة الحسين لم تحقق إلا الأذى والشقاق بتمردهم... وهو يطمع في الاستقلال بأي ثمن، ولذلك سوف يتساهل بكل نوع من أنواع المكائد والدسائس بين الشعوب العربية، محرضاً إياهم ضد بعضهم لخدمة مصالحهم الشخصية... اليوم أنا مستعد لفعل أي شيء ترغبونه، ولكننا نطلب مزيداً من الإمدادات الإضافية للذخيرة. إن موقف الحسين ضعيف الآن ونحن نستطيع بسهولة أن نهزمه إذا ما توافرت المزيد من الإمدادات، وإن القبائل العربية مجتمعة، وهذه أفضل خطة للهجوم"[٤].

لكن من جهة أخرى فإننا نلمس مسايرة الملك عبد العزيز للأطراف المتنازعة في رسالته إلى (السير برسي كوكس)، المؤرخة في ٣١ ذي القعدة سنة ١٣٣٤هـ، إذ يقول فيها: "وأقول إنني في هذه الأيام تسلمت من علي حيدر، الشريف الجديد

---

(١) «قلب جزيرة العرب» ص ٣٧٥، *Kiciman, p. 85*.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة، إبراهيم بن عبد القادر بري»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٣) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٢: ٣٨١- ٣٨٣.

(4) Stitt, p. 170.

في المدينة، الذي يدّعي أنه أمير مكة، رسالة مرفقاً بها بلاغ أعتقد أنكم تحبون مطالعتها. لقد كتبت إليه رسالة مناسبة، وشرحت له امتعاض العرب نحوه ونحو الأتراك بسبب أعمالهم التي جعلت العرب يكرهونهم ويلاحقونهم"(١).

ومما يبيّن انتصاره لفكرتهم من غير مباشرة منه، رسائله للأشراف، كما في رسالته للشريف عبد الله بن الحسين رداً على دعوته للاشتراك في الحرب ضد الأتراك، والمؤرخة في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٤هـ، يقول فيها: "وأما ما ذكر حضرتكم في الكتاب الآخر من حثكم على الجهاد، فتعرف أخي أن كل إنسان فيه حمية دين وعربية أنه يجتهد في جهاد الأتراك وحلفاهم، لأن اليوم والله، ما أخبر عدو للإسلام والعرب غيرهم". ثم اعتذر عن عجزه عن المشاركة بسبب الأوضاع الداخلية، والصراع بينه وبين الأمير ابن رشيد(٢).

ويذكر الريحاني أن الملك عبد العزيز ذكر في مجلس عقده مع والده ورئيس قضاة نجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، أنه أمر أهل نجد خصوصاً أهل القصيم وعتيبة وحرب بمساعدة الشريف، وأمرهم ألا يتعدى أحد منهم على من أراد أن ينضم إلى جيش الحجاز(٣).

لكن تدل الوثائق على أن الملك عبد العزيز قد تغاضى في بدايات الحرب عن التواصل التجاري بين القصيم والمدينة المنورة، بدليل رسالة من الشريف فيصل بن الحسين مؤرخة في ١٢ محرم ١٣٣٥هـ، يذكر فيها أن القصيم تأتي منه القوافل التجارية إلى المدينة، وقال له الشريف باللهجة العامية: "فالمطلوب تنبهوا على أهل القصيم وكافة دياركم عن مسابلة (أي متاجرة) المدينة، وإن جا منهم (أي جاء منهم) أحد بعد ذلك فلا يلوم (أي يلم) إلا نفسه"(٤).

---

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٢: ٣٨٣.

(٢) «صقر الجزيرة» ١: ٥٩١-٥٩٢.   (٣) «تاريخ نجد الحديث» ص ٢٣٥.

(٤) «صقر الجزيرة» ١: ٥٩٣، و«شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» ص ٢٤٤.

وبعث الشريف الحسين رسالة مؤرخة في ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٣٦هـ، إلى أمير عنيزة الأمير فهيد بن معمر، يبلغه بتحققه من وجود تواصل تجاري بين كافة أهل القصيم وعنيزة وشقراء وبين فخري باشا وابن رشيد في حائل، بصورة لا تقبل التأويل[١].

وأفصح فخري باشا في رسالته إلى جمال باشا سنة ١٣٣٥هـ عن بعثه تجاراً إلى نجد للاتفاق مع ابن رشيد وابن سعود كي يجلبوا المؤونة إلى المدينة[٢].

وجاء في مذكرة الحوارات بين البريطانيين والشريف عبد الله، إشارة مهمة إلى دور الملك عبد العزيز في التعامل مع الأطراف السياسية، إذ ذكروا أن الملك عبد العزيز أشار علناً إلى ثورة الشريف في الجامع بمدينة بريدة، مشيداً وناصحاً الجميع بالالتحاق بها ضد الأتراك، لكنه في الوقت نفسه حرّض أئمته أن تتضمن مواعظهم دعاية مضادة[٣].

وهكذا مضى الملك عبد العزيز بسياسته لا يريد أن يقطع خط الوصل مع الفريقين، ودارت رسائل بينه وبين فخري باشا في غاية السرية، حيث بعث إليه فخري في ١١ ذي الحجة سنة ١٣٣٤هـ يطلب منه إرسال عدد من الجمال للحاجة الماسة إليها، وأنه تم التفاهم مع ابن رشيد حول عبور هذه الجمال من غير التعرض لها، ويخبره بأمر تعرّضه للشريف فيصل[٤]. وفي ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٥هـ أرسل إليه يشرح حال المدينة وقت المحاصرة وانقطاع وصول الأرزاق

---

(١) «رسالة من الشريف الحسين بن علي إلى أمير عنيزة فهيد بن معمر، بتاريخ ٩ ربيع الآخر ١٣٣٦هـ»، مركز دراسات الشرق الأوسط، كلية سانت أنتوني، جامعة أكسفورد، أوراق فيلبي، تصنيف: *DS247.N47*، أرسلها لي الدكتور حمد بن عبد الله العنقري.

(2) Kandimer, p 76.

(٣) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٣٥٦.

(4) Kuwait Political Agency, Arabic Documents, 1: 747.

بسم الله وحده

الحضرة ذي السعادة عبد العزيز باشا السعود والي نجد وتوابعها دام موفقاً
أخذت جواباً مطمئناً بأن لا محذور في إمرار الجمال من أراضي ابن الرشيد التي تداركها توفيق
فرعون افندي بما أن احتياجي إلى الجمال كثير جداً أرجو من سعادتكم المعاونة
لإرسالها كتبت إلى توفيق فرعون افندي بأن التاجر عبد الحميد بك الذي هو
الآن في حايل عند ابن الرشيد إذا قربت الجمال من أراضي ابن الرشيد أؤمل بهمتكم ومعاونة
نجابتكم وصول الجمال من قريب إلى المدينة المنورة آمنة سالمة وأرجو أن تقبلوا
احتراماتي المخصوصة اليوم أتحرك مع فيصل وإن شاء الرحمن قريباً أوصل
لسعادتكم تبشيرات المظفرية الكاملة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في ١١ ذي الحجة سنة ١٣٣٦

قائد حملة الحجاز السفرية
الميرلوا

رسالة فخري باشا إلى الملك عبد العزيز يطلب منه إمداده بالجمال

(المرجع: Kuwait Political Agency)

حجاز حملة سفرية [illegible] ٣٠
أركان حربية شعبة
عدد

حضرة والي ولاية نجد وقائدها الأمير ابن السعود المعظم

مما لا يخفى على جنابكم العالي حالة المضايقة الحاصلة على أهالي المدينة من جهة
الأرزاق بسبب تعدي العصاة والأشقياء في هذه الأيام أحياناً على الخط
الحديد وانقطاع الوارد من جهة السواحل لتعدي أعداء الإسلام والمسلمين
قوم الإنكليز الكافرين وقد حررنا لكم قبل أيام مكتوباً بهذا الخصوص
وحيث أنه الآن قد تشكلت جمعية تجارية في هذا الطرف بقصد جلب
بضائع من طرفكم خدمة لأهالي المدينة وتخفيف أزمة الشدة عنهم
فلذلك أرجوكم إخباري بسرعة عن درجة إمكان المساعدة لهم بمبايعة
الأموال في ذاك الطرف وتأمين الطريق إلى أي محل يكون حتى نرسلهم
إلى طرفكم العالي وفي الختام اقبلوا فائق احترامي والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته

في ٢ جماد الثاني ١٣٣٥

قائد الحملة الحجازية
الميرلوا

رسالة فخري باشا إلى الملك عبد العزيز يشرح له حال المدينة وقت الحصار ويطلب منه المساعدة

(المرجع: Kuwait Political Agency)

إليها سواء من البر الحجازي بسبب أتباع الشريف أو البحر بسبب الإنجليز، وأنه شكّل جمعية تجارية[١] بقصد جلب البضائع من نجد، وهو يعوّل على مساعدة الملك عبد العزيز لتخفيف الأزمة التي يتعرض لها أهل المدينة، بتأمين الطرق حتى يرسل إليه فخري المال اللازم للإمدادات[٢].

ويبدو أن الملك عبد العزيز لم يرد على العديد من المكاتيب التركية، وقد علل ذلك فخري باشا باحتمال وقوعها في أيدي الثوّار، وذلك في رسالة أخرى في ٦ محرم ١٣٣٦هـ يطلب فيها من الملك عبد العزيز التعاون مع الحكومة في السماح لأحد المندوبين بالسفر إلى اليمن من طريق نجد لإيصال مبلغ من المال إلى القوات العثمانية هناك، وذلك لأنه يرى أن آمن طريق هو طريق الرياض [٣].

وقد كان هذا التواصل السري بين فخري باشا والملك عبد العزيز سبباً في شك الشريف الحسين واتهامه للملك بأنه على تواصل مع الأتراك، بل كان يصرح بأن ابن سعود يراسل فخري لا شك عنده في ذلك[٤]، ولكن الملك عبد العزيز كان من الحرص والذكاء بمكان، إذ لم يكن يرد على كل تلك الرسائل المرسلة من فخري، وقد استغل ذلك حين شكّت بريطانيا فيه، يقول الإنجليزي (الكرنل هاملتن) في ملاحظاته، وهو المعتمد السياسي في الكويت: "فقد أطلعني ـ أي الملك عبد العزيز ـ على كتاب من فخري باشا قائد المدينة، يسأل فيه عن سبب عدم إجابته على كتابٍ ودي أرسله في السنة الماضية، وقد رأيت أيضاً الكتاب المشار إليه، وبدا كلا الكتابين أصيلين"[٥].

---

(١) لعله يقصد بذلك (جمعية الحمية الوطنية) و(دفتر أحباء المدينة) اللذين مر ذكرهما سابقاً.

(2) *Kuwait Political Agency, 1: 749.*

(3) *Kuwait Political Agency, 1: 751.*

(٤) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٧٧٣.

(٥) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٦٦٨.

رسالة من فخري باشا إلى الملك عبد العزيز يطلب السماح لأحد المندوبين للسفر إلى اليمن من طريق نجد
(المرجع: Kuwait Political Agency)

وقال (فيلبي) في تقريره عن عمليات بعثة نجد: "عندما كنت في الرياض أخبرني ابن سعود بتسلمه رسائل من فخري باشا، وليس ذلك فحسب بل سلمني ثلاث رسائل أصلية، وقد بينت إحداها على كل حال، بصورة نهائية أن ابن سعود لم يجب قط على الرسالتين الأخيرتين"[1].

والحقيقة أن ما ذكره الشريف الحسين من التواصل بين الملك وفخري صحيح، إذ جاء في رسالة من فخري باشا إلى الملك عبد العزيز بتاريخ صفر ١٣٣٧هـ يقول فيها: "ولسوف أعمل وفقاً للأوامر التي بعثتم بها في خطاباتكم"[2].

ويدل على ذلك أيضاً ما ذكره الموفد التركي الكابتن ضياء، أنه بينما كان في

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٧٧٣.

(٢) «حامية المدينة المنورة وثورة الشريف الحسين»، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد ٦، ص ٥١.

المدينة، قرأ له مرافق فخري باشا كتاباً وصل من الملك عبد العزيز، يعرب فيه عن مشاعره الودّية، ويهنئ فخري على دفاعه عن المدينة[١].

ويورد كجمان في مذكراته، أن فخري باشا كتب إلى الملك عبد العزيز يقول له: "اقْدم إلى المدينة بجنودك، ولنخرج سوياً إلى مكة، ونقبض على الأمير حسين الذي خرج عن طاعة الدولة وعصى السلطان، ونقمع العصيان ونسترد مكة من يده". فرد عليه الملك عبد العزيز يقول: "ليعترف أباطرة ألمانيا والنمسا بحدود إمارتي، حينئذ آتي إليك". فكتب إليه فخري يقول: "إن أجداد العثمانيين بذلوا معونتهم لجيوش السلاجقة حتى تمكنوا من هزيمة أعدائهم، وبسبب هذا أقطعوهم هضبتي (سكود= Sogut) و(دومانج= Domanic)، فأدّ أنت ما عليك قبل أن تطلب طلباً مثل هذا، ثم نعرض ذلك على السلطان ليكافئك"[٢].

إلا أن الملك عبد العزيز تجاهل الرد عليه، ولما انضم أهل الخرمة[٣] إلى الملك عبد العزيز بقيادة الشريف خالد بن لؤي، بعث فخري برسالة مؤرخة في ١٧ أيلول ١٣٣٤ رومي= ١١ ذي الحجة ١٣٣٦هـ[٤] إلى الملك يهنئه بهذا الانضمام، ظاناً أنه سيتجه إلى مكة، ويعرض عليه إمداده بالسلاح، وهذا نص الرسالة[٥]:

---

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤: ١١٥.

(2) Kiciman, p. 334- 335.

(٣) الخُرمة مدينة تقع في شمال شرق الطائف، وتبعد عنها حوالي ٢٣٠ كيلاً.

(٤) ذكر الزركلي في كتابه «شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» ص ٢٤٣، أن تاريخ الرسالة يوافق شوال ١٣٣٦هـ وتموز ١٩١٨م، وهذا خطأ منه، وإنما بالتحويل من الرومي إلى الهجري فإنه يوافق ما ذكرنا والذي يوافق بالميلادي: ١٧ سبتمبر ١٩١٨م، وقد تبعه على هذا الخطأ العديد من الباحثين.

(٥) «صقر الجزيرة» ١: ٦٠٠-٦٠١، و«شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» ص ٢٤٥-٢٤٦، وقد أشار إلى هذه الرسالة (فيلبي) في تقريره عن عمليات بعثة نجد. انظر: «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٧٥١.

"حضرة صاحب السعادة والي نجد وقائدها الأمير عبد العزيز باشا بن السعود المحترم، أدام الله إقباله.

إن الكتاب الذي أرسلناه طي هذا تأخر لأننا ما وجدنا نجاباً[١] أميناً، قد استبشرنا بأن المطاوعين[٢] الساكنين في وادي خورما (الخرمة) أخذلوا (خذلوا) عونة (أعوان) العاصي حسين، وبأن حضرتكم لأجل فتح طريق مكة للإسلام وأداء فريضة الحج قد وصلتم إلى بريدة، فأبارك لكم من صميم الفؤاد باسم الإسلامية تجاه هذه الحركة الجليلة الواقعة على العاصي حسين.

أبين لجنابكم أنكم إذا قبلتم معاونتنا بالأسلحة، والجبّخانة، والمدافع، والرشاشات، والمصارف (النفقات) اللازمة، فإننا حاضرون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

قائد الحملة السفرية الحجازية

فريق : فخري

ولا يفوتنا أن نشير إلى استغلال قيادة فخري باشا لأخبار الملك عبد العزيز في بثها للقوات العسكرية، كي ترفع من معنوياتهم، وكانت الفكرة تهدف إلى خلط الأخبار المكذوبة مع شيء من الحقيقة، ونشرها بين القوات، إذ يذكر ناجي كجمان في مذكراته، بأنه في ١٧ يونيو ١٣٣٤رومي= ١٩ رمضان ١٣٣٦هـ،

(١) أي رسول، ويذكر ناجي كجمان أن الرسائل كانت ترسل بواسطة نجاب بدوي خاص نظير أجر معلوم قدره خمسة قطع ذهبية في كل رحلة.

(٢) يعني بالمطاوعين هنا: جماعة إخوان من طاع الله الذين كان يطلق عليهم المطاوعة.

وردت إلى المدينة أنباء من الرياض عن حركة (إخوان من طاع الله)، فأذيعت بشكل جذاب مع التلفيق، وبُثت إلى القوات، وفيها: أن الإخوان أقوام متدينون إلى أبعد الحدود، وهم يمثلون القوى الرئيسة في إمارة الأمير عبد العزيز بن سعود، وأنهم ينظرون إلى الشريف الحسين خارجاً على الخليفة، وممزقاً لشمل المسلمين ووحدتهم، ويعتبرونه وأتباعه كفرة مارقين، وأن أقصى أمانيهم إلحاق الهزيمة بأتباع الشريف الحسين، وطرد المتمردين والكفرة من مكة، وقد خرجوا بهذا الغرض، واستولوا على وادي الخرمة بقيادة الشريف خالد بن لؤي، إلى غير ذلك من الأخبار[١].

لكن فخري باشا لم يكن راضياً عن هذا الفعل، لأنه غير مقتنع بصحة جميع ما فيه، لذا لم يكن يوقّع على مثل هذه المنشورات والبيانات، وقد لامه الضابط كجمان على ذلك لأنه وإن احتوى على مبالغات وكذب إلا أنه يصب في مصلحة القوى العسكرية![٢].

وينقل فريدون قاندمير رسالة من فخري باشا إلى الملك عبد العزيز مؤرخة في صفر سنة ١٣٣٧هـ، يرد فيها مرة أخرى على شرط الملك عبد العزيز بالاعتراف به، لكن تاريخ الرسالة محيّر، لأنها بُعثت بعد استسلام الدولة العثمانية للحلفاء، يقول فيها مخاطباً الملك:

> **"فيا أيها الأمير، ينبغي أن تظهر خدمة ومفاداة للدولة تأخذ بجميع القلوب، وتربط ألسنة المخالفين، حتى أتمكن على طلب**

---

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» لناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، عدد ٧، ص ٩٦، *Kiciman, p. 187*، ومما ينبغي التنبه له أن في الترجمة المنشورة في مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة إخلالاً بالمعنى، وإخراجاً للخبر عن سياقه، أدى إليه الاختصار المفرط للكتاب.

(2) Kiciman, p. 188.

مطالبكم بقوة قلب عند الحكومة، فتجاه هذا لا يبقى مجال لمخالفة أحد سواء كان صديقاً أو عدواً.

أنا مفتون جداً بإدارتكم وسياستكم، وبهذا أعرف أن السعي في خدمتكم ومعاونتكم لي وظيفة وجدانية، لكن ما وجدت إلى الآن وسيلة قوية لطلب شيء من الحكومة لكم بجميع طاقتي، حتى إنني ما ظفرت بأحد من رجالكم ولو بصورة خفية لكي يعرفكم بعض المسائل خفْية، حتى إن عثمان ما أراد المجيء إلى المدينة وأمانة هذه تجب المفاداة في مثل هذه الأمور المهمة.

أيها الأمير إنكم تعرفون واضحاً بأننا سعينا لأجل ألاّ يبقى الحجاز وعلى الخصوص القبة الإسلامية تحت حماية الإنكليز، وبهذا السبيل أرقنا دماءنا لا طمعاً بتوسيع الحدود وتزييد الثروة والاستفادة من منابع الحجاز.

ونحن بحوله تعالى مقتدرون على إبقاء هذه الوظيفة مقدسة بالأرواح، فنحن ولله الحمد آمنون من وضعيتنا، وأنتم إن شاء الله تعالى نظراً أن وضعيتكم توفقون إلى إجراء هذه الخدمة المقدسة الدينية والمعاونة النافعة لنا بأي شيء، كان على الباغي العاصي حسين، الذي انتحل له اسم ملك البلاد العربية، تحت حماية الإنكليز، وفي الختام اقبلوا فائق احترامي، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

قائد الحملة الحجازية

فريق: فخر الدين[1]

(1) Kandemir, p.456.

عن المدينة المنورة
صفر الخير ١٣٣٧

الحمد لله وحده

حضرة صاحب السعادة والي نجد وقائدها الامير عبد العزيز باشا ابن سعود المحترم ادام الله اقباله .
اخذت الكتابين المرسلين مع عثمان . فهو ما جاء الى عندي . لو جاء بما انه محسوبكم كنت ابلغه شفاها اموري .
لكن في غالب الظن انه خاف من الوضعية السياسية الاخيرة . بناء على ذلك انا ايضا بالمجبورية كتبت كتابي
هذا بالتلغراف . فعلى مندرجات كتبكم اعمل بما يلزم منها . لكن ايها الاخ نرى في التاريخ مثالا لطيفا لحادثة
وهوان الغازي ساكن الجنان ارطغرل والد مؤسس السلطنة المرحوم حضرة الغازي عثمان خان لما كان
متجولا مع مجاهديه صادف فيلقين يتحاربان وقد كان قليلا احدهما فبمقتضى النجابة والرجولية ذهب الى
معاونة الطرف القليل وهجم على الطرف الكثير مع كافة الذين كانوا معه . فبالعناية الربانية وامداد روحانية
الرسول صلى الله عليه وسلم اصبح غالبا . وبعد ذلك فهم ان الفيلق الذي اعانه هو فيلق السلطنة السلجوقية .
فعلى ذلك قبل الحضور السلطان علاء الدين كيقبادي . فاعطاه مصيف طومانيج ومشتى كرد . فالغازي
عثمان رحمه الله تعالى منذ فتح حصار وسرحاكم وتقدم الى السلطان علاء الدين . فارسل له علامة الحكم وطبلا
وكثيرا من الهدايا الثمينة ومنشورا خاطبه فيه (امير الامراء صاحب الجاه العالي محافظ الحدود عثمان شاه .)
فيا ايها الامير ينبغي ان تظهر خدمة ومقاداة للدولة تاخذ بجميع القلوب وتربط السنة المخالفين حتى اتمكن على طلب
مطالبكم بقوة قلب عند الحكومة . فتجاه هذا لا يبقى مجال لمخالفة احد سواء كان صديقا او عدوا .
انا مفتون جدا باداراتكم وسياستكم وبهذا اعرف ان السعي في خدمتكم ومعاونتكم لي وظيفة وجدانية .
لكن ما وجدت الى الآن وسيلة توفق لطلب شيء من الحكومة بكم بجميع طاقتي . حتى انني ما ظفرت باحد
من رجالكم ولو بصورة خفية لكي يعرفكم بعض المسائل خفية . حتى ان عثمان ما اراد المجيء الى المدينة والحالة هذه
يجب المقاداة في مثل هذه الامور المهمة .
يا ايها الامير انكم تعرفون وضحا بانا سعينا لاجل ان لا يبقى الحجاز وعلى الخصوص الكعبة الاسلامية تحت حماية
الانكليز وبهذا السبيل ارقنا دماءنا لا لطمعنا بتوسيع الحدود وتزييد الثروة والاستفادة من منابع الحجاز .
ونحن بحوله تعالى مقتدرون على ابقاء هذه الوظيفة المقدسة بالارواح . ونحن ولله الحمد آمنون من وضعيتنا
وانتم ان شاء الله تعالى . نعلم ان وضعيتكم توافق الى اجراء هذه الخدمة المقدسة الدينية والمعاونة النافعة لنا اذا تم
كان على البالي العاصي حسين الذي انحل اسم بعض العربية تحت عار الانكليز . وفي الختام اقبلوا
فائق احترامي . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قائد الحملة الحجازية
فخري

رسالة فخري باشا إلى الملك عبد العزيز بعد استسلام الدولة العثمانية.

(المرجع: Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir)

وتشير المصادر التركية إلى أن هناك شائعات جرت في آخر الحصار تفيد أن فخري باشا أراد أن ينضم إلى الملك عبد العزيز، وأكد ذلك أحد أتباع ابن رشيد وهو الأستاذ محمد بن عبد القادر مغيربي فتيح المدني (ت ١٤٠٩)، فأفضى بهذه المعلومات للإنجليز، وذكر أن هناك اتصالاً بين ابن سعود وفخري باشا، وأنه سيسمح لابن سعود بدخول المدينة وحض القوات التركية على الدخول في خدمته[١].

ويبدو أن هذه الشائعات كانت صحيحة بشكلٍ ما، إذ يذكر قاندمير أنه التقى فخري باشا بعد سنوات من الحصار في مدينة (باطوم) التركية، وكان قاندمير مدير المخابرات فيها، وأخبره فخري باشا بأنه كان يعتمد على معونات الملك عبد العزيز الذي كان يتلقى معونات من الإنجليز، ويعادي الشريف الحسين، فأراد فخري أن يستفيد من موقف الملك ويحرضه على المضيّ بجنوده نحو مكة واستردادها من الشريف، ثم يترك فخري باشا المدينة للعرب الذين كانوا تحت إمرة الملك عبد العزيز[٢].

ويبدو أن الملك عبد العزيز تفطّن إلى انقلاب النتيجة لصالح الحلفاء، وإلى هزيمة العثمانيين وفخري باشا تحديداً، فقطع طرق التجارة على العثمانيين، وهذا ما جعل فخري يشتكي لوكيل المعتمد السياسي للإنجليز في جدة (اللفتننت كرنل باسيت) في لقاءاته معه بعد استسلامه، وقد أفضى له بعلاقته مع الملك عبد العزيز، ووصفه بأنه كان شوكة في خصره، إذ قبض على الوكلاء الذين أرسلهم فخري لشراء مؤن من القصيم، ولم يسمح لهم بالشراء حتى العودة إلى المدينة، ورفض أيضاً السماح بإرسال أباعر اشتُريت في نجد، بتكلفة (١٥) ألف ليرة تركية. ولما قطعت سكة الحديد نهائياً، أرسل فخري إلى الملك عبد العزيز يناشده أن يرسل

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ١١٤.

(2) Kandemir, p. 314- 315.

إليه حمولة (٢٠٠) بعير من الحبوب لكنه لم يتسلم جواباً. وأخيراً قال فخري: إن ابن سعود عرقل أمورنا إلى حد كبير[١].

لكن جمال باشا اعتذر في مذكراته عن الملك عبد العزيز وذكر أنه أدى ما عليه من توفير الدعم للحكومة العثمانية قدر استطاعته، فيقول: "ولم يكن في استطاعة الأمير ابن سعود أن يمد لنا يد المساعدة المباشرة لقربه من الإنجليز، الذين كان في استطاعتهم إيصال الأذى إليه. إلا أنه كان شخصياً نافعاً جداً لنا، إذ أرسل الجمال للجيش، وسمح بتصدير التجارة من بلاده إلى سورية"[٢].

وأخيراً، فإنه من الجدير بالإشارة أن نذكر رأي الملك عبد العزيز في الثورة العربية بعد انتهائها، فقد التقى به التركي قاندمير في مكة المكرمة سنة ١٩٢٦م، وسأله عن رأيه في الثورة، فأجاب بأن الشريف الحسين لقي جزاء قيامه بالثورة ضد الأتراك مصدقاً وعود الإنجليز، دون أن يتحرى حقيقة الأمر، ودون أن يراعي زعماء الجزيرة العربية، وأنهم عاشوا في ظل الدولة العثمانية مئات السنين ولم تكن الدولة تتدخل، عدا سوء التفاهم الذي حصل في أزمنة معينة، ثم أشار الملك عبد العزيز إلى أن الشريف اعتذر في كل عمله هذا بأنه لم يقم ضد الدولة، بل ضد بعض الأشخاص من الاتحاديين، ولكن هذا ليس عذراً، خاصة أن المسلم لا يتحد مع خصمه ضد أخيه. وأخيراً قال له الملك: "وما على الشريف الحسين لو ظلّ محايداً مثلنا دون أن يقوم بثورة تراق فيها الدماء"[٣].

وفي هذا لفتةٌ إلى سياسة الملك عبد العزيز الموفّقة في اتخاذه موقف الحياد، إذ لم يعلن حربه على الحكومة العثمانية، ولم يشترك مع بريطانيا في حروبها، وتفرغ لأمور سياسته الداخلية.

---

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ١٢٢- ١٢٤.

(٢) «مذكرات جمال باشا السفاح» ص ١٩٨.

(3) Kandemir, p. 315-317.

فخري باشا والأمير سعود ابن رشيد :

كانت إمارة حائل وجبال شمر في هذه الفترة تحت حكم الأمير سعود بن عبد العزيز بن رشيد، ولا بد من الإشارة إلى أن ابن رشيد هذا قد هرب به أخواله من آل السبهان من حائل إلى المدينة المنورة سنة ١٣٢٦هـ، وعمره قرابة ١٠ سنوات، وذلك بعد مقتل أبيه وإخوته على يد أبناء عمهم من آل عبيد الرشيد، وخصصت لهم الحكومة العثمانية مرتبات إلى أن يستتب الأمر في حائل، فقضى بعضاً من طفولته الأولى في المدينة [١]، وسكن بجوار آل المغيربي في المناخة[٢].

وقد استرد الحكم في ١٦ شعبان ١٣٢٦هـ وعمره لم يتجاوز العاشرة، وذلك بفضل أخواله[٣]، ولما اشتعل فتيل الحرب العالمية انتهج ابن رشيد لنفسه منهج الموالاة للدولة العثمانية، وكان رده على الملك عبد العزيز حين دعا إلى تحالف أمراء العرب: "إني من رجال الدولة، فأحارب إذا حاربت وأصالح إذا صالحت"[٤].

عقد فخري باشا معاهدة مع ابن رشيد، تعهد فيها الأخير بدعم القوات العثمانية ومساعدتها عسكرياً [٥]، واستدعاه فخري إلى المدينة المنورة وأمده بالعطايا، واتفقا بخصوص العمليات العسكرية [٦]. وكان ابن رشيد مقابل هذه العطايا يرسل البضائع والإمدادات إلى المدينة المنورة [٧].

---

(١) «مرآة الحرمين» ٢ : ٢٠٨، و«مصور في الحج» ص ١٤٩، و«قلب جزيرة العرب» ص ٣٤٧، و«تاريخ نجد الحديث» ص ٢٦٧.

(٢) «أعلام الحجاز» ٣ : ٤٤٣.

(٣) «القول السديد في أخبار إمارة الرشيد» ص ٨٢.

(٤) «تاريخ نجد الحديث» ص ٢١٩.

(٥) «العلاقات السياسية بين شريف مكة الحسين بن علي وآل رشيد» ص ١٠١.

(٦) «مذكرات جمال باشا السفاح» ص ١٩٨.

(٧) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ١٢٣، ٣٤٠.



الأمير سعود ابن رشيد في المدينة المنورة

(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)



الأمير سعود ابن رشيد في المدينة المنورة وعمره نحو ١٠ سنوات، ومعه أخواله من آل السبهان، وإبراهيم رفعت باشا

(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)

وكانت الخطة تقضي أن يقدم الأمير ابن رشيد مع جيش قوامه (١٥) ألفاً من الهجانة وحشد آخر من المشاة العرب، إلى مكة المكرمة لاستردادها من الشريف الحسين، ولأجل ذلك أصدر جمال باشا أمراً بتقديم جميع المساعدات اللازمة لابن رشيد، وبعث إلى المدينة بالكثير من الأقمشة والجلابيب والأحذية لإرسالها إلى حائل، وأمده بـ (٢٥) ألف قطعة ذهبية، وأمر بـ (٤) آلاف قطعة ذهبية من المدينة، وكان محافظ المدينة بصري باشا له رأي آخر، حيث كتب إلى جمال باشا يخبره بأن ابن رشيد لن يستطيع استرداد مكة، ويرى أن لا فائدة من إهدار الأموال والقوى عليه، لكن جمال باشا أصر على رأيه[١].

وفي ٢٩ شوال ١٣٣٥هـ قدم الأمير ابن رشيد إلى محطة مدائن صالح، بغرض الزحف إلى مكة، وتأديب المسؤولين عن التمرد الذي حصل في منطقة تيماء[٢] التابعة له، وخلافاً لما توقعته الحكومة العثمانية، فقد قدم بنحو ألف رجل فقط، واستقر بجيشه في مدائن صالح[٣].

وكان فخري باشا يقدّر الأمير ابن رشيد، ويحتفي به، كونه أحد قادات العثمانيين، ونذكر نموذجاً من هذا الاحتفاء، فإنه لما قدم الأمير ابن رشيد إلى المدينة المنورة بمناسبة عيد الأضحى، أجرى له فخري مراسم استقبال ضخمة، وأطلقت المدافع، وكان بصحبته ستون عبداً مسلّحاً، وخمسة أو ستة من الشيوخ المكلفين بالشؤون الإدارية والسياسية، وأقام لهم فخري مأدبة حافلة في مقر قيادة الحملة. وفي ثاني أيام العيد اتجها لاستقبال المحمل الشريف، وبعده أقيم عرضٌ لرمي البنادق والمدفعيات والقنابل كله في حضور الأمير، وقام بالتنزه في بساتين العيون، وشاهد التدريبات العسكرية لفرقة الهجانة، وعاد إلى مدائن صالح مرة أخرى[٤].

---

(1) Kiciman, p.85, Yatak, p. 109.

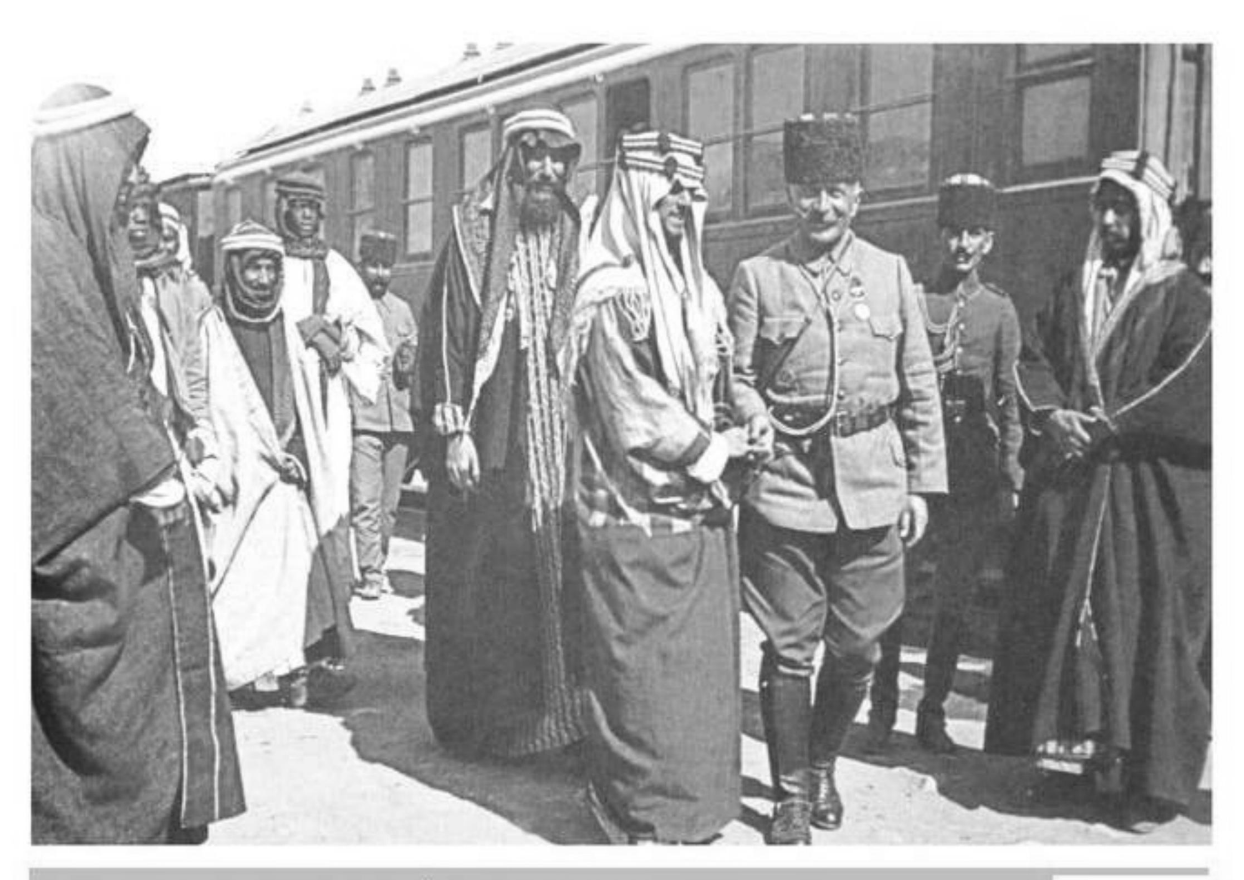
(٢) تيماء مدينة تقع جنوب شرق تبوك وتبعد عنها حوالي ٢٦٤ كيلاً.

(3) Kiciman, p.98.

(4) Kiciman, p.100-101.



فخري باشا مع الأمير سعود ابن رشيد
(المرجع: Hicaz, Osmanli Devrinde)



فخري باشا مع الأمير سعود ابن رشيد في المدينة
(المرجع: Medine Mudafaasi: Naci Kasif Kiciman)

وقد حصلت العديد من المناوشات والوقائع بين قوات ابن رشيد والأشراف في العديد من المواضع حوالي المدينة والشمال، ليس هذا مكان ذكرها[١]، وانضم فخري باشا بقواته إلى ابن رشيد مراراً، وكانت إحدى مهامه أن يحمي سكة الحديد في الشمال من تعرض القبائل العربية[٢].

ومع موقف ابن رشيد الموالي للحكومة العثمانية إلا أن الشريف الحسين كان يأمل في استمالته، لكنه كان ثابتاً على موقفه، حتى كانت وقعة في الحناكية انتصر فيها الأشراف، واستولوا على قافلة من المؤن بعث بها الأتراك إلى ابن رشيد، فطالبهم بالتعويض عن الخسائر، فلم تلبّ الحكومة طلبه للظروف التي تمر بها، ففترت حماسته، وكان هذا بداية الخلاف بينه وبين العثمانيين[٣].

وقد كثرت الانتقادات من القيادة التركية لابن رشيد، ولم تكن راضية عنه تمام الرضا، إذ مع مرور الوقت أصبح الأمير ابن رشيد عبئاً ثقيلاً على فخري باشا ومصدر إزعاج له[٤]، وصار لا يعتني بأمر إعاشة ابن رشيد كما كان في أول قدومه، نظراً إلى كثرة طلباته التي لم يكن فخري قادراً على تلبيتها. وفي مرة طلب ابن رشيد من دمشق المؤن لنفسه ومن معه، لكن المؤن التي كانت تحملها عربات القطار اعترضت من قبل الثوار من القبائل العربية[٥].

وقد تكررت الاحتجاجات من القوات الحجازية التركية للحكومة العثمانية،

---

(١) انظر على سبيل المثال: «جريدة القبلة» عدد ٩١ ص ٢، وعدد ١٥٥ ص٢، وعدد ١٦١ ص ٢، وعدد ١٦٣ ص ٢، عدد ١٦٧ ص ٢، و عدد ١٩٧ ص ٣، و«العلاقات السياسية بين شريف مكة الحسين بن علي وآل رشيد» ص ١٠٢- ١١٩.

(2) Kiciman, p. 121- 122.

(٣) «يقظة العرب» ص ٣١٧-٣١٨.

(٤) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٤٨٥.

(5) Kiciman, p. 123.



فخري باشا مع الأمير سعود ابن رشيد
(المرجع: Medine Mudafaasi: Naci Kasif Kiciman)

حول وجود ابن رشيد، لكن الأمر جاء إلى فخري باعتبار ابن رشيد حليفاً موثوقاً به، وأن يعامله كضيف مكرّم[1].

إلا أن ابن رشيد تنبّه إلى هذا التغير في معاملة الأتراك له، وخاصة أن فخري باشا اتهمه بالسعي لكسب الأموال والمراوغة، لذا فكّر جدّياً بترك ساحة القتال مع الأتراك، وبدأ يلين في الرسائل مع الأشراف، وفي جواب له على رسالة بعثها الشريف عبد الله إليه يعرض عليه معاملة طيبة إذا انفصل عن الأتراك. أعرب ابن رشيد استعداده للانضمام إلى الأشراف، وطلب مهلة، لكن هذه المفاوضات بينه وبين الأشراف لم يتم لها النجاح، فاستمر مقاتلاً مع الأتراك وموالياً لهم إلى النهاية[2].

---

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٤٨٥.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٤٩٢، ٤٩٤، و«العلاقات السياسية بين شريف مكة الحسين بن علي وآل رشيد» ص ١١٣- ١١٤.

وقد استمر الأمير سعود ابن رشيد حاكماً لحائل، حتى تم قتله غدراً سنة ١٣٣٨هـ[١]، على يد ابن عمه عبد الله بن طلال آل رشيد[٢].

فخري باشا ونهاية الحصار :

لبث فخري باشا مقاوماً زمناً طويلاً، وكان الحظ حليفه في البدايات الأولى، لكنه ما فتئ يتكبد الضربات تلو الضربات، حتى لاحت لديه بوادر الهزيمة، بيْد أنه كان يأمل في أمر يغير مسار الأحداث.

في البدء كان فخري باشا متفوقاً، وكان الإنجليز يخشون من تقدمه لاسترداد مكة المكرمة، وأرادوا إرسال لواء عسكري بريطاني إلى رابغ ليمنع من تقدم الأتراك، لكن الشريف الحسين رفض ذلك لأسباب دينية. فرأوا أن الطريقة المثلى لإزالة الخطر عن مكة هو القيام بالغارات ضد سكة الحديد وخطوط المواصلات في الشام[٣]. وقد نجح ذلك بالفعل، ثم جاءت الضربة الأولى لفخري باشا وهي استيلاء الأشراف على بلدة الوجه، حيث تخلى بسببها عن التقدم باتجاه مكة المكرمة، واتخذ موقف الدفاع عن المدينة المنورة[٤].

وأما الضربة الثانية التي أثرت في موازين الحرب، فهي استيلاء الأشراف على ميناء العقبة[٥]، وبسبب ذلك انفكت الصلات بين الشمال والمدينة المنورة، وفي

---

(١) هذه رواية الزركلي، وأما فؤاد حمزة فيذكر في «قلب جزيرة العرب» ص ٣٤٨، أن مقتله كان سنة ١٣٤٠هـ، وهو وهم منه، لأن حائل دخلت تحت حكم الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٠هـ.

(٢) «شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» ص ٢٥٤، ومن اللطائف أن زوج الأمير سعود وتدعى فهدة بنت العاصي الشريم الشمري تزوجها الملك عبد العزيز بعد زمن، وأنجب منها: الملك عبد الله، ملك المملكة العربية السعودية، المتوفى في ١٤٣٦هـ، وله أخ من أمه هو الأمير مشعل بن سعود آل رشيد، رحم الله الجميع.

(٣) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٢٥٣-٢٥٤.

(٤) «أعمدة الحكمة السبعة» ص ١٩٣.

(٥) هي اليوم مدينة في أقصى جنوب الأردن بالقرب من الحدود السعودية.

ذلك يقول لورنس: "إن استيلاءنا على العقبة، قد أنهى الحرب في منطقة الحجاز، ومنحنا مساعدة البريطانيين في السيطرة على سورية"[١]، وقال أيضاً: "وفي الوجه تحقق النصر في حرب الحجاز، وفي العقبة أكمل وضع المراسم النهائية لها"[٢].

وما زالت المعارك مشتعلة بين الطرفين حتى زادت على ٥٤ وقعة[٣]، وكان انقطاع المواصلات بين الشام والمدينة سبباً في تحرك فخري وإرساله خطابات شديدة اللهجة إلى القيادات، حيث أن المجاعة التي أصابت الحجاز فاقت المجاعة التي في الشام بأضعاف المرات[٤]. ولما يئس فخري من تسلّم تجهيزات كافية في المدينة، وضع مسؤولية سقوط المدينة على عاتق مندوب الخط العام والمواصلات، وخاطب القيادة بعدم جدوى إرسال أي شيء بالقطار ما لم تتم تنحية القبائل عن جوار الخط، وأعلن في ذي الحجة ١٣٣٥هـ أنه محاصر[٥].

في هذه الفترة اعتمد فخري باشا على جماعة من الحلفاء له والموالين، مثل أمير رابغ الشيخ حسين بن مبيريك الغانمي الحربي، الذي رفض الانضمام إلى ثورة الشريف الحسين بالرغم من محاولات الشريف والإنجليز لاستمالته[٦]، وقد استطاع أن يمنع وصول الإمدادات الإنجليزية إلى الأشراف، إذ حبسها عنده في رابغ، لكن رابغ سقطت على يد قوات الشريف، فاضطر ابن مبيريك إلى الهروب

---

(١) «أعمدة الحكمة السبعة» ص ٣٦١.

(٢) «منتهى الأماني» ٣: ١٩٤.

(٣) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٤٨٤.

(٤) «لورنس، الحقيقة والأكذوبة» ص ٢٠٩.

(٥) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٥٤٢.

(٦) روى الضابط صبحي العمري في كتابه: «لورنس الحقيقة والأكذوبة» ص ٢٤-٢٥، أن ولد الشيخ ابن مبيريك كان أول قتيل من قتلى الثورة، قبل إعلانها في مكة، إذ باغته الشريف ناصر بن علي الحسيني برصاصة لما اعترض طريقه في أول أيام الثورة، واستولى على ما عنده من أموال ورسائل.

إلى بلدة حَجُر[١]. وقد اعتمد عليه فخري في مسألة الإمدادات، حيث كتب إليه أن يمده بمال، وقد فعل، ففي وثيقة مؤرخة في ٢ مايو ١٣٣٤ رومي والموافق لـ ٢١ رجب ١٣٣٦هـ، يطلب فيها فخري من ابن مبيريك مبلغ (٢٠) ألف جنيه[٢]، ولما أقيمت جمعية الحمية التي سبق الإشارة إليها، أرسل إليه فخري يحرّضه على المشاركة، فحقق ابن مبيريك المركز الأول إذ بعث بـ (٥) آلاف قطعة ذهبية عثمانية، وقد احتفظ فخري باشا في خزانته بمبلغ (٤) آلاف جنيه، أراد به سداد القرض لابن مبيريك، لكن الأشراف استولوا على هذا المبلغ بعد التسليم، حتى استعاده رئيس الإدارة صبري بك البغدادي من بئر درويش بعد ذلك[٣]. وقد لقي ابن مبيريك حتفه غيلة سنة ١٣٣٧هـ، وتذكر المصادر أن قتله كان بإيعاز من الشريف الحسين[٤].

كما كان هناك رجلٌ آخر ذو مكانة عند القبائل، وكان له دور فاعل في هذه الحرب، وهو شيخ مشايخ قبيلة بلي، الشيخ سليمان باشا بن رفادة البلوي[٥]، لكنه لقي حتفه في ٢٦ صفر ١٣٣٦هـ، حين نسفت قنابل التابعين للأشراف إحدى عربات القطار في محطة الأخضر جنوب تبوك، فقفز سليمان باشا ومعه بندقيته، وأخذ يدافع عن الجنود الناجين لكنه لم يفلت من رصاصة استقرت في جسده، أردته قتيلاً[٦].

---

(١) «مذكرات نوري السعيد» ص ٣٣- ٣٤، و«الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٢: ٣٩٣، وحجر وادٍ يقع شرق رابغ، ويبعد عنها حوالي ١٠٠ كلم. «معجم معالم الحجاز» ص ٤١٥.

(٢) «مشيخة ابن مبيريك في رابغ» ص ١٢٠، و«آل مبيريك شيوخ وأمراء رابغ» ص ١٦٥.

(3) Kiciman, p. 320, 426.

(٤) «آل مبيريك شيوخ وأمراء رابغ» ص ١٥٤- ١٥٨.

(٥) انظر: «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ١٠٧.

(6) Kiciman, p. 113.



الرابع من اليسار الشيخ حسين ابن مبيريك الغانمي الحربي أمير رابغ
(المرجع: Medine Mudafaasi: Naci Kasif Kiciman)



الشيخ سليمان باشا بن رفادة البلوي

ولا بد أن نعرج على دور قوات الصاعقة (يلدريم)، وكانت تدار من قِبل الألمان، وقائدها يدعى: (ليمان فون ساندرز)، وكانت هي المسؤولة عن عمليات الشمال وإصلاح سكة الحديد وتموين المدينة، وكانت حملة الحجاز تتبع شكلياً قوات (يلدريم)[٧]، لكنهم كانوا ينظرون إلى جبهة الحجاز في المدينة بنظرة استخفاف ولا مبالاة، وقد حاول فخري مراراً التواصل معهم، لكن لم يجد منهم إجابة، حتى كانت الطامة الأخرى عليه، وهي سقوط محطة (المدوّرة) في ١٠ أغسطس ١٩١٨م= ٣ ذي القعدة ١٣٣٦هـ، وانقطع الاتصال بالشمال، وقد أثر ذلك في فخري مما حدا به إلى عزو سبب حاله في المدينة إلى قوات (يلدريم) التي امتنعت عن إرسال الإمدادات، وأرسل رسالة وداع، أخبر فيها أن المدينة محكوم عليها بالسقوط[٨].

توسّل فخري باشا إلى جميع القيادات في دمشق ومعان وعمان ودرعا أن يغيثوه بالإمدادات، لكنهم تركوه وحيداً محاصراً، وقد انقطع خط سكة الحديد، كما نفد الوقود أيضاً، وحلت المجاعة، فتجهز للحصار.

اتخذ فخري باشا من ثكنة العنبرية -الواقعة أمام التكية المصرية- مقراً عسكرياً له، ومكاناً لإقامته، وقد كُتب على بابها في لوحة كبيرة عبارة باللغة العثمانية: (حجاز قوة سفرية سي قومندا نلغي قرار كاهي) وترجمتها: (مركز قيادة الحملة البرية الحجازية)[٩]. وكما أسلفنا فإن فخري أمر بجمع المؤونة والمحاصيل من التمور في المستودعات، ومنع أهالي المدينة منها حتى تدخل بعض المسؤولين

(٧) «جريدة القبلة» ع ٧٤ ص ٢.

(٨) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٤٩٧، ٥٤٥. *Kiciman, p. 157*.

(٩) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط، و«حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٣٤١. وقد وهم النقشبندي حين ظن أن مركز القيادة هو مقر القيادة العسكرية.

كالسيد أحمد صافي، والسيد حمزة غوث، وغالب شعلان، وعبد الرحمن باشا، فلم يستجب لهم، وأشار عليهم أن ينصحوا أهل المدينة بالرحيل، ثم سمح بتوزيع كميات محدودة على الأهالي المحتاجين[١].

وقد خصص فخري باشا ثكنة العنبرية والتكية المصرية لحفظ الأسلحة، ثم لما قام بإيصال سكة الحديد إلى شارع العينية والمناخة، جعل من الكتاتيب المجيدية في مؤخر المسجد النبوي الشريف مستودعاً لادخار الأسلحة، ثم اتخذ من المسجد النبوي مقراً ليلياً له[٢].

ولم يرق للضباط العرب في عسكر فخري باشا ما كان يتخذه من قرارات، ومنهم: غالب بك، ومهدي بك، وعاهد بك، وحسني العلي المقدسي، وجميل الراوي، وشكري البغدادي وغيرهم، ولم يطمئنّوا لأفعاله حيث كانوا يرونه مستبداً في أوامره، وكثيراً ما قتل من الجنود والأهالي بتهمة الخيانة[٣].

الديوان العرفي والمحاكمات العسكرية في المدينة:

لما اندلعت الثورة العربية، واشتبك الفريقان في عدة معارك، جاء الأمر بإعلان المدينة المنورة وما جاورها منطقة عُرفية، وحوّلت الإدارة فيها إلى إدارة عُرفية[٤]، وذلك في ١٠ سبتمبر ١٣٣٢رومي، الموافق لـ ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٣٤هـ. وبناءً على هذا القرار، فقد قامت الحكومة بتشكيل محكمة عسكرية

---

(١) «التاريخ الشامل» ٣: ٦٥.

(٢) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط، و«التاريخ الشامل» ٣: ٧٥- ٧٧.

(٣) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٣٤١. *Kiciman, p. 277, 278*.

(٤) هو ما يعرف في زماننا هذا بقانون أو حالة الطوارئ، وهي حالة استثنائية تنقل بواسطتها صلاحيات السلطات المدنية إلى السلطات العسكرية.

عُرفت بديوان الحرب العرفي[١]. وقد رأس هذا الديوان البكباشي خورشيد بك الذي شارك في كثير من دواوين الحرب في إسطنبول، إلا أنه كان مستبداً بآرائه، لذا نُقل إلى رئاسة هيئة التحقيق، وعُيّن مكانه ضابطٌ آخر.

في هذه الآونة اجتاحت فخري باشا موجة عارمة من الشك، فصار يرتاب في كل عربي، وقد أطلق عبارته الشهيرة: (عرب خيانات)[٢]، وأمر بإلصاق إعلانات على حيطان المنازل، يُبلغ فيها أن المدينة أصبحت خاضعة للإدارة العرفية، وأن كل من يتكلم عن الحركات العسكرية أو الحرب العامة، سيعرض نفسه لشتى أنواع العقوبات[٣]. وقد ساد جو الوشايات بين الناس بسبب هذا القرار كما فصلنا فيه سابقاً.

ومع أن جيش فخري كان يحوي عناصر من القوات العربية، إلا أنه كان دائم الشك فيهم، وخاصة أهالي سوريا الذين استاؤوا من سياساته. ولما اشتد الحال على الجنود، شرع بعضهم في الهروب من مواقع مختلفة، وكان أكثرهم من العرب[٤]، ثم ازدادت حالات الهرب، واستشرى الأمر بين الجند، حتى عثرت القيادة في نهاية الأمر على جمعيّة سريّة هدفها حض الجنود العرب داخل المدينة المنورة ومن يخالطهم من الأتراك والأكراد والشراكسة على الفرار، فقبض على العديد منهم، كما أحيل أعضاء تلك الجمعية السرية إلى ديوان الحرب العرفي، ومنهم حسن مهلهل من أهالي المدينة، وأحمد المصري، وعبد الحميد الحمصي من سريّة الاستحكام، وحوكموا وأدينوا، وانتهى الأمر بهم إلى الإعدام، وسيق المحكوم عليهم مقيّدي الأيدي إلى الساحة الواقعة على حافة محطة سكة الحديد،

---

(1) Kiciman, p. 277.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٧، «التاريخ الشامل» ٣: ٥٣.

(٣) «جريدة القبلة»، ع ٣٨ ص ٣

(4) Kiciman, p. 152.

وتم قتلهم رمياً بالرصاص، وغصّت ساحة الإعدام بالجند والعديد من أهالي المدينة، وذلك في ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦هـ[١].

وإذا كان يحق لفخري باشا أن يحكم رأيه وضميره في التصديق على قرارات الديوان العرفي فيعفو أحياناً ويصفح، إلا أنه بشخصيته العسكرية المهيبة لم يجد مبرراً لأولئك الهاربين، فكان حكمه بالإعدام أمر محتّمٌ، لا تأخذه في ذلك رحمة ولا شفقة، وقد أصدر بياناً في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦هـ، توعد فيه الهاربين، ومن يُقبض عليه فإن مصيره القتل رمياً بالرصاص، وأمر بمكافأة قدرها (١٥) جنيهاً عثمانياً لمن يقبض على جندي هارب، و(٥) جنيهات عثمانية لمن يبلّغ عن حالات الهروب[٢].

وتتضح هذه القرارات جليّة في الجنود الذين فضلوا ترك محطة (المدورة) لأعدائهم، وهربوا إلى الشمال قاصدين (معان)، فقد أرسل فخري باشا كتيبة إلى هناك استعادت المحطة، قبل سقوطها نهائياً بعد ذلك، وأحيلت أسماء الهاربين إلى ديوان الحرب ليحكم فيهم بالإعدام[٣].

ومما جاء في حوادث القتل والشنق ما نشرته جريدة القبلة، من بلاغ رسمي لفخري باشا، عثرَت عليه مرسلاً إلى شعبة أركان الحرب العثمانية سنة ١٣٣٥هـ، وفي النفس شيء من صحته[٤]، وهو كالتالي:

---

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٩٣. *Kiciman, p. 168- 169* .

(2) Kiciman, p. 163.

(٣) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧ ص ٩٣. *Kiciman, p. 168- 169*.

(٤) يظهر لي أن هذا المنشور لا تصح نسبته لفخري، لما فيه من مبالغة في التهديد بالقتل والنفي لمن لا جريرة له، واختلاف أسلوبه عن أساليب فخري باشا في خطاباته، خاصة إذا عرفنا أن الخطاب جاء من طرف عدو للأتراك غير محايد تبعاً لظروف الحرب.

إلى شعبة أركان الحرب

قُبض على جنديين من بلوك الاستحكام وهما منهزمان إلى العرب، وقد تحققت خيانتهما أمام الديوان الحربي، فأمرت بإعدامهما رمياً بالرصاص، وفرّ ستة جنود من آلاي[٢] . . والتحقوا بالعصاة، فأخذت بأسباب نفي عائلاتهم إلى (الروم إيلي)، ولكنني لا أقدر أن أتبع هذه الطريقة بعد الآن، بل إن كل واحد من عساكري الذين أدعوهم إخواني وأولادي إذا استعد للالتحاق بالعرب، أو إذا قبض عليه وهو في حالة الفرار فإني سأشنقه بلا محاكمة، كائناً من كان، لأن ذلك الملعون ليس من الناس الذين يستحقون الموت بالرصاص. والذين يفرون من الجيش أطلب آباءهم وأعمامهم وأخوالهم وإخوانهم، الذين تجاوزوا الثالثة عشر من عمرهم وواحداً من أولاد كل واحد من هؤلاء الفارين، وأشنقهم جميعاً في المكان الذي فروا منه، وكل من يبقى حياً من أقربائهم وذويهم بما فيهم من النساء والأطفال سأنفيهم إلى (الروم إيلي). وسأشرع بتنفيذ قراري هذا من ساعة تبليغ أمري العسكري، وعلى المتبوعين أن يبلغوا ويفهموا أمري وقراراتي هذه إلى من يتبعهم من أفراد الجيش حالاً وأن يضعوا إشارة بذلك على كنياتهم. وكذلك يجب إبلاغ وإفهام هذه الأوامر والقرارات للجنود الجدد، ولا أقبل عذر أحد بعد الآن بأنه لم يبلغ هذه الأوامر بل إن مسؤولية

(١) آلاي (*Alay*) تعني المفرزة العسكرية، وتضم ثلاث كتائب من المشاة. انظر: «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» ص ٢٢-٢٣.

إعدامهم المادية والمعنوية تعود على الذين لم يبلغوهم، وإن أمري هذا قد أبلغ تحريراً إلى القطاعات والمؤسسات المرتبطة بقوتنا السفرية، وإلى طوابير سكة حديد الحجاز، وتعمم إعلانها بواسطة الإعلانات في المدينة.

القائد

فخر الدين[١]

وأياً كانت صحة هذا المنشور، فهو يمثل أساس الفكرة من التحذير من عاقبة الهروب، والتريث أمام هذه الهواجس التي تنتاب الجنود.

ومع هذا فإنه لما اقترح جماعة من المقربين على فخري، أن يضع أفراداً ثقات من القوات داخل معسكر المدينة، كي يستشفّوا حقيقة ما يجري من أحداث الهروب، ويكونوا في غاية الأهبة والاستعداد لهذا الشأن، اعترض على ذلك وقال: "اطرحوا من عقولكم فكرة عصيان العرب في المدينة، فليس باستطاعتهم فعل شيء، لكن المهم ألا تتسمم أفكار الجنود الأتراك، فإذا حدث ذلك فهي الطامة الكبرى إذن"[٢].

وقد خضع الكثير من الناس للمحاكمة في الديوان العرفي، سواءً كانت محاكمة حضورية أو غيابية، وحوكم فيه بعض الشيوخ الذين ناصروا الشريف الحسين، وبعض من بذل لهم العون، والذين كان لهم يد في وقعة العوالي، وبعض من اتهم بالتجسس، والضباط المهملين، وصدرت أحكام غيابية بالإعدام على بعض

(١) «جريدة القبلة» عدد ٧٤ ص ٢، و«جريدة العرب»، المجلد الأول، العدد ٧، تاريخ ٢٧ رمضان ١٣٣٥هـ.

(2) Kiciman, p. 366.

الشيوخ الذين شجعوا على التمرد[1].

إلا أنه بعد مرحلة من الحصار أُلغي هذا الديوان العرفي، وأحيل المتهمون والمذنبون في نظر الأتراك من الأهالي أو العساكر إلى ديوان الحرب الدائم، وشُهدت العديد من الأحكام في الجرائم العسكرية والفساد والفتن[2].

استسلام حامية المدينة المنورة:

وأخيراً، سقطت البلدان العربية واحدة تلو الأخرى، وسقطت مدن الشام بيد الإنجليز والحلفاء، وأعلنت الدولة العثمانية قبول الاستسلام بناءً على ما جاء في هدنة (مودروس= *Mudros*)[3] الواقعة في ٢٥ محرم سنة ١٣٣٧هـ = ٣١ أكتوبر ١٩١٨[4]، وأبرق وزير الخارجية إلى فخري باشا يطلب منه تسليم المدينة المنورة للقوات الهاشمية المتحالفة مع بريطانيا، فصعق فخري باشا لهذا الخبر، وأبرق

---

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١٠٣، ١٠٤.

(2) Kiciman, p. 278.

(٣) معاهدة مودروس نسبة إلى مدينة مودروس الواقعة في جزيرة ليمنوس باليونان، وهي معاهدة استسلام الدولة العثمانية للحلفاء وقعت على ظهر باخرة إنجليزية رست في مودروس، واضطر العثمانيون إلى تسليم الدولة من غير قيد ولا شرط، ووقعها وفد حكومة الصدر الأعظم أحمد عزت باشا الذي قدم استقالته بعد ذلك. وقد خالف هذا الوفد ما أوصاهم به السلطان وحيد الدين من وجوب وجود مادتين مهمتين وهي: ضمان المحافظة على حقوق الخلافة والسلطنة والأسرة العثمانية، وأن يكون استقلال بعض الولايات داخلياً وليس سياسياً. انظر: «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» ١: ١٩٥- ١٩٧، و«الدولة العثمانية تاريخ وحضارة» ١: ١٣٩، و«السلطان وحيد الدين وأتاتورك» ص ٥٥.

(٤) جاء في «الثورة العربية الكبرى» ١: ٢٦٠، لأمين سعيد، وغيره من المصادر، أن الهدنة كانت في ٣٠ أكتوبر، وقد اعتمدت على ما جاء في: «المعارك الأولى» لصبحي العمري، ص ٣١٩، وعلى برقية الصدر الأعظم ووزير الحربية التركي أحمد عزت باشا إلى الجيوش العثمانية، التي نقلها فريدون قاندمير. انظر: *Kandemir, p. 155*.

مرة أخرى إلى قيادته في إسطنبول يستوضح ما جاء في البرقية، فجاءه الرد مؤكداً عليه بالتسليم، لكنه رفض ذلك، ولم يصدق، وزعم أن في الأمر خدعة، فجرت اتصالات سريعة بين الأشراف والقيادة في إسطنبول، فجاء الأمر مرة أخرى إلى القيادة العسكرية في المدينة بالتسليم، فاطّلع بعض الضباط عليها قبل أن يطلع عليها فخري باشا، وحاولوا أن يحادثوه في الأمر فاتهمهم بالخيانة، فأحجموا عنه، وأذعنوا إليه ظاهرياً[1].

وقد أكدت الحكومة العثمانية الخبر إلى قوات المدينة وعسير، في ١ صفر ١٣٣٧هـ، وهذا نص الخبر الذي بلغ إلى محطة اللاسلكي في المدينة بواسطة ينبع البحر، وقد جاء فيه:

إلى الفريق فخر الدين باشا، قائد المدينة.

إلى المير لواء محيي الدين باشا، قائد عسير.

بعد ما أبرزتموه من تضحيات تتحير فيها العقول، في سبيل الدين والشرف لحقت الهزيمة بحلفنا، الأمر الذي حمل الدولة العثمانية على عقد الهدنة مع دول الحلفاء. وقد جاء في أحد بنود الهدنة شرط يقضي بأن تستسلم القوات العثمانية في الحجاز وعسير واليمن، إلى أقرب قائد من قادة جيوش الحلفاء.

لقد بقيتم منذ سنوات تذودون عن شرفكم العسكري، وبالطبع فإنكم تدركون أن الرضا بذلك الحكم إنما هو أمر

(١) «التاريخ الشامل» ٣: ٧٩- ٨٢، و«المعارك الأولى، الطريق إلى دمشق» ص ٣١٩، و«الثورة العربية الكبرى» لأمين سعيد، ١: ٣٦٠.

نابع من حب الوطن، والرغبة في إنقاذه من فناء محقق، لقد بذلتم من التضحيات وأظهرتم من ضروب البسالة ما حاز على إعجاب وتقدير الجميع، حتى خصومكم وأعدائكم، وأنا على يقين من أنكم سوف تتحملون هذا الحمل الثقيل بكل رباطة جأش وطاعة، وأرجو أن تكونوا واثقين من صدق نوايا إنجلترا التي لم تتقاعس عن إبراز حسن النوايا بشأننا!، وأتمنى من الله العلي القدير أن تعودوا في القريب العاجل سالمين إلى أرض الوطن العزيز، تحياتي لكم جميعاً.

الصدر الأعظم وناظر الحربية

أحمد عزت[١]

كان وقع هذا الخبر على فخري باشا كالصاعقة، فقابل كل هذه البلاغات بالصمت المطلق، وكأن ذلك الإشعار لم يأت إلى المدينة قط، بل صار يشكك في الإشعار الذي تلقاه بقوله: "أليست عبارة: أن تعودوا في القريب العاجل سالمين إلى أرض الوطن العزيز. عبارة غريبة؟"[٢].

وصل نبأ التلغراف بالتسليم إلى جميع الجيوش العثمانية، وأشيع بين الضباط في المدينة أن الصدر الأعظم كان يسكب عبراته وقت كتابة هذه الرسالة[٣].

---

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١٠٧ - ١٠٨. *Kandemir, p. 156-157*.

(٢) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١٠٨.

(3) Kandemir, p. 157.

رسالة المندوب الإنجليزي في الحجاز إلى فخري باشا حول شروط الهدنة

Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, (Feridun kandemir :المرجع

جدة البحرية ١٠ نوفمبر [illegible]

إلى صاحب السعادة الشجاع فخري باشا قومندان القوات التركية بالمدينة

يا صاحب السعادة، لي الشرف أن أخبركم بأن ما يلي هي الشروط الأساسية للهدنة

ابتداء من ظهر يوم ٣١ أكتوبر الماضي بين حكومات دول الحلفاء وتركيا

والقوات المتحالفة:-

١. فتح الدردنيل والبسفور للجميع
٢. تسليم جميع أسرى الحرب للحلفاء بدون قيد أو شرط
٣. تسريح الجيش التركي ما عدا ما يكون لازما لحفظ الحدود والأمن في الداخل [illegible]
٤. تسليم جميع البواخر الحربية التركية للحلفاء
٥. تحتل جنود الحلفاء أي نقطة [illegible] في تركيا
٦. [illegible] استعمال الموانئ التركية للحلفاء
٧. [illegible] البحر (الأبيض) والسكة الحديدية التركية [illegible]
٨. يجب على الحكومة التركية أن لا تتلف المؤونات الحربية [illegible]
٩. يجب أن تسلم الحاميات التركية التي في الحجاز والعسير واليمن والعراق والشام [illegible] لأقرب قومندان للحلفاء ويجب أن تسلم [illegible]
١٠. [illegible] الجنود التركية [illegible]
١١. [illegible] الجيش التركي [illegible] الحلفاء
١٢. يكون الجيش التركي تحت ترتيب وتنظيم الحلفاء
١٤. تقطع الحكومة التركية كل علاقة مع ألمانيا والنمسا

وإني خادمكم المطيع

الكابتن [illegible]

عن المندوب البريطاني في الحجاز

فخري باشا



ومع هذا لم يستطع فخري أن يفق من هول هذه الصدمة، فاضطر إلى إخفاء الخبر، وسارع إلى إعطاء الجميع إجازة مفاجئة من غير سبب يذكر، وأوقف الاشتباكات في كل الجبهات، وسحب القوات المنتشرة حول المدينة على مدى ٢٢٠ كم إلى داخل المدينة. فعل فخري كل ذلك كي يتخذ التدابير اللازمة لخطوته التالية قبل معرفة الناس، ولم يكن أحد يجرؤ على سؤاله، لما له من هيبة وخوف في نفوسهم، لكن الرسائل بدأت تتوالى، والأخبار يتناقلها الناس، وملامح الدهشة بادية على الوجوه، ولم يمض يومان على وصول الخبر حتى انتشر بين القوات جميعها[1].

خُطبة فخري باشا في الحرم النبوي:

عندما رأى فخري باشا أن محاولاته في التكتم قد باءت بالفشل، استدعى ضباطه من الوحدات، وكبار الشخصيات المفوضة المهمة من الفرق العسكرية، إلى الحرم النبوي الشريف لحضور صلاة الظهر، وذلك في يوم الأحد ٢٨ محرم ١٣٣٧هـ الموافق لـ ٣ نوفمبر ١٩١٨، وبعد أداء الصلاة نهض فخري باشا من مكانه بهدوء، ووقف أمام الحجرة الشريفة يدعو بخشوع، واحتضن العلم العثماني إلى صدره، ولفه عليه، واتجه إلى المنبر في ذهول، وكأنه لا يرى أحداً[2].

ويصف السلطان القطيعي هذه اللحظة بطريقة مؤثرة، بقوله: "وبعد خطبة الجمعة والصلاة[3]، وسكينة عجيبة تسود في جميع أنحاء المسجد النبوي الشريف،

---

(1) Kandemir, p.158.

(2) Kandemir, p.158.

(٣) أخطأ السلطان غالب القعيطي في تحديد اليوم والتاريخ لهذه الخطبة، تبعاً لمرجعه الأجنبي، حيث نص على أنها حدثت يوم الجمعة الثانية في أبريل ١٩١٨م في آخر جمادى الآخرة أو أوائل رجب سنة ١٣٣٦هـ، وهذا خطأ كبير، لأن هذه الحادثة كانت بعد استسلام العثمانيين، وقد نص على هذه الخطبة والحادثة فريدون قاندمير وحددها في ٣ نوفمبر ١٩١٨م.

قرر فخري باشا وهو ملتحف بالعلم العثماني أن يصعد إلى حد نصف درج المنبر، وهو متأثر عاطفياً ويواجه الحضور. ثم لما اطمأن بأن أنظار الجميع عليه، رفع يده اليمنى وأخذ يحلف بصوت عاطفي مسموع، هذه كلماته المختصرة: "إني لن أهجركم يا رسول الله"، وبعد ذلك التفت لمخاطبة الموجودين، وبالذات العسكر فيهم قائلاً: "يا أيها العسكر، إنني إذ أناشدكم في حضور ذلك النبي الذي يستريح في مرقده، ويسمع الكلمات التي تذكر هنا، طالباً منكم التعهد بأنفسكم في سبيل الدفاع عنه إلى آخر طلقة لدينا وآخر نفس فينا، مهما بلغت قوة أعدائنا، وأسأل الله أن ينصرنا ويجعل دعم رسولنا الروحاني معنا.. آمين".

وبعد ذلك واصل فخري باشا كلمته يحض ضباطه وجنوده، على أخذ اليمين معه على نحو يمينه بالالتزام، والتقيد بهدفه المنشود، مضيفاً: يا ضباط القوات العثمانية الباسلة، ويا (محمد جكلار)[1] الذين تعودتم بتسديد ما عليكم من التزام نحو دينكم بأرواحكم، تقدموا لنأخذ معاً هذا العهد في حضور مولاكم الله سبحانه وتعالى.

وعند ذلك كان رد الفعل العاطفي المتهيج لهذه المناشدة النبيلة والكلمات المثيرة من قبل الضباط والجنود، وبقية المصلين الموجودين في المسجد معاً آنذاك أدهش مما قد يتصور، ويوصف بأمانة ودقة، حيث نهض كل جندي من موقعه، وانطلق إلى نحو الحجرة النبوية الشريفة الآوية لآخر مرقد دنيوي لنبيه الكريم، وشفيعه لأخذ اليمين الذي دعي إليه من قبل قائدهم وواليهم»[2].

وأما الحدث ونص الخطبة، فيسرده قاندمير، الذي كان حاضراً الموقف، فيقول:

---

(١) مفردها بالتركي: محمد جك، ومعناها: محمد الصغير، وهي عبارة تطلق إلى الآن على الجنود في القوات التركية، وترمز إلى دورهم التاريخي بصفتهم أتباع دين محمد وغزاةً وحماةً دفاعاً عن مقدساته. كذا في «منتهى الأماني» ٣: ٢٠٩.

(٢) «منتهى الأماني» للقطيعي، ٣: ٢٠٩-٢١٠.

"وصعد فخر الدين باشا إلى المنبر، وكان أمام الروضة المطهرة، والحرم في سكون تام، والكل يعي أنه يعيش يوماً تاريخياً، ويعتريه الفضول حول ما سيفعله فخري باشا، ومضت دقائق، والناس ينتظرون بترقب، وبعدها سُمع صوت فخر الدين باشا مدوياً كصوت الرعد، يقول:

أيها الناس! أخاطبكم بالصوت الذي صدح في هذا المكان قبل ألف وثلاثمئة سنة، وأقول لكم في حضرة الحي في هذا القبر الطاهر ﷺ: مهما كان العدو أمامنا قوياً، فسوف نستمر في معركتنا بإذن الله، وبشفاعة رسول الله ﷺ دون أي ذرة فتور.

هم يعرضون علينا الآن تسليم المدينة بعد أن قبلوا ذهب الإنجليز، وأسالوا دماء المسلمين، وقطعوا خط السكة الحديدية، ومنعوا البدو من إيصال المؤن إلينا.

أيها الناس! تعلمون يا جنودنا الشجعان أننا مجبرون على الدفاع عن المدينة المنورة حتى آخر رصاصة، وآخر قطرة دم، وآخر نفَس.

أقولها من ناحية إسلامية وناحية عسكرية: هؤلاء الجنود لن يتراجعوا قبل سكب دمائهم على أنقاض المدينة وتحت القبة الخضراء، في أكفان مضرجة بالدماء، ولن يُزال العلم الأحمر قبل أن تُقدّم التضحيات.

الله معنا ورسول الله شفيعنا..

يا أبطال التاريخ الذين ليس لهم مثيل.. يا ضباط الجيش العثماني الأشاوس، يا من ضحوا بدمائهم ولم يركعوا لأحد ولم يرتعدوا في كل الجهات، أدعوكم إلى تكرار القسم هنا أمام رسول الله ﷺ، وبكل حزن وأعين ممتلئة بالدموع، لنقل: لن نتركك يا رسول الله"[١].

---

(1) Kandemir, p.159-160.

يقول قاندمير: "وكأن السماء قد أرعدت من فوقنا فجأة، والأرض قد زلزلت من تحتنا، وارتجّ المكان بالنداءات والهتافات، وأتم آخر كلماته ودموعه تنهمر، ونزل من المنبر ووجد نفسه بين أحضان الجنود، وأصبح الجو كأنه يوم عيد.

أمضى فخري باشا وقتاً طويلاً يجيب عن الأسئلة الموجهة إليه، وهنا تقدم شيخٌ من أهل المدينة إلى فخري وهو ممسكٌ بسبحته، واقترب بجانبه وسلّم عليه باحترام، وقال له بصوت هادئ: يا باشا، أنت الآن منّا ومجاورٌ مثلنا، لا تستطيع فراق هذا المكان، فأينما تذهب فإن روحك وقلبك سيبقيان هنا. فأثرت هذه الكلمة في فخري باشا تأثيراً شديداً"(١).

لا شك أن فخري باشا لم تكفه هذه الكلمات الممزوجة بخليط من المشاعر، فالاضطراب الذي كان بادياً على وجوه جنده، والمرض الذي غزا أجسادهم، والمعنويات المتردية، كل ذلك أدى إلى دعوتهم مرة أخرى لحضور صلاة الجمعة في الحرم النبوي الشريف، في ٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ = ٦ ديسمبر ١٩١٨م، وغص الحرم بالجند والضباط، وخطب الإمام خطبة أبكت الحاضرين، وبعد الانتهاء من الصلاة، رُكز لواءان على يمين وشمال القبر الشريف، وثالثٌ أمام باب المنبر.

ويحدثنا عن التفاصيل الضابط ناجي كجمان، فيقول في مذكراته: "تحرك الباشا من أمام اسطوانة التوبة في خشوع تام، وتقدم المنبر بخطوات متثاقلة، ورفع يده وابتهل إلى المولى عز وجل، وفي بطء وتؤدة صعد المنبر حتى الدرجة السادسة منه، وترك المظاريف التي بيده على السلّم ولبس نظارته، وكان قد كتب الخطبة التي سيلقيها، وكانت الورقة تهتز في يده، وبدأ الكلام بصوت خفيض، وكان صوته يخبو من شدة الانفعال، وأنفاسه تختنق، إلى أن جاءت عليه لحظة دمعت فيها عينه من شدة التأثر، وأوشك على البكاء، وكان صوته يشبه صوت

---

(1) Kandemir, p.159-160.

الطفل البريء الذي على وشك البكاء. ولم يكن ممكناً أن يستمر في الخطبة بصوت كهذا، لأنه لو استمر في ذلك لما استطاع أن يحبس دموعه، وما عاد بإمكانه أداء واجبه تجاه رفاقه في السلاح، الذين هم بحاجة إلى أن يبثهم القوة والتماسك؛ لهذا اضطر إلى التوقف، وأخرج منديله، ومسح عينيه، وبدا كمن يمسح نظارته.

وفي تلك اللحظة التي لم تَدم أكثر من بضع ثوانٍ استطاع بالقوة التي استمدها من عقله؛ أن يتمالك نفسه، ويكبح مشاعره، وتابع خطبته بصوت جهْوري.

ولم يكن في الإمكان تذكر الجمل التي قالها بالنص، لأننا جميعاً كنا نكفكف دموعنا بمناديلنا، ولم يكن ممكناً إلا أن نبكي... وأخيراً انتهت الخطبة، ونزل الباشا من المنبر، ورفعت الأعلام"[1].

ثم سرد كجمان خلاصةً لهذه الخطبة، قال فخري باشا:

"أيها الترك والعرب والأكراد والشراكسة والأرناؤوط، يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أنا في غاية السعادة أن حظيت بالصعود على هذا المنبر الشريف، فأحمد الله على ذلك وأثني على نبيه.

لقد انهزمت روسيا في الحرب التي خضناها مع حليفتنا ألمانيا، وتحررت بعض ألويتنا الأسيرة، ونحمد الله على هذه الانتصارات.

وفي اللحظة التي خاضت جيوش الخليفة الحرب مع أعتى أعدائها، إذا بالشريف حسين يخلع الطاعة، ويتحالف مع الأعداء، مما أدى إلى سقوط كثير من بلداننا مثل حلب ودمشق والقدس وبيروت والبصرة وبغداد على أيدي الأعداء، وعقدت حليفتنا بلغاريا هدنة تخرجها من تحالفنا، كل ذلك أجبر حكومتنا على قبول الهدنة.

---

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١٠٩.

لم تبلغني الحكومة عن شروط هذه الهدنة، لكن الجنرال الإنجليزي (ريجنالد وينجت)[١]، المتواجد في مصر، أراد خديعتي بهذا البيان، وأعطاني ضمانات لحياتي كأني أهتم بمصلحتي الشخصية!".

يقول كجمان: "وهنا رمى الخطابات بالمطاريف من على المنبر، فتناولها بعض الحضور وقرأها".

وأكمل فخري خطبته، يقول: "فلم يكن ردي عليه إلا أن قلت له: أنا مسلم، وتركي، وعسكري، ولا أحب التفاخر، لكنكم اضطررتموني إلى هذا، فأنا من نسل (بالي بك)[٢]، لذا قلت إني لا أخشاهم، وأقسمت للسلطان أن أدافع عن حقه في المدينة المنورة إلى أن يصلني أمرٌ سلطاني واضح، وأرسلت ذلك إلى الأستانة.

إخواني، ما دامت الثقة متبادلة بيننا، فسوف نتجلد ونثبت، ولن نحني رؤوسنا للأعداء... وقد اقترح علينا الألمان مراراً أن ننسحب من المدينة إن لم نستطع الدفاع عنها، وقد رفضت اقتراحاتهم، ودافعت أنا وأنتم أيها الأبطال عن القبر الشريف.

وبالرغم من مرورنا بأيام صعبة ساد فيها القنوط، إلا أننا بفضل الله عز وجل وروحانية رسول الله ﷺ، لم نحن رؤوسنا لأعدائنا ولن نفعل إن شاء الله. شكر الله جهودكم ومساعيكم، وسنرى جميعاً ثمرة ما تكبدناه من مشاق.

---

(١) ورد اسمه عند كجمان هكذا: (*Ragnal Doncet*)، والصحيح ما أثبتّه وضَبْطُه بالإنجليزية: (*Reginald Wingate*)، وانظر ترجمته في: مقدمة «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٨٠.

(٢) الغازي يحيى بالي بك، من أسرة (مالكوتش= *Malkcoglu*) التركية، كان أحد القادة العسكريين في عهد السلطان سليمان القانوني، وتزوج حفيدة السلطان بايزيد الثاني من بنته، وشارك مع السلطان في فتح بلاد المجر في المعركة الشهيرة باسم: (موهاتش= *Mohac*) سنة ٩٣٢هـ، وبالي بك هذا هو الجد الأكبر الذي تنتسب إليه فاطمة عديلة والدة فخري باشا المتوفاة في ١٨٨٧م، وقد أخطأ بعض الباحثين حين ظن أن بالي هو الوالد المباشر لفخري، فليتنبه، ولينظر أيضاً: «تاريخ الدولة العلية العثمانية» ص ٢١٠، و«سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين» ص ٩١، و*Kiciman, p.20* .

رسالة وينجت الإنجليزي إلى فخري باشا

المرجع: *Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, (Feridun kandemir*

THE RESIDENCY
RAMLEH
EGYPT.

HIGH COMMISSIONER
FOR EGYPT.

مصر تحريرًا في سبتمبر سنة ١٩١٨

من الجنرال السر رجنلد ونجت حامل نيشان الحمام ونيشان فكتوريا الخ الخ والقوميسير العالي لحكومة جلالة الملك البريطانية بمصر

الى صاحب السعادة فخر الدين باشا قومندان عموم الجيش التركي بالحجاز

سلامًا أكيدًا وتحيات خالصة واما بعد فاني ابلغ سعادتكم بان صاحب الجلالة الملك الحسين ارسل لي مؤخرًا صورة تحرير ارسله الى سعادتكم يؤمن فيه الطريق لسعادتكم ولجيشكم الى مصر ووصولكم اليها سالمين وذلك بشرط ان تسلموا المدينة المنورة وباقي الحاميات التركية التي في الحجاز مع سائر المعدات الحربية وغلالها ميوعيا ان جلالة الملك الحسين هو حليف الدولة البريطانية التي تثق بجلالته ثقة تامة فاني مرسل تحريري هذا لسعادتكم لتنظروا وتروا رأيكم فيه

ان جيش سعادتكم انفصل تمامًا من جهة الشمال ونظرًا لكون الجنرال اللنبي قد قهر الان الجيش السابع والجيش الثامن التركي في سوريه وفي المدة من ١٩ سبتمبر الى ٢٣ منه اخذ (٣٠٠٠٠) خمسة وثلاثين الف اسير فلم يبق من امل ابدًا بارسال النجدات اليكم ثم ان الجيش العربي الشمالي لقد احتل معان وانهزم الجيش التركي الرابع سائرًا في فراره الى الشمال

ان دفاعك الطويل عن المدينة المنورة كان منتهى ما يمكنكم عمله نحو سلطانكم وبلادكم وقيامًا بشرفكم العسكري كضابط وكتركي وطني فاذا تأملتم هنا وانقطاع آمالكم من الوجهة الحربية اطلب منكم ان تتبصروا في الامر وتروا هل يحق لكم ان تثابروا على مقاومة لا طائل تحتها وبذلك تجازفوا بعدد عظيم من النفوس البشرية

ان جلالة الملك الحسين لقد اقسم لكم بشرفه خطيًا بان سعادتكم ورجال الحاميات يؤمن سبيل وصولكم الى مصر سالمين وكذلك فاني انا شخصيًا اخبر سعادتكم بان كل الضباط والجنود الترك يسلمهم مندوب جلالة الملك الحسين في ثغري ينبوع والوجه الى ضباط بريطانيين ثم ينقلوا على بواخر بريطانية الى دار الاعتقال في مصر

انني مرسل هذا التحرير الى سعادتكم بصفتي نائبًا عن حكومة جلالة الملك البريطانية ولرغبتي بتعضيد اقتراح جلالة الملك الحسين في طلبه الانساني الشريف لحقن الدماء وعدم سفكها حيث لا فائدة ولا جدوى من ذلك

ان رفضكم طلب الملك الحسين الذي دفعه اليه الحرص على مصلحة الاسلام والانسانية عمومًا يوقع عليكم شخصيًا مسؤولية ما ينتج عن ذلك

Reginald Wingate.

جنرال
القوميسير العالي للدولة البريطانية بمصر

إن مهمتنا جدّ خطيرة، وسنجبر العدو على الانقياد والطاعة لنا، وسوف نبقى صامدين، للمحافظة على حق سلطاننا، ولو كان نتيجة ذلك بذل أرواحنا، ألهمني الله وإياكم الصبر والثبات، واستمرار الدفاع، ونسأله لنا ولكم الهداية، ونطلب من رسوله ﷺ الشفاعة"[١]، انتهى بتصرف.

وقد أكد الشريف عبد الله في مذكراته، على ما نص عليه فخري في خطبته، فذكر أن المندوب الإنجليزي بمصر (السير وينجت) بعث إلى فخري باشا يخبره أن الأتراك قد هزموا، وأن الشام قد احتلت، وأن مسؤولية الدماء من بعد الآن ستقع عليك شخصياً إن لم تسلّم.

فأجابه فخري باشا بالتركية بما نصه:

"إلى جناب الجنرال (ريجنالد وينجت) بمصر: أنا عثماني، أنا محمدي، وأنا ابن بالي بك، وأنا جندي، وأرّخ"[٢].

عناد فخري باشا وانشقاق الضباط:

لم تزد الخطبة الأخيرة الجنودَ إلا حيرةً ومزيجاً من المشاعر المتناقضة، حيث رأوا في عباراتها إبهاماً، وصعوبة في فهم ما يفكّر به قائدهم العنيد، وصعب الأمر عليهم إذ كل الدلائل تشير إلى انتهاء المعركة، وقد استشرى المرض في أجساد العسكر، وفتكت بهم الإنفلونزا الإسبانية، ولم يعودوا يملكون شيئاً، وكثرت الوفيات[٣]، بيْد أن فخري باشا كان ينظر إلى هذه القرارات التي بلغته على أنها خدعة حربية، وتجهز لكل الأمور، ونقل أغراضه العسكرية إلى الحرم

---

(1) Kiciman, p. 345-348.

(٢) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٥٢.

(٣) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، عدد ٧، ص ١٠٩- ١١٠.

النبوي الشريف، كما نقل كميات كان يدخرها من الأغذية المعلبة والخبز المجفف تكفي لتموينه مع ضباطه وحاشيته الخاصة شهوراً طويلة[١]، وحفر من قبل البئر الكائنة ببستان السيدة فاطمة في الحصوة الأولى، وكانت تعرف ببئر زمزم[٢]، حتى يأمن العطش، وكان الحرم النبوي الشريف مرتبطاً باللاسلكي عن طريق أسلاك مُدّت تحت الأرض، قد تفيد فخري باشا في التخابر مع الجهات الأخرى[٣].

في أثناء ذلك رفض فخري باشا التسليم ما لم يكن بأمر صريح من السلطان العثماني ذاته، ولم يكفه أمر الصدر الأعظم، وإلى ذلك يشير الشريف علي بن الحسين، لما أرسل إلى مكة، يقول:

"تضييقنا على العدو لم يختل، والآن جاءنا من قائده ما ينبئ برضوخه للتسليم، ولكنه يطلب استحصال أمر صريحٍ من حكومته.

في ١٢ صفر سنة ١٣٣٧هـ، علي"[٥].

أراد فخري الاستفادة من انقطاع الاتصالات لكسب الوقت في التخطيط، لكن الحكومة العثمانية لم تمهله فأرسلت له أمراً من ناظر الحربية جودت باشا عن طريق اللاسلكي الإنجليزي، وفخري متمسك برأيه لا يحيد عنه، ولا يرد إلا بكلمات مبهمة.

(١) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١: ١٦٤.

(٢) «أحداث عاصرتها» مخطوط، ق ١٨.

(3) Kiciman, p. 401.

(٤) «جريدة القبلة» عدد ٢٣١، ص ٢.

وتأكيداً للأمر، فإن الحكومة العثمانية بعثت في ٤ ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ= ٨ ديسمبر ١٩١٨م، رسالة يدوية تنص على تسليم المدينة، وذلك بصحبة ضابط في السلك الدبلوماسي، يعرف باليوزباشي ضياء باشا، وقد ركب سفينة إنجليزية، ووصل إلى ميناء ينبع عن طريق البحر الأحمر، ومنه إلى منطقة الجليجلة وذلك في يوم ١٤ أو ١٥ ربيع الأول، ووصل خبره إلى فخري باشا مباشرة، لكنه لم يأبه له ولم يلتفت إليه، بل خرج ليفتتح طريقاً جديداً في جبل أحد يوصل إلى قبة هارون، كما مر ذكره سابقاً[1].

استطاع ضياء باشا بدهاء منه، أن يزرع الشك في نفوس العساكر تجاه قائدهم، فقد حمل معه إضافة إلى الوثائق الرسمية، خطابات خاصة ونقوداً مبعوثة من أهالي الجنود في إسطنبول، وسلمها لهم في المدينة المنورة، وقد شكّك فيه بعض الضباط مثل كجمان الذي ذكر أنه تسلم خطاباً من أسرته مؤرخاً في ١٠ ديسمبر، وهذا ليس ممكناً بحال، إلا إن استقل ضياء باشا مركبة أسرع من الطائرة! على حد قوله، وقد خشي فخري من تأثيره، فأبلغ الوحدات العسكرية، بأن يكونوا أكثر وعياً ويقظة لما يحاك حولهم.

ولم يستطع فخري أن يعزل ضياء باشا في القلعة كما كان يفعل من قبل، خوفاً من تسرب الإشاعات في نظره، فأخذ هذا المبعوث الإسطنبولي تمام حريته في التجول، وأثر تأثيراً عظيماً في الضباط، ونال من عزمهم الذي كان يغذيه فخري، فانقسموا[2].

تمرّد وعصيان ضباط حامية المدينة:

عندها اضطر فخري إلى عقد اجتماع مهم في مقر الحملة العسكرية، فجمع الضباط الكبار، يوم ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ الموافق لـ ٢٧ ديسمبر

---

(1) Kandemir, p. 161.

(2) Kiciman, p. 350-352.

١٩١٨م[١]، وناقش معهم ما جاء في الرسالة اليدوية التي تأمره بتسليم المدينة، وفقاً للهدنة المنعقدة بين الحكومة والحلفاء، فقال لهم:

"إن المدينة وإن كانت موقعاً عسكرياً، إلا أنها مدينة مهمة جداً للخلافة، ومن أجل هذا فإن قرار تسليمها لا يكفيه أمرٌ من ناظر الحربية أو الحكومة نفسها، بل لا بد فيه من أمر مباشر من الخليفة والسلطان، وفي الوقت نفسه يكون مؤيداً من قِبل مجلس الدولة العثماني. نعم هذا شرط في تسليم المدينة، ولا يمكنني ان أغفل شيئاً إلا في ظل ورود مثل هذا القرار، ولو سلمنا أسلحتنا فإننا سنكون عرضة في أيدي البدو أثناء ذهابنا إلى ينبع، وبناءً على كلامي هذا سيكون ردي على رسالة ناظر الحربية".

وهنا استأذن نائب رئيس أركان الحرب، العقيد أمين بك، وقال: "من الواضح أننا في موقفٍ حساس للغاية، كما أنه من الواضح جداً أننا لا نستطيع الاستجابة لأوامر الإدارة المركزية التي لا تدري عن حالنا، وقد وقعنا في صعوبات كثيرة من مجاعة وأمراض، وها نحن نخسر (١٥٠) فرداً يفقدون حياتهم كل يوم، وهذا العدد في ازدياد، وليس لنا حق أن نكون السبب في ذلك، ولا نستطيع أن نتحمل مسؤوليتهم، والحقيقة أنه ليس لدينا شيء يلزمنا بهذا، وحكومتنا قامت بوظائفها بما يليق بها، والآن نحن مجبرون على التزام أوامرها، وخاصة أن الأمر قاطعٌ ومباشر، ولا حاجة لنا في قرار السلطان، لذا أرى أن أفضل ما نفعله أن نلتزم بأمر الحكومة ونترك هذا البلد مباشرة"[٢].

أنصت فخري باشا إلى كلام أمين بك ولم يرد عليه وبان عليه الانزعاج، وفي نفس تلك الليلة أعفاه من وظيفته، وأمر الجنود أن ينتظروا بشكل جاد وأن يستعدوا، وقال لهم: "انسحابنا من هنا مجزئين فرقة فرقة لا يضمن لنا شيئاً، بل سيكون كارثة،

---

(١) يؤرخ ناجي كجمان هذا الحدث في ٢٦ ديسمبر، وقد اعتمدت ما أثبته قاندمير، لتفصيله في الوقائع أكثر من صاحبه. انظر: *Kiciman, p. 354*.

(2) Kandemir, p. 164-165.

وسنصبح أذلاء مهانين، والحل أن نتفق ونقف معاً، وها هي أطعمتنا قد كثرت، ونحن الذين صبرنا أربع أو خمس سنوات على جميع المشقات، أفلا نصبر على ثلاثة أو خمسة أسابيع حتى تتحسن أوضاع أصدقائنا المرضى، والله مع الصابرين"[١].

راج خبر الاستسلام بين الجند، وفخري باشا لا يحرك ساكناً، فبدأت الإشاعات تأخذ مجراها، وسادت حالة ضبابية، وكاد فخري أن يفقد السيطرة عليهم، وانقسم الجنود إلى قسمين، بعضهم يؤيد كلام الضابط أمين بك، والبعض الآخر مع فخري، وتجري بينهم النقاشات كلٌ يدلي بدلوه[٢].

وبدأت حركة التمرد بين الضباط، يترأسها أمين بك وكيل رئيس أركان الحرب، الذي رأى وجوب تسليم القلعة تطبيقاً لأمر وزارة الحربية، وانضمت إليه مجموعة كبيرة من القوات، وأصدر بياناً طويلاً باسم: (بيان أنصار تسليم القلعة)، استعرض فيه حال الجيش وأوضاع الحرب، وتتلخص فكرة هذا البيان في عدة أمور، منها عدم جدوى البقاء، وأن الجوع سيفتك بهم وأنهم في نهاية المطاف سيضطرون إلى الجلاء عن كل الأماكن، والاستسلام للحكومة العربية، التي ستسلمهم إلى مصر، يقول:

"يجب أن نستيقظ لأن العالم بأسره صار في حالة صلح منذ شهرين ما عدا القوات الحجازية، وكانوا قد تصالحوا مع الجميع وانسحب الجنود منذ السنة الماضية، وهذا في رأينا (صلح)، وإن سمي (هدنة)، والكل قد رضي بها إلا قليل من الجنود، وبناءً على المعاهدة فقد سُرّح جميع أفراد الجيش وأدوا ما عليهم. وقد خرجت بلاد العراق وسوريا والحجاز واليمن ومنطقة عسير من قيادتنا، واستقلت الجزيرة العربية بأكملها. وتركنا منطقة الحجاز كلها عدا مجموعة يسيرة هنا، والحكومة العربية بدأت العمل منذ أمد، ولم تبق غير هذه المنطقة التي

---

(1) Kandemir, p. 165.

(2) Kandemir, p. 165-166.

يسيطر عليها بعض المشردين، وهؤلاء الأغبياء يجب أن يعلموا بعد كل شيء أن الموت هنا لا داعيَ له بل هو جناية"[١]. بتصرف.

وقد لام أمين بك فخري باشا على رفضه قرار جلاء القوات من المدينة إلى عمان، لتعزيز الدعم في فلسطين، ولو رضي به لنجا أكثر من (١٥) ألفاً هلكوا من الجوع، وعد ممانعته خيانة.

ورأى أن تمسك فخري بالإرادة السلطانية مجرد غطاء كاذب، لأن صلاحية إصدار القرارات في النظام الدستوري إنما تكون بيد الحكومة ولا تتوقف على السلطان، ولو سُلّم بصدور هذا الأمر له، لاستمر على عناده، لذا فإن تشبثه بهذه الحجة مع هلاك أكثر من (١٥٠) شخصاً يومياً[٢] هو موقف غير شرعي.

ثم تحدث عن سقوط دول المحور (ألمانيا والنمسا) أمام دول الحلفاء، وبناءً على ذلك فإنه ينبغي قبول بنود الهدنة، وإنقاذ (١٢) ألف جندي محكوم عليهم بالموت جميعاً بعد شهرين. وعليه فإنه يلزم عزل فخري باشا، وإسناد مهمة قيادة الحملة لأعلى الضباط رتبة، وعلى الهيئة المركزية تطبيق الشروط التالية: عدم إراقة الدماء بتاتاً، والطاعة، وأن يكون المنطق والعقل هما المرشد الأساسي.

وأخيراً، فإنه يجب رفع حصص المؤن، وتوزيع الأرزاق على الفقراء مجاناً، وأطلق أمين بك عبارة العتاب والاستنكار في قوله: "إننا لم نذر تمرة واحدة لأصحاب البساتين، لقد حكمنا عليهم بالموت، وهم يحتضرون الآن ... بأي جرأة تعرضنا للأمانات في الحرم النبوي الشريف؟! يجب على من أخذها أن يعيدها إلى القبر الشريف"[٣].

---

(1) Kandemir, p. 168- 169.

(٢) أكثر أمين بك في بياناته وخطاباته من ذكر هذه النتيجة، وهي وفاة ١٥٠ شخصاً يومياً، وهو إن صح ولا أظنه إلا مبالغة، فهو عدد كبير جداً، ويدل على حجم المأساة.

(3) Kiciman, p. 357-362.

أراد فخري باشا القبض على أمين بك، فبحث عنه ولم يجده، واتصل على ناجي كجمان، يسأله عنه، فقال: لعله قد هرب بمفرده، أجابه فخري: هذا غير ممكن، فقال كجمان: لعله انتحر من اليأس، فقال فخري: إن أمين بك ليس شجاعاً إلى هذه الدرجة.

وبعد تقصٍ وبحث عَلم فخرى أنه ذهب إلى منطقة العيون، فلحقه إلى هناك بحجة إلقاء محاضرة على الوحدات العسكرية حول الدفاع عن المدينة، وكان ذلك في يوم الثلاثاء ٢٧ ربيع الأول ١٣٣٧هـ، وعندما وصل هذا الخبر إلى أمين بك استبد به القلق، فقرّر الهروب، وتبعه جماعة كبيرة، وأخذوا أهم قطع البنادق الآلية والمدافع كيلا يطلق عليهم النار من خلفهم، ولاذوا بقيادة الأشراف في بئر درويش واستسلموا، وتركوا أماكنهم في القلعة فارغة[1].

وبعد تسليم نفسه إلى قيادة الأشراف أرسل أمين بك رسالة إلى إسطنبول عن طريق ضياء باشا، يذم فخري ويوصي الجنود على العصيان.

وسرى بيان أمين بك في المدينة سريان النار في الهشيم، وبلغ ذلك فخري باشا فاحتدّ وغضب، وأصدر بياناً عاطفياً ليتدارك الوضع، وذلك صباح الجمعة ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ الموافق ٣ يناير ١٩١٩م، جاء فيه:

"رفاقي في السلاح وإخوتي في الدين:

بسبب خيانة البلغار، اضطرت الحكومة إلى توقيع هدنة منفردة، ومرت أساطيل الحلفاء من (جناق قلعة) وتزلزلت إسطنبول تحت مدافع سفن الأعداء، فكتب ناظر الحربية المقيم بها رسالة أرسلها إلى القيادة مع اليوزباشي ضياء أفندي، الذي قدم المدينة المنورة ورجع عنها من قبل يطلب إلينا الاستسلام، وتسليم المدينة المنورة.

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١١٠. *Kiciman, p. 363-365, Kandemir, p 168-175*.

[اليوم أخبرنا ناظر الحربية عبد الله باشا بأنا إذا سلمنا المدينة سنؤخذ أسارى للإنجليز، ويأخذوننا إلى مصر على حسب عقد المصالحة، وعلى أية حال سنبقى محبوسين عندهم إلى ما شاؤوا، وإن أسرى الإنجليز في الأناضول كانوا قرابة (٢٠) ألف شخص قد أعيدوا جميعهم إلى إنجلترا منذ مدة قريبة، بينما لم يفرجوا عن أحد من إخواننا الأسرى حتى النساء والأطفال والشيوخ، ومع هذا يريدون أن يسوقونا أسارى.

نحن لا نتحمل ذلة التسليم، وفي هذا الباب لن نلتزم معهم، ولن نحني جباهنا لأمر جلل إلا إذا جاء من قائدنا السلطان، ولو أن إخواننا الذين في طرابلس ليبيا وفي عسير دُعوا إلى مثل ذلك فلن يعملوا بهذا القرار، ولفعلوا ما يليق بشرف أجدادنا مثلنا.

وما دام أنا سنساق أسارى كالجواري إلى مصر، فلماذا سبحنا في الدماء وتحملنا المشاق وضحينا بإخواننا؟

إن نظارة الحربية قد أجبرت على إصدار هذا القرار تحت قهر وإصرار الأعداء، ولأجل هذا نحن ننتظر القرار النهائي من الإدارة العليا، وبحمد الله فإن أسلحتنا لا تزال بأيدينا، والأطعمة التي وفرناها تكفينا لأشهر، والمفروض أن نعود إلى وطننا لا أن نساق إلى مخيمات الأسرى بمصر، ورعاة الغنم الذين حولنا وينتظرون اغتصابنا لن يحصلوا على شيء. فعلينا أن نجتهد ونصبر قليلاً ونتوكل على الله، والبقاء بجوار النبي ﷺ خير من كل شيء][1].

وبدلاً من أن نموت في المنفى في مصر، في ذل الأسر، ريثما يبرم الصلح أو نموت في أعمال السخرة في شق الطرق، وإقامة الحصون، خير لنا وأجدر بنا

---

(١) ما بين المعقوفتين من نص البيان الذي وضعه قاندمير وكجمان في كتابيهما، وقد اختُصر هذا البيان مع دمجه ببيانات أخرى في القسم المنشور من كتاب كجمان باسم: «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، عدد ٧، ص ١١١-١١٢، وانظر: *Kiciman, p. 368-370, Kandemir, p.175-176*.

أن نلوذ بحمايته سبحانه وتعالى، الذي لم يتركنا جياعاً وننزل ضيوفاً على رسولنا ﷺ"[(١)]، باختصار وتصرف.

كما أصدر بياناً آخر يرد على ما نشره أمين بك، جاء فيه:

"لقد أعلن أمين بك للضباط والجنود في البيان الذي قرأه عليهم، أن الهدنة قد أبرمت منذ شهرين وأنها تعني بالنسبة لنا الصلح، وأنه قد تم تسريح الجيوش التي في وطننا الأم.

لمَ لمْ يتحدث عن إخواننا الأسرى، الذين يسامون الخسف والهوان في مصر الآن؟ لمَ لمْ يتحدث عن أبنائهم؟، وما دام من المقرر أن نسرح فإننا نسأل: وماذا ستكون مهمتنا في مصر؟ إن جلاءنا عن المدينة واستسلامنا دون قيد أو شرط، مسألة عظيمة للغاية، أعظم من أن تُحل برسالة ناظر وزير، مادام لنا قائد أعلى وخادم للحرمين"[(٢)].

ثم قال: "لقد ادعى الأحمق أمين بك أنه لا حاجة لنا إلى فرمان من السلطان، زاعماً أن السلطان ليس مسؤولاً، وأن كافة الصلاحيات في يد الحكومة، ولو أنه أتعب عينيه قليلاً، لقرأ في المادة السابعة الفقرات الخاصة بقيادة القوات البرية والبحرية وإعلان الحرب وعقد الصلح وحقوق الحكم، ولشعر بضرورة وجدانية لتلقي الفرمان من مقام الخلافة والسلطنة...

يا أمين بك، إن قوانين الإنجليز المهمة غير مدونة، وإنما تنفذ في إطار العرف والعادة، فلا تخف من عصيانك لعبد الله باشا، بل اتق لعنة الأمة والعالم الإسلامي والتاريخ. ولم يكتب على جباه أحفاد عثمان أن يستسلموا مثل أسراب الأوز، بل

---

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١١٠. *Kiciman, p. 368-370, Kandemir, p. 175-177*.

(٢) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١١١.

إن الكلب لا يدعك تدخل الطوق في عنقه بسهولة...

في التواريخ الحربية يكتبون عن الجوع والعطش، لكن نادراً يا أمين بك ما يكتبون عن جبناء مثلك أنت ورفاقك"[١]، باختصار.

ثم أردف فخري بيانيه بثالثٍ، لما رأى أن تأثير البيانات جاء على غير المتوقع، فقال:

"رفاقنا في السلاح، إخواننا في الدين:

لنستحِ من البدو الذين يواجهوننا.. انظروا إلى هؤلاء الرجال الذين نناوشهم القتال منذ عامين ونصف، إنهم لم يتخلوا عن جرحاهم، ولا حتى عن قتلاهم في أي وقت من الأوقات، حتى وهم يلوذون بالفرار.

أنسقط فريسة للهم والحزن؟ أنرحل؟ إلى أين نرحل ونترك مرضانا المساكين؟ لمن نتركهم أمانة؟ ألم نأت هنا سوياً؟ أليس من الواجب أن نمضي كذلك معاً؟

لقد أكلنا لزمن طويل من مائدة واحدة، وحاربنا في خندق واحد، والآن كيف نتخلى ونتركهم يصطلون بنار الحمى؟ إلى أين نهرب دون أن نخلص ذمتنا من الذين ماتوا محمومين؟ حتى ولو لم يكتب لنا الله أن نلتقي في الدنيا، ألن نلتقي معهم وجهاً لوجه غداً في الآخرة؟.

أيها الأصدقاء: إن الانسحاب والأسر لن يحقق لنا شيئاً، وإذا ما انفرط عقدنا وتبدد شملنا، فسوف نصبح جميعاً أذلاء، لنتكاتف ونصمد، وها هي حصصنا من المؤن قد زادت، والمخابرة تعمل باللاسلكي الآن، وننتظر الرد. لقد حاربنا وصمدنا لبضع سنوات لنصبر بضع أيام، إن الله مع الصابرين"[٢].

---

(١) *Kiciman, p. 371-373, Kandemir, p 179-180*.

(٢) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١١٢، *Kandemir, p. 180-181*.

ومع كل العاطفة المتدفقة في هذه الخطابات، والمحاولات المستميتة لاستمالة الجند، إلا أنها لم تفلح، فقد انشقت فرق عديدة من طوابير الجيش مع بعض ضباط المدفعية، وتركوا مواضعهم وخنادقهم ولاذوا بالفرار، وقطعوا أسلاك اللاسلكي، وحطموا المايكرفون، وتمكن اليأس والقنوط من فخري، وربما قال: "لقد أقسموا على شرفهم العسكري، ولا خير في ضابط لا يحترم شرفه"[1].

بقي فخري مصراً على موقفه، بل كان يرد أحياناً في لحظات اليأس بردود قوية ينتقص فيها من عدوه، ويستحث نخوة أتباعه، كما فعل حين أرسل إليه بعض الضباط، يطلب منه أن يسترحم الشريف علي بن الحسين ليتقي الهجوم الذي حصل في أبيار علي قبيل التسليم[2]، فقال: "ومن هو الشريف الذي تتكلم عنه، إن أمره لا يسري إلا على العبيد أمام بابه، إن لم تستعملوا ما بأيديكم من سلاح في وقت كهذا، فالموت أفضل لكم"[3].

وفي نهاية المطاف، أراد أن يتخذ آخر تدبير من شأنه أن يخفف من الفرار الذي عمّ، فأصدر بياناً بأنه سيسرح الجنود الذين ولدوا ما بين سنة ١٢٨٥ إلى سنة ١٣١٠ رومي، ويرجعهم إلى بلادهم سالمين. لكن ظنه خاب في جنوده تماماً، إذ رأوا أن الحق مع أمين بك، فعمد رجالٌ منهم إلى (الميرالاي) نجيب بك، وكان صديقاً لفخري وموضع ثقته، و(الميرالاي) عبد الرحمن بك، فاستمالوهما وطلبوا منهما الذهاب إلى فخري ليعلماه بالوضع، وبالفعل فقد زاراه في ١ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧هـ[4]، وقالا له مسترحمَين: إن الجنود تترك الجبهة تباعاً، ولم

---

(1) Kiciman, p. 367- 368.

(٢) في هذه الفترة أصدر الشريف علي أمراً بعدم إطلاق النار أو شن أي هجمات على الأتراك، إلى أن يتم تسليم المدينة، وهذا الهجوم كان تجاوزاً من بعض الأتباع ومخالفة لأمره.

(3) Kiciman, p. 392.

(٤) أورد كجمان هذا التاريخ في كتابه ٤ يناير ١٩١٩م لكنه أخطأ في اليوم إذ جعله يوم الجمعة، والصحيح أنه يوم السبت، وقد أخطأ قاندمير حين جعل تاريخ الزيارة في ٥ يناير

يعد في الإمكان الصمود والدفاع، فارحم الجند يا باشا، وارحمنا نحن أيضاً، فقال فخري في ذهول ويأس: إني أرى الأشراف متمردين خرجوا على الخليفة، ولا أستطيع الدخول في مفاوضات. فأجاباه: تلطف بنا سيدنا القائد، ثم قال لهم: بإمكانكما الذهاب إليهم إن شئتما[١].

وعقب ذلك خرج شطر من القوات التي كانت في معسكر العنبرية، يترأسهم (الميرالاي) نجيب بك، وعبد الرحمن بك، وصبري بك البغدادي قائمقام رئيس الإدارة، واليوزباشي كمال بك وكيل كبير الأطباء، فاتجهوا إلى بئر درويش وسلموا أنفسهم هناك، وجهزوا لتسليم القلعة للأشراف، وذلك في يوم الجمعة في ٤ يناير ١٩١٩م، الموافق لغرة ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ[٢]. ويذكر صبحي العمري أن هذه الهيئة كانت مُرسلة من فخري مخصوصة لمواجهة الكابتن (غارلند) الإنجليزي ليعقد معه اتفاقية التسليم لا مع العرب[٣]. وقد ظهر هذا في المعاهدة الموقعة حيث وقّع فيها كلّ من (غارلند) والشريف علي بن الحسين، وبقية قادة الأتراك الذين أتينا على أسمائهم[٤].

والعجيب أن الإنجليز قد فطنوا في وقت مبكر إلى أن القضاء على فخري لن يكون إلا بعصيان محلي، وإلا فإن تجويع المدينة والحصار لن يفيد معه في شيء، كما يدل على ذلك كتاب (الكوماندر هوغارث) الإنجليزي في ١١ صفر ١٣٣٦هـ[٥]، وقد حصل ما قاله.

١٩١٩م لأن هذا اليوم هو الذي كتب فيه قرار التسليم كما سيأتي.

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، عدد ٧، ص ١١٢-١١٣. *Kiciman, p. 363-365, Kandemir, p. 184-185*.

(٢) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١١٣. وقد وهِم كجمان حين عيّن هذا اليوم بأنه يوم جمعة، والصحيح أنه يوم سبت.

(٣) «المعارك الأول، الطريق إلى دمشق» ص ٣٢٠.

(٤) «الثورة العربية الكبرى»، أمين سعيد، ١: ٢٦٦.

(٥) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٣: ٢٣٤.

إعلان فخري باشا استسلامه رسمياً:

وأخيراً أيقن فخري باشا بأنه لم يعد بإمكانه المقاومة، وأنه أصبح وحيداً، وصدرت المعاهدة بشروطها في ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧هـ، واحتوت على ٢٩ بنداً، ومنها: إذا سلم فخري باشا المدينة خلال ٤٨ ساعة، فإنا نعِده أن يستقبل في مخفر الأمير علي بن الشريف الحسين ضيفاً مكرماً!، كان هذا نص البند الثاني الذي أثار استغراب الباشا، ثم أقرّ بالتسليم.

يصف قاندمير حالة قائده، فيقول: "والآن لم يبق معه مؤازر أو مناصر، فصار وحيداً في وسط غابة، ولو كان رجلاً آخر لقال: هذا قدري، لكن هذا النمر.. نمر الصحراء لا يمكنه فعل ذلك، وأصدقاؤه كانوا يخشون عليه أن يقول: لن أخرج من المدينة إلا جثة هامدة، ويخافون أن يطلق النار على رأسه.

لكن الباشا كان صامتاً يفكر بعمق، وفجأة ابتسم إلى (الكومندان) نجيب بك، وكأنه استيقظ من منامه، وسأله: ما ذاك الشرط الثاني في المعاهدة؟ فقرأ نجيب بك الشرط، فقال فخري بصوت منخفض: إذن حان وقت الاستعداد، وكتب لجنوده وأصدقائه بعبارة حزينة وعيون دامعة: في أمان الله، أطلب منكم المسامحة وأن تجعلوني في حل"[١]. انتهى مختصراً.

وفي يوم الأحد ٢ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ، أعلن فخري بأنه لم يعد هناك من حاجة إلى القطع الذهبية التي اقترضها من الناس لشراء المؤن، وكلّف هيئة خاصة لإعادتها إلى أصحابها، تبرئةً لذمته. كما كلّف قاضي المدينة ونائب شيخ الحرم خورشيد أفندي، بتسوية تبرعات الحرم النبوي الشريف التي أخذها من الأمانات التي لم ترسل إلى إسطنبول[٢].

---

(1) Kandemir, p.190-191.

(2) Kiciman, p. 382, 389-390.

ثم أصدر أمراً بتعيين (الميرالاي) نجيب بك مكانه، ونشر بياناً، قال فيه:

"بسبب أحوالي الصحية قمت بتعيين (الميرالاي) نجيب بك قائد الفرقة الثامنة والخمسين، وغداً سوف أمضي إلى بئر درويش، وأرجو المعذرة إن كان صدر مني خطأ في حقكم".

فخر الدين باشا[١].

فكان أول أعمال نجيب بك هو إصداره قرار تسليم المدينة المنورة للأشراف، وتوقيع شروط الجلاء، وجاء في هذا القرار:

"لقد تم التوقيع على شروط الجلاء عن المدينة، وسوف تسلم المدينة وما يليها من مواقع تباعاً لمندوبي الأمير، وتقضي شروط التسليم بعدم تسلل العربان إلى المناطق التي يتواجد بها الجنود، اشرحوا ذلك جيداً للعربان. والأمير لا يرضى قطعياً عن مثل هذه الأشياء، ولا عن إراقة الدماء بين المسلمين، وإن لم يكن في الإمكان إقناع العربان بذلك، قربوا المخافر إلى المحطة واجلبوا مدافعها بالقرب منها".

الميرالاي
علي نجيب[٢]

(١) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» لناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١١٤.
(٢) «فخري باشا والدفاع عن المدينة» لناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١١٥.

وهنا يذكر كجمان حادثة تبيّن نيّة فخري في التعنت لأمر الاستسلام، إذ جاءت برقية تستفسر عن تحرك فخري، هل ذهب إلى بئر درويش أم لا؟، فأمر بكتابة رد يقول فيه: "إني لأعجب من سؤالكم عني شخصياً، ولم تسألوا عن مدافعي وبندقيتي وجنودي، إنني لن أخرج أبداً حتى يخرج كافة جنودي، فإذا قبلتم بهذا الشرط فلا بأس، وإلا فالحكم لله"، ثم سأل: "هل تعرف معنى الحكم لله؟"، فقال كجمان: "تعني الرصاص ياسيدي"، فأقر ذلك[1].

الزيارة النبوية الأخيرة لفخري باشا واعتصامه بالحرم:

كان من المقرر أن يسلّم فخري باشا نفسه يوم الخميس ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧هـ الموافق لـ ٩ يناير ١٩١٩م [2]، فطفق ليلتها يجمع حقائبه التي تحوي أوراقه السرّية، وحقيبة أوراق أخرى لأمين بك، وعمد إلى ترتيبها وتنظيمها، وقام الضباط بحرق الوثائق والخرائط السرية، حتى لا تقع بأيدي الأشراف، كما ألقوا ببنادقهم في الآبار وكسروا سيوفهم[3].

وقضى فخري باشا ليلته يترقب، حتى إذا دنا موعد الرحيل، قام من مكتبه في مقر القيادة، وعانق أصدقاءه، وركب سيارته التي أصلحوها له، بعد أن حُزمت أمتعته كلها، واستقلها إلى الحرم النبوي الشريف، للقيام بآخر زيارة نبوية ووداع الرسول ﷺ كما هي عادة أهل المدينة، وكان من شأنه في الزيارة أن يكون هاشاً باشاً ومبتسماً إلا في هذه المرة فقد غلب عليه الحزن والانكسار والصمت مع آثار المرض الذي كان بادٍ على محيّاه[4].

---

(1) Kiciman, p. 392-393.

(٢) ذكر ناجي كجمان في كتابه، أن زيارة واعتصام فخري بالحرم كان في يوم ٩ يناير ١٩١٩، وأنه صادف يوم جمعة، وهذا وهمٌ منه، والصحيح ما أثبتّه، وأما الجمعة ١٠ يناير فهو يوم خروج فخري من المدينة، كما نص كجمان على ذلك في موضع آخر. انظر: *Kiciman, p.395, 405*.

(3) Kiciman, p. 394-395, 413-414.

(4) Kandemir, p. 192.

فوقف الباشا أمام باب المواجهة الشريفة، وعقد يديه وتمتم ثم بسطهما وأغمض عينيه وأخذ في الدعاء، ومضت دقائق وهو على هذه الحال، ثم أدى الزيارة لصاحبي رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم ذهب إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها كما في أحد القولين في مدفنها[١]، وبعد ذلك قبّل غطاء الضريح النبوي الشريف في توقير وخشوع وأخذ يدعو الله[٢].

ويروي قاندمير؛ وهو شاهد عيان، أن فخري باشا حينما أراد الخروج من الحرم النبوي الشريف توقف فجأة ولم يتقدم، ثم قال لخادمه: "نحن سنبقى هنا، نحن مجاورون ككل المجاورين، ولن نترك جوار النبي ﷺ ونحن نرجو شفاعته". كان قراره هذا قاطعاً، وضرب بالمعاهدات عرض الحائط، واستند على أسطوانة من أسطوانات الحرم النبوي الشريف، وأخرج سبحته من جيبه وأخذ يسبّح، وأسرع خادمه إلى السيارة، وأخرج بعض الأمتعة كاللحاف والبطانية وأتى بهما[٣].

كل هذا حدث ونجيب بك وأصدقاؤه ينتظرون عودته من الزيارة كي يسلموه إلى الأشراف، لكن لما حدث ما لم يتوقعوه اضطربت الأمور، فهرع نجيب بك إلى الحرم ليتأكد من ذلك، فلما رأى فخري باشا بعينه ملتزماً الحرم، عاد إلى مقر المعسكر، وأقام اجتماعاً لحل هذه المشكلة. فأرسل نجيب إلى الشريف

---

(١) اختلف المؤرخون في تحديد مكان قبر السيدة فاطمة رضي الله عنها على قولين، الأول: أنها دفنت في البقيع في الموضع المعروف اليوم وعلى هذا الرأي معظم مؤرخي أهل السنة وهو الأرجح، والثاني: أنها دفنت في بيتها بجوار حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهذا رأي الشيعة وبعضٌ من أهل السنة، وقد أدركتُ جماعة من أهالي المدينة إذا أدوا التحية للنبي ﷺ وصاحبيه سلّموا على السيدة فاطمة رضي الله عنها في حجرتها خروجاً من الخلاف، وإذا ذهبوا إلى البقيع زاروها هناك. وليراجع في موضع دفنها: «بيوت الصحابة حول المسجد النبوي» لإلياس عبد الغني، ص ١٧١-١٧٥.

(٢) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١١٥.

(3) Kandemir, p. 193.

علي الذي كان ينتظر فخري في بئر درويش جواباً يخبره بأن فخري مريض في المستشفى تحت الرعاية، ويفضّل البدء في تطبيق الشروط الأخرى إلى أن يتعافى. فرفض الشريف علي وأصر على تسليم فخري.

وبينما كان فخري معتصماً بالحرم النبوي الشريف، كان الضباط في مقر القيادة يتشاورون فيما بينهم، ولا يستطيعون إجباره على الحديث مهابة منه، ويخشون في الوقت ذاته أن يقال لهم: أنتم لا تريدون تطبيق المعاهدة، خاصة أن الحصار قد أرهقهم[١].

ويبرر كجمان فِعل فخري هذا بأنه كان نتيجة لمرضه وإرهاقه الذي كان يعاني منه!، وقد أحاطت القوات بالحرم النبوي الشريف تحسباً لأي عمل يمكن أن يحدث[٢].

وكان الشريف علي قد بعث بالشريف أحمد بن منصور الكريمي[٣]، ونوري بك الكويري ليتسلما فخري كما في الشروط، لكنهما انتظرا إلى المساء دون نتيجة تذكر، فعادا إلى مقر الشريف[٤].

وراجت الشائعات التي تقول بأن فخري يهدد بتفجير الحجرة المشرفة، وعيل صبر الضباط، فطلبوا التأكد من حالة فخري المرضية، فأمر نجيب بك أن يُصدر تقريرٌ طبيٌ يثبت أن فخري لا يستطيع الحراك من مكانه، واستدعى رئيس أطباء

---

(1) Kandemir, p. 193-194.

(2) Kiciman, p. 396.

(٣) من الأشراف البركاتية النموية، كان أميراً على قبيلة حرب وشيخ مشايخهم، وتولى وكالة إمارة المدينة المنورة في عهد الشريف الحسين، ثم إمارة المدينة في عهد الشريف علي، وتوفي في أواخر سنة ١٣٥٤هـ. انظر: مقدمة «مشجرة الشريف علي بن منصور الكريمي» ص ٥٢-٥٣.

(٤) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٥٣.

المخفر: د. كمال بك، ورئيس أطباء مستشفى الهلال الأحمر: د. سيف الدين، ومَن دونهم من أطباء المدينة المشهورين، ليذهبوا إلى فخري باشا في الحرم النبوي الشريف، فدخلوا عليه في الليل وأرادوا فحصه، فوجدوه مستلقياً، فلما رآهم عرفهم، وابتسم وقال: ما شاء الله، أهلاً وسهلاً، أنتم الهيئة الصحية ولكن عن أي مريض تبحثون؟! أراد أن يثبت لهم بأنه لا يحتاج إلى فحص طبي، ولم يكن به مس من الجن كما يزعمون، ثم قال لهم: "كل ما في الأمر أني لم أنم منذ ليلة، وأردت نيل قسط من الراحة، وأنا في كامل قواي العقلية"، ورغم ذلك سأله الأطباء بعض الأسئلة وكتبوا تقريراً بيّنوا فيه أنه يعاني حالة نفسية صعبة[١].

وأُرسل هذا التقرير من نجيب بك إلى بئر درويش كي يثبتوا أن الباشا مريض ولا يمكن تسليمه، لكن الرد جاء كالسابق، وأن الشريف علي لا يستطيع أن يفعل شيئاً ولا يمكن أن يبدأ في تحقيق الشروط، ما لم يُسلَّم إليه فخري باشا[٢].

ودارت اتصالات باللاسلكي بين الشريف عبد الله في الجليجلة ونجيب بك في المدينة، توعد فيها الشريف الأتراك إن لم يسلموا فخري، وأمهلهم إلى نهاية يوم الجمعة، فعُقد اجتماع عاجل بين كبار الضباط منهم: نجيب بك، والميرآلاي عبد الرحمن بك، والقائمقام صبري بك البغدادي، واليوزباشي د. كمال بك نائب كبير الأطباء، وغيرهم، واتفقوا على خطة للقبض على فخري باشا، واحتجاز جماعة من الضباط المناصرين لفخري مثل ناجي كجمان، وأخيه صابح، وغيرهما[٣].

حتى إذا مضى هزيع من الليل، وحان موعد نوم فخري في غرفته الكائنة في الدور العلوي، فوق كتاب العريف ابن سالم عند الكتاتيب المجيدية[٤]، استغل

---

(1) Kandemir, p. 195, Kiciman, p. 399. *(2) Kandemir, p. 195.*

(3) Kiciman, p. 401.

(٤) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

مخطط للحرم النبوي الشريف ويظهر في آخره الكتاتيب المجيدية.

(المرجع: Hicaz, Osmanli Devrinde)

أحد الضباط وجوده مع فخري باشا، وفي غفلة منه استطاع أن يسرق مسدسيه، ولم يستطع الوصول إلى سيفه ومسدسه الذي يحتفظ به تحت وسادته. وبقي معه في الغرفة مراقباً خوف أن يفعل فخري في نفسه شيئاً، إذ كانوا يظنون أن مثله قد يقدم على الانتحار(١).

وبعد بزوغ الفجر، خرج الضباط الذين مع فخري من الحرم فقُبض عليهم من قبل فرق الشرطة المحيطة بالمكان، وصعد الضباط المتآمرون برئاسة نجيب بك إلى الغرف العلوية من الكتاتيب المجيدية، ودخل جماعة غرفة أحد الضباط المرافقين لفخري، فقاومهم فألقوا بالرمل على عينيه، وقيدوا يديه خلف ظهره(٢).

ثم دخلوا غرفة فخري باشا، ويذكر قاندمير أنه لما رآهم قال: "خيراً، إن شاء الله؟"، فقال نجيب بصوت مرتجف: "إن الشريف لم يقبل إلا أن تُسَلم إليه، وإنه وإن كان الخيار مؤلماً فليس لنا إلا أن نلتزم به"، وأيده بقية الضباط، وقالوا: "يا باشا، هذا تقدير إلهي، وأنتم قمتم بوظيفتكم ببطولة نادرة، بصرف النظر عن المواقف الشخصية، والله تعالى شاهد على ذلك"(٣).

التزم فخري الصمت، وما زالوا يحاولون إقناعه، ثم اقتربوا من يديه على هيئة من يريد تقبيلها، فأحكموا القبض على معصميه، وقيدوه، فاستشاط غضباً، وصار يشتمهم ويقول: "لعنة الله عليكم، كيف تسلمون قائدكم إلى العدو بأيديكم، قهركم الله"، وأخرجوه من غير سترته وسرواله العسكري، فصاح بهم: "ألا تخجلون، وتنظرون إلى حالي"، فأحضروا له ملابسه ليلبسها، وتأبطوه، واقتادوه إلى باب الرحمة، وخرج من باب السلام. وازدحم حوله القادة والضباط، وتعالت أصواتهم، وأركب السيارة حتى أوصلوه إلى معسكر الأشراف(٤).

---

(1) Kiciman, p. 401-402. *(2) Kiciman, p. 403.*

(3) Kandemir, p. 196-197. *(4) Kiciman, p. 403-404.*

ويروي المعمّر خضر بن عبد الله الفارسي في مذكراته قصة التسليم فيقول: "وفي أثناء هذه المجاعة، تجمهر جماعة من ضباط فخري باشا، وقرروا فيما بينهم الهجوم عليه، واقتياده أسيراً إلى الشريف علي، فما كان من هؤلاء الضباط إلا أن صعدوا ظهر الكتاتيب التي اتخذها فخري باشا لأجل منامته، وأصبح الضباط بمقابلة فخري باشا ولم يعلم أو لم يدرِ سوء نيتهم له، فما كان منهم إلا أن جلسوا بجانبه وجردوه من أسلحته التي كان يحملها ومعتداً بها من ديناميت وخلافه، وأنزلوه جبراً عنه، واقتادوه أسيراً إلى الشريف علي، وسلمت أهالي المدينة ولاءها لحكم الأشراف"[١].

ويروي عزيز ضياء قصة هذه اللحظات الأخيرة فيقول: "لكن أخيراً، في لحظات قبيل الفجر وقد سرقه النوم، ربما دقائق قصيرة فقط، انقض عليه الكبار من أركان حزبه، سمروا يديه في قبضات أيديهم بحيث يستحيل أن تصل إلى القنابل أو الديناميت في خاصرته أو صدره، ودار ببصره في وجوههم، فأدرك أن لا فائدة في أي مقاومة من أي نوع، فهؤلاء أركان حربه، ولعله قال كلمة أو كلمتين تفيد أن لا حاجة بهم إلى العنف. ترك لهم تجريده من القنابل والمتفجرات وأمرهم أن يتصرفوا في إجراءات التسليم بشروطه، التي ألزمهم بأن يتعهدوا بتنفيذها"[٢].

ويفيد شيخنا الشيخ عبد القادر بن إبراهيم السمان إلى أن الجنود تمكنوا من الدخول على فخري بواسطة زوج ابنته؛ الذي كان في القوة التي تحمي فخري باشا، وقبل خروجه من الحرم أمر أحد الخطاطين أن يكتب في الجهة العليا لأول رواق بعد الدخول من باب السلام جهة اليسار الآية الكريمة: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، ثم غادر المسجد النبوي من باب السلام[٣].

---

(١) «أحداث عاصرتها» مخطوط، ق ٢٥-٢٦.

(٢) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١ : ١٦٥.

(٣) «طيبة وذكريات الأحبة» ١ : ٣٢٤



صورة يزعم أهل المدينة أنها أثناء القبض على فخري باشا وخروجه من الحرم النبوي الشريف

المرجع: Medine Mu-dafaasi: Naci Kasif (Kiciman

وليس الأمر كما قال شيخنا السمان رحمه الله، بل تبيان حقيقة ذلك ما حدثني به الدكتور السيد أنور بن ماجد عشقي يوم السبت ٥ جمادى الآخرة سنة ١٤٣٨هـ، عن أمين سر فخري باشا، الشيخ عثمان بن عبد السميع حلمي الساعاتي، قال: "نظر فخري باشا ذات يومٍ قبيل الاستسلام إلى قباب الحرم النبوي الشريف فوجد قبة خالية من الكتابة، فأمرني أن أنظر من يكتب فيها، وبعد مدة سأل عنها، فلما نظر إلى المكتوب وجد هذه الآية: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾، فقال فخري حينها: لقد انتهى أمرنا".

وأخيراً خرج فخري باشا في صباح الجمعة ١٠ يناير ١٩١٩م الموافق لـ ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧هـ ونشر نجيب بك بياناً في ذلك قال فيه:

"ركب حضرة الباشا القائد سيارته، صباح اليوم في الساعة السادسة والنصف، عند الحرم النبوي الشريف طوعاً وبحرّ إرادته!، ووصل إلى الجليجلة من طريق

بئر علي، ولا ريب بأنه لقي الأمان والاحترام في طريقه، وإنني إذ أعلن هذا الخبر، حتى لا تتطرق الهواجس في ذهن أحد، ولينصرف كل إلى عمله"[١].

ويذكرون أن فخري قال عن هذا التسليم: "إن هذا أول تسليم أقبله، وإنه ليؤلمني أن أخرج أمام من كنت أقاومهم منذ أشهر وأنا في هيئة أسير"[٢].

وينص كجمان في كتابه على أن (الأميرالاي) نجيب بك، أذاع بياناً سرّياً على أنصار التسليم، وأما من وقف على الحياد فقد أبلغهم به شفاهاً، وهذا نص البيان مختصراً:

"١- باسم الحكومة العثمانية وقوات حملة الحجاز اتجهنا إلى بئر درويش حيث مقر قيادة الأمير علي، وذلك للحد من الحصار الذي فُرض على المدينة عقب تعيين فخر الدين باشا قائداً لقوات حملة الحجاز، وقد وقّعنا على وثيقة شروط التسليم، وتعهدنا بتنفيذها.

وكان من المقرر أن يغادر الباشا المدينة المنورة في الساعة التاسعة والنصف صباح يوم ٩ يناير ١٣٣٥ رومي، كما ورد في شروط المعاهدة، وقد وافق على ذلك، وودّع القوات العسكرية، لكن الباشا مرض اليوم في الحرم النبوي الشريف، فذهبت إليه هيئة مكونة من الحكومة والعلماء، ترجوه أن يغادر المدينة، لكنه أبى ذلك، فأصدرنا أمراً بحبسه ورجونا من الأمير علي أن يبعث وفد التسليم إلى المدينة.

---

(1) Kandemir, p. 199, Kiciman, p. 404-405.

(2) Kandemir, p. 199.

٢- على كل الضباط والجنود بمختلف مراتبهم أن يبذلوا طاقتهم للرحيل من المدينة.

٣- يجب أن تنتهي المنازعات فيما بين القوات العسكرية سواء القديمة منها أو الحديثة.

عند لقاء إخواننا في الإسلام القادمين من الخارج، ينبغي أن تراعى الآداب الإسلامية وتغلب الروح الأخوية، وذلك كرامة لمؤسس هذا الدين حضرة نبينا صلى الله عليه وسلم.

٤- يجب ألا يتعرّض أحد من العساكر وغيرهم لأموال وممتلكات أهالي المدينة.

٥- أتمنى من الضباط أن يشرحوا البنود المتقدم ذكرها للجنود، وأن تُطبّق بقوة وحزم ريثما نرحل عن المدينة.

وكيل قائد قوة الحملة

ميرآلاي علي نجيب»[١].

إشاعات تهديد فخري باشا بتفجير الحجرة الشريفة:

هذه الرواية التامة الصحيحة في تسليم المدينة المنورة، كما رواها شهود عيان أدركوا هذه الواقعة، من أمثال الضابط كجمان الذي روى ما رآه بعينه، وما سمعه من الملازم يحيى نزهت بك المحافظ في الحرم النبوي الشريف، وكذلك الأستاذ قاندمير، والمعمّر خضر بن عبد الله الفارسي، اللذان شهدا الأحداث، لكن هناك رواية غريبة تناقلها أهل المدينة، وغيرهم من الباحثين، لا يمكن عدّها إلا من قبيل الإشاعات، وهي تهديد فخري باشا بتفجير الحجرة النبوية المشرفة إن مسّه شيء.

(1) *Kiciman, p. 397398-.*

وخلاصة ذلك ما رواه الأستاذ عزيز ضياء في سيرته، حيث قال: "وقد تسلح هو نفسه بمجموعة علقها على خصره، وعلى صدره من القنابل اليدوية، وأمر ضباطه أن يتسلحوا مثله بهذه الأسلحة، ثم أعلن بعد أن أغلق جميع أبواب الحرم؛ وقد زرع الطريق إلى كل منها بالألغام، أنه لن يستسلم أبداً، وأنه سيقاوم كل من تحدثه نفسه بالاقتراب من أبواب الحرم، أو منه شخصياً، بهذه القنابل اليدوية أو أصابع الديناميت. وأنذر أنه قد طوّق الحجرات النبوية نفسها بالمتفجرات، ولن يتردد في تفجيرها، إذا ما وجد أن لا سبيل إلا ذلك السبيل"[(١)].

وقد أخبرنا شيخنا الأستاذ حسن صيرفي برواية قريبة مما رواها عزيز ضياء، فقال:

"أما كيف تم تسليم المدينة من قِبَل فخري باشا، فشيءٌ منه يوجد في الكتب، وشيءٌ آخر سمعتُه من الرجال الذين عايشوا ذلك الظرف، أو اشتركوا فيه. أقنع الضباط فخري باشا بالتسليم، حيث إن باقي الحجاز قد سلمت، وتركيا كانت قد سلمت أيضاً، فتظاهر فخري بالاقتناع، وأخبرهم بأنه يريد السلام على رسول الله ﷺ في المسجد النبوي، فذهبوا معه وهو مدجج بالسلاح، ووقف أمام القبر الشريف للسلام على النبي ﷺ، وكانت يداه مكتّفتين على صدره، وإذا بيده تمتدّ إلى قنبلة يدوية ثم صرخ برفاقه: ابعدوا عني، وإلا أحرقت المدينة كلها، فابتعدوا عنه. ثم اتخذ الكُتَّاب العلوي الواقع فوق كُتَّاب العريف ابن سالم مقراً له، وبقي (٢٤) ساعة وهو مستيقظ لم ينم، ثم لما غلبه النوم تقدّم مجموعة من الضباط الأشداء، وقبضوا عليه لمعرفتهم أنه لا أمل في المقاومة"[(٢)].

وروى الشريف عبد الله بن الحسين في مذكراته: بأن أخاه الشريف علي بن الحسين أرسل إلى المدينة كلاً من نوري بك الكويري، والشريف أحمد بن منصور الحسيني لاستلام فخري باشا، وذلك بعد أن خرج (الميرالاي) نجيب،

---

(١) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١ : ١٦٤.

(٢) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

وكتب شروط التسليم وكان أول شرط هو تسليم فخري باشا لنفسه. وحين علم فخري بهذا الشرط دخل إلى الحجرة النبوية وهدد قائلاً: "إن أردتم إخراجي عنوة فسأشعل النار في كل العتاد الذي في المسجد"، وكان قد وضع كل المفرقعات النارية في المسجد خوفاً من الطيارات.

وقد أربك هذا الحادث الأشراف خشيةً على الحجرة النبوية والمسجد النبوي الشريف، ولما سمعوا دمدمة في العشاء قام الشريف علي وقال: لقد أشعل الخبيث النار بالمسجد!.

ثم جرت مهاتفات بين الشريف عبد الله من الجليجلة وبين علي نجيب بك من داخل المدينة، ودار حوار بينهما، قال له الشريف: أين فخري باشا؟ اليوم موعد تسليمه حسب الشروط، فقال نجيب: إنه كما أخبركم الشريف أحمد بن منصور ونوري بك الكويري، دخل الحجرة وهدد بأن ينسفها إن نحن حاولنا أخذه عنوة، فقال الشريف: لا أعتقد ذلك، فقال: أتريد أن تقع نكبة في الحجرة؟، فقال الشريف: لا بالطبع، ولكن أريد تنفيذ الشروط، أليست لديكم حرمة لتواقيعكم؟، فقال: أتريد أن يقتل من يدخل عليه في ذلك المحل؟، فقال الشريف: الذنب عليه وقد قتل عمر بن الخطاب بين المنبر والقبر، فقال نجيب: أتريد أن ينسف المسجد؟، فأجاب الشريف: قد احترق المسجد النبوي في التاريخ مرتين، وإن وقع شيء من هذا فسيكون لنا حجة عليكم أنتم الأتراك. والآن أنت تكلم خصمك، فإن لم تنفذ الشروط فسيكون الموقف جدّ حرج، حيث تقرر استئصال كل من بالمدينة منكم، فقال نجيب: أمهلني نصف ساعة.

وأخيراً، تقرّر إخراج فخري باشا بأية صورة كانت، وذلك في الساعة الحادية عشرة صباحاً بالتوقيت الغروبي، وبالفعل في هذه الساعة تم إبلاغ الشريف بالقبض على فخري باشا[١].

---

(١) «الأعمال الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٥٣-١٥٤.

وروى التاجر الرحالة خليل بن إبراهيم الرواف في «صفحاته»، عن الضابط في الجيش العثماني محمد شكري البغدادي، أنه لما انتاب فخري ما انتابه من اليأس والقنوط، نظم شكري قصيدة عزم على إلقائها بين يدي الشريف بعد تسليم المدينة[1]، ويحكي قصته بلسانه فيقول: "وبينما كنت أتأهب للرقاد، إذا بباب منزلي يطرق بشدة ففتحته منزعجاً، فوجدت لدى الباب ضابطاً ومعه جنديان، دعوني لمقابلة القائد فخري باشا، فصعقت لهذا النبأ، وكان أول ما تبادر لذهني أن فخري باشا عَلِم بهذه القصيدة، فأرسل هؤلاء الجنود لإلقاء القبض عليّ لتأديبي لهذه الخيانة العظمى التي جزاء من يرتكبها الإعدام.

أدخلت الضابط والجنديين إلى المنزل، وطلبت منهم الانتظار قليلاً بينما أستبدل ملابسي، فدخلت غرفتي ثم أخذت بتمزيق أوراق القصيدة، وكانت نسخة منها عند السيد عبد القادر المغيربي، ولم أطلع عليها أحداً غيره، ثم سرت برفقة الضابط والجنديّين إلى لقاء القائد فخري، ودخلت عليه وحييته ولا أدري هل ردّ عليّ تحيتي أم لا؟، لقد كنت بحالة تشبه حالة من فقد جميع حواسه، ووجدت القائد مضطرب الأعصاب، مكفهرّ الوجه، واضعاً كلتا يديه خلف ظهره، يذرع بخطاه أرض غرفته الواسعة، فتحقق لديّ ما فكرتُ به من قبل، ومكثت واقفاً بمكاني كأن على رأسي الطير، وقد تسمرت قدماي، فلم أُبد حركة، وأخذت خلجات قلبي تضطرب، والهواجس تنتابني وتهزني هزاً عنيفاً، وقلت في نفسي: أبعد خدمتي الطويلة في الجيش العثماني، تُلحق بي الخيانة؟، ولم أدرِ كم قضيت من الوقت واقفاً، وما نبهني من ذهول وشرود أفكاري إلا قول القائد: اجلس يا شكري.

فتنفست الصعداء، وجلست على أقرب مقعد مني، ثم التفتَ إليّ قائلاً: إن لدي أمراً بالغ الخطورة، ملك تفكيري طيلة الأيام الماضية، إن الحرب قد انتهت بفوز بريطانيا وحلفائها، وقد قررت ألا أدع هؤلاء الأعراب يحتلّون المدينة، وفيها

---

(١) انظر القصيدة كاملة في آخر الكتاب ص ٥٦٣.

حجرٌ قائم على حجر، وصمّمت على أن أنقل ما أمكن نقله من الذخيرة الموجودة في المدينة، وأضعها في الحرم الشريف، وأجعله مقر قيادتي وإقامتي، حتى إذا ما تغلّب الأعراب علينا، قمت بتفجير هذه الذخيرة، وتركت المدينة وحرمها لهؤلاء الأعراب قاعاً صفصفاً، وغادرت هذه الحياة وأنا راضٍ بما قمت به، ونظراً إلى منزلتك عندي وثقتي بك أبديت إليك هذا الأمر، لتكون على استعداد لمغادرة المدينة عند أول إشارة تصدر مني إليك، لتقص على الملأ قضيتي، وما قمت به من الأعمال في سبيل الإسلام، وشرف الجيش العثماني.

أطرقتُ إلى الأرض إثر سماعي قوله، ووضعت رأسي بين يديّ، ومكثت وقتاً يسيراً، أفكر بما قاله هذا القائد الطائش المغلوب على أمره، وتحقق لي أنه قد مسه شيء من الخبل، ووددت لو أنه اطّلع على القصيدة، وقام بإعدامي، فذلك خير لي من أن أرى المدينة وحرمها تتفجر فيه هذه الكميات الكبيرة من الذخيرة الحربية، إنها مرقد الرسول محمد ﷺ، فرفعت رأسي وبادرت القائد فخري بقولي: أيها القائد إن الحكومة العثمانية مقدرة لك عملك، ووقوفك في وجه هذه الطغمة العربية طيلة هذه السنين، سواء فجرت هذه الذخيرة في الحرم النبوي مرقد الرسول محمد ﷺ أم لم تفجرها، وسواء سلمت مدينة الرسول للأعداء أم لم تسلمها، وإن التاريخ يحتفظ بالذكرى لكثير من أمثالك، سيذكرهم بكثير من الإعجاب والتقدير، ولن يبخسهم حقهم، وإنك قائد متديّن تخشى الله وتتقيه، فإن أقدمت على هذا العمل فالمسلمون لن يغفروا لك هذه الزلة قط، وستلحقك دعواتهم بما لا يسرك ما تعاقبت الأيام ومرت السنون، وإن التاريخ سيذكرك وحكومتك بما لا يشرفك، ففكّر بالأمر قليلاً قبل إقدامك على هذا العمل المشين، وإنني سوف أحتفظ بما ذكرته لي في قرارة نفسي، فلا أبوح به لأحد.

ما انتهيت من قولي حتى أخذت قواه بالانهيار، ووقع مغشياً على الأرض، ولم يُفق من غيبوبته إلا بعد وقت طويل، ثم نهض متخاذلاً ولم ينبس ببنت

شـفة، وغـادر غرفـة مكتبـه، فأتبعتـه حتى دخـل غرفة النـوم واسـتلقى على الفراش"[١].

وقال الكاتب الأمريكي (لويل توماس): "لكن فخري باشا أقسم على القرآن أنه بدلاً من الاستسلام للعرب والبريطانيين، سينسف قبر النبي محمد ويمحو نفسه ورجاله من على وجه الأرض"[٢].

هذه خلاصة الروايات التي تداولها أهل المدينة وغيرهم، حول تهديد فخري بنسف الحجرة المطهرة، وهي مخالفة للروايات المثبتة وبعيدة عن الصواب، بل أقرب إلى الخيال، وإن كان لا ينكر أحدٌ أن تصرفات فخري باشا قد أصبحت غريبة بعض الشيء، حيث أصبح سريع الغضب والهيجان، ولعله أصيب بصدمة نفسية كما مرّ في تقرير الأطباء السابق، وإن حاول أن يظهر بمظهر السليم، وفي تقرير البريطانيين إشارة إلى أنه من المحتمل أن يكون قد أصيب بحالة من السوداوية (الميلانخوليا)[٣] مع التعصب الديني الذي دفعه إلى ما يقارب الجنون[٤].

وهذا الأمر وإن كان فيه شيء من الصحة، إلا أنه لا يبلغ ما ورد في الروايات السابقة، فمجمل الأخبار تدل على أن الرجل بغض النظر عن أحكامه وأفكاره، كان يكنّ في داخله عاطفة دينية عميقة، ويبدي تعلّقاً قوياً بجناب النبي ﷺ، وقد نصّ الشريف عبد الله بن الحسين في مذكراته، بأن فخري كان صوفياً سالكاً على الطريقة البكتاشية[٥]، وإذا غضضنا الطرف عما في مسألة التصوف من مناقشات

(١) «صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث» ص ٩٣-٩٤.

(٢) «مغامرات مع لورنس في جزيرة العرب» ص ٢٧٠.

(٣) هو مرض الاكتئاب وكان يسمى قديماً بالسوداء.

(٤) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ١٢٥.

(٥) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٥٥.

واختلافات في الأحكام والعقائد بين أهل العلم، فإنه من المعلوم سلفاً شدة محبة المنتسبين إلى الطرق للنبي ﷺ واعتقادهم الشديد فيه وتعزيرهم له، كما أن الوثائق والرسائل الصادرة عن فخري تظهر هذا الجانب في التمسك بالجناب النبوي، مما يجعل قبول هذه الروايات أمراً بالغ الصعوبة.

ولو تأملنا حال الرواة، لألفينا أنهم كانوا خارج إطار مكان الحدث، فالأستاذ عزيز ضياء، والشيخ الصيرفي كلاهما لم يشهدا هذه الحادثة، وإنما سمعا ممن عايش أو تناقل هذه الأخبار، والشريف عبد الله كان خارج المدينة، وهو يروي ما سمعه من نجيب بك وغيره من القادة الذين كانوا في المدينة ممن تورطوا في اعتصام فخري في الحرم، ولا يُستبعد من مثلهم أن يختلقوا الأعذار، لكن الأتراك الذين كانوا في قلب الحدث ونقلوا أدق التفاصيل لم يوردوا شيئاً من ذلك، وهذه الحادثة ومثيلاتها لا يمكن أن تغفلها الوثائق والمصادر التركية والبريطانية، خاصة أن فخري كان يعدّ في هذه الفترة خارجاً على أوامر الحكومتين معاً.

بقيت مسألة مهمة لا يمكن إغفالها، وهي وإن كانت الشائعة طارئة وأن الأصل هو البراءة التامة حتى تقوم الأدلة الواضحة على ذلك، فإن كثيراً من الإشاعات لا تأتي من فراغ، وبيان ذلك في هذه الأخبار كما يوضّح كجمان، مقولة تفوّه بها فخري ذات مرة في لحظة نشوة وانفعال، ولعله كررها، قال: "في اللحظة الأخيرة التي يغلب عليّ اليأس في الدفاع عن المدينة، سيجتمع جميع زملاء السلاح في حديقة الحرم النبوي الشريف، وقد أسبغوا وضوءهم، يرفعون أيديهم بالدعاء على المنابر، ويُشهدون الله ورسوله أنهم قد أدوا ما عليهم تجاه واجبهم الديني والوطني، ويدعون الله أن يحسن إليهم، ويطلبون الشفاعة من رسوله ﷺ، ثم تصدح الموسيقى العسكرية لتعزف النشيد الوطني العثماني، وسأقوم بإطلاق النار على الذخائر المكدسة في حديقة الحرم الشريف، وأثناء انفجار العيارات النارية والمدافع والقنابل، سيلف الدخان الأسود العلم الأحمر حتى يرقى إلى السماء،

وسيهدى هذا العلم الذي لم يكتب له الانتكاس إلى الحور العين غطاءً لرؤوسهن في الجنة"[١]. إلى غير ذلك من الهذيان العاطفي.

وبهذا نستطيع أن نفسر ما جاء في خوف بعض الضباط من كلام فخري السابق، وظنهم أنه قد يقدم على تنفيذ كلامه حرفياً، كما يمكن أن نفسر حكاية الضابط محمد شكري البغدادي، مع التحفظ على روايته المبالغ فيها، فهو يزعم أن فخري أبدى له تخطيطه حول نقله الذخيرة إلى الحرم، واتخاذه مكاناً لإقامته، ونيته في تفجير الحرم النبوي الشريف، ولم يبدِ فخري له ذلك إلا بعد انتصار الحلفاء على العثمانيين، ومما يشكك في هذه الرواية أن فخري قد اتخذ الحرم مستودعاً للذخيرة في عام ١٣٣٥هـ، وما انتصرت بريطانيا إلا في بداية عام ١٣٣٧هـ، فكيف يفضي له بشيء قد فعله منذ أكثر من عام؟، كما لا تخفى مبالغته في تصوير وضع فخري اليائس، وسقوطه مغشياً عليه مدة طويلة، ثم قيامه بعد ذلك، والله أعلم بحقيقة الحال.

على أن قاندمير وهو شاهد عيان، قد أشار في كتابه إلى نشأة هذه المقولات، بعد تشبث فخري بالحرم النبوي وإخلافه المعاهدة، فيقول: "في هذا اليوم من يناير ١٩١٩م، عاشت المدينة أوقاتاً هائجة محتدمة، بل خطيرة جداً... والباشا الذي دخل الحرم مع خدَمه بعد صلاة الظهر حتى غروب الشمس لا يزال في المسجد، والقادة في المخفر لا يعلمون ماذا يفعلون ولا ما يقولون لمن هم في الخارج، وكانوا يخافون أن يقال لهم: أنتم لا تريدون أن تطبقوا المعاهدة في المدينة، وحين ذلك انتشرت بعض الأقوال بأن فخر الدين باشا يمرّ بحالة نفسية عصيبة، وأنه جلس على صناديق المتفجرات المتكدسة التي أعدها في الحرم سابقاً خشية عليها من الطائرات والهجمات الجوية، وأنه يريد أن يطلق النار عليها ويشعلها في حالة أي هجوم عليه!، ومثل ذلك وأسوأ من الشائعات التي تفسد الأعصاب وتشتت الأذهان مما تبنى نشره المغرضون" انتهى بتصرف[٢].

---

(1) Kiciman, p. 398-399.

(2) Kandemir, p.194.



فخري باشا يصافح الشريف عبد الله بعد خروجه من المدينة
(المرجع: Prince of Arabia)

فخري باشا أسيراً لدى الأشراف:

أُخرج فخري باشا من المدينة، ونقل إلى الجليجلة بصحبة (الميرالاي) صبري بك، وقد استقبله الشريف عبد الله بن الحسين استقبالاً رسمياً، وذلك حرصاً منه على حفظ كرامة الرجل وكبريائه بالحفاوة البالغة، والموافقة على كل شرط من شروطه، وقدّم فخري باشا سيفَه إلى الشريف عبد الله، وعومل بكثير من الاحترام إكباراً لبطولته[١].

ويذكر بعض الرواة أن فخري باشا عندما رأى الشريف ورجاله استقبلهم بوجهه، وقال: لو كنت أعلم أن هذا جيشهم لسحقته[٢].

(١) «الثورة العربية الكبرى»، قدري قلعجي، ص ٢٦٢.

(٢) «التاريخ الشامل» ٣: ٨٣.

ويروي الشريف عبد الله قصة لقائه وتقديره لفخري باشا في الجليجلة فيذكر: أن فخري باشا حين رآه حيّاه، رافعاً يده إلى صدره تحية الدراويش، فرد عليه الشريف بمثلها، وأخذه إلى الغرفة وجلس جلسة المغيظ المحنق، فقال له الشريف عبد الله: لقد عهدناك شجاعاً في الحرب وأثناء الحصار، وإنه ليسرنا أن نراك صبوراً في مصيبة الأسر، ففرك فخري بيديه، وقال: لا أعارض وإن تشكلت حكومة عربية. فقال الشريف عبد الله: لقد عارضت وانتهت المعارضة. وقال له القائد إبراهيم الراوي: هل كنت معنا؟، فقال: كنت معكم إلى أن أعلن الشريف الحسين استقلال البلاد العربية فالتحقت بأمتي.

وفي الطريق مازحه الشريف عبد الله قائلاً له: لقد أتحفتم أخويّ الأميرين علياً وفيصلاً بناظورين عندما قدمتم المدينة فأين حصتي؟، فضرب فخري يديه ببعضهما، ثم مدّ يده إلى معطفه وأهداه ناظوره الذي معه، فأهداه الشريف عبد الله ساعته الثمينة المطعمة بالذهب، مكتوب عليها أسماء آل البيت من الصحابة[١]، فسرّ فخري غاية السرور، وتبسط معه[٢].

وبينما كانت السيارة تقلهما إلى بئر درويش، إذا بإحدى الإطارات وقد انفجرت، فلقيهما بدويان، وسألا من هذا؟ فقال الشريف عبد الله: هذا فخري باشا، فقال أحدهما: أأنت فخري باشا؟ فقال: نعم، فقال: امدد يديك أصافحك، فأنت الشجاع الباسل، الذي صدنا عن المدينة المنورة شهوراً عديدة. فقال فخري للشريف: إن هذه لأكبر مكافأة لي من رجلين لا يؤملان مني أي صلة أو جاه، فإذن هي الحقيقة، والشرف لي. وامتلأت عيناه بالدمع، فرد عليه الشريف: إنهما من العرب، والعرب أمة شريفة تقدر الرجال حق قدرهم.

(١) هم أهل الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين.
(٢) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٥٤-١٥٥.

وفي الطريق رأى قوة عربية مصطفة وقد ألقت التحية، فزرّر فخري معطفه وقابل تحيتهم العسكرية بتحية أخرى وقال: (هرشي أولمش بتمش= *hersey olmus bitmis*) أي: كل شيء حصل وانتهى.

ثم التقى بالشريف علي في بئر درويش، وكان لقاؤهما مزيجاً من العتب والعداء والبرود. ولما سأله الشريف عبد الله: هل يأمر الباشا بأن نحضر له من يحب من الضباط الذين كان يألفهم؟، قال: اترك هؤلاء الخائنين، لا أريد أحداً منهم.

ويبدو من لقائه مع الشريف عبد الله أنه اطمأن له وارتاح، ولم يمكث طويلاً حتى سيق إلى ينبع[١].

ولما تسامع البدو في كل من الجليجلة وبئر درويش بقدوم فخري باشا، اجتمعوا إليه كلٌّ يريد أن يراه. وقد نسب قاندمير كلاماً إلى الشريف علي بن الحسين عن قصة الاحتفاء بفخري، ذكر أنه سمعه منه، قال الشريف[٢]: "استقبلنا فخري وعاملناه كما كنا نفعل في السابق، وكما لو كان قائدنا، وسعينا في خدمته، وأمرنا الطباخين أن يضيفوا له الأطعمة التركية التي يحبها، واستضفناه في خيمة أعددناها لأجله. وأما البدو فإنهم ما إن سمعوا بأن فخري قادمٌ إلى بئر درويش حتى أتوا من كل النواحي كالسيل الهادر، يريدون أن يروا وجه هذا الذي سمعوا عن بطولته وشجاعته.

وصل فخري باشا إلى بئر درويش مساءً، والبدو لم يناموا قط خوفاً من أن يترك المنطقة دون أن يخبرهم، ومع طلوع الفجر خرج فخري من خيمته، فما

---

(١) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) لا يشترط أن يكون هذا النص الحرفي للشريف علي، بل الأغلب أنه مروي بالمعنى الضمني بما فيه من المبالغة في الإطراء، خاصة أن الراوي قاندمير كان تركياً منحازاً إلى جانب فخري باشا.

إن رأوه حتى سُمعت صيحاتهم: فخري .. فخري!، كأنما استحوذ عليهم الفزع وبدؤوا يتفرقون هنا وهناك، وبدا وكأنه لو تقدم إليهم خطوة لخروا صرعى، والصحراء تهتز بأصواتهم: فخري .. فخري"[١] انتهى بتصرف.

وجاء في جريدة القبلة نص كتاب الشريف عبد الله بن الحسين في ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ، يقول فيه:

"فخري حضر اليوم الساعة الرابعة في جليجلة، ثم وصل إلى معسكر بئر درويش في الساعة الثامنة، وقد وجدنا الرجل في غاية الذهول المستلفت للأنظار، ثم أخذ يفيق، والآن هو أنسب منه عند قدومه، ومعه تصلب في رجله اليسرى حصل له عقب خروج أمين بك بالطوابير.

عبدكم شرّف ومعه كوكبة من الخيل، دخل في هذا اليوم إلى المدينة المنورة لتأمين من فيها، وذلك بطلب علي نجيب بك، والحالة هنا على ما يرام"[٢].

وفي يوم ١٠ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ[٣] وصل وزير العدل الملا حيدر بك إلى بئر درويش، قادماً من الأستانة عن طريق البحر بواسطة سفينة إنجليزية إلى ميناء ينبع، ومنه إلى بئر درويش، حاملاً معه الإرادة السلطانية موقعة من السلطان العثماني بتسليم المدينة إلى الشريف الحسين، وهي التي كان يتحجج بها فخري في إبائه

(1) *Kandemir, p.199-200.*

(٢) «جريدة القبلة»، عدد ٢٤٨، ص ٢.

(٣) في «الثورة العربية الكبرى»، أمين سعيد، ١: ٢٦١، وذكر أنه وصل الحجاز في ١٤ يناير، وذلك يوافق ١١ ربيع الآخر، والصحيح أن هذا تاريخ وصوله للمدينة المنورة كما أفاد كجمان. انظر: *Kiciman, p 417*.

الاستسلام، لكن حيدر بك لم يصل إلا بعد أن انتهى كل شيء، وقد رفض الشريف علي والملا حيدر أن يسلماها إلى فخري، لكن الإنجليز رأوا أن من حق فخري عليهم أن يطلعوه على الأمر السلطاني الصريح، فطالع فخري في الرسالة دون أن ينبس ببنت شفة، لكن حيدر بك أبدى له ملاحظات توضيحية، فأجاب عليه فخري بعبارات قصيرة[١].

محاورة الإنجليز لفخري باشا:

استطاع وكيل المعتمد السياسي بجدة، (الكرنل باسيت) الإنجليزي، مقابلة فخري باشا ومحاورته أثناء مكوثه في بئر درويش على مدى أربعة أيام من ١٠ إلى ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧هـ، ومما أفاد في تقريره أن فخري كان مريضاً، ويعاني من زكام شديد جراء الإنفلونزا الإسبانية المنتشرة، وكان يشعر بالألم الشديد في ساقه اليسرى، ولعله التهاب في مفاصله، وقد لازم في أحد أيامه الفراش بسبب الحمّى، وكان متقلب المزاج وسُرّ بالمحادثة ذاكراً بأنه قلّما تحدث إلى أحد خلال الشهرين الماضيين، وكان يبدي توتراً كبيراً، ويشرد ذهنه أثناء الحديث، وكان سلوكه متكبراً متحفظاً، ولما شرح له (باسيت) الترتيبات لإخلاء القوات التركية، أعرب فخري عن شكره، وقال باللغة الفرنسية، وكانت فرنسية فخري ضعيفة: "إن الجنود المساكين منهكون جداً"[٢].

---

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤: ١٢٢-١٢٣. وقد ذكر قاندمير في كتابه رواية لا تصح عن الإرادة السلطانية، فقد زعم أن حيدر بك قدم المدينة قبل خروجها من حكم العثمانيين، ومعه الفرمان السلطاني بتسليم المدينة إلى الأشراف، والتقى فخري في مقر قيادته، وأراه الفرمان وما حواه، فأبى فخري الإذعان وقال: لا بد أن السلطان قد أصدر أمره هذا تحت ضغوطات الأعداء. انظر: *kandemir, 182-183*.

وهذه الرواية تنقضها التقارير البريطانية الدقيقة من تحديدهم لموعد وصول حيدر بك إلى بئر درويش من واقع العيان والمشاهدة، وعدم معرفة فخري باشا بأمر الإرادة السلطانية، وقد مكث معه حيدر في خيمته، وقد بين هذا أيضاً الضابط صبحي العمري في: «المعارك الأولى، الطريق إلى دمشق» ص ٣٢٠.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤: ١٢٣، ١٢٥.

وقد حاول (باسيت) أن يستخرج ما عنده عن الملك عبد العزيز ومساعدته للحامية التركية في المدينة بإمرار الطعام، لكن ردود فخري كانت متحفظة للغاية، إذ لم يأت على ذكر الرسائل التي دارت بينهما، بل أبدى تذمّره من الملك عبد العزيز، مما جعل الإنجليزي يشك بأن فخري يخفي شيئاً ما[١].

وأنهى فخري حديثه معاتباً: "هذه هي الحقيقة سيدي العقيد، لقد استطعتم بالنقود إيقاع مسلمينا في حبائلكم"[٢].

وذكر (باسيت) بأن فخري تحت الحراسة، ويعامل معاملة حسنة، ويقيم في خيمة جيدة، ويقوم على شؤونه الخاصة خادمه وسائق سيارته. كما طلب فخري من (باسيت) المذكور جلْب مذكراته اليومية الخاصة بحركاته في الحجاز، وكان قد تركها في مقره بالمدينة[٣].

ثم بيّن فخري بعض الأمور عما دار في المدينة، فمما قاله: إن الرسائل التي جاء بها حيدر بك بعد أن انتهى كل شيء ليست واضحة، والرسائل المرسلة باللاسلكي من الأستانة مباشرة لم تتسلمها محطة المدينة. وأما الرسالة المفهومة التي جاءت عبر محطات الإنجليز اللاسلكية فمن المحتمل أن تكون خدعة حربية. وكانت تنص على أن الحاميات التركية يجب أن تستسلم إلى أقرب قائد من الحلفاء، وهذه العبارة محيّرة لأنه لا يوجد قائد كهذا أصلا، ولأن العرب في نظره متمردين وليسوا قادة، وأما (الكابتن غارلند) الذي وقع المعاهدة بصفة (الممثل البريطاني في الحجاز)، لا يمكن أن يعتبر قائداً من الحلفاء، فهو برتبة نقيب، ولا يمكن من وجهة النظر العسكرية أن يستسلم جنرال وجندي عريق مثل فخري ويسلم سيفه إلى نقيب، وإن كان يحصل هذا في حال الأسر لا في حال الاستسلام، ولو سُلّم

---

(١) قد مرّ سابقاً موقف الملك عبد العزيز من الأتراك وفخري باشا، فليراجع: ص ٤١٦.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ١٢٤.

(٣) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ١٢٤- ١٢٥.

بذلك فإن فخري لا يستطيع أن يسلّم المدينة المنورة إلى ضابط بريطاني. وأما ضياء باشا فرسائله ناقصة وليست واضحة في تعيين الشخص الذي تُسلّم إليه المدينة، وقد حذر فخري ضياء من التفوه بكلمة للآخرين، حتى يتبين له الوضع الفعلي وشروط الاستسلام، لكن ضياء أخلف وعده لفخري وكشف للجنود عن حقيقة الحالة الراهنة، فغضب عليه فخري غضباً شديداً. وختم فخري حديثه قائلاً: "لكن بفضل الله، أخذ ضباطي وجنودي الأمر بأيديهم ورموا بي إلى الأرض"(١).

ومن العجيب حقاً، أن الإنجليز رأوا في كلام فخري ما يقنعهم، فقد جاء في التقرير أن فخري لم يكن يعلم بالقرار المتفق عليه بين بريطانيا وفرنسا، بالاعتراف رسمياً بالعرب محاربين حلفاء، وقال (باسيت):

"لكنني أميل إلى الاعتقاد بأنه لم يكن هناك تحدٍ مقصود للهدنة من جانب فخري باشا، ولكن رغبة صادقة لتحديد وضعه بصورة أوضح. هو جندي إلى أخمص قدميه، وأشك أنه يقوم متعمداً بأي عمل مخالف لتقاليد الحرب. موقفه تجاه الأمراء و(الكابتن غارلند) خلال المفاوضات كان حقاً بلا مثيل سابق، وأعتقد أنه لا بد من التماس العذر له بسبب الوضع الخاص جداً الذي وجد نفسه فيه.

لو جاء لمقابلة الأمراء و(الكابتن غارلند) وفقاً للطلب الأصلي لتمت تسوية الأمور بلا شك. إن امتناعه عن القيام بذلك من المحتمل أن يعود إلى الكرامة العسكرية التي تجعل من البغيض لديه أن يفاوض شخصياً ضابطاً من رتبة (الكابتن غارلند)، وحسب رأيه لم يكن القادة العرب أكثر من ثوار"(٢).

أخيراً، أورد الإنجليز مسألة القبض على فخري على أنها مما يُشك فيه، إذ يرون أنه من المحتمل أن ذلك حدث بموافقته، لكي يتمكن من القول أنه لم

---

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤: ١٣٤-١٣٥.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤: ١٣٥.

يستسلم باختياره في ظروف لم تكن واضحة له بما فيه الكفاية[١]. ولا حاجة في تفنيد هذا الشك المحتمل لضعفه البيّن، إذ يعوزه الدليل.

ويتجلى إعجاب بعض هؤلاء الغربيين بشخصية فخري العسكرية في مقولةٍ كتبها الأمريكي (لويل توماس) طعّمها بمبالغته المعهودة، قال فيها: "لو أن تركية تملك مليون محاربٍ بهذه الروح التي يملكها فخر الدين، لم تكن لتستعيد كل مقاطعاتها فحسب، بل لتمكنت من الاستيلاء على الشرق الأدنى بأكمله، وتأسيس إمبراطورية تتفوق في مجدها وعظمتها على إمبراطورية المغول القديمة"[٢].

وقد بيّن الأستاذ عزيز ضياء تباين الآراء في تمسك فخري باشا بموقفه بين أهل المدينة وبين قادة الثورة وبريطانيا، فقال:

"والكثيرون من أهل المدينة نفسها الذين هجرهم فخري باشا إلى سوريا بالقطار، والذين واجهوا في دمشق وحماة وحلب أشد أهوال الجوع والأوبئة التي حصدت أرواح المئات، في الأزقة والطرقات وأرصفة الشوارع، الكثيرون يفسرون إصرار فخري على عدم التسليم حتى بعد أن بلغته أخبار الهدنة وقرب سقوط الخلافة، بأنه مجرد عناد وكبرياء واعتزاز بالنفس، وقد يكون جانباً من الواقع هو هذا التفسير، ولكن التفسير الذي ظل يفتح عيون قادة الثورة، ومنهم مبعوث الحلف البريطاني (الكولونيل لورنس)؛ وجعل المعارك لا تتوقف، وعمليات تخريب سكة حديد الحجاز بغرض قطع خطوط الإمداد لا تنقطع إلى آخر لحظة، هو أن المدينة المنورة مدينة فيها مثوى رسول الله صلوات الله عليه، وفيها المسجد النبوي الشريف ثاني الحرمين الشريفين، فالاحتفاظ بها يرسخ في أذهان العالم الإسلامي أن الخلافة قائمة

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ١٣٦.

(٢) «مغامرات مع لورنس في جزيرة العرب» ص ٢٧٠.

تؤدي واجبها في الدفاع عن الحرمين، وقد كان جميع الخلفاء العثمانيين بعد سليم الأول، يتشرفون بحمل لقب خادم الحرمين الشريفين"[١].

فخري باشا ورأيه في تسليم المدينة بعد سنوات:

ضمّن قاندمير في كتابه حواراً مهماً حول ما فعله فخري في المدينة المنورة، وتكمن أهميته في تبيانه رأي هذا القائد التركي وتبريراته فيما فعل في المدينة، وذلك بعد أن هدأت الأوضاع وتبدلت الأحوال وتغيرت أفكاره. فيقص علينا قصة التقائه بفخري باشا مصادفة في مدينة باطوم سنة ١٣٤٠هـ، بعد أن أنهى محكوميته، وقد استضافه في منزل أحد أثرياء مدينة باطوم، وكان من عادة كثير من أهل هذه المدينة أن يعزفوا البيانو ويشربوا الخمر الروسي (فودكا) مع وجبة طعامهم، بل وُجد من شيوخهم الفاسدين من أفتى بجواز تعاطي هذا الخمر بمقدار لا يفقد الوعي!، فنبه قاندمير هذه الأسرة بأن فخري متدينٌ متشددٌ لا يتسامح في ترك الصلاة في الجامع ولا في هذه المنكرات[٢].

لكن فخري فاجأهم إذ انتبه إلى تغيير الأسرة لعاداتها من أجله، وقال: "إنني لا أعرف كيف قدمني إليكم، نعم كنت فيما مضى متعلقاً بالصلاة والعبادة إلى درجة التشدد، لكن الأمر تغير في السنوات الأخيرة لما عايشت مختلف الناس في روسيا فاضطررت أن أجاريهم، لذا لا تغيروا عاداتكم لأجلي"[٣].

ثم دار الحديث عن المدينة فقال فخري متحدثاً عن نفسه: "لو لم أكن في المدينة المنورة على هذا القدر من الشدة في الدين، لفلت الزمام من يدي، إن الدفاع عن هذه المدينة التي تتميز بمكانها المقدس، لن يتم إلا إذا التزم من

(١) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١: ١٦٢-١٦٣.

(2) Kandemir, p. 309-310.

(3) Kandemir, p. 310.

فيها بإيمان عظيم واحترام متبادل، وربما كنت تذكر ذلك الضابط الشاب الذي كان يهوى الموسيقى، وقد كسرتُ (كمانه)[١]، وأنا حزين لذلك، وفي حياء من نفسي، إذ كان يمكن أن يسلي أصدقاءه ويثير استياء آخرين. كان لا بد أن أضع هذه الأمور في الحسبان، وإن على الجميع أن يعيشوا على حسب ما يقتضيه هذا المكان المقدس. نعم في المدينة أقوام من جميع الأصناف، حتى مدمني الخمر، والعازفين على الناي والكمان، هذه هي الطبيعة الإنسانية، ولكن لا بدّ أن يلتزم الناس بهذا الأسلوب من العيش، وأن يمتنعوا عن المعاصي امتناعاً شديداً، فليس أحسن من أن نحيا ملتزمين بديننا"[٢].

"إنني لم أكن يومئذ قائد قلعة عادية محاصرة، بل كنت أدافع عن المقام المبارك، وإنسان عين كل العالم، وأنا في خاصة نفسي كنت أحب هذا المقام بكل كياني، لذا يتحتم عليّ أن أدافع عنه بتفانٍ. ومن يكن في مثل موقفي، فلن يعلم حالته الروحية أحدٌ إلا هو، وليس بالإمكان توقع هذه الحالة... إنني رغماً عن كل شيء، ورغماً عن الناس، كنت متمسكاً بالمدينة ومصراً على الدفاع عنها، وكان هناك جماعة يرمونني بالجنون، لأني فعلت كل ذلك في ظل تلك الظروف، وربما كنت أنت ممن يفكر بذلك"[٣].

"وإذا ما رجعت إلى أصل الموضوع، فإن تمسكي بالدفاع عن المدينة في ظل ظروف تلك الأيام، لم يكن مقبولاً من وجهة النظر العسكرية. كان جميع القادة يأمرونني بألا أدافع عن المدينة وأن أخليها بسرعة، وبعد الهدنة أمروني بالإخلاء.

لم يكن الموقف هيّناً عندما جاء الأمر تحت ضغوط الإنجليز بترك المدينة والاستسلام. إنني داخل قلعة حصينة منيعة من جميع جهاتها، ومعي مدافعي

---

(١) يعني هنا الآلة الموسيقة المعروفة بالكَمَنجة، وهي كلمة تركية (*Kemence*) مستمدة من الفارسية: (كمانجة) وهي تصغير (كمان) على الطريقة الفارسية. «معجم الدخيل» ص ١٨٣.

(2) Kandemir, p. 310-311.

(3) Kandemir, p. 311-312.

وذخائري وبنادقي، وأما المؤن الغذائية القليلة فكان بإمكاني إيجاد حل لها، ولم يكن هذا ما يقلقني. إن من نسميهم بالأعداء هم جماعة من البدو والجنود المرتزقة، نعم كانوا جنوداً لكنهم غرباء عن الصحراء، ومثلهم لا يجهدون أنفسهم، ولا يريقون الدماء في سبيل الاستيلاء على المدينة، لذا كنت أستطيع الدفاع عن المدينة كما حصل في السابق، وكنت مطمئناً من هذه الناحية، لكن كل الجبهات في سوريا وفلسطين والعراق قد انهارت، ومع هذا كنت مصراً ألا أنزل الراية من المدينة. فما معنى هذا؟ كلهم كانوا يقولون بأنني أسعى في أمر لا جدوى منه. إن الرجل الذي يحترق بيته العظيم وهو مصر أن يبقى ولا يخرج منه، لا بد أن يكون قد فقد عقله، ولكن بالرغم من احتراق البيت فإن هناك أملاً أن تأتي إليه سيارات الإطفاء، فربما غيّر بقاؤه الوضع تماماً. لقد كنت أفكر بهذه الطريقة بل أؤمن بها"[1]. انتهى باختصار وتصرف.

وهكذا، تم اعتقال فخري باشا في مصر باعتباره أسير حرب لدى الإنجليز، الذين أطلقوا عليه لقب: (نمر الصحراء)، ثم نفي إلى جزيرة مالطا بقلعة (بولفاريستا)، في ٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٧هـ وبقي فيها مدة سنتين وشهراً، وعاد بعدها إلى بلاده، ووصل إلى أنقرة في ١٤ رجب ١٣٣٩هـ، ليعيّن من قبل البرلمان التركي في سفارة كابل بأفغانستان. وكانت وفاته في ٢٣ محرم ١٣٦٨هـ، ودفن في قلعة (روملي حصار) بتركيا[2].

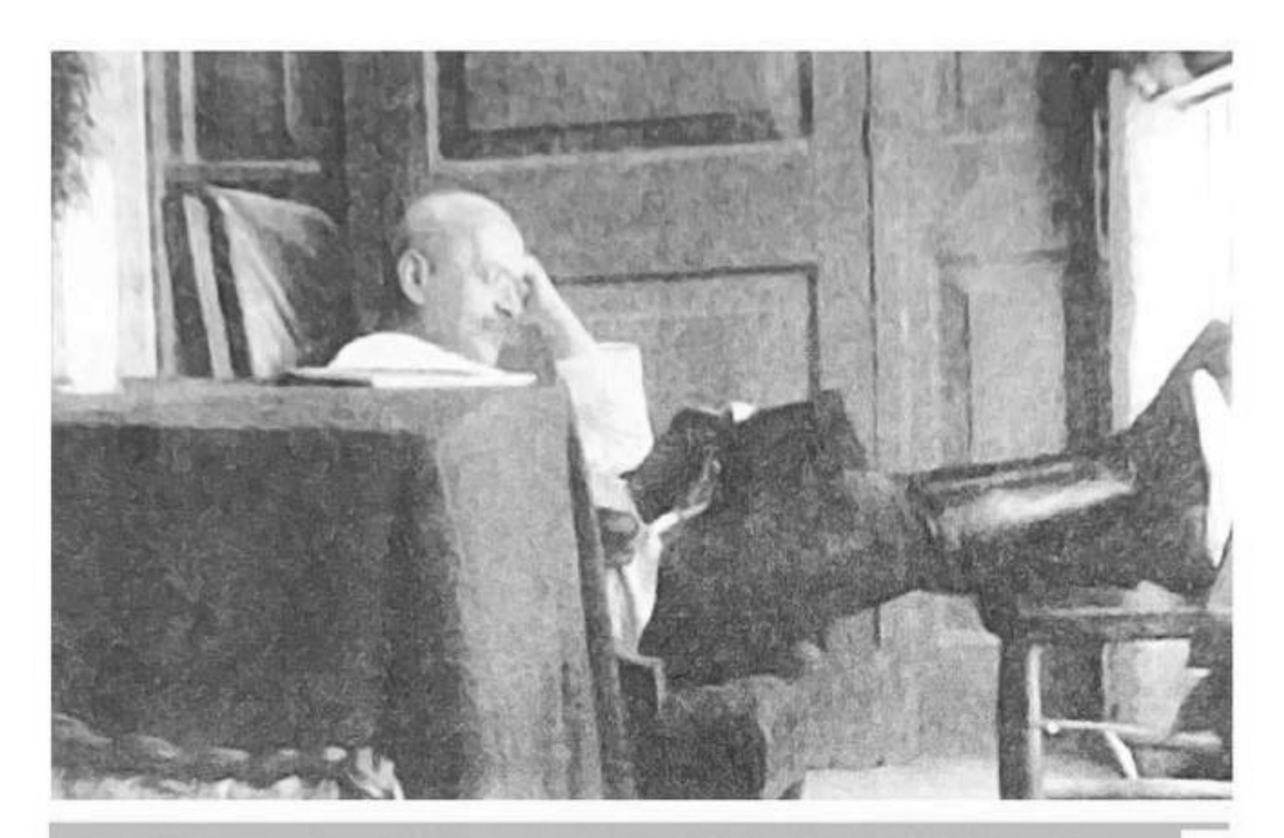
بلاغات حول تسليم المدينة :

وفي يوم ١٢ ربيع الثاني ١٣٣٧هـ أرسل (روتر) الإنجليزي برقية عن تسليم المدينة المنورة يقول فيها:

---

(1) Kandemir, p. 313-314.

(2) Kiciman, p. 26.



فخري باشا في منفاه بقلعة بولفاريستا في جزيرة مالطا وهو يمارس هواية الرسم، وكان الإنجليز يصرون على تغيير زيه الرسمي وهو يرفض ويقول (أنا لم أنزعه منذ خروجي من الحربية)

(المرجع: Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir)



عائلة فخري باشا، على يمينه زوجه صدقة هانم، ويساره بنته صبحية، وخلفه من يمين الصورة ابنه سليم ثم ابنه أورخان وفي حجره ابنه أيخان

(المرجع: Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir)



قبر فخري باشا في روملي حصار
(المرجع: من تصوير المؤلف)

"إن المدينة المنورة قد سلمت إلى جلالة الملك الحسين، بموجب شروط الهدنة مع تركيا، وإن تأخر هذه الحامية بالانقياد لشروط الهدنة كان ناشئاً عن عزلتها الطويلة التي أوجبت تبادل المراسلات الخصوصية مع حكومة الأستانة، ولكي يكون هناك مجال من الوقت لهذا الغرض [طلبت](١) الهدنة بصورة محلية. ومما ينبغي ملاحظته ما لموقع المدينة المقدسة من الصفة الدينية، لاحتوائها على الروضة النبوية، فعمل ذلك جلالة الملك الحسين، على أن يؤمن تسليمها بالمفاوضات لا بالهجوم، وقد اقتصرت أعمال الحصار على التطويق المحلي من مسافة ما، ولقد جعل الترك خطوطهم الداخلية بالقرب من الحرم النبوي الكريم، واستعملوا الحرم الشريف مستودعاً لذخائرهم، بحيث إن أقل قنبلة تسقط على المركز تعود بالأخطار الجسيمة لا قدر الله"(٢).

---

(١) الكلمة غير واضحة، ويظهر لي أنها: طلبت.

(٢) «جريدة القبلة»، عدد ٢٤٩، ص ٢.

رسالة الشريف الحسين إلى ملك بريطانيا :

وبعد استسلام فخري باشا أرسل الشريف الحسين إلى ملك بريطانيا رسالة يقول فيها[١]:

إلى صاحب الجلالة البريطانية الملك والإمبراطور، لقد استسلم فخري. إن العرب الذين يدينون بكل شيء لفضل بريطانية العظمى قد أنجزوا الآن استقلالهم الكامل، ولذلك فإنني أقدّم تهانيّ الخالصة إلى جلالتكم، داعياً الله أن يكلأ جلالتكم بالخير والبركة.

حسين

وقال الشاعر عمر بن إبراهيم بري وهو في الشام مؤرخاً خروج الأتراك:

يا معشر الإسلام ها   كم عبرة أضحت مبينة
وتمعنوا درر الحديـ   ـث لأنها درر ثمينة
أو ما تروا بالذل عيـ   ـن الترك قد أضحت سخينة
ولِمَحْوهم أرّخ: (جزاً   لشقائهم آذوا المدينة)[٢]

١٣٣٧هـ

وقال أيضاً ملبّيا طلب القائد شكري الأيوبي، أن يمدح الشريف الحسين، ويؤرخ شعرياً خروج الأتراك:

أمالك الخير والخيل التي حكمت   بعزه حين جد الأمر والطلب

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ١٢١.
(٢) «ديوان عمر بري» ص ١٠١.



فخري باشا مع ملك الأفغان أمان الله خان

المرجع: *Fahreddin Pas-anin Medine Mudafaasi, (Feridun kandemir*

جنودك الأسْـد قد كانت براثنها ... في عسكر الترك وانصاعت كما يجب

خاضوا غمار الوغى والنصر يقدمهم ... غـابٌ منابته الخطّيّة السلب

أنى لهم ما اشتهوا ممن يحاربهم ... أبناؤك الغر، بل أشبالك النجب

مـدّت إليك يمين الفتـح طيبتنا ... كما تباعد عنها الظلم والريب

حيّ الجنـود إذا صاحت مؤرّخة ... (بفتح طيبة سُرّ الدين والعرب)[١]

١٣٣٧هـ

المدينة المنورة تحت حكم الأشراف :

بدأت المدينة المنورة عهداً جديداً تحت قيادة الهاشميين، ففي الساعة ١١ قبل الظهر من يوم ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧هـ دخل الشريف عبد الله بن الحسين

(١) «من أعلام المدينة المنورة، عمر بن إبراهيم بري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، ربيع الثاني سنة ١٣٨٠.

بصورة رسمية، واستقبله وجهاء وأعيان المدينة بحماس، وأقيمت الاحتفالات، ورُفعت أعلامٌ بيضاء كُتب عليها: (تحيا الحكومة الهاشمية)، وتوجه إلى الضباط العثمانيين وتلطف معهم، وتحدث معهم بلغة تركية طلقة، ثم انطلق إلى الحرم النبوي الشريف وزار جده المصطفى ﷺ وأدى فريضة الظهر، وبعدها اتجه إلى مقر القيادة العسكرية، وتقدم إليه المهنؤون مبايعين، وهكذا أعلنت المدينة المنورة تبعاً للحكم الهاشمي[١].

ومن المواقف النبيلة للشريف عبد الله، أنه لما قام بزيارة المرفقات الحكومية في المدينة، توقف عند دائرة البلدية، وتقدم البعض لإلقاء كلمات في مدح الثورة العربية، ثم ألقى الضابط العربي محمد شكري البغدادي، الذي كان في عداد الجنود العثمانيين، قصيدة بعنوان (مظالم فخر الدين باشا)[٢]، فأثارت الحمية وأثرت فيهم، حتى تقدم البعض إلى الشريف عبد الله يطالبه بإعدام العساكر المستسلمين، فقال الشريف عبد الله: "إن حصل شيء كهذا، فإني سأنفذ عليكم الإعدام أولاً"[٣].

ومرة أخرى عمد بعض الضباط العرب والأتراك المنضمين إلى الأشراف، إلى إثارة الشريف عبد الله ضد العساكر العثمانيين بحجة أنهم شاركوا في القرض الذي جمعه فخري باشا باسم (الحميّة الوطنية)، فرد عليهم الشريف عبد الله وقال: "لقد وضعت الحرب أوزارها، وإن العرب والترك شعبان عظيمان، ولا نبغي زرع الشقاق بينهما، ولا أريد أن أسمع أي اقتراح كهذا، ومن يفعل فسيكون أول المشنوقين"[٤].

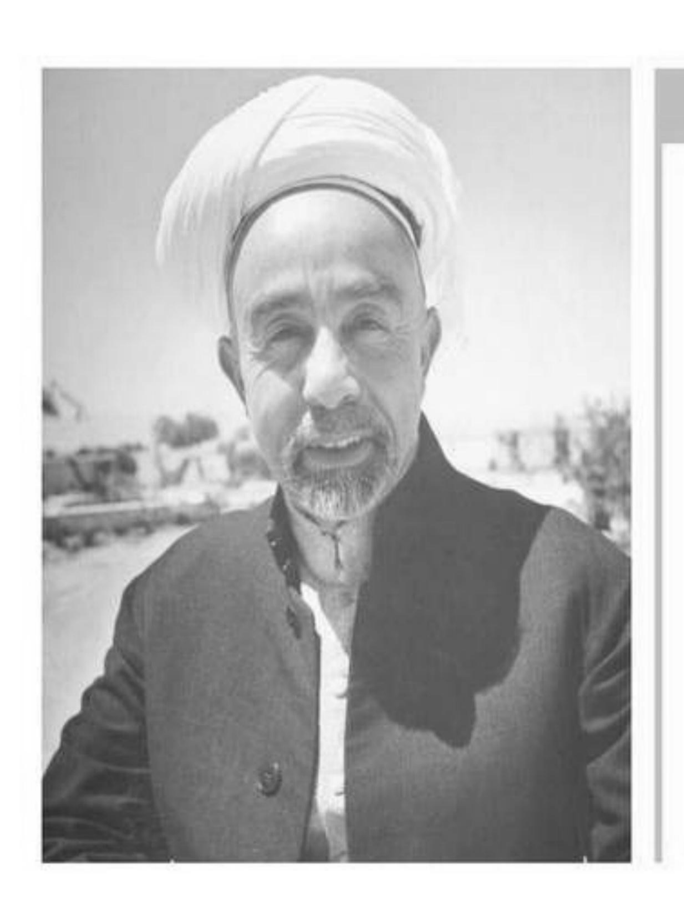
---

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤: ١٢٠، و«الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٥٦-١٥٧، و*Kiciman, p. 407-408*.

(٢) انظر نص القصيدة في آخر الكتاب، ص٥٦٣.

(3) Kiciman, p. 409.

(4) Kiciman, p. 418.



الشريف عبد الله بن الحسين

ثم إن الشريف الحسين استدعى ابنه الشريف عبد الله ليكون بجانبه، وعيّن ابنه الشريف علي أميراً على المدينة وشيخاً للحرم النبوي الشريف، وبدأ الأمير بتشكيل الإدارة فأقام الشيخ حامد حمد الله رئيساً لديوان الإمارة، والشريف شحات بن علي الحسيني (ت ١٣٤٨) نائباً للأمير وقائمقام المدينة، والشريف أحمد بن منصور الكريمي (ت ١٣٥٤) وكيلاً للأمير، ومحمد بن حسين شويل (ت ١٣٩١) رئيساً لديوان الوكيل، والضابط شكري بك الأيوبي قائداً للقوة العسكرية[1].

حاول الشريف عبد الله استبقاء الجند العثمانيين في الخدمة العسكرية، وطلب منهم الانضمام إلى الجيش العربي الهاشمي، لكن الجيش غلب عليه الحنين إلى وطنه[2]، فأُعيدوا عدا بقية من العرب وقليل من الترك، فمن أولئك الأستاذ المربي حسني العلي المقدسي، وخليل هجانة، والصيدلي عبد المجيد اليافي، والصيدلي التركي ضياء الدين بك، والطبيب محمد علي الطرابلسي الليبي، والضابط سالم

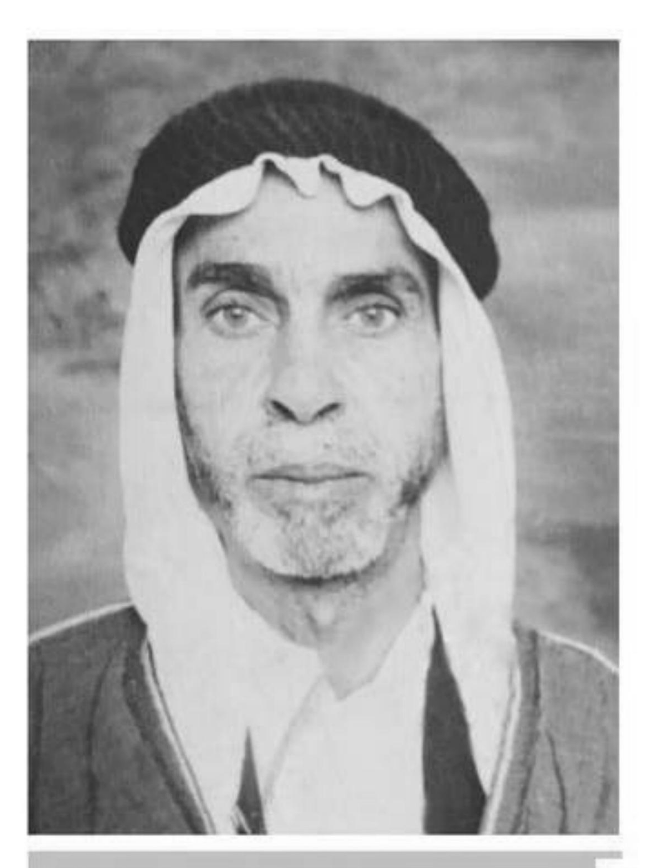
(١) «التاريخ الشامل» ٣: ١١٤، و«ذكريات العهود الثلاثة» ص ١١٢.

(٢) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٥٧.



الشريف شحات بن علي

(المرجع: شخصيات متميزة في مجتمع المدينة المنورة)



الشيخ محمد حسين شويل

(المرجع: أمدني بها الأستاذ فهد شويل)

أفندي الليبي، ومهدي بك المعروف، ومن الجندرمة فهمي الذي تحول صيدلياً، ورجل يدعى حسين[١].

وكذلك عفا الشريف علي عن الضبّاط التكارنة الذين بقوا في المدينة بعد خروج فخري باشا، وضمهم إلى جنده وحرسه الخاص، وذكر زيدان أن الشريف كان يثق بهم أكثر من جيشه الذي لم يكن سوى جماعات من المرتزقة ليس فيهم حجازي أو نجدي[٢].

كما أصدر الشريف الحسين عفواً عاماً عن كل من اشترك مع فخري باشا حتى الذين كتبوا المقالات المغلظة من أمثال الشيخ محمد بن أحمد العمري، والشيخ عبد القادر توفيق الشلبي، عدا السيد حمزة بن إبراهيم غوث.

---

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١١٠.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٨.



شاهبندر التجار كامل خجا

(المرجع: أمدتني بها حفيدته الأستاذة عائشة خجا)



السيد أحمد الشريف السنوسي

(المرجع: السنوسية دين ودولة)

وربما دل ذلك على تقدير الأشراف للعلماء واستمالتهم لصفهم، لكن يعزو الأستاذ زيدان بعض هذا العفو إلى مسألة الأحلاف والصداقة بين العلماء وبين القبائل والضباط، فالشيخ عبد القادر الشلبي كان من أصدقاء الضباط الشاميين. ويرجح زيدان أن وساطة التاجر الدمشقي وشاهبندر التجار كامل خجا (ت ١٣٦٢)[١] للشلبي لدى الأشراف كانت سبباً في العفو عنه. وأما الشيخ محمد العمري فكان حليفاً لأصدقائه من بني عمرو، وهما مقبول ومقبل السراني وكانا حماة له[٢]، بل إن الشيخ العمري ألقى قصيدة يمدح فيها الهاشميين أمام الشريف علي بن الحسين، حين دخل المدينة، قال في مطلعها[٣]:

(١) هو جد أستاذنا الشاعر محمد كامل بن مالك بن محمد كامل خجا، المتوفى في صفر سنة ١٤٣٣هـ.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١٠٧، ١٩١.

(٣) «جريدة القبلة»، عدد ٢٦١، ص ٢.

يــومٌ أغر من الزمــان محجّل   يــومٌ به وجه الهدى يتهلل
يــومٌ بــه رايــات آل محمــد   طلبت تلاعبها القبول فتقبل

ويروي الدفتردار خبر الشيخ العمري فيقول: "لما اطمأن الشريف علي بن الحسين بالمدينة بعد جلاء فخري باشا عنها، أخذ أعيان البلدة وعلماؤها يترددون على مجلسه في أوقات معلومة، وكان الشيخ العمري قد هجا الحسين بن علي عليه رحمة الله لثورته على الخلافة العثمانية، فانكمش الرجل في بيته خائفاً من العقاب والنقمة، ولكن الشريف علي أمير المدينة حينذاك لم ينسه، وسأل عنه فقال: لماذا لا يزورنا؟ نحن عفونا عنه وألقينا بهجائه وراء آذاننا، وسنكرمه لعلمه وأدبه"(١).

أما السيد حمزة بن إبراهيم غوث فلم يكن ذا حظٍ مع الأشراف، فقد أهدر دمه الشريف الحسين، لما رأس تحرير جريدة الحجاز، وبعد خروج السيد حمزة من المدينة إلى دمشق، ثم استيلاء الأشراف على الحجاز والشام، التقى بالشريف فيصل بن الحسين في دمشق، بشفاعة صديقه الشيخ علي ناصر أمير سكة الحجاز في المدينة، فقال له الشريف فيصل: "عفا الله عما سلف، وكما خدمتَ تركيا بإخلاص يمكنك أن تخدمنا بنفس الأسلوب"، وأعطاه خطاب توصية للشريف زيد بن الحسين نائبه في سوريا(٢).

وبعد سنتين قدم الشريف علي بن الحسين إلى دمشق عن طريق سكة الحديد، فخرج المدنيون لاستقباله بطلب من أخيه الشريف فيصل، وكان السيد حمزة من ضمن الحاضرين، لكن ما إن لمحه الشيخ يوسف خشيرم أمين سر الشريف، حتى اتجه إليه وطلب منه تجنب اللقاء بالشريف علي، لعلمه بغضبه عليه، فلم يُكتب

(١) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ محمد العمري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، جمادى الآخرة، سنة ١٣٧٩هـ.

(٢) «من رجال المدينة المنورة، السيد حمزة بن إبراهيم غوث» ص ٩٧.



الشريف زيد بن الحسين
(المرجع: مذكرات وريثة العروش)

له اللقاء. ولما عزم الشريف علي على الرجوع اصطحب معه كثيراً من الأهالي المدنيين الذين رغبوا في العودة، وكان السيد حمزة من ضمن أسماء المسجلين لدى الجهة المسؤولة، فلما رأى الشريف الاسم، قال: "ألا يكفي السيد حمزة غوث أن يكون في الشام حتى يطمح في العودة إلى المدينة، لا يمكن أن يساكنني في بلد أكون فيه"[١].

حاول الشيخ يوسف خشيرم التوسط له، لكن أبى الشريف وقال: "إن السيد حمزة جعل لنا تاريخاً أسود في جريدة الحجاز، وحاربنا حرباً ضارية"، فألح خشيرم على الشريف، فقال له: "أنا وهو لا يمكن أن نعيش تحت سماء بلد واحد، هو لن يعود، ولكن أسرته عند وصولها ستسجن في منزلها"، فقال خشيرم: "إن أبناءه صغار وليس لهم عائل سواه"، فقال: "إن ما قلته لك نهائي". وبالفعل فقد عادت أسرته إلى المدينة تحت الإقامة الجبرية والحراسة المشددة لا يغادرون المنزل إلا بإذن من الحاكم مباشرة[٢].

---

(١) «من رجال المدينة المنورة، السيد حمزة بن إبراهيم غوث» ص ٩٨.
(٢) «من رجال المدينة المنورة، السيد حمزة بن إبراهيم غوث» ص ١٠٨.

أما السيد حمزة فقد تسامع البريطانيون والفرنسيون بموقف الأشراف معه، فاستدعاه القنصل الإنجليزي وعرض عليه اللجوء السياسي وراتباً، فأبى ذلك السيد، فطلب منه القنصل ألا يستجيب للفرنسيين إن طلبوا منه شيئاً من هذا القبيل، وقد تحقق ما قاله هذا الإنجليزي، فاتصل القنصل الفرنسي بالسيد حمزة ودعاه وعرض عليه الانتقال إلى لبنان، وإصدار جريدة سياسية ضد الأشراف، فرفض عرضه، ووُضع السيد حمزة تحت المراقبة من قبل حكومة دمشق الهاشمية تحت إمارة الشريف زيد بن الحسين، وبقي السيد في شتات وكاد يقتل في تركيا(١)، ولم يعد إلى المدينة إلا مع دخول الملك عبد العزيز(٢).

ومهما كان السبب في العفو الشامل لمعظم من ذكرنا، فإن الأشراف حاولوا استمالة العلماء تجاههم، ولم يغمطوهم حقوقهم وعفوا عنهم.

ويصور (الميرآلاي) صادق بك يحيى الذي رافق القوات العربية عند دخولها المدينة المنورة، مشاعر أهلها المتبقين، فيقول في تقريره: "كان أهالي المدينة

---

(١) كان من شأن السيد حمزة غوث لما بقي هكذا بلا مكان، أن التحق بجبهة السيد أحمد الشريف السنوسي الذي أجبر على ترك ليبيا لابن عمه الملك إدريس السنوسي، وانتقل إلى تركيا في محرم سنة ١٣٣٧هـ، بدعوة من مصطفى كمال أتاتورك للاشتراك في الجبهات الجهادية، وفي مدينة أورفة صحب السيد حمزة غوث قائدَه الشريف السنوسي، وذات مرة طلبه مصطفى كمال بحجة منحه رتبة الباشوية، فرحل السيد حمزة إلى أنقرة لهذا الغرض، وهناك حُقق معه في المحكمة العسكرية وحكم عليه بالإعدام شنقاً، بتهمة التآمر على الحكم الجمهوري مع السلطان وحيد الدين، فطلب السيد حمزة أن يكون الإعدام رمياً بالرصاص، وأعطى أمواله إلى السيد عمران الحبوبي لإرسالها إلى المدينة، وفي اليوم الموعود قدم جماعة برئاسة حنان آغا الكردي أحد زعماء الأكراد وعضو مجلس النواب التركي، لما علموا الخبر وتوسطوا لدى أتاتورك في آخر لحظة، فأفرج عنه، فخرج السيد حمزة من تركيا والتحق بآل الرشيد في حائل. انظر: «الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية» ٢ : ٥٨ وما بعدها، و«من رجال المدينة المنورة السيد حمزة بن إبراهيم غوث» ص ١١٢-١١٩.

(٢) «من رجال المدينة المنورة: السيد حمزة بن إبراهيم غوث» ص ٩٨.

مسرورين لاستقبال الحكومة العربية، وكانوا مبتهجين جداً لشعورهم بأن أيام المجاعة قد انتهت، وأن غيوم المحنة واليأس قد انقشعت، وأن مستقبل الرخاء صار ممكناً»[١].

لكنه مع هذا فقد بيّن من خلال مقابلته لعددٍ من أهل المدينة، عدم ارتياحهم وتخوفهم من الحكومة العربية، ونظرهم إلى المستقبل بشيء من الخوف والريبة، مع خشيتهم من سوء المعاملة، وعدم تمتعهم بالحرية الشخصية والأمن على الأملاك والأموال[٢].

عودة أهالي المدينة المنورة:

لم يكد خبر انتهاء الحرب يصل إلى أسماع أهالي المدينة في كل مكان حتى غمرت الفرحة قلوبهم وابتهجوا وجهزوا العدة للعودة بعد أن فقدوا ذويهم وأهاليهم بالمرض والجوع والموت، وكان أسرعهم وصولاً أولئك الذين نزحوا إلى القرى والمدن المجاورة مثل مكة وينبع والقصيم، وقرى البادية[٣].

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى ودخلت جيوش الحلفاء من الإنجليز والفرنسيين والعرب إلى دمشق معلنين انتصارهم على العثمانيين في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٦هـ، جاء الشريف ناصر بن علي على كوكبة من الخيالة لتشكيل الحكومة، ثم قدم الشريف فيصل في اليوم الثاني، وعُيّن حاكماً لسوريا من قِبل (الجنرال اللنبي) قائد قوات الحلفاء، وعادت الحياة في دمشق، وبدأت حكومة الأشراف تنادي بترحيل أهل المدينة إلى المدينة[٤].

---

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤: ٣٤٠.

(٢) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤: ٣٤٠.

(٣) «التاريخ الشامل» ٣: ١١٥، و«تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٣، ص ١٤.

(٤) «المعارك الأولى، الطريق إلى دمشق» ص ٢٨٩-٢٩٦، و«مذكرات نوري السعيد» ص ٩٧.



الشريف ناصر بن علي آل راضي الحسيني
(المرجع: The Hejaz Railway, james Nicholson)

وكما أسلفنا فإن غالب المهاجرين من المدينة كانوا موجودين في دمشق وحلب وحماة وأضنة والأناضول وبلاد البلقان، فبدأ هؤلاء بتقييد أسمائهم في بلادهم لدى موظف عينته الحكومة لترحيلهم إلى دمشق، ومن أراد من المجاورين السفر إلى بلاده الأصلية قيّد اسمه لدى المعتمدين البريطاني والفرنسي، وأجيب إلى طلبه وقد رحل الكثيرون إلى بلادهم بالهند والمغرب وتركيا وبلاد ما وراء النهر. وانطلق أهل المدينة الراغبين بالعودة جميعاً إلى دمشق لركوب القطار منها إلى القنطرة[١] فالسويس فينبع ثم المدينة[٢].

وفي ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧هـ، وردت برقية من الشريف علي إلى مقر الحكومة الهاشمية بمكة، يطلب فيها ترحيل ونقل أهالي المدينة المنورة من مكة في أول الشهر القادم أي جمادى الأولى، وأرسل إلى قائمقام ينبع يشعره بنقل من

(١) هي مدينة مصرية تقع على قناة السويس في جزيرة سيناء.

(٢) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل سنة ١٣٨٢هـ، ص ٤٦٧-٤٦٨.

لديه من أهالي المدينة وأرباب المهن وتوجيههم إلى البلد الطاهر[١].

وأيضاً وردت الإجابة الرسمية من المعتمد البريطاني بعودة من نُفي من المدينة المنورة من منفاهم ووصولهم إلى مصر، وأرسل مندوب الحكومة الهاشمية في القاهرة برقية إلى الشريف الحسين، يعرض فيها أن مهاجري المدينة الذين كانوا في الشام وغيرها من بلاد الشمال قد نزلوا القنطرة، أثناء عودتهم، وقد أوفدت الوكالة العربية رسولاً يحمل لهم المعونات الملكية إعانة على ما لاقوه من ضر[٢].

وفي وثيقةٍ بخط عباس عبد الجواد مرسلة إلى الريّس أسعد خاشقجي ذكر فيها: أنه صدر أمر بأن من زاد عمره على (٦٠) سنة أو نقص عن (١٦) سنة فإنه يسمح له بالذهاب إلى دمشق الشام ومنها يرحل إلى المدينة المنورة[٣].

لم تخلُ هذه الرحلات من المناظر المؤسفة، فقد ذكر عزيز ضياء أثناء حديثه عن رحلتهم من دمشق إلى القنطرة، بأن أهالي المدينة وُزعوا في مخيمات في هذه البلدة لعدم وجود قطار ينقلهم![٤].

ويفصّل ذلك الشيخ عبد الحق النقشبندي، فيذكر أنهم أُنزلوا في القنطرة في مخيمات المحجر الصحي، وبقوا بها نحو أسبوعين انتظاراً للباخرة النمساوية، التي تدعى (العباسي)، يقول النقشبندي:

"وقبيل تحركنا من القنطرة أخذت أمتعتنا وحقائبنا إلى القطار، وفتشنا عنها في السويس، فقيل لنا: إنها حملت في (الوابور) الذي كان بانتظارنا هناك، فركبنا

---

(١) «جريدة القبلة»، عدد ٢٥٠، ص ٢.

(٢) «جريدة القبلة»، عدد ٢٥٠، ص ٢.

(٣) «رسالة من عباس عبد الجواد إلى أسعد خاشقجي مؤرخة في ١٠ مايو ١٣٣٤ رومي»، من ممتلكات هاني بن فاروق تمراز، نشرها الأستاذ أحمد بن أمين مرشد في «طيبة وذكريات الأحبة» ٥: ٦٧.

(٤) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١: ١٤٣.

(الوابور) وكان وابور بضاعة، فأنزلونا في العنابر كالحيوانات مختلطاً بعضنا ببعض. وفي اليوم الثالث وصلنا ينبع وبحثنا عن أمتعتنا فلم نجدها، وأخيراً بعد البحث والتنقيب وجدنا الصناديق مفتوحة بباطنها حجارة وأحذية بالية للجنود فعلمنا أننا سرقنا من الحمالين المصريين، في طريق القنطرة إلى القطار وكانت حتى نقودنا بالصناديق لأننا استبدلنا بنقودنا الريال المجيدي، الذي ابتعناه في القنطرة بسعر سبعة قروش للمجيدي الواحد، ولثقلها وضعناها بالصناديق، ولم نكن نحن المسروقين فقط، فكل جماعتنا سرقوا عدا بعض الفرش والأمتعة الزهيدة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا وصلنا ينبع وليس لدينا غير الألبسة التي على أجسادنا، وكان معنا كتاب توصية للشيخ ابن جبر[١] وكيل الشيخ يوسف خشيرم، فقد زودنا المذكور بذلك الكتاب، فأنزلنا ابن جبر في ضيافته ورتب سفرنا إلى المدينة على حساب حكومة الملك حسين بعد أن اشترى لنا بعض ما نحتاجه من الزاد واللباس، وكنا مئة شخص ما بين رجل وامرأة، فوصلنا المدينة المنورة بعد غياب طويل بخير وسلام"[٢].

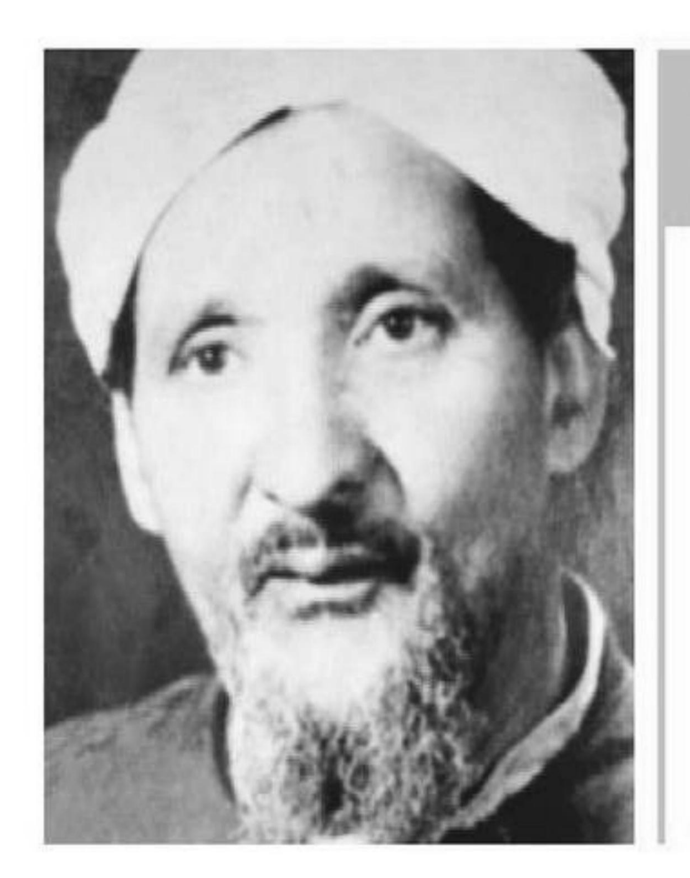
وبعضهم كان محظوظاً بالعودة بالقطار رفقة الشريف علي بن الحسين، كالسادة آل حافظ، يحدث السيد عثمان عن هذه الرحلة، فيقول:

"وعلمنا أن الأمير علي بن الحسين سيصل إلى دمشق على الخط الحديدي ومعه ثلاث قطورات في السكة الحديدية أحدهما لركوبته وحاشيته، والاثنين الأُخريين سوف يأخذ معه ما أمكن من أهل المدينة عليها، ونظراً لصداقة والدنا رحمه الله مع السيد حسن فدعق[٣]، فقد رتب لنا السفر إلى المدينة في إحدى

(١) هو محمد بن حامد بن جبر النزاوي الجهني، كان من أعيان مدينة ينبع ومن كبار تجارها، وتوفي في مصر. انظر: «تاريخ ينبع» ص ٢١٠.

(٢) «حلقة هامة من تاريخنا القريب» للنقشبندي، مجلة المنهل سنة ١٣٨٢، ص ٤٦٨.

(٣) هو جد السيد عبد الله بن محمد بن حسن فدعق وفقه الله.



الشريف إبراهيم العياشي

(المرجع: أمدني بها ابنه الشريف عبد الله العياشي)

القاطرات، التي تصحب الأمير علي، وكان السيد حسن فدعق أحد المسؤولين عن السفر على القطارات، وأقام الأمير علي بضعة أيام بدمشق، ثم عاد إلى المدينة على السكة الحديد، وكان الخط الحديدي قد ضرب في أماكن كثيرة، فوضعت تحت قضبانه بعض القنابل وتفجرت أثناء سير القطارات، وذلك بقصد قطع المواصلات بين حكومة المدينة المنورة ودمشق، لاضطرارها للتسليم وقد أعيدت القضبان الحديدية ولكن بعض الكباري[١] التي تأثرت بالانفجار بقيت، وكانت القطورات تسير عليها في حالة خطيرة وما كان يظن أنه يمكن سير القطارات عليها ولكن الله سلم، ووصلنا بسلامة الله إلى المدينة المنورة في شهر ذي القعدة ١٣٣٧هـ"[٢].

ويصور الشريف العياشي مأساة فقدان أهله في (سفر برلك) ثم أخته بدور التي فقدها في رحلة العودة في البحر فأكلتها أسماك القرش، قال في مذكراته:

(١) جمع كُوبري وتعني: الجسر، وهي كلمة تركية (*Kopru*). «معجم الدخيل» ص ١٨٥.
(٢) «صور وأفكار» ص٣٣٨.

"انتقل بنا والدنا إلى بلدة جدة يقصد المدينة المنورة، كان رحمه الله نزل بنا في برج عسكري على سِيف البحر، وكان يتركنا فيه ويذهب لشؤونه، فنخرج إلى الشاطئ ونبكي بكاءً مراً، لا أدري مصدره إلا شعورنا باليتم، ولعل حرماننا من حنان الأم وعطف الأب كان من العوامل المسيئة إلى نفوسنا.

ركبنا في ساعية كبيرة جداً، مع كثير من أهل المدينة العائدين مثلنا، وكانت بدور تضحك مرة فتقول: أنا بدي أموت، وتودع من أمكنها بما أمكنها، وحدث ما أُلهمت به، فقد تحطمت الساعية في شعب الشيخ سلمان بين جدة ورابغ، وغرقت بدور وأكلها القرش![1].

وتراكمت الكوارث على نفسي وجسمي، أتذكر أمي صفية وأختي زينب، وأختي هاشمية، كلهن ذهبن عني منذ ثلاثة أعوام تقريباً، ولم أتعوضهن ثم فقدت بدور، فقدت ثلاثة أرباع أسرتي وأنا طفل لم أصل بعد السابعة، سئمت الحياة فكنت أرى الموت نصب عيني، وصرت أفضل الموت"[2].

وهناك أسر عادت إلى المدينة على متون الجمال أو مشياً على الأقدام، وقد حدثنا الشريف الطيب بن أبي بكر بن محمد السوقي التنبكتي، مساء الجمعة ٩ ذي القعدة ١٤٣٧هـ، أن والده الجليل الشيخ أبا بكر (ت ١٣٨٦) لما وصل إلى الشام، لم يكن يملك مالاً، وعمل في الزراعة حتى أصيب بوجع في ظهره، وبعد تسليم المدينة، عاد إليها مشياً على الأقدام، ليس لديه إلا خنجرٌ مسموم، يقيه من هجوم الحيوانات في الصحراء، حتى وصل إلى المدينة، وكان يحتفظ بهذا الخنجر عنده، حتى دفنه ابنه الطيب.

---

(١) قصة أكل أسماك القِرش للشريفة بدور العياشي سمعتها مراراً من رجال ونساء الأسرة من آل العياشي وآل الصيرفي، إذ تربطني صلة قرابة بأسرة الشريف إبراهيم العياشي، حيث أن إخوته لأبيه (الشريف هاشم وطاهر ورقية) هم إخوة من الأم لجدي الشريف حمزة بن عبد السلام صيرفي، وبالتالي هم أعمام لأمي، رحم الله من مات منهم ومتعنا بعمر من بقي.

(٢) «مذكرات الشريف إبراهيم العياشي» مخطوطة.

وأما أهالي المدينة الذين هاجروا إلى عنيزة في القصيم، فقد وجدوا أنفسهم في مأزق، إذ رفضت سلطات الأشراف عودتهم، رغم مساعي أمير عنيزة عبد الله الخالد السليم مع أمير القصيم فهد بن معمر، ويدل على هذا رسالة بعثها أمير عنيزة السابق عبد العزيز بن عبد الله السليم إلى الملك عبد العزيز في ٩ ذي القعدة سنة ١٣٣٧هـ، يطلب فيها وساطته لحل هذه المشكلة، عبر مخاطبة الشريف الحسين للسماح بعودة هذه العائلات إلى المدينة المنورة، وإنهاء معاناتهم، وتدل هذه الوثيقة أيضاً على أن بعض هذه العائلات قد عاد رجالهم إلى المدينة، تاركين نساءهم خلفهم في عنيزة، ومنهم: حمزة أبو الفرج، وابن مسلّم، والخريجي، والميمان، ومحرم ابن جوعان[1]، ولذلك يطالب كاتب الرسالة بلم شمل هذه الأسر ببعضها[2].

ولعل امتناع الأشراف عن السماح بعودة أهل المدينة في عنيزة، يرجع إلى ما جرى وقت الحرب من استمرارية التجارة بين أهالي عنيزة والقصيم وشقراء وبين فخري باشا، مما دفع الشريف الحسين لقطع كل صِلاته مع أهل المدن المذكورة، كما تدل عليه الرسالة المبعوثة من الشريف الحسين إلى أمير عنيزة فهد بن معمر[3]، وليس من المستبعد أنه كان هناك تنسيق خفي بين فخري باشا وأمير عنيزة لاستقبال المهجَّرين من المدينة.

---

(١) لم تبيّن هذه الوثيقة تفاصيل الأسماء، لكن ابن المسلم هو عبد الله بن محمد المسلّم أو أحد إخوته، والخريجي هو عبد العزيز بن عبد الله أو ابن أخته محمد بن عبد الكريم الخريجي.

(٢) «رسالة من أمير عنيزة السابق عبد العزيز بن عبد الله السليم إلى الملك عبد العزيز آل سعود، مؤرخة في ٩ ذي القعدة سنة ١٣٣٧هـ»، أفادني بصورتها وشرح مفرداتها أخي الأستاذ خالد بن سليمان الخويطر، بارك الله فيه ونفع به.

(٣) «رسالة من الشريف الحسين بن علي إلى أمير عنيزة فهيد بن معمر، بتاريخ ٩ ربيع الآخر ١٣٣٦هـ»، مركز دراسات الشرق الأوسط، كلية سانت أنتوني، جامعة أكسفورد، أوراق فيلبي، تصنيف: *DS247.N47*، أرسلها لي الدكتور حمد بن عبد الله العنقري.

رسالة من أمير عنيزة السابق عبد العزيز السليم إلى الملك عبد العزيز سنة ١٣٣٧هـ

رسالة الشريف الحسين إلى أمير عنيزة فهد بن معمر سنة ١٣٣٦هـ

وأما رجال الحكومة العثمانية من أهل المدينة الذين هاجروا إلى إسطنبول، فقد كان لهم شأن آخر إذ تكفلت الحكومة بمصاريفهم وسلامتهم، كما حصل مع الشيخ عبد الرحمن بن أحمد إلياس، فقد صدر الأمر من السلطان وحيد الدين إلى وكالة نظارة الداخلية بتوفير الوسيلة المناسبة لسفره من إسطنبول إلى المدينة، وذلك لأنه عالمٌ من ذوي التقدير والاحترام لدى الحكومة. فأمرت وكالة نظارة الداخلية المدير العام لشرطة إسطنبول بتسهيل أموره ونقله، مع أفراد عائلته الثمانية، وصرف مبلغ ٢٣٣٩ ليرة من الخزينة الجليلة له، ليستعين بها على العودة إلى المدينة[١].

الجاسوس إحسان الله :

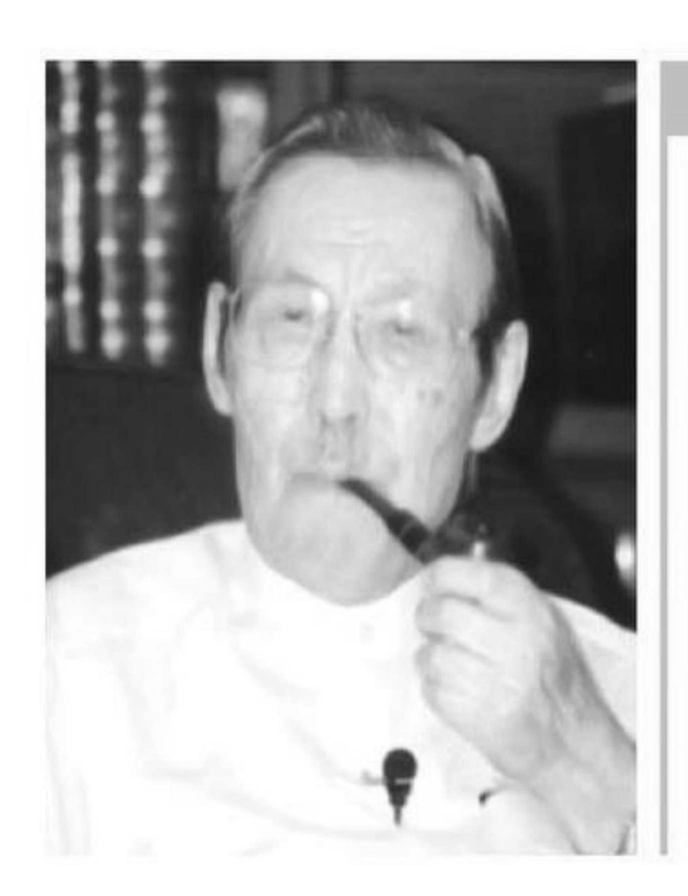
ومما يستحسن ذكره قصة المنشي إحسان الله، فقد روى زيدان أن هذا الرجل من مسلمي الهند الذين جاوروا في المدينة المنورة مدة (١٨) سنة، عمل خلالها بوّاباً لباب النساء في الحرم النبوي الشريف، وكانت تربطه صلة قرابة بالشيخ عبد الحق النقشبندي، والأستاذ عبد الحميد عنبر من جهة النساء، فهو زوج خالتهما، لكن المفاجأة أن هذا الرجل شوهد يوم دخول قائد قوات الحلفاء (الجنرال اللنبي) مدينة دمشق، إذ كان هذا البواب بجانبه، فإذا بإحسان الله ضابطٌ كبيرٌ من رجال المخابرات البريطانية، ولم يشكّ فيه أحد من أهل المدينة فضلاً عن أن يتنبه له بصري باشا ثم فخري باشا[٢]، وعمل مأمور ترحيل للحجاج بدار الاعتماد البريطاني، وقنصلاً للهند[٣].

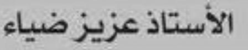
---

(١) «خطاب من الصدر الأعظم إلى وكالة نظارة الداخلية الجليلة مؤرخ في ١ ذي الحجة سنة ١٣٣٨هـ»، و«خطاب من وكيل الناظر العام جمال بك أفندي إلى المدير العام لشرطة إسطنبول مؤرخ في ١١ أغسطس ١٣٣٦ رومي»، و«خطاب من الناظر رشيد مختار باشا إلى المدير العام للشرطة مؤرخ في ٢٢ أيلول ١٣٣٦ رومي»، الأرشيف العثماني، تصنيف: *DH/I-UM.19-14/1-8*، ترجمة: د. سهيل صابان.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٣٦، ٤٤.

(٣) «تاريخنا القريب، مأساة المدينة صفحات مطوية»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل،




الأستاذ عزيز ضياء

لحظة الوصول إلى المدينة :

هذه اللحظة التي تجتاح بوقعها كل من فارق المدينة سنوات عديدة، يصورها عزيز ضياء مليئة بالعاطفة الجياشة، في شخص أمه الفاضلة فاطمة بنت أحمد صفا فيقول:

"وقد بلغت بنا القافلة، ما كان يسمى الإستاسيون[1] في أعلى العنبرية من المدينة المنورة، كنت أسمع وأشعر بصوت أمي وهي تجهش بالبكاء ثم ترجو الجمّال أن يقف وأن ينيخ الجمل وأن يملأ لها الإبريق الصغير من القربة ماء، لأنها تريد أن تصلي الفجر. كان الجمال كريماً، استجاب لطلبها فأخرج الجمل الذي نركبه عن مكانه من القافلة وتنحى به جانباً قريباً من جدار المسجد ثم أناخه وأعانها بأن حملني وأوقفني على الأرض.

سنة ١٣٨٣هـ، ص ٨٠.

(١) أصلها: (*istasyon*)، بالتركية، ومأخوذة من الإنجليزية: (*station*)، لكنه بالنطق الفرنسي، وتعني محطة القطار. «معجم الدخيل» ص ٣٠.

توضأت ثم غسلت لي وجهي. كان الماء بارداً، وقالت لي: هيا سوّي زي ما تشوفني أسوّي، فاهم؟

ثم اتجهت إلى القبلة، وقبل أن تدخل في الصلاة سجدت وقد رفعت (البيشة)[١] عن وجهها ورأيتها تلعق التراب مرة ثم ترفع رأسها ثم تعود، وتلعق التراب مرة أخرى ثم للمرة الثالثة، وتابعتها وفعلت كما رأيتها تفعل. عاودتها نوبة البكاء بعد الصلاة وركبنا الجمل ولحقنا بالقافلة"[٢].

مقدار العائدين من أهل المدينة المنورة:

ومن البدهي أن الهجرة التي فُرضت على المدينة بشكل أو بآخر كانت سبباً عظيماً في انخفاض عدد السكان في المدينة المنورة، حتي كادت أن تعرى من أسباب الحياة، إذ تشير المراجع إلى أن السنة الثانية من الحرب أي في عام ١٣٣٥هـ انخفض عدد السكان من (٨٠) ألفاً إلى (٣٠) ألفاً[٣]، ثم تم الجلاء والإجلاء كما سبق تبيانه.

ولما انتهى الحصار بدأت حركة العودة إلى المدينة بطيئة، ولم يعد إلا القليل جداً، وقد اختلفت الروايات في تقدير هذا القليل، فيقدرهم السيد عثمان حافظ بأنهم حوالي ٣٠٪ من سكان المدينة ويقدرهم بنحو (٢٥) ألف نسمة[٤]، بينما أخوه السيد علي حافظ يقدّرهم بـ نحو (١٥) ألف نسمة[٥]، ويرى النقشبندي أن مجموع العائدين لمّا يكمل (١٠) آلاف نسمة ما بين رجال ونساء وأطفال[٦]، في

(١) أصلها كلمة تركية: (*pece*)، وتعني غطاء الوجه أو نقاب المرأة.

(٢) «حياتي مع الجوع والحب والحرب» ١: ١٥٤.

(٣) «سكان المدينة المنورة» ص ٣٧.

(٤) «صور وأفكار» ص ٣٣٨.

(٥) «فصول من تاريخ المدينة» ص ٤٩.

(٦) «تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٤٦٨، و سنة ١٣٨٣هـ، ص ١٥.

حين أن شيخنا الصيرفي يرى أنهم نحو ثلاثة آلاف نسمة[١].

ولعل هذا الخلاف بينهم في التقدير يعود إلى عامل الزمن، فسكان المدينة سنة ١٣٤٢هـ أكثر من سكانها سنة ١٣٣٨هـ، ويرى النقشبندي أنهم وصلوا سنة ١٣٤٠هـ إلى (٢٠) ألفاً[٢]، وقد بيّن (فيلبي) الإنجليزي في رحلته سنة ١٣٥٠هـ أن عدد سكان المدينة بعد سفر برلك بلغ (١٥) ألف نسمة، ثم تقلص هذا العدد كثيراً فيما بعد[٣]، ولعله يشير هنا إلى الحرب بين السعوديين والهاشميين. ويقدّر رفعت باشا في هامش كتابه «مرآة الحرمين» المطبوع سنة ١٣٤٣هـ، عدد أهل المدينة في هذه الأثناء فيقول: "قد قل عددهم الآن وربما كانوا اثني عشر ألفاً، وسبب ذلك هجرة أهل المدينة إلى الشام والأناضول والهند لما أن غادر الأتراك بلاد الحجاز وأصبحت السيطرة للملك حسين فقطعت المرتبات التي كانت ترد من تركيا، وكذلك قطعت مرتبات مصر أخيراً، وتبرعات كانت تأتي من الهند وبخارى، وسبب كل هذا توتر العلاقات بين الحجاز وكثير من الممالك الإسلامية"[٤]. ويُفهم من قول رفعت باشا أن العديد من أهالي المدينة العائدين قد خرجوا مرة أخرى بسبب انقطاع الإيرادات عن المدينة وتردي الأحوال الاقتصادية، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الدفتردار كما سيأتي. ومما يؤيد كلام (فيلبي) أن الرحالة الإنجليزي (إلدون رتر) الذي زار المدينة سنة ١٣٤٤هـ بعد دخولها تحت حكم السعوديين، أورد في رحلته أنه بنهاية الحصار السعودي كان عدد أهل المدينة حوالي (٦) آلاف نسمة فقط[٥].

---

(١) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي»، مخطوط.

(٢) «تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، سنة ١٣٨٣هـ، ص ١٧.

(٣) «حاج في الجزيرة العربية» ص ٧٦.

(٤) «مرآة الحرمين» ١: ٤٣٩.

(٥) «مدينتا الجزيرة العربية المقدستان» ٢: ٦٠٢.

وعلى افتراض صحة هذا التقدير فإنه يدل على أن المدينة عادت إلى الوراء سنين عديدة جراء هذه الفتنة التي شهدتها، وبقيت تنمو بهدوء وبطء شديدين حتى بلغ العدد إلى (١٢) ألفاً أو (١٣) ألفاً سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٧م)[١]، ولم يصل إلى ما كان عليه قبل الحرب إلا في عام ١٣٨٨هـ إذ بلغ عددهم (٩٠) ألفاً[٢].

ويحضرني هنا النقاش الذي دار بين الدكتور محمد حسين هيكل وبين أحد أهالي المدينة فيقول في كتابه الماتع: «في منزل الوحي»:

"حين ألقيت سؤالي إلى أهل المدينة الذين أقبلوا إلى دار مضيفي في المساء، وإنما قصدت المدينة الحديثة. فماذا بها من نشاط أهلها؟ وماذا بها من أثر الحياة الحديثة التي يصبو شباب مكة إليها بوجدانهم؟ قال أحدهم: وماذا كنت ترجو أن يكون لنا من ذلك وسكان المدينة لا يزيدون عن ثلاثة عشر ألفاً؟

دهشت إذ سمعت هذا الجواب، فهذا العدد من السكان متداول في كثير من قرى مصر، وهو لا يبلغ السُدس من سكان مكة، فكيف يكون عدداً لسكان هذا البلد الذي يجذب إليه عشرات الألوف من المسلمين كل عام؟. أولا يجد أهل المدينة كل رزقهم إلا في موسم الزيارة، ولولا هذا الموسم لخلت من ساكنيها؟

لقد قرأت في (الرحلة الحجازية) للبتنوني: أن عدد سكان المدينة يزيد على ستين ألفاً[٣]، فكيف هوى هذا العدد إلى خُمسه؟! أفأصاب المدينة وباء أهلكها أم أن حرب الوهابيين أتت على خمسين ألفاً من سكانها رجالاً ونساءً وأطفالاً؟

---

(١) «مجلة العربي الكويتية»، عدد ١٦٧، تاريخ ١ أكتوبر ١٩٧٢م، و«في منزل الوحي» ص ٤٧١.

(٢) «سكان المدينة المنورة» ص ٣٩.

(٣) «الرحلة الحجازية» للبتنوني، ص ٣٥١.

وأجاب الذي حدثني: بل هوى سكان المدينة إلى هذا العدد الذي تراه ضئيلاً منذ عُطلّت سكة الحجاز الحديدية، أثناء الحرب الكبرى، ولو أن هذه السكة عادت سيرتها لصارت المدينة في عداد مدائن الشرق الكبرى.

لقد كان سكانها عشرين ألفاً قبل إنشاء سكة الحجاز الحديدية، فلما افتتحت هذه السكة عام ١٩٠٧م ووصلت بين المدينة والشام وقربت ما بين المدينة ومصر أسرع عدد السكان إلى الزيادة في سرعةٍ تثير العجب، إذ ارتفع من عشرين ألفاً عام ١٩٠٧م إلى ثمانين ألفاً أول الحرب، أي عام ١٩١٤م، وبذلك زاد إلى أربعة أضعافه في سبع سنوات، فلما حدثت ثورة النهضة في هذه البلاد بزعامة الحسين بن علي على تركيا خربت السكة الحديدية، وبقيت مخربة إلى الآن، ومن ثَمّ عاد سكان المدينة يهوي عددهم إلى ثلاثة عشر ألفاً، ولو أن هذه السكة بقيت لم تخرب لأربى سكان المدينة على مائة ألف"[١].

وعلى أية حالٍ فقد بدأت المدينة تعمر من جديد، لكنه عمرانٌ يقل بثلاثة الأرباع حينما كانت كالرمانة المحشوة من كثرة السكان[٢]، ويصف الأنصاري المدينة وأهلها وقت عودتهم فيقول:

"عدنا إلى المدينة بعد تسليمها للجيش الهاشمي، فإذا بها خاوية على عروشها، من أي أسباب الأعمال التجارية والاقتصادية والعلمية أيضاً، بسبب سنوات الحرب والحصار الكارِب الشديد الذي أطبق عليها من كل نواحيها، فلا غذاء يُقيت سكانها القلائل، اللهم إلا ما يتحصلون عليه بالكتمان بوسائلهم الخاصة بعد متاعب وتعرض للمخاطر، حتى ثمار نخيلها حرموا منها في سنوات الحرب وخضروات حدائقها كذلك، أيضاً كل هذه الأغذية صرفها الحاكم العسكري إلى

(١) «في منزل الوحي» ص ٤٧١- ٤٧٢.

(٢) «ذكريات غير منسية»، عبد القدوس الأنصاري، مجلة المنهل، جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨هـ، ص ٥٥١.

جنده وحدهم، وحرم منها الأهالي. هذا في أثناء الحرب العالمية الأولى، وأما بعدها فقد كان العائدون منهم قلة عانوا الشتات والتمزق"[١].

ومن أهم أسباب قلة العائدين فقدان الأسر لأفرادها بسبب ما تعرضوا له من الأمراض والفقر، فمثلاً أسرة النقشبندي لم يعد منها إلا سبعة من مجموع عشرين شخصاً[٢]، وأسرة عزيز ضياء لم يعد منهم إلا اثنين هو وأمه، وكذلك أسرة محمد حسين زيدان حيث عادت من غير زوجة أبيه الكبرى وأخته الكبرى وعمه الأصغر[٣]. ومن الأمثلة ما حدثنيه الأستاذ حسن بن مصطفى صيرفي، قال: "وقد سافر من عائلتنا الخاصة عدة أسر منهم: عمي حسين بعائلته، وعمي إبراهيم بعائلته، وعائلة عمي الطيب العقبي، وأعمامهم وأخوالهم، وهم أكثر من سبعين شخصاً، ولم يرجع من هذه المجموعة الأولى إلى المدينة إلا زوجة عمي حسين وابنتيها إحداهما زوجتي زهرة، وقد سافر والدي سنة ١٣٥١هـ إلى الجزائر لإعادتهما، وأثناء رحلته هذه توفيت أمي فاطمة بنت مدني مسعودي العقبي.

ومن عائلة الرفة عاد رجل واحدٌ منهم، وفي اليوم الثاني انتقل إلى رحمة الله، كما أن رجلاً من أهل المدينة كان من الرؤساء في الحرم النبوي الشريف، عاد إلى المدينة بعد مدة وهو يحمل إقامة غير سعودية ومات كذلك، وهذه من بعض المآسي التي مرت على المدينة"[٤].

---

(١) «ذكريات غير منسية»، عبد القدوس الأنصاري، مجلة المنهل، جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨هـ، ص ٦٤٥.

(٢) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢هـ، ص ٤٦٧.

(٣) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١١١.

(٤) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي»، مخطوط.

وهذا الريّس الذي قصده الصيرفي هو الشيخ أحمد بن إبراهيم بن محمد زين السمان، فقد مكث في الشام ونال الجنسية السورية ولم يعد إلا أخيراً ومكث في المدينة كأنه غريب عنها حتى توفي سنة ١٤٠٩هـ وأولاده وأهله في سوريا، وهو آخر من عاد إلى المدينة[١]، وأما جده الشيخ محمد زين فقد مكث في مدينة حلب حتى توفي بها ليلة الإثنين ٩ شوال ١٣٥٣هـ[٢].

وممن عاد متأخراً الحاج عمر بن إبراهيم الطيار، حيث مكث في الشام مدة خمسين سنة ثم عاد إلى المدينة يوم ٢٦ رمضان سنة ١٣٨٥هـ وتوفي بها يوم ٢٨ رمضان سنة ١٣٨٩هـ[٣].

وكذلك من المتأخرين في العودة بدرية بنت درويش جلون (ت ١٤٢٠)، فقد رحلت وعمرها لم يتجاوز السادسة، وما عادت المدينة إلا بعد خمسين عاماً، وذلك في سنة ١٣٨٦هـ[٤].

ويصور الدفتردار وضع أهالي المدينة، فيقول: "وإني أذكر أن الكثيرين من أهل المدينة بعد عودتهم من الشام، ووجدوا المدينة على هذه الحالة المؤلمة، عادوا من حيث أتوا، وانتشروا في مصر والشام وفلسطين، حتى عاد أكثرهم على عهد هذه الحكومة -أي السعودية- وبقي كثير منهم في تلك الديار إلى الآن، ونحن إلى اليوم[٥] نرى بعضهم يعودون بعد غياب أكثر من أربعين عاماً، ويجددون جنسياتهم إلى أصلها، ولم تقصر حكومتنا الموقّرة في إعادة كثير منهم على حسابها الخاص، فرعى الله العدل والأمن والرفق الذي عمّر البلاد وأحياها"[٦].

(١) وهو الأخ الأكبر لشيخنا عبد القادر بن إبراهيم السمان المتوفى في ٧ محرم ١٤٢٧هـ.

(٢) «روائح العنبرية» مخطوط.

(٣) «فضائل المدينة المنورة» ١ : ٣٩٢.

(٤) «معجم الألفاظ المتداولة عند أهل المدينة المنورة» ص ١٨٣.

(٥) كتب الدفتردار هذا الكلام سنة ١٣٧٩هـ.

(٦) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي»، محمد سعيد دفتردار،

حال أهل المدينة العائدين :

لما حلّت نكبة التهجير بأهل المدينة، ولم يكن لرحيلهم من بد، حاول الكثيرون منهم أن يدّخروا ما يمكن ادّخاره، فخبؤوا أموالهم وممتلكاتهم في أماكن خاصة ببيوتهم، وكثيرٌ منهم ترك أماناته ووثائقه لدى بعض من يثقون بهم في المدينة، ممن قرر المكوث مثل السيد أحمد بن أسعد كماخي (ت ١٣٥١هـ) فقد كان مستودع الأمانات من أوراق وأموال، ولم تسمح له نفسه طيلة هذه الحرب باستعمال أي منها[١]، وكذلك الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي الذي حفظ هذه الأمانات التي استودعها أهلوها في منزله وبقيت مصونة عنده حتى عادوا[٢].

غادر أهل المدينة تاركين أثاثهم وأمتعتهم الثقيلة في دورهم ودكاكينهم المقفلة، ولما احتاج فخري باشا إلى شيء من هذه الأمتعة والأثاث والأواني لأغراضه العسكرية، أرسل لجنة خاصة لتقدير ما حصلوا عليه من هذه المواد، وتقديم جداول بالأسعار الرسمية، وكانت الدار أو الدكاكين التي تؤخذ منها أشياؤهم تُقفل وتختم، وتحرر الجداول باسم المالك، ويُحتفظ بها بقصد دفع ثمنها بعد انتهاء الحرب[٣].

لكن البلاء الأشد الذي وقع على المدينة، حدث بعد دخول جيش الأشراف الذي نهب هذه البيوت فلم يتركوا شيئاً لأهلها، ففي التقرير الذي قدمه (الميرآلاي) صادق بك يحيى التركي، قال يصف مشاهداته: "دخل الأمير عبد الله قبل الأمير

جريدة المدينة المنورة.

(١) «من أعلام المدينة المنورة، السيد أحمد بن أسعد كماخي»، حسن نزيل خاشقجي، جريدة المدينة المنورة.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(٣) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤ : ٣٣٩.

علي لتأمين الأمن العام في البلدة ومنع النهب إلخ .. لكن بدون جدوى. يؤسفني أن أقول إنني حين دخلت المدينة في ١٩١٩/١/١٥م، وجدت كل الدور، وعددها نحو ٤٨٥٠، وكانت مغلقة ومختومة من جانب الحكومة التركية، قد كُسرت أقفالها وفتحها البدو الذين نهبوا الأثاث، وباعوه بسعر بخس في السوق لأنهم كانوا يجهلون ثمنه. والأشراف وغيرهم ممن دخلوا المدينة مع الأمير عبد الله ذهبوا من دار إلى دار وأخذوا ما أرادوه، وأقاموا في الدور كما شاؤوا، استمر ذلك ١٢ يوماً، وحتى الدور التي كان أصحابها موجودين في المدينة قد نُهبت. شاهدت صبياناً من البدو يحملون قطعاً من الأثاث الفاخر والغالي في البلدة يبيعونها.

ولم يكن البدو وحدهم الذين قاموا بأعمال النهب، بل إن ٨٠ بالمئة من الضباط البغداديين والسوريين اشتركوا بواسطة جنودهم النظاميين والبدو، ولم ينج من النهب سوى ثُمن مجموع الدور.

أخبرني طبيبنا المصري محمد الحسيني والدكتور حسن رعد من الجيش التركي أنهما شاهدا ستة أباعر أمام بعض الدور محملة بالأثاث، وعلِما من الجمّالين وغيرهم أنهم تابعون لأحد الضباط البغداديين في الجيش العربي. وُضعت مراكز شرطة في أبواب المدينة بعد ١٨ يوم من احتلالها"[١].

ويحكي الضابط كجمان في مذكراته، أنه بعد صلاة الجمعة التي سلمت بعدها المدينة قدم إليها (٤٠) من الخيالة، ومثلهم من الهجّانة يسمون أنفسهم: قوة الانضباط، أو الجنود المنتظمة الهاشمية، وهدفهم تحقيق الأمن الداخلي، وقد انبثوا في الأحياء والشوارع وبدأوا في أنشطة السلب والنهب، حتى جاء وقت اقتصرت أعمال قطع الطريق على هؤلاء، وكان كل من يمر من مناطقهم يسلب ويجرّد من كل ما معه[٢].

---

(١) «الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية» ٤: ٣٤١-٣٤٢.

(٢) «فخري باشا والدفاع عن المدينة»، ناجي كجمان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة، ع ٧، ص ١١٦.

ومع أن الشريف عبد الله بن الحسين أقرّ بعمليات النهب التي قام بها جيشه[١]، لكنه لطّف من الحادثة بشكل يخالف الواقع، فقال في مذكراته: "ولم يقع من الحوادث المخلة بالأمن أي شيء مهم، غير أن بعض اللصوص تمادوا في كسر الأبواب من بيوتٍ نقل أهلها بواسطة الإدارة العثمانية، وأخذ منها بعض أمتعتها، فألقي القبض عليهم وهم متلبسون بجريمتهم، فحوكموا عاجلاً وكان قصاصهم الموت، فانتهت كل مفسدة"[٢].

ويرد عليه قول المؤرخ الدفتردار في «أعلامه»: "على أن الأتراك حافظوا على منازل أهل المدينة بعد سفرهم حتى جاء ذلك الجيش من البدو وغيرهم، ونهبوا المنازل وحطموا الأبواب واحتلوا المساكن، فعاد أهل المدينة من الشام وغيرها فوجدوا منازلهم محتلة، وأمتعتهم منهوبة، وربما وجد أحدهم بعض أثاثه يباع في سوق الحراج فلا يستطيع إرجاعه ولا تُسمع شكواه، وربما قيل له إن هذه غنائم حرب، وربما اقتلعوا الأبواب والشبابيك وباعوها في السوق، وقد أخبرني بعض الناس أنه وجد باب منزله بسوق الحراج فاشتراه وأعاده ليركبه مرة ثانية، فسُرق ليلاً، ووجده في اليوم الثاني بالسوق وابتاعه مرة ثانية، وركّبه في موضعه وتنبّه لحراسته حتى لا يُسرق في النوبة الثالثة"[٣].

---

(١) يذكر الدفتردار والنقشبندي كلاهما أن هذا الجيش الذي نهب أهل المدينة، لم يفرح كثيراً بما نهبه، إذ هو الجيش الذي هزمه جيش الإخوان التابع للملك عبد العزيز، في موقعة تربة في ٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ، وأصبحت هذه المنهوبات غنيمة باردة لجيش الإخوان. انظر: «من أعلام المدينة المنورة، عبد القادر توفيق الشلبي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة، و«تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٣هـ، ص ١٥.

(٢) «الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين» ص ١٥٧.

(٣) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

ويؤكد على ذلك زيدان فيقول: "وحين وصل الناس إلى بيوتهم لم يجدوا شيئاً مما تركوا وكان كثيراً، فلا رياش ولا فراش ولا حنفيّات ولا أدوات مطبخ، وكل ذلك ضاع، لم يسرقه العسكر[١] وإنما السراق من غير العسكر"[٢].

كما بيّن ذلك الفارسي في «أحداثه» فقال: "فلما دخلت جيوش الأشراف المدينة وكان أهاليها غائبون[٣] عنها، وكانت دورهم مغلقة لأن فخري باشا رحّل أهل المدينة إلى الشام، ولما دخل الأشراف المدينة المنورة فتحوا[٤] تلك الدور المغلقة واستولوا على ما فيها من أمتعة"[٥].

وقال السيد عثمان حافظ راوياً معاناتهم: "وبعد أن عدنا إلى المدينة وجدنا معظم أمتعتنا وما تركناه من أثاث وفراش قد سرق، حتى أن بعض الشبابيك الخشبية قد انتزعت من أماكنها، واتخذت وقوداً لانعدام الوقود وأخشاب الوقود، ومنزلنا على الأخص قد نهب أحسن ما فيه من أثاث وفراش ولم يبق إلا الحصير وبعض الأفرشة البالية"[٦].

وأما الشيخ النقشبندي فيقول: "وأول ما نزلنا في ضيافة الخال صديق عنبر خان، ثم ذهبنا لدار الجد فوجدنا الدار مفتوحة والمتاع مسلوباً، فقد كان جدي رحمه الله وضع جميع الأثاث والفراش في غرفة وبنى عليه غير أن اللصوص من الجنود وغيرهم اهتدوا لتلك الغرفة، وأخرجوا كل ما فيها وهو ما حصل في أكثر البيوت حال غياب أهلها.

---

(١) يعني هنا العسكر التركي.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١١١-١١٢.

(٣) كذا في الأصل، والصحيح: غائبين.

(٤) أي جيش الأشراف.

(٥) «أحداث عاصرتها»، مخطوط، ق ٢٦.

(٦) «صور وأفكار» ص ٣٣٨.


السيد عثمان حافظ



وقد أخبرنا الوالد رحمه الله أنه لم ينج من السلب حتى المقيمين في دورهم فقد سلبه أعوان الشريف عبد الله لدى دخولهم للمدينة فراشه ومتاعه، وهو في بيته يستلطف الله ... لقد بقيت أنا لدى جدتي وخالاتي ومعي أخي عبد الحميد وأخوه محمد، وكنا في ضنك من العيش لا عائل لنا ولا معين، فقد انتقلنا إلى دار الجد وليس لدينا من الأثاث والفراش إلا الشيء القليل، وكنا في نكبتنا هذه بعد رجوعنا إلى الوطن أشد من نكبتنا بدمشق، وشاء الله أن يلازمنا سوء الحظ عدة سنين، ولم يكن لنا ثمة عائل أو مرتب شهري لأن المرتبات السابقة ذهبت مع ذهاب الدولة الغابرة، وهكذا حال أكثر العائدين"[١].

ونفس الحالة يرويها عزيز ضياء عن الدادة (منكشة)، التي بقيت في المدينة بعد أن عملت في خدمة ضابط من الأتراك، يقول في سيرته: "لم تجد أمي في البيت، من الأثاث أو غيره، إلا مسنداً واحداً هو الذي بقي من جهاز عرسها، مسندا ما أزال

(١) «حلقة هامة من تاريخنا القريب»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل سنة ١٣٨٢، ص ٤٦٨.

أذكر أنه من قماش يسمى (الدومسك) الحريري، ومعه (تلبيسة) مطرزة بالقصب. كانت مَنَكْشة تبكي هي أيضا وتشهق. سمعَتْ أخبار الذين ماتوا ولم يعودوا.

ومِن حكاياتها هي، عن موجودات البيت التي لم يبق منها شيء، أنهم، ولا أدري من هم؟، بعد خروج فخري باشا دخلوا جميع البيوت، ونهبوا كل ما فيها، وكانت صادقة في كل ما ظلت تحكيه عن هذا النهب، ثم عن الجوع الذي اضطر الناس معه في المدينة أن يأكلوا حتى الكلاب والقطط والجِيفَ من الخيل والحمير، أما كيف لم تمت هي بالجوع كما مات المئات والألوف، فلأنها عملت في خدمة ضابط غادر المدينة مع فخري باشا بعد التسليم"[١].

وكذلك حدث مع بيت البري، فإنه لما عاد الشيخ إبراهيم بن عبد القادر بري إلى المدينة أواخر عام ١٣٣٧هـ، وجد أكثر الأمتعة التي خلفها في المنزل قد نهبت ممن دخلها بعدهم[٢].

ويحكي الأنصاري قصة أسرته فيقول: "ودخلناها -أي المدينة- من باب قباء، ومضينا إلى منزلنا بذروان[٣]، فإذا هو خاوٍ مفتوح الأبواب على مصاريعها، خال من كل شيء وقد كنا تركناه مملوءاً بالأثاث والكتب، ورأينا رواشينه مخلوعة، وأبوابه الداخلية والخارجية كذلك، فرأينا أن نغادر إلى غيره، ثم نزلنا في بيت آل النجار في أوائل محلة الباب المجيدي، وقد راعنا وأحزننا أن نرى المدينة هكذا شاحبة خالية من السكان"[٤].

---

(١) «حياتي مع الحب والجوع والحرب» ١: ١٤٦.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عمر بن إبراهيم بري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، ربيع الثاني سنة ١٣٨٠هـ.

(٣) هو حي من أحياء المدينة المنورة في الجهة الجنوبية من المسجد النبوي الشريف، وقد أزيل ضمن التوسعة السعودية الثانية، وسمي الحي بذروان نسبة إلى بئر ذروان التي ورد في الأحاديث أن لبيد بن الأعصم اليهودي سحر فيها النبي ﷺ.

(٤) «ذكريات غير منسية»، عبد القدوس الأنصاري، مجلة المنهل، جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨هـ.

وحدثني الأستاذ حسين بن حيدر، أن جده المهندس محبوب علي بن فضل حسين قائد القطار، لما قدم المدينة المنورة وجد بيته الكائن في المغيسلة قد نهب من الجيش بصكه الشرعي، وكان قد اشتراه بخمسة وثلاثين جنيهاً ذهباً عثمانياً سنة ١٣٣٠هـ[١].

وروى الأستاذ صالح بن مرزوق بن سليم المزيني، عن أبيه مرزوق أنه لما قامت الحرب حاول الأشراف استمالة البادية، فكانوا يلقون الذهب في ثياب البدو، وقد حصل على شيء من هذا الذهب، وعاد إلى منزله في حوش خميس، فوضع الذهب في زير أو قُلّة، ونزع حجراً من المنزل ووضع فيها الزير ثم أحكم إغلاقه بالحجر، ثم رحل مع أهله إلى الشام، ولما عاد من عاد مشياً على الأقدام، وجد البيت خالٍ من الأثاث والأمتعة، حتى الأبواب والشبابيك قد نزعت من أماكنها، غير أنه وجد الذهب لم يستدلوا عليه، واستفاد منه في تفصيل الأبواب والشبابيك عند أحد النجارين[٢].

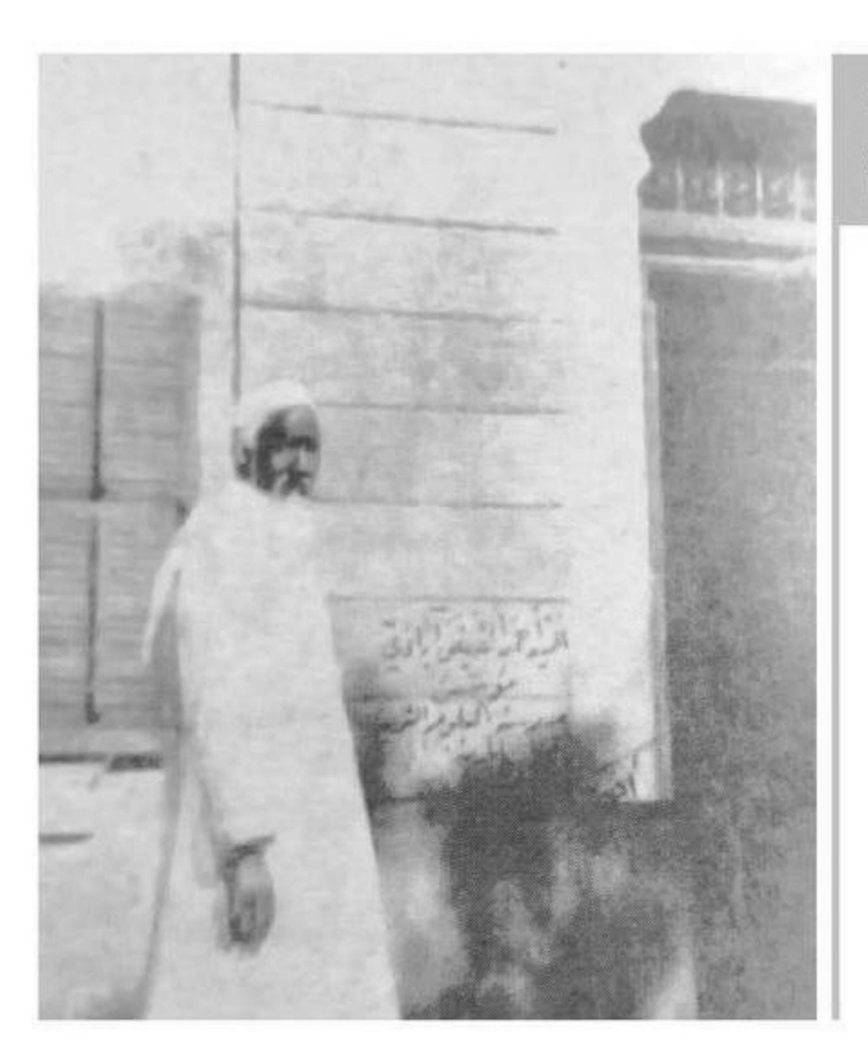
وقد ظلت كثير من هذه البيوت خالية خاوية على عروشها بلا أبواب ولا شبابيك حتى بداية العهد السعودي، وفي ذلك يقول الإنجليزي (إلدون رتر) واصفاً المدينة سنة ١٣٤٤هـ: "حينما كنت سائراً في الأزقة الصامتة خارج الأسوار، لم أسمع صوت إنسان. كانت بعض المباني المجاورة لأسوار المدينة مغلقة وتبدو كأنها غير مخرّبة. والأخرى التي كانت أبعد منها في الخارج كانت منهارة، وفي طريقها إلى زوال كامل، لأن بعض البدو السرّاق قد نزعوا كل الأعمدة وإطارات النوافذ الخشبية لإيقاد نيران مخيماتهم"[٣].

---

(١) «صك شرعي من المحكمة الشرعية مؤرخ سنة ١٣٦٩هـ»، عند الأستاذ حسين بن حيدر محبوب علي.

(٢) من تسجيل خاص مع الأستاذ صالح بن مرزوق المزيني حفظه الله، أمدني به ابنه محمود بارك الله فيه.

(٣) «مدينتا الجزيرة العربية المقدستان» ٢: ٦٠٢.



السيد أحمد الفيض آبادي

(المرجع: مدرسة العلوم الشرعية)

وقال السيد حسين أحمد المدني يصف ما حدث لأخيه السيد أحمد الفيض آبادي، والسيد محمود أحمد بعد عودتهم: "والوالد جعل البيوت وقفاً على أولاده لئلا يبيعها أحدهم، وكانت المدينة خارج باب المجيدي معمورة وسيعة، وعدد سكانها (٣٠) ألف نسمة، وبعد بغي الشريف الحسين صاروا عدة مئات فقط، وصار خارج سور المدينة مكان خطر وخوف، بحيث أن اللصوص متى شاؤوا نفذوا هجومهم، وصار الأمن كالكافور[1]، وأصبحت المحلات فيها مهجورة، وآلت إلى الخراب. ولكن الأخ سيد أحمد ومحمود بعدما عادا من سجن (إيدريانوبل) سكنا في العمارة المسلحة، وهوجما فيها، وقد جُرح الأخ سيد أحمد، فتركاها واستأجرا بيتاً بالقرب من باب النساء، واستأجرا جماعة من الأفارقة الأقوياء لحراسة العمارة"[2].

(١) وصف الأمن بالكافور لأن الكافور يذوب وحده فكأن الأمن ذاب مع الثورة.

(٢) «المختصر من نقش حيات» ص ٣٦.

وكثير من أهالي المدينة قد اضطرته الحاجة إلى بيع بيته سواء في المدينة أو في الشام، كما حصل مع آل الحسيني حيث باع السيد محيي الدين بن عبد الرحيم الحسيني بيته على عبد الحكيم الشامي بـ (٧٠٠) جنيه، وسلم له (٣٠٠) جنيه في الشام على أن يكمل له الباقي في المدينة[(١)].

وبعض أهل المدينة قام بدفن الصكوك الخاصة به فلما عادوا لم يجدوا ما دفنوه، وبعضهم وجد جماعات قد سطوا على الأراضي والبساتين وغيروا ملامحها.

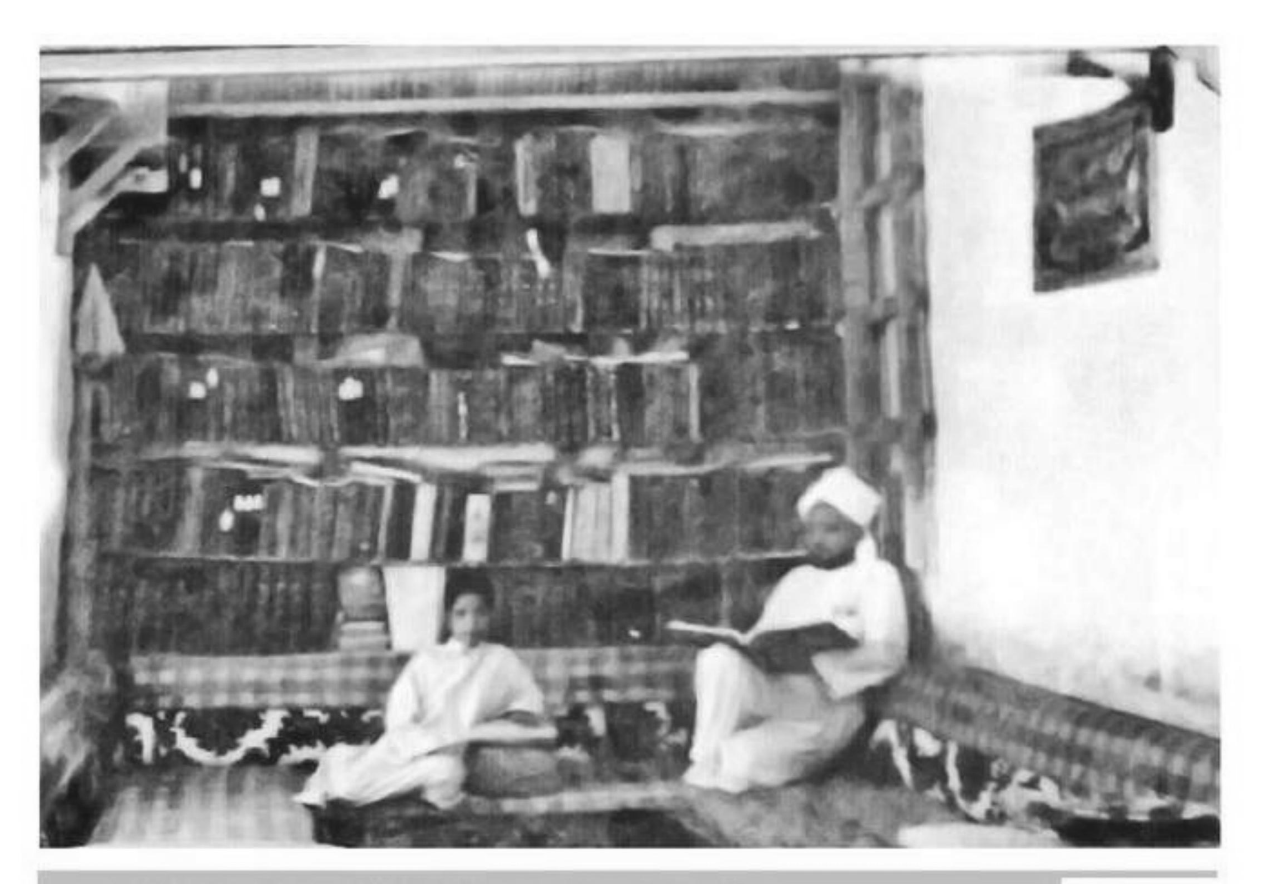
ومما يذكر من نُبل أهل المدينة ما رواه لي الشاعر محمد كامل بن مالك خجا، بداره في ٣ صفر سنة ١٤٣٠هـ، أن جده شاهبندر التجار محمد مالك خجا كان يقرض الناس وقت سفر برلك، ولما حضرته الوفاة سنة ١٣٦٢هـ، قال: "أشهدكم أني تنازلت عن الصكوك والقروض والرهان والديون لوجه الله تعالى".

ويروي زيدان نموذجاً لحالة الفقر التي أصابت أهل المدينة، فيقول: "خلت المدينة من أثاثها ورياشها، وكان والد زوجتي أم أبنائي[(٢)] سافر هو وزوجته وطفله إلى الشام، فلم يكن يطيب لهم عيش، فرحل إلى حلب ثم إلى الأناضول، وفي مدينة (الديتول)[(٣)] استأجر طاحونة يطحن القمح، وكما يقولون: (يا يدّي فُكّي حلقي)، ورجعوا إلى المدينة بالجوع والعري، وسكنوا بيتاً في باب المجيدي لم يجدوا إلا الخصف، وليس مع محمد أبو داعوس صهري قرشاً يأتي بشيء لزوجه التي كانت حاملاً، خرج إلى السوق يريد أن يكون صبياً عند فرّان، فهو من المعلمين، لم يجد شيئاً، ولكن كانت جدة أبنائي المريضة الآن في بيتي وقد نيّفت على التسعين، قد أصابها طلق النفاس ولا شيء في البيت، لا فحم ولا بصل

(١) «طيبة وذكريات الأحبة» ١ : ١٧١.

(٢) هو محمد بن إبراهيم أبو داعوس رحمه الله، وتزوج محمد حسين زيدان من ابنته فاطمة.

(٣) لم أتبيّن المدينة المعنيّة هنا، لكن من خلال السياق يبدو أنها تقع في أناضول تركيا.



الشيخ محمد بن عبد القادر الملا، ومعه ابنه شيخنا أحمد

(المرجع: زودني بها الشيخ أحمد ملا)

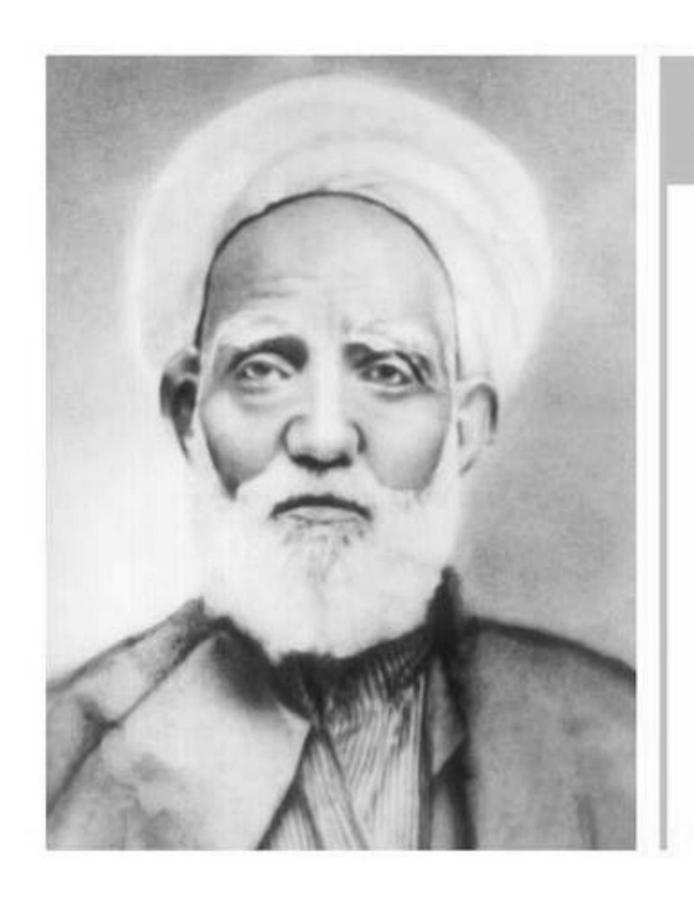
بل ولا ماء، فرأت وهي في عذاب الطلق في أعلى الجدار أمامها شيئاً يتراقص، حسِبتْه دابة، فنهضت تتثاقل وأمسكت به، فإذا هو حبلٌ جرّتْه، وإذا هي تمسك بصُرّة فيها ذهبٌ، عدّته فوجدته خمسة وثلاثين جنيهاً ذهباً، نادت زوجها، أعطته المال، فتح فرناً، كان في هذه الصرة الغوث»[١].

وأخبرني شيخنا الأستاذ أحمد بن محمد بن عبد القادر بن إبراهيم ملّا في ٥ ربيع الأول ١٤٣٠هـ، عن والده إمام مسجد قباء الشيخ محمد، أن جده الشيخ إبراهيم بن علي ملا (ت ١٣٦٣) كان رجلاً سرياً ثرياً من وجهاء وأفنديّة المدينة، وله أملاك وبقاع، ولما قامت الحرب رحل في سفر برلك إلى الشام، وعاد وقد اضمحلت ثروته، وعدم ماله، وكان يعول (١٧) نفساً، فاشتغل ولده عبد القادر في تكسير الحجارة من الحرة وبيعها حتى يتمكن من الإنفاق على الأسرة.

كما طالت حوادث النهب المكتبات أيضاً، وقد أشار (رتر) الإنجليزي إلى

---

(١) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١١٤.



الشيخ محمد طاهر سنبل
(المرجع :فصول من تاريخ المدينة المنورة)

بعض ما كان يشاع حول اختفاء بعض المكتبات، فقيل إن معظم الكتب سُرقت عندما هاجر سكّان المدينة [١].

وممن عانى من ذلك الشيخ محمد طاهر بن عمر سنبل فإنه لما نفي إلى (لولَه بُورْغاز) مكث فيها حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى ولما عاد إلى المدينة وجد مكتبته قد نهبت وضاع ما فيها [٢].

وأما الشيخ يحيى بن محمد سعيد دفتردار، فقد أُحرقتْ مكتبته مع وثيقة نسب الأسرة الخاصة بهم في داره بالعنبرية، ولم يكن أسفه على ضياع المكتبة يوم رجوعه بأشد من أسفه على فقد هذه الوثيقة وديوانه المخطوط [٣].

وكانت حوادث السرقة والنهب سبباً في نكبة جديدة عاشها أهل المدينة، هي على بعضهم أشد من نكبتهم في بلاد الشام.

(١) «مدينتا الجزيرة العربية المقدستان» ٢: ٦٢٣.
(٢) «من أعلام المدينة المنورة، محمد طاهر سنبل»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
(٣) «ذكريات طيبة» ص ١٩٧.

مظاهر الحياة تعود إلى المدينة :

كان آخر الأتراك التابعين للدولة العثمانية خروجاً من المدينة هم المنتسبين إلى مستشفى الهلال الأحمر، فقد أبقى عليهم الأشراف حتى يشفى المرضى ثم يخرجون منها، وكانوا (٣) أطباء، و(٢٠٠) جريح، وصيدلياً واحداً، لذا مكثوا فترة في المدينة المنورة في مبنى دار السرور، ومن ضمنهم التركي فريدون قاندمير الذي عايش بدء دخول الحياة إلى المدينة ووصف ذلك فقال:

"بعد رفع الحصار عن المدينة المنورة، قدم إليها أناس كثير من جميع الجهات، ومنهم من أرسلهم فخري باشا إلى الشام خوفاً عليهم من الهلاك في المجاعة، وكثير منهم لم يمكثوا في سوريا، بل اتجهوا إلى أقاربهم في أزمير وإسطنبول وغيرها من المدن، وآخرون جاؤوا إلى المدينة محمّلين بالأمتعة المختلفة من الشام ومكة، وفتحوا سوق المدينة وشوارعها الخالية بالأمس حتى أصبح كالمهرجان، فالسوق الجامد بالأمس قد عادت إليه الحياة. أصبحت هناك أمور ما رأيناها من قرون!، كشرائح الأناناس والشوكولاتات السويسرية، والبسكويتات، والعطور، وأنواع الصابون، والشال، والدربيل الإنجليزي، والنظارات، وأمور الزينة مما لا نعرفها، وقد ملأت السوق.

وأنا لم أر المدينة هكذا مزدحمة حتى في أيام الحج، لأن معظم الذين جاؤوا أرادوا أن يزوروا المسجد النبوي الشريف الذي لم يروه منذ أعوام، وبعضهم أراد الربح والكسب في هذه المدينة الخالية من الناس، وشراء البيوت والنخل والسعي وراء الأرزاق. وقد ازداد عدد سكان المدينة في ظرف أسبوع أو عشرة أيام عشرة أمثالها، ولم يبق بيت ولا سكن خالٍ.

وبعض من جاء من الصحراء كانوا يريدون آثار فخري باشا في المدينة، ففي أحد الأيام ذهبت إلى محطة القطار صباحاً ورأيت مجموعة عند معسكر فخري باشا، ويظهر من ملابسهم أن بعضهم من مشايخ البدو، وكانوا يريدون

الوقوف على المكان الذي عاش فيه فخري باشا، ودخل بعضهم كي يرى أين كان ينام فخري وأين كان يجلس، فأصبح مقره مزاراً ومتحفاً للناس"[١]. انتهى بتصرف.

ولا يخفى ما في بعض هذه العبارات من مبالغة وانحياز، لكنها في النهاية تعطي صورة عن عودة الحياة إلى أهل المدينة المنورة.

ونظراً لشح الأرزاق في بداية هذا العهد الهاشمي، فقد أمر الشريف علي، بإخراج التمر الذي خزنه فخري في المستودعات والمخازن، فتعاقب الرجال على نقل أكياس التمر ووضعوها في طرف ساحة المناخة أمام سوق التمّارة بين مسجد الغمامة والبلدية وسوق الحبّابة، وتكاومت الأكياس حتى صارت كالجبل، وبجانبه وضع كوم آخر للخبز المجفف، بغرض بيعه للناس بسعر زهيد[٢].

وقدمت القوافل التجارية من القصيم محملة بالحنطة والسمن والجبن والتمر والبرسيم، ونزلت الأسعار وساهمت في إغاثة المدينة المنورة[٣].

لكن الوضع الاقتصادي عموماً بعد سفر برلك كان متدهوراً جداً، وفي ذلك يقول الدفتردار: "أما المدينة فقد كانت أزمتها مضاعفة: أزمة في الأمن، وأزمة في قلة الحجاج، وعدم وجود العمل للعمّال. كان المعلم البناء الجيد يعمل نصف نهاره بنصف ريال، وقد اتصلت أزمتها من عام ١٣٣٧هـ إلى عام ١٣٦٣هـ، أكل الناس فيها عقاراتهم ومصاغهم وأثاث بيوتهم. وفي هذه الأزمة باع جدي ثلاثة بساتين: الصديقة - بضم الصاد - الصغيرة، والحسنية في قباء، ومصر في الحرة الغربية، وسرعان ما ذابت تلك الدراهم في حرارة الأزمة، وباع أيضاً ثلاثة منازل،

---

(1) Kandemir, p.226-228.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٨، و«التاريخ الشامل» ٣: ١١٦-١١٧.

(٣) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ٩٨.

وأنفق كل ذلك على أسرته المكونة من ١٠ أشخاص حتى توفي في أول عهد هذه الحكومة وهو لا يملك إلا الستر، عليه رحمة الله"[١].

وكان أهل المدينة العائدون إليها يهنئ السابق منهم اللاحق، وخاصة الوجهاء منهم، كما حصل مع السيد زين العابدين بن حمزة مدني الذي وصل المدينة بأهله وأسرته في ٢٥ شعبان ١٣٣٩هـ، فتوجه إليه كبار أهل المدينة مثل الشيخ محمد الطيب التنبكتي، والشيخ محمد العمري، والشيخ حسين جباد، وغيرهم يهنؤونه بالوصول إلى منزله[٢].

وأما الناحية العلمية في المدينة فكانت مؤسفة، ولا يستغرب خلو الحرم النبوي الشريف من العلماء والدروس إلا أقل القليل، فخف ثقلهم بشكل ملحوظ[٣]، وقد أوضح ذلك الشيخ محمد بهجة البيطار في رحلته إلى المدينة في رجب سنة ١٣٣٨هـ، فقال في «الرحلة النجدية الحجازية»:

"البلد الطيب كسائر البلاد أصابته الحرب بنقص من الأموال والأنفس والثمرات، فأخرته في كل شيء تأخيراً محسوساً، أما دروس الحرم النبوي العامة فدرسٌ في تفسير القاضي البيضاوي، وآخران في الفقه والتصوف، وأما دروسه الخاصة فمبادئ الفقه والنحو لأفذاذ من الطلاب، وقد شغل الناس أمر المعاش بغلاء الحاجيات، وقلة الموارد...

قلنا إن المدينة فقدت كثيراً من أبنائها أيام الحرب على اختلاف طبقاتهم، فمنهم من هاجر منها ولم يعد بعدُ إليها، ومنهم من قضى نحبه في المهجر، وحفظ

---

(١) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عبد الحق رفاقت العثماني»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٧، ص ٤٠٥.

(٢) «ذكريات غير منسية»، عبد القدوس الأنصاري، مجلة المنهل، جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨هـ، ص ٦٤٥-٦٤٦.

(٣) «أدبنا الحديث، كيف نشأ وكيف تطور؟» ص ٨٢.



الحرم النبوي الشريف
(المرجع: مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي)

الله قسماً منها كقاضيها الفاضل الشيخ عمر الكردي الكوراني أحد أحفاد الشيخ إبراهيم الكوراني الشهير، ومفتيها الفاضل الشيخ أحمد كماخي[1]، وغيرهم. ولا تكاد تجد خمسة عشر في المئة من سكان المدينة الأصليين، والباقي من أعراب وأغراب من المهاجرين»[2].

ومن أهم الحلقات العلمية التي افتتحت حلقة العلامة الشيخ محمد الطيب التنبكتي، وذلك في أواخر سنة ١٣٣٩هـ، وانضم إليه طلبة العلم من أهل المدينة المنورة[3]، وهذا الشيخ قد رزقه الله سعدٌ في التلامذة، ولا يعرف طالب قرأ

(١) في الرحلة المطبوعة ورد اسمه: أحمد كمخ، وهو خطأ بيّن والصحيح ما أثبتّه، وكماخي نسبة إلى قلعة كمخ في تركيا، وأهل المدينة ينطقونها أحياناً: كمخْيلي، على الطريقة التركية، لأن أداة النسبة أو الصاحبية عند العثمانيين هي: (لي) أو (لو)، بحسب المقطع الأخير من الكلمة.

(٢) «رحلتان إلى الحجاز ونجد» ص ٥٤، ٥٦.

(٣) «ذكريات غير منسية»، عبد القدوس الأنصاري، مجلة المنهل، جمادى الآخرة سنة

عنده ولم يُفتح عليه، وإليه تعزى الحركة الأدبية التجديدية في المدينة المنورة، وعلى يديه تخرج: عمر بري، عبد القدوس الأنصاري، وإسماعيل حفظي، وعلي وعثمان حافظ، وضياء الدين رجب، وحسن صيرفي، ومحمد علي الحركان، وسيف بن سعيد اليماني، وإبراهيم العياشي، وأسعد طرابزوني، ومحمد النعمان، وأبو بكر التنبكتي، وغيرهم لا يحصون ممن نهضت بهم المدينة المنورة.

وأما موظفو الحرم النبوي الشريف فقد حصل فيهم نقص في بداية العهد الهاشمي، ومن الروايات التي توضح طريقة حلّ مثل هذه الأمور، ما أخبرني به أستاذنا الدكتور عاصم بن حمدان، عن الريّس الشيخ عبد الستار بن أمين عاشور بخاري، أن المدينة بعد سفر برلك قلّ فيها المؤذنون، فسأل الشريف علي عن أحسن الناس أصواتاً في المدينة، فرشح له اثنان هما: الشيخ حسين بن عبد الغني بخاري[1]، والشيخ عبد الستار بخاري[2]، وعيّنهما مؤذنين في الحرم، وكان التعيين في الزمن العثماني لا يكون إلا بالوراثة للأسر العريقة أو بفرمان سلطاني، فلما صدر أمر تعيينهما قبِل ذلك المؤذنون على مضض، لأنهما أثبتا أهليّتهما.

حادثة القلعة أو حريق القشلة:

لم يهنأ أهل المدينة في بلدهم إلا قليلاً حتى جاءت فاجعة القلعة، فمن المعلوم أن فخري باشا ما خرج من المدينة إلا وقد ترك ترسانة عظيمة من السلاح

١٣٩٨هـ، ص ٦٤٦.

(١) توفي رحمه الله سنة ١٤٠٧هـ، وهو والد المؤذنَيْن المعاصريْن، الشيخ عبد العزيز بخاري الذي انتقل إلى رحمة الله في شهر محرم سنة ١٤٢٨هـ، والشيخ عصام بخاري متّع الله بحياته.

(٢) توفي رحمه الله سنة ١٤٠٢هـ، وهو والد الريّس حسن بخاري الذي انتقل إلى رحمة الله سنة ١٤٣٣هـ.



صورة عامة للمدينة ويظهر السور الجواني وقلعة باب الشامي

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

والذخيرة والقنابل، كان قد كدّس معظمها في آخر الحرم النبوي الشريف، مع وجود مجموعة منها في عدة مواقع عسكرية، ومنها القلعة العسكرية المعروفة بقلعة الباب الشامي، الواقعة في شمال المناخة، بين مباني السلطانية والعين الزرقاء من الشرق، وجبل سليع[1] وباب الكومة من الغرب، وقد بنيت في عهد السلطان سليمان القانوني، وكانت تشتمل على مسجد صغير عند بابها، ومساكن

(١) هو جبل صغير تاريخي، يقع بجنوبي سلع وكانت عليه بيوت بني أسلم من المهاجرين، واشتهر في القرون المتأخرة بوجود قلعة الباب الشامي التي بناها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٣٧ وانتهى منه سنة ٩٤٨هـ، وذلك على آثار حصن أمير المدينة الشريف جماز ابن شيحة الجمازي الذي بناه في القرن السابع الهجري. انظر: «آثار المدينة المنورة» ص ٢٠٢، و«فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٥٠. ويقع الجبل اليوم شمال غرب مبنى مكتبة الملك عبد العزيز العامة، وما زال يتضاءل تدريجياً حتى أزيل تماماً في النصف الثاني من هذه السنة ١٤٣٨هـ، ولا يزال السور الذي يحيط به أثناء عملية الإزالة موجوداً إلى اليوم ومكانه حفرة كبيرة، وذلك تمهيداً لمشاريع أخرى في هذه المنطقة.

للضباط، وسجن يعرف بالحبس الكبير، وقاعة لمحافظ المدينة المنورة يجلس فيها للحكم، ومستودعات كثيرة للذخيرة والأسلحة[١].

ولما دخل الأشراف إلى المدينة، نقلوا جميع ما في الحرم النبوي الشريف من ذخائر إلى هذه القلعة حتى امتلأت، وضاقت بها فوضعت البقية في الساحة الخارجية عند جدران القلعة، وغطيت ببعض القش والقماش[٢].

وفي ظهيرة يوم ٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٨هـ[٣]، راع أهل المدينة صوت انفجارٍ مدوٍ هزّ أرجاء المدينة، واشتعال نيران في القلعة لها لهيب يتأجج دخاناً، وتوالت انفجارات القلعة بصورة عشوائية لا تتوقف قليلاً حتى تتبعها بانفجار آخر، وبدأت القذائف تنطلق من القلعة لتسقط على ما جاورها من المنازل والدكاكين وتشعل فيها النار، واستمرت الانفجارات من الظهر حتى هزيع من الليل[٤].

وسكنت القلعة قليلاً حتى كان ظهر يوم ١ ذي الحجة ودوى الانفجار أرجاء المدينة مرة أخرى، واستمرت القنابل تنطلق بصورة عشوائية، واستمرت حتى الليل ثم هدأت لكنها عاودت الحالة مرة أخرى في يوم ٣ ذي الحجة[٥]، لكن

---

(١) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٥٠-٥٢.

(٢) «التاريخ الشامل» ٣: ١٢٠.

(٣) هناك خلاف في تحديد سنة الحادثة، فالسيد علي حافظ يؤرخها بدقة، محدداً الساعة واليوم في سنة ١٣٣٨هـ، بينما ينص الفارسي في مذكراته أنها كانت في ٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٩هـ، وكذلك النقشبندي يذكر أنها سنة ١٣٣٩هـ، وقد اعتمدت ما قاله السيد علي حافظ. انظر: «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٥٢، و«أحداث عاصرتها» ق ٢٦، و«تاريخنا القريب، مأساة المدينة صفحات مطوية»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٣هـ، ص ٧٩.

(٤) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٥٢.

(٥) الذي تناقله أهل المدينة أن الانفجارات قد استمرت ثلاثة أيام متتالية، لكن السيد علي حافظ يذكر أنها كانت في الأيام: ٣٠ ذي القعدة، و١ ذي الحجة، و٣ ذي الحجة، وكذلك

بصورة أخف من الأيام السابقة.

فزع أهل المدينة فزعاً شديداً من هذه الانفجارات، واكتظت الرواشين بالنساء والأطفال والشيوخ ينظرون ما حدث، وقد سقطت بعض تلك الرواشين وفتحت الأبواب في الدور الواقعة في منطقة الحماطة وأول الساحة جراء الانفجار[١].

وخرج جميع من كان يسكن حول القلعة خوفاً أن تصيب القنابل منازلهم وقد فعلت، فقد تهدمت البيوت وسقطت دورٌ أخرى في حوش العبيد، وحوش سرقان، وحوش كرباش، وباب الكومة، ومناخة ديرو، وواجهة زقاق جعفر، ودمرت القذائف بيت ذياب ناصر، وبيت الحكيم، وبيت المفتي الداغستاني، وبيت السقاف، وبيت الرفاعي، وغيرهم[٢].

وقد ذهب كثير من الناس ضحية هذه الهدميات حيث أصابهم شواظ الحريق، وحدثني الصيرفي عن بيت خرجت منه (١٣) جنازة، وبيت الشيخ نور الذي مات فيه (٩) أشخاص[٣]. ومنهم: علي بن عبد الوهاب عبد الغني، فقد ذهب رفقة أمه إلى بيت أخواله من آل نور ومات هناك[٤]. وممن توفي نتيجة كرب هذا الحريق زكية بنت حمزة توفيق زوج السيد ماجد بن أنور عشقي، وكانت نفساء في ذلك الوقت، مع أن دارهم لم تصلها القذائف[٥]. وأخرج شيخ السادة آل باعلوي،

العياشي ينص على أن هناك فارقاً بينهم. انظر: «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٥٢-٥٣، و«المدينة المنورة بين الماضي والحاضر» ص ٥١٢.

(١) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط، و«طيبة وذكريات الأحبة» ١: ١٦٦، نقلاً عن الشيخ جعفر بن إبراهيم فقيه رحمه الله.

(٢) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٥٣، و«المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٣) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٤) «سوق القماشة» ص ٤٢٠.

(٥) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١٩٣، ورواية السيد أنور بن ماجد عشقي.

السيد علوي بن عبد الرحيم السقاف (ت ١٣٤١هـ)[١] من تحت الأنقاض وبه رمق من حياة، فقد حالت أخشاب السقف بينه وبين الهدم[٢].

وهرع كثير من الناس إلى الحرم النبوي الشريف للاحتماء فيه، وآخرون ذهبوا إلى البقيع حتى إذا جاء أحدهم الموت دفن فيه، وبعضهم اتجه إلى القرى في العوالي وقباء، ويُذكر أن الحاج محمد المغربي هرب من داره إلى الحرم النبوي الشريف، ولما ذهب مقابل المواجهة الشريفة إذا بقصف يدوي أرجاء المدينة، فيهتز الحرم وتهتز نافذة من النوافذ جهة المواجهة، لتسقط عليه ويموت في الحال[٣].

ويروي السيد أنور عشقي أن دارهم كانت تحوي في فنائها قبر رجل صالح يعرف بالشيخ عبد الله الأنصاري، وقد التجأ إليه بعض النساء العاميات يستغثن به، فخرج عليهم السيد ماجد عشقي ينصحهم بالاستغاثة بالله، فما انتهى حديثه حتى سقطت قنبلة على قبر الأنصاري، فاتجه النساء إلى الاستغاثة بالله[٤].

وحدثنا الصيرفي، قال: "ثم حصل انفجار آخر، فلم يترك بيتاً إلا تأثر به، حيث فتحت الأبواب وخلعت المسامير الخشبية، وكان والدي في الدكان، وبين الانفجار وبين بيتنا قرابة (١٥٠) متراً، فجاء أبي ليتفقد عائلته فحصل انفجارٌ آخر، سقطت بسببه رواشين منازل الحماطة وسُدّت الطرق ولكن أبي نجا من الانفجار، واستطاع الوصول إلى مكان النجاة، ورأى الناس يقابلون الأحداث

---

(١) وهو جد السيد عمر بن عباس بن علوي السقاف، وزير الدولة للشؤون الخارجية وعضو مجلس الوزراء، المتوفى في سنة ١٣٩٤هـ.

(٢) «تاريخنا القريب، مأساة المدينة صفحات مطوية»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٣هـ، ص ٧٩، وقد وهم في اسمه فذكر أنه السيد علوي بافقيه، والصحيح ما أثبته.

(٣) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٥٤.

(٤) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٥٣.

بشجاعة ومشغولين بإزالة الأنقاض»[١].

ومن لطف الله وقت الانفجار أن تظهر ريح شرقية تمنع القذائف أن تشرّق، فلم تصل شظية إلى الحرم النبوي الشريف، ولا إلى الجنوب[٢].

وخرج المسؤولون يتقدمهم الشريف علي وكبار الضباط، ينظرون الحادثة وما يفعلون، فتقرر الانتظار، ولما هدأت النيران في اليوم الأول نقل الضباط الذخائر التي لم تمسها النار إلى خارج البرحة الواقعة بين القلعة والسبيل[٣]، وأطفأ آخرون النار العالقة في الأخشاب بالماء والتراب. وفي اليوم الأخير كلّف الشريف علي قائده شكري بك الأيوبي بأن يجد حلاً لإيقاف هذه الانفجارات، فدخل القلعة مع جنوده وفرغوا المخازن التي لم تنفجر، ونقلوا كميات كبيرة من الماء وأسيلت في الغرف المدمرة خشية أن يكون بها بعض القذائف، وغطّيت الذخائر في باب الكومة بالتراب، وظلوا يعملون على هذا من الفجر إلى الظهر، وانتهى كل شيء[٤].

لكن الشريف علي أمر بالتحقيق في الحادثة، وشكل شكري بك لجنة من كبار ضباطه لتستجوب العساكر في القلعة، وجاءت لجنة من مكة للمشاركة، وبدأت الأقوال تتناقل بين الناس في أسباب هذا الحريق، فانتشر بينهم أن بعض الضباط والجنود الذين تأخرت رواتبهم قد اختلسوا قطعاً من البنادق والذخائر في القلعة، وحتى لا تمسهم الفضيحة عمد أحدهم إلى إشعال النار في المخزن المختلس، فلم يرع إلا بانفجار القنابل المجاورة للمخزن[٥].

---

(١) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١٩٣.

(٣) «المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي» مخطوط.

(٤) «التاريخ الشامل» ٣: ١٢٥.

(٥) «تاريخنا القريب، مأساة المدينة صفحات مطوية»، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٣هـ، ص ٧٩.



صورة عامة للمدينة ويظهر السور الجواني وقلعة باب الشامي

(المرجع: صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني)

وزعم بعضهم أن هذا الفعل من عمل التكارنة والضباط الموالين للأتراك، انتقاماً من الهاشميين، وكثرت الادعاءات والاتهامات. فاستُدعي المتهمون إلى المحكمة العسكرية وتم استجوابهم (١)، وقد رزئ بالتهمة الضابط عبد المحسن الطيب التونسي وأخوه عبد العزيز وسجنا، واستُبدل الضباط المتهمون بآخرين، لكن بعد فترة رأت الحكومة الهاشمية أنه لم يثبت لديها شيء من التهم (٢).

والتفسير الراجح في هذه الحادثة هو عدم عناية قيادة الأشراف باتخاذ الحيطة والحذر والإجراءات اللازمة أثناء تخزينهم للذخائر في القلعة، فإن العثمانيين لما بنوا مستودعات الذخيرة أوجدوا سراديب بجانبها يتسلل فيها ماء دائم، مع تهوية

(١) «التاريخ الشامل» ٣: ١٢٦.

(٢) «ذكريات العهود الثلاثة» ص ١٩٣.

لازمة في المكان للتبريد، لأن الذخائر من طبيعتها إذا ظلّت في مكان جاف مدة طويلة، وتعرضت للحرارة الشديدة، فإنها تصبح عرضة للانفجار. فإذا عُلم هذا وأضيف إليه عامل المناخ حيث أن صيف المدينة شديد الحرارة، وقد حصل هذا الحريق في أشد ما يكون القيظ، وتكرر الأمر ثلاث مرات في وقت الظهيرة، كل هذا يؤيد الرأي القائل[١] إن الانفجارات حدثت بعامل الطبيعة من جهة والإهمال من جهة أخرى. ولا يفوتنا أن نذكر أن القلعة هذه كانت لصيقة بجبل سليع بل جزء منها مبني عليه، وهو جبل حجارته سوداء تحفظ الحرارة، فلعل هذا عامل آخر ساهم في الحريق[٢].



وهكذا كانت المدينة لا تكاد تخرج من مأساة حتى تدخل في مأساة أخرى، ولم تبق طويلاً تحت ظل حكم الأشراف، فقد حاول الملك الشريف الحسين بن علي الهاشمي أن يقاوم المصاعب، ويفرض وجود دولته، لكن ما لبثت حكومته أن تهاوت بعد (٧) سنوات. وفي سنة ١٣٤٤هـ حلت مكانها الحكومة السعودية بقيادة مؤسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ثم أبنائه الملوك من بعده، ونعمت المدينة في عهدهم بالتطور والرخاء بما لم تشهده من قبل. رحم الله من انتقل إلى رحمته منهم، وبارك في أعمار الأحياء، ونفع بهم البلاد والعباد.



---

(١) أشار السيد علي حافظ في كتابه إلى أن هذا الرأي يعود إلى الدكتور أنور بن ماجد عشقي بحكم خلفيته العسكرية في الموضوع.

(٢) «فصول من تاريخ المدينة المنورة» ص ٥٣-٥٤.

أَدَبِيَّاتُ سَفَرْبَرْلِك

قصيدة الشيخ سعد الدين برادة :

هذه الأبيات لناظمها الشيخ سعد الدين بن عبد الجليل برادة، أحد شعراء المدينة المنورة، ولد ونشأ بها، وأخذ العلم عن والده وغيره من العلماء، ورحل إلى حيدر آباد بالهند سنة ١٣٤٣هـ ومكث بها قرابة (١٣) سنة، وعاد إلى المدينة آخر حياته، ولم يمكث طويلاً حتى فارق الحياة في ٦ محرم سنة ١٣٥٦هـ، ودفن بالبقيع.

حدثني جماعة من أهل المدينة أن الشيخ سعد الدين أنشأ هذه القصيدة في دمشق حين رحل إليها زمن السفر برلك، وقد درج على هذا الرأي بقية الناس في المدينة، ثم إني وقفت على نص يفيد أن تاريخ هذه القصيدة أقدم من ذلك بكثير، فقد قال الشيخ أحمد خيري في مجموع أملاه عليه الشيخ إبراهيم السمان: "نظم هذه القصيدة شوقاً إلى رسول الله ﷺ، وإلى المدينة المنورة عندما كان في الطائف هو ووالده وبعض إخوته، وجماعة من أهل المدينة، منهم: الشيخ إبراهيم الأسكوبي، والسيد الصافي، مستقرين هرباً من محافظ المدينة عثمان باشا جركسي"[1].

(١) «روائح العنبرية» مخطوط، ق ٤.

وهذا يدل أن هذه الحادثة كانت في العشرينيات من القرن الرابع عشر الهجري، وعلى أية حال فإن القصيدة مشتهرة بين أهل المدينة، وكان يترنم بها وينشدها الشيخ الريس إبراهيم بن محمد زين السمان على المنارة الرئيسية في الحرم النبوي الشريف زمن الأشراف، كما كانت تنشد في المجالس المدنية وفي المدائح النبوية، وممن أنشدها السيد حسين بن إدريس هاشم، وشيخنا الشيخ محمد صديق بن محمد حسين الميمني رحمهما الله.

ولا بأس أن أوردها هنا وقد رويتها سماعاً عن الشيخ عبد القادر بن إبراهيم السمان، عن أخيه أحمد بن إبراهيم السمان، عن الشيخ سعد الدين برادة، قال[1]:

عن در مبسمها عن دمع أجفاني	عن الشقيقِ كذا عن خدها القاني
عن المحيا عن البدر المنير وعن	سود الغدائر عن ليلات أشجاني
أروي الصبابة عن ثبت الغرام بها	صحيحةً سَلسلت في الحب أحزاني
من لي برؤيتها يوماً وقد عطفت	بواو أصداغها رُحمى على العاني
فمُبتدا الحب مني نظرةٌ سبقتْ	كانت لها خبراً في نشر إعلاني
يا للهوى لسويعاتٍ مضت بقُبا	وللعوالي بقلبي وخز مُرّانِ
قربانُ روحيَ أُفديه لرؤيتها	يا ليت شعريَ هل أحظى بقربانِ؟
واحرّ قلبي ذا وادي العقيق فكمْ	أجرته عيناي منظوماً بعقيانِ
لذلك السيح ساحت عبرتي وغدت	تسقي النقا ولكم سالت ببطحان
يا حادي العيس قفْ هذا البقيعُ وذا	سلعٌ فإنَّ به روحي وريحاني
هذي الربوع التي أضحى الغزال بها	يرعى القلوبَ وأرعاه ويرعاني
عاث الزمانُ بنا رغماً ففرقنا	يا للرجال لهذا العائث الجاني
ما كنت أحسب أن الدهر يصدعنا	بالبعدِ حتى سقانا كأسَ هجرانِ
أواه أوّاه من حر الفراق وما	يُبقى من الوجد في أحشاء ولهانِ

(١) «روائح العنبرية» مخطوط، ق ٤.

لا تنكروا جزعي لم يبقَ لي جَلَدٌ على النوى فجهول الحب يلحاني
ولو رأى عاذلي من قد شُغِفت[١] بهِ لبات يأمر فيما ظل ينهاني
قصدي مرادي مرامي بغيتي طلبي تقبيل أعتاب طه فخر عدنانِ
محمـد خيـر مبعـوثٍ بمألكةٍ من ذي الجلال بآياتٍ و برهانِ
مـن خصـه الله بالقـرآن معجزةً ما نالها مرسلٌ من عند ديانِ[٢]
خير الخليقة من جاءته سـاجدةً ضالُ الفلاةِ و عادت ذات إذعانِ
آيـات قرآنـه قد أعجـزت ملأً كانت بلاغتهم تزري بسحبانِ
المصطفى المجتبى الماحي ببعثته آي الضلالة و الهادي بإيمانِ
هذا النبي الذي يـمـسي الـنزيل به في جنةِ الخُلدِ أو في روضِ عدنانِ
هذا الرسول الذي من بين أصبعه فاضت مياهٌ فأروت كل ظمآنِ
هذا الحبيب الذي في حق جيرتهِ أوصى وأوعد مؤذيهم بخذلانِ
هذا الحريص علينا والرؤوف بنا هذا الغياثُ اذا ما الخطب أضناني
هذا الشفيعُ غداً يوم الحساب إذا طال الوقوف بنا من عظم حُسبانِ
يا سيد الرسل يا خير الخلائقِ جُدْ بالعفو منك فإن الذنب ألجاني[٣]
أهديك ألف صلاةٍ كلما سجعت ورقاء فوق غصون الرندِ والبانِ
وتشـمل الآل والاصحاب قاطبةً أزكى التحية مع يُمنٍ ورضوانِ
مـا قال ذو شـجنٍ والوجد أرّقه (عن دُر مبسمها عن دمع أجفاني)

---

(١) في «روائح العنبرية» مخطوط، ق ٤-٥، و«نماذج وألوان من تراث أدبائنا وشعرائنا في المدينة المنورة» ص ١٨-٢٢.

(٢) في «نماذج وألوان»: من قد جاء بالدين، لكن الصحيح ما أوردته كما سمعته.

(٣) في هذا البيت استغاثة بخير الخلائق ﷺ على عادة أهل تلك الفترة من العلماء والشعراء والناس عموماً، وقد نبه إلى حكم هذه المسألة الكثير من العلماء، وألفوا في ذلك المصنفات، فلتراجع في مظانها، والغرض هنا إثبات القصائد ورواية الوقائع كما هي.

معارضة (عن در مبسمها) للتقرتي :

ومن الأبيات التي لها تعلق بالموضوع معارضة الشيخ حمزة بن العربي بن أحمد بن علي التقرتي المدني ثم الأردني، وهو عالم مدني من أصل جزائري، ولد سنة ١٣١٥هـ ودرس في كُتّاب الطرودي وغادر المدينة مع من غادر في (سفر برلك) ثم عاد، واتصل بالأشراف ونادمهم وبلغ أعلى المراتب وعيّن المدير العام للمحاكم الشرعية بعمّان، ورئيس مجلس القضاء الشرعي وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة الأردنية الهاشمية، ومستشار الملك عبد الله بن الحسين، وتوفي سنة ١٣٨٢هـ، رحمه الله تعالى.

وهذه القصيدة كتبها معارضة لأبيات الشيخ سعد الدين برادة السالفة الذكر بعدما سمعها منشدة بصوت الشيخ الريس إبراهيم بن محمد زين سمان وابنه أحمد في الشام، قال فيها[1]:

بكى وحنّ إلى إلفٍ وأبكاني	صب تغرّب عن أهلٍ وأوطان
وبات يذرف دمع العين من شجنٍ	على فراق محبيه فأشجاني
وبث أحزانه يشكو لخالقه	ليلاً فجدّد في شكواه أحزاني
وظلّ يذكر جيراناً له بربى	نجدٍ فذكرني أهلي وجيراني
لله أيام أنْسٍ لي بهم سلفت	بين المنازل من سلع وبطحان
وحبذا نُزهٌ لي بالعيون إلى	ما بين وادي الشظا آهٍ وقربان
يومٌ بقربان في ظل النخيل ضحىً	أشهى إلى القلب من أفياء لبنان
وغدوةٌ في ربى وادي العقيق إذا	ما سال أرغبُ لي من شعب بوّان
يهتز قلبيَ في أرجائه طرباً	إذا الصبا لعبت فيه بأفنان
ويطمئنّ إلى مرّ النسيم وقد	سرى فحرّك فرع الأثل والبان
ونهلةٌ في فمي من مائه عذبت	أشهى إلى القلب من راحٍ وألبان

(١) «نماذج وألوان من تراث أدبائنا وشعرائنا في المدينة المنورة» ص ٧٧- ٨٣.

لا أبعـد الله عـن عينـي مَناظره   في طيب عيشٍ بإخوانٍ وأخدان
يا سـاكني جنبات السيح إن لكم   عهد الوفا والإخا يا خير سكان
إنـي إذا زمزم الحـادي بذكركمُ   تصبّب الدمع من عيني كهتّان
وما تحـدّر دمعي مـن محاجره   إلا تذكرت إخواني وخلاني
والقلب من حرقة الأحشاء في ولهٍ   واحـرّ قلبيَ في أحشاء ولهان
عين المناخة مـا أحلى مواردها   دومـاً بثغر امرئ للورد ظمآن
يـا نهلةً عذبت من بئـر عروة ما   أحلى مذاقك فيما بين أسناني
في حـوش وردة إخوانٌ غطارفةٌ   غر ميامين لي مع حوش سمّان
ومطـربٍ بمديح الهاشـمي غدا   يشدو بضـربٍ رخيم الصوت رنّان
يهتزّ قلبي سـروراً مـن مدائحه   بين النخيل كما تهتز أركاني
إن كان بالشام جنات النعيم ففي   مدينة المصطفى روحي وريحاني
منازلٌ شرفت بالمصطفى وسمتْ   به على العرش والكرسي في الشان
فكم تردد جبريل الأمين على النـ   ـبيّ فيها بتنزيل وتبيان
يوم السـرور لقلبي يوم يظهر لي   باب السلام المسمى باب مروان
وأدخلنْ مسجد المختار حيث أرى   أستار حجرته في لونها القاني
وألثم السـدة الصفراء من فرحي   بالمدخل الأول المحبوب والثاني
حتى إذا الكوكب الدري بان إلى   عيني ومتّعْت في الأستار إنساني
أقرا السلام على المختار ثم على   الصديق مع عمر الضاري وعثمان
وأكثـرنّ صلاتي والسـلام على   فخر القبائل من كعب وعدنان
نور الهدى سيد الأكوان من شرفت   به الخلائق من إنس ومن جان
صلى عليك إله العرش ما سجعت   ورق الحمائم في أوراق أغصان
والآل والصحب والأتباع ما نُظمت   قلائد الـدرّ في أسلاك عقيان

قصيدة الشيخ عبد الحق رفاقت علي :

الشيخ عبد الحق بن رفاقت علي العثماني، عالم جليل، وأحد شعراء المدينة المشهورين، ولد فيها سنة ١٣٠٤هـ، ونشأ بها حتى جاءت حادثة سفر برلك فأخرج منها إلى الشام، وعيّن مدرساً في المدرسة الجقمقية ثم عاد بعد ذلك سنة ١٣٣٨هـ، وتوفي بالهند سنة ١٣٧٢هـ[١]. وله قصيدة نظمها في ما حلّ بطيبة الطيّبة في الحرب العالمية الأولى، وهي[٢]:

أقم أُخيّ بأرض الله نبكيها	أقم بدار حبيب الله نرثيها
واستمطر العين دمعاً بل دماً وأسل	سواد عينيك إن ضنت مآقيها
أنخ مطايا الأسى في حبها فعسى	نجيب دعوة من وافى يناجيها
وارِوِ الحديث الذي يُبكي الصديق دماً	بل ما ألمّ بها يبكي أعاديها
وانظر لبلدة طه كيف حلّ بها	هذا البلاء الذي قد عمّ أهليها
لبلدة هي مأوى البر منبعه	لبلدةٍ هي للخيرات تحويها
هذي البلاد التي كانت مساكنها	منازلاً لقِرى الأضياف ناديها
من كل فجٍّ عميقٍ كان يقصدها	على المدى زائرو خير الورى فيها
هذي القصور التي كانت مشيّدة	بالأمس تزهو ابتهاجاً في مراقيها
ما بالها اليوم ناعي البين يندبها	وأين غاب عن الأوطان أهلوها؟
ساروا إلى الشام مذ أيدي العدا فتكت	فيهم وأورت زناداً من تجافيها
بالجبر قد أخرجوا من طيبة ولهم	عين تسيل دماً من حبهم فيها
وشُتّتوا شذراً من بعضهم مذراً	وأُبعدوا حذراً من أن يوالوها
وأُزعجوا ومن الأقوات قد حُرموا	وكُدروا عيشةً من بعد صافيها
وجرعوا كأسهم للبين قد مزجت	سماً نقيعاً أعاذ الله ساقيها

(١) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ عبد الحق رفاقت العثماني»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، سنة ١٣٨٢، ص ٤٠٥.

(٢) «نماذج وألوان من تراث أدبائنا وشعرائنا في المدينة المنورة» ص ٦١- ٦٤.

لهفي على معشرٍ أرواحهم علقت   بطيبةٍ لو قضوا نحباً بواديها
لهفي عليهم قضوا والروح جافلة   نحو البقيع وقد وافت تراقيها
فـالله يرحمهـم طـراً ويمنحهم   بجنة الخلد قـراً في أعاليها
هذا وفضل رسـول الله يشـملنا   جمعاً بطيبة إذ فزنا بواديها
فعظموا حرمة المختار واعترفوا   حقوق جيرته إذ ما عرفتوها
فالحمـد لله حقاً حيـث منّ بما   نفوسنا بلغت فيها أمانيها
وردّنـا لجوار المصطفـى كرماً   فحبذا نعمة قد جل موليها

قصيدة الشيخ محمد بن أحمد العمري الواسطي :

ولد هذا العالم الجليل في مدينة بسكرة بالجزائر سنة ١٢٨٠هـ، وقدم المدينة المنورة سنة ١٣٠٠هـ، وطلب العلم على الشيخ عبد الجليل برادة، وعبد الله القدومي، والعربي بن زروق، وغيرهم. وكان شاعراً مكثراً، ومن أشهر من تخرج على يده السيد عبيد بن عبد الله مدني. وله مشاركة قوية في الحرب بين الأتراك والأشراف، توفي سنة ١٣٥١هـ[١].

كان الشيخ العُمري من القلائل الذين مكثوا في المدينة وهو من مناصري الأتراك، وله قصائد فيهم، ولما خلت المدينة من أهلها ولم يبق بها إلا أفرادٌ أنشأ قصيدته الشهيرة، والتي كان ينشدها السيد حسين بن إدريس هاشم في مجالسه، وهي[٢]:

دارَ الهدى خف منك الأهل والسكن   واستفرغت جهدها في ربعها المحن
عفا المصلى إلى سـلع إلى أحد   والحرتان ومرأى أرضها الحسن
أهوى العقيق إلى الجما إلى جشم   إلى قباء التي يحيى بها الشجن

---

(١) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ محمد العمري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، ٤ حلقات، سنة ١٣٧٩هـ.

(٢) «من أعلام المدينة المنورة، الشيخ محمد العمري»، محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، شهر رجب، سنة ١٣٧٩هـ

منازل شب فيها الدين واكتملت آياته فاستعارت نورها المدن
لأي أرض يُشــد الرحل بعدك يا دار الرسالة أو يُثوى به سكن
أبعد روضتها الفيحــا وقبتها الـ ـخضــراءيحلوبعيني مسلم وطن؟
ما غوطة الشام؟ ما نهر الأبلّة؟ ما حمراء غرناطة؟ ما مصر؟ ما اليمن؟
منــازل نفحت بالطيب واكتملت بالنور يأوي لها الفرقان والسنن
ما كنت أعرف ما للشوق من أثر حتى ترحّل بي عن ربعها البدن
يــا راكبــاً حمّلت شــوقاً مطيته نضواً تغوّله الأحزان والشجن
قد أرغــم الدهر أنفي إذ أفارقها مروّعاً قد جفاني النوم والوسن
كأننــي طائــر قصــت قوادمــه فراح يحجل لا عش ولا وكن
يــا أهــل طيبــة والآلام عاصفة والناعيات يبكين الأولى دفنوا
عودوا إلى الله علّ الله يســعفكم من فتنة دونها الأهوال والفتن
وأخلصــوا توبــة لله صادقــة إن القبول بعفو الله مرتهن

قصيدة الشيخ الطيب الساسي:

هو الشيخ الطيب بن الطاهر بن محمد بن قويدر الساسي الجريدي التونسي المدني، ولد سنة ١٣٠٦هـ[١] وحفظ القرآن في كتاب الطرودي، وأخذ العلم عن أبيه الشيخ الطاهر، والشيخ عبد الجليل برادة، والشيخ حمدان الونيسي.

ولما قامت الحرب انسلّ هو مع مجموعة من العلماء إلى مكة فكان رئيس أول وفد سري من المدينة المنورة إلى الشريف الحسين بن علي، ورأس تحرير جريدة القبلة، وعين عضواً في مجلس الشورى في عهد الملك عبد العزيز، وتوفي سنة ١٣٧٨هـ بحادث سيارة[٢].

---

(١) هذا الصحيح في ولادته كما نص على ذلك الدفتردار بخلاف من ذكر أنه ولد سنة ١٣١٠ أو ١٣١٦هـ.

(٢) «المشايخ: الطيب، وعبد الله، وعبد السلام الطاهر الساسي، لمحات من السيرة العلمية

وكان رحمه الله يوقع قصائده في جريدة القبلة باسم: الطيب السوسي، وهذه القصيدة أنشأها ليبين شكوى أهل المدينة ويمدح فيها الأشراف ويهجو الأتراك وسماها: «لسان حال المدينة في ذكر شكواها لمزيل بلواها»، وأذكر ما يخص المدينة منها، وهي[1]:

دع الغانيات الغيد يا أيها الصب ... وذكراك هيفاءً بها يُفتَنُ اللبُّ

ولا تبك سعدى يا خليلي وزينباً ... ولا ربة الخلخال منطقها رطبُ

بل ابك ضواحي مهبط الوحي والتقى ... بها قبر طه من به يفخر العرب

أنوح بلاداً حلها الويل والأسى ... ينوح على نَوحي لها الحجر الصلب

فكم من رزايا أبدلت بنعيمها ... وكم قد عرا ساداتها النفي والصلب

وكم من عزيز قد أذيق مهانة ... وكم حل في سكانها الضرب والنهب

وكم قد أجيعت أنفس فتجندلت ... على الأرض صرعى لا يرقّ لهم قلب

وكم نسوة ذبّحن ظلماً وصبيةً ... وكم مُقعدٍ أو عاجزٍ نابه الويب

وكم من صغارٍ يتّموا وخرائدٍ ... يجبن الفيافي دمعهن له سكب

وكم لي أعد النائبات التي قصت ... على جيرة الهادي لقد كبر الخطب

فيا عين نوحي واسكبي الدمع صيّباً ... ولا تكففي ما دام في طيبة الريب

سقى الله أرض العلم والفضل والعلى ... دموع الجوى جادت عليها بها السحب

سلام على تلك المعاهد والربى ... سلام حزين لا يلذ له شرب

ويا طيبة المختار هل لك عودة ... لمنظرك الزاهي وهل ينقذ الشعب؟

بلى إن غصن العز نوّر زهره ... ووقت خلاص الشعب آن له قرب

فإن سكبت عيناك دمعك أشهراً ... فسوف ترين الضحك ما كرّت الحقب

والعملية» للدكتور صالح جمال بدوي، ص ١١- ١٥، و«من أعلام المدينة المنورة، الطيب الساسي»، محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

(١) «جريدة القبلة»، عدد ١١٠، ص ٣.

قصيدة الشاعر عبد المحسن الصحاف:

هو الشيخ عبد المحسن بن محمد بن يعقوب الصحاف المالكي البحريني ثم المكي، ولد في البحرين سنة ١٢٩١هـ، ورحل به والده إلى مكة، فعمل مطوفاً بالبيت الحرام، وأخذ يسترزق بالشعر، فمدح الشريف الحسين بمدائح عدة، حتى عرف بشاعر الثورة العربية، توفي سنة ١٣٥٠هـ في مكة المكرمة[١].

لهذا الشاعر قصيدة يحرض الأشراف على فخري باشا ويهجو الأخير أنشأها في رمضان سنة ١٣٣٦هـ، وعادة قصائد الهجاء معلومة، وأقوال الأعداء في بعضهم بعضاً لا يؤخذ بها كلياً ما لم تعضد بشواهد، والغرض من إثبات قصائد الهجاء هنا تبيين جانبٍ من شعور بعض من عايش الأحداث، يقول في قصيدته[٢]:

نجمُ فخري وجمالٍ قد أفل	واختفى جيشهما بل واضمحل
يا بني الأوطان هبّوا عجلاً	إن لله جنوداً من عسل
جندلوا فخري وهاتوا جنده	بين كل الخلق يعروه الخجل
أفلس المشؤوم من أسرته	مذ رأى المخبر حياً ما وصل
نهب التمر مع الأموال في	طيبة الغراء أعيته الحيل
رتّب القرصين للشخص ولم	يعطها إلا بإجراء العمل
خدّم النسوة من خسّته	جهة السكّة والأمر جلل
أصبح القوت لديهم غالياً	فشكوا لله من ظلم حصل
وتوفي بالطوى أكثرهم	كم أمات الجوع قوماً وقتل
فغدوا في حسرةٍ ترهقهم	وهو في أرغد عيشٍ ما سأل
ليس يعطيهم ولا يرحمهم	حسبه الله عز وجل
يا بني طيبة لا تأسوا ولا	تحزنوا من جور خطب قد نزل

(١) «علماء وأدباء البحرين في القرن الرابع عشر الهجري» ص ٣٩١- ٣٩٧.

(٢) «جريدة القبلة»، عدد ١٩٢، ص ٢.

فسيمحو الله عن أوطانكم ذلك الباغي ومشؤوم العمل
إنما جيران طه المجتبى في حمى الله ومختار الرسل
يا بني العرب هلموا واهجموا ليس يأتي الموت إلا بالأجل
فدماكم ربكم يحفظها ما على الظلم اصطبار يحتمل
لمعانٍ قد دنت قبضتكم وكذا طيبة بالصدق أجل
ادخلوها بسلام آمنين فالمنى تهنا الذي فيها دخل

قصيدة محمد شكري البغدادي :

هو الضابط العراقي محمد شكري البغدادي، كان من رجالات الجيش العثماني، ولما أحس بقرب نهاية فخري باشا وتسليم المدينة المنورة، أنشأ هذه القصيدة يهجو فخري باشا، وقد لاقت إعجاباً من الشريف علي بن الحسين فكافأه عليها سنة ١٣٣٨هـ، والأستاذ المذكور كان مُراسلاً أيضاً لجريدة القبلة في المدينة المنورة. والقصيدة كسابقتها، يقول فيها[١]:

بشرى فقد أُعطيَ الأقواسَ باريها وأسكن الدار بالإيمان بانيها
وخائنُ الدين ولّى خائفاً وجلاً وحل في بلدة المختار حاميها
الناس أخرجها والدور هدمها والخلق غادرها تشكو لباريها
قد جوّع الجندَ من بخل ومن حمُق ويظهرُ الفقر والأرزاق يخفيها
في طيبةٍ قد أمات الجند من سغب أضاع أرزاقهم ضغناً لأهليها
يا للعجائب كيف الأرض ما خسفت به وخضراؤنا لم تُلق ما فيها
أما استحقت يد للقطع قد جسرت على خزينة خير الخلق مهديها

(١) القصيدة مطبوعة في آخر كتاب: «مناقب سيد الشهداء» للسيد جعفر البرزنجي، ص ٢١، وهي كما نلاحظ ركيكة جداً وبها الكثير من الأخطاء العروضية التي قد يكون منشأها الطابع، وعلى كل فهي تصور شيئاً من منظور الناس، وتملق بعضهم للشريف، كما كان البعض الآخر يتملق فخري باشا، وأقوال الأعداء في بعضهم بعضاً لا يؤخذ بها ما لم تستند إلى دليل أو وقائع مثبتة.

إن تقطعوا يده فليس من حرجٍ قد سرّق الأموال واستحلّ ما فيها
أغلى الأمانات أهداها إلى فئة فهذه فعلة من ذا يجاريها
أذاب منها الذي قد كان ذا ثمن فأنت أعلم يا فخري بما فيها
الله الله يا أبناء فاطمة هل أخذه التاج يرضيكم ويرضيها؟
يا وغد قل ليَ: من أفتاك عن سفه حتى اقترفت ذنوباً كنت تدريها
التمر صادره والمال جمّعه والناس قاست جوعاً كفا لا يعطيها
سل البقيع عن الموتى بلا كفن هل كان شيئاً من الأرزاق يعطيها
كم عالم مات جوعاً بعد أن حملت أكتافه من صخور جلّ باريها
كم حُرّة نقلت صخراً مبرقعة بقرص خبز من الأنات ينجيها
أما السنانير ما أبقوا لها أثراً فالبعض يطبخها والبعض يشويها
ذوب القلوب لهذا واجب كمداً فإن إيمانها للحق يهديها
أفعاله السود قد أضحت بلا عدد فليس أوراق هذا العصر تحصيها
يا عابد الله إن الرب وفقكم إلى أمور عظام كنت أبغيها
خذ الحقوق لأهليها فقد ظلموا واليوم أصبحت أنت اليوم راعيها
لايعرف الظلم إلا من يكابده ولا المجاعة إلا من يعانيها
سموأل جاره قد عاش في كنف ودار خير البرايا تنفي أهليها
قد قال للناس إني حامٍ لبلدتكم فأضحى كما قيل حاميها حراميها

قصيدة الشيخ الطيب العقبي:

هو الشيخ محمد الطيب بن محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح العقبي[1]،

---

(١) بقيت من هذه الأسرة في المدينة عائلة: الصيرفي العقبي، وجدهم هو الشيخ محمد الصادق بن محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح العقبي، الذي كان مدرّساً في الحرم النبوي الشريف، وتوفي في المدينة سنة ١٣١٩هـ، ومن أولاده الشيخ مصطفى (ت ١٣٨٢)، الذي لُقّب بالصيرفي بسبب امتهانه الصيرفة فغلب الاسم على الأسرة، وهو والد أستاذنا حسن الصيرفي الذي مرّ ذكره كثيراً في هذا الكتاب.

ولد في سيدي عقبة سنة ١٣٠٧هـ، وهاجر به والده مع أسرته إلى الحجاز سنة ١٣١٣هـ، واستقرت الأسرة في المدينة سنة ١٣١٤هـ، وطلب العلم في المسجد النبوي الشريف على علمائه مثل الشيخ محمد حمدان الونيسي، ومحمد عبد الله زيدان الشنقيطي، وغيرهما. وفي عام ١٣٣٥هـ نفاه الأتراك إلى (الروم إيلي) ثم الأناضول. وعاد إلى الحجاز ثم انتقل إلى الجزائر، واشتغل في الدعوة إلى الإصلاح، وتوفي هناك سنة ١٣٧٧هـ[١].

ولما نُفي الشيخ الطيب إلى (الروم إيلي) كتب أبياتاً إلى بعض محبيه في المدينة المنورة يحن إليها، يقول فيها[٢]:

سلام على أرض الحجاز سلام ... ولست على حبي الحجاز ألام
سلام على آل وصحب عهدتهم ... وإن بعدت منهم عليك خيام
سلام مشوق أحرق البين قلبه ... وعاوده بعد الغرام غرام
نأى عنهم والدهر جمٌّ صروفُه ... وغادرهم والحادثات جسام
عليل وما غير البعاد سقامه ... وهل غال قلبي غير ذاك سقام
حلال لهم قلبي فثم تركته ... وصبريَ عنهم ما حييت حرام
ويهنيهم ذاك المقام وإن نبا ... لبعدهمُ بي في البلاد مقام



(١) «نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة» ص ١٠٤-١٢٤.
(٢) «شعراء الجزائر في العصر الحاضر» ص ١٤٣.

الخَاتِمَةُ

وختاماً، فهذا ما تيسر لي عرضه باختصار لتاريخ هذه المأساة التي تعرّض لها أهل المدينة المنورة، وقد مرّ عليها مئة سنة حتى الآن، وما زالت حديث المدنيين الذي يتداولونه في مجالسهم وأحاديثهم، وأرجو أن أكون قد وضعت النقاط على الحروف ووضحت مواطن الاختلافات، وأظهرت الصورة كما كانت.

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وخدمةً لهذه البلدة الطاهرة، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطنا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه سعيد بن وليد بن محمد سعيد طوله المدني، الطبيب المعتني بتاريخ المدينة المنورة، وذلك في يوم عاشوراء ١٠ محرم الحرام سنة ١٤٣٧هـ في المدينة المنورة.

ثم إني أجلت النظر فيه مرة أخرى في ٢ ربيع الآخر سنة ١٤٣٨هـ، فزدت عليه، وأعدت ترتيبه، وصححت بعض الأوهام مما وقع في الطبعة الأولى، وكان الفراغ من مراجعته بفضل الله في صباح يوم الثلاثاء ٥ شعبان ١٤٣٨هـ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ثَبتُ المَصَادرِ وَالمرَاجِع

المصادر المخطوطة :

● الوثائق :

١. تقرير لجنة التفتيش وأعضاء مجلس المدينة، بتاريخ ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ، الأرشيف العثماني، تصنيف: *I.HUS.R*.١٣٢٢/١٧١، محفوظ بقسم الوثائق، دارة الملك عبد العزيز.

٢. خطاب من السيد حسن أوليا، بتاريخ ١٣ تموز ١٣١٩ رومي، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV*. ٢٢/٧٣١، محفوظ بقسم الوثائق، دارة الملك عبد العزيز.

٣. خطاب من السيد محمد درويش مدني، بتاريخ ١٣ تموز ١٣١٩ رومي، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV*. ٢٦/٧٣١، محفوظ بقسم الوثائق، دارة الملك عبد العزيز.

٤. خطاب من أبي البركات الأنصاري إلى الصدارة العظمى، بتاريخ ١ شباط ١٣١٩ رومي، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV*.٦٥/٧٣١، محفوظ بقسم الوثائق، دارة الملك عبد العزيز.

٥. وثيقة مرسلة من السيد محمد أسعد إلى الصدارة العظمى، بتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٣١٩ رومي، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV*.٦١/٧٣١، محفوظة بقسم الوثائق، دارة الملك عبد العزيز.

٦. وثيقة مرسلة من ناظر وقف أشراف بني حسين الشريف عبد الحميد بن دوخي، بتاريخ ٨ كانون الثاني ١٣١٩ رومي، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV*.٥٩/٧٣١، محفوظة بقسم الوثائق، دارة الملك عبد العزيز.

٧. وثيقة مرسلة من السيد محمد درويش مدني، بتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٣١٩ رومي، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV*.٦٠/٧٣١، محفوظة بقسم الوثائق، دارة الملك عبد العزيز.

٨. خطاب من أبي البركات الأنصاري إلى الصدارة العظمى، بتاريخ ١ شباط ١٣١٩ رومي، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV*.٦٥/٧٣١، محفوظ بقسم الوثائق، دارة الملك عبد العزيز.

٩. خطاب من أبي البركات الأنصاري والسيد إبراهيم الرفاعي إلى الصدارة العظمى، بتاريخ ١٣١٩ رومي، الأرشيف العثماني، تصنيف: *HR.MTV*.٧٣١/٤٦، محفوظ بقسم الوثائق، دارة الملك عبد العزيز.

١٠. خطاب من حسين برادة وعبد العزيز الطيار، بتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٣١٩ رومي، الأرشيف العثماني، تصنيف: *Y.PRK.AZJ*.٩٨/٤٨، محفوظ بقسم الوثائق، دارة الملك عبد العزيز.

١١. خطاب من محافظة المدينة المنورة إلى نظارة الداخلية الجليلة، بتاريخ ٩ أغسطس ١٣٣٠ رومي، الأرشيف العثماني، تصنيف: *DH/UM.E*.١٧/٤، ترجمة: د. سهيل صابان، محفوظ في مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

١٢. خطاب من الصدر الأعظم إلى وكالة نظارة الداخلية، بتاريخ ١ ذي الحجة ١٣٣٨هـ، الأرشيف العثماني، تصنيف: *DH/I-UM*.١٩-١٤/١-٨، ترجمة: د. سهيل صابان، محفوظ في مكتبة الملك فهد الوطنية.

١٣. خطاب من وكيل الناظر العام جمال بك أفندي إلى المدير العام لشرطة إسطنبول، بتاريخ ١١ أغسطس ١٣٣٦ رومي، الأرشيف العثماني، تصنيف: *DH/I- UM*. ١٩-١٤/١-٨، ترجمة: د. سهيل صابان، محفوظ في مكتبة الملك فهد الوطنية.

١٤. خطاب من الناظر رشيد مختار باشا إلى المدير العام للشرطة، بتاريخ ٢٢ أيلول ١٣٣٦ رومي، الأرشيف العثماني، تصنيف: *DH/I-UM*.١٩-١٤/١-٨، ترجمة: د. سهيل صابان، محفوظ في مكتبة الملك فهد الوطنية.

١٥. رسالة من أمير عنيزة السابق عبد العزيز بن عبد الله السويلم إلى الملك عبد العزيز آل سعود، بتاريخ ٩ ذي القعدة ١٣٣٧هـ، أمدني بصورتها الأستاذ خالد بن سلمان الخويطر.

١٦. رسالة من الشريف الحسين بن علي إلى أمير عنيزة فهيد بن معمر، بتاريخ ٩ ربيع الآخر ١٣٣٦هـ، مركز دراسات الشرق الأوسط، كلية سانت أنتوني، جامعة أكسفورد، أوراق فيلبي، تصنيف: *DS247.N47*، أرسلها لي الدكتور حمد بن عبد الله العنقري.

١٧. رسالة من السيد أحمد الشريف السنوسي إلى الملك إدريس السنوسي، غير مؤرخة كتبها بين ١٩١٨ و١٩٢٤م، وثيقة أصلية بخطه محفوظة في مكتبتي.

١٨. صك شرعي مستخرج من المحكمة الشرعية في المدينة المنورة مؤرخ في سنة ١٣٦٩هـ، عند الأستاذ حسين بن حيدر بن محبوب علي.

١٩. وثيقة شكر واستشفاع من شيخ الحرم النبوي الزيني محمود جلبي وعلماء المدينة المنورة إلى السلطان سليمان القانوني، في منتصف القرن العاشر، (منشورة في متحف مكة المكرمة والمدينة المنورة صور ومقتنيات متحف طوبقابي بالمدينة المنورة).

المصادر الخطية :

٢٠. أئمة وخطباء المسجد النبوي الشريف، الشيخ عبد الرحمن بن خضر الأركوبي، (مخطوط).

٢١. أحداث عاصرتها أو تذكار وتاريخ ما حصل في المدينة، خضر بن عبد الله الفارسي، (نسخة خطية عند ابنه الأستاذ حسين).

٢٢. أسماء الخطباء والأئمة المباشرين للخطابة والإمامة بمسجد سيد المرسلين، السيد إبراهيم بن جعفر هاشم، (نسخة خطية بالخزانة الهاشمية الخاصة، المدينة المنورة).

٢٣. ترجمة موجزة عن حياة الشيخ محمد القين وأولاده، الشيخ عبد الله بن محمد القين، وإضافة: يعرب بن محمد دفتردار، (نسخة مرقومة على الحاسب، أمدني بها الصديق ريان بن عبد الحكم القين).

٢٤. تعطير الأكوان في فضائل سلاطين آل عثمان، الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي، (مخطوط بمكتبة السيد حبيب بن محمود أحمد العامة، التاريخ، تاريخ العثمانيين/٣، رقم: ٣١٨).

٢٥. الدرر الحسان في فضائل سلاطين آل عثمان، الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي، (مخطوط بمكتبة السيد حبيب بن محمود أحمد العامة، التاريخ، تاريخ العثمانيين/٣، رقم: ٣١٩).

٢٦. رسالة عن محطات سكة حديد الحجاز، السيد جعفر بن حسين هاشم، (نسخة خطية بالخزانة الهاشمية الخاصة، المدينة المنورة).

٢٧. روائح العنبرية، إملاء الشيخ إبراهيم السمان على الشيخ أحمد خيري، (نسخة خطية في مكتبة السيد أحمد خيري باشا).

٢٨. عقد الزمرد والزبرجد في ترجمة الابن والوالد والجد، السيد محمد الزمزمي الكتاني، (مرقومة على الآلة الكاتبة، أمدني بها السيد حمزة بن علي الكتاني).
٢٩. عوالي المدينة المنورة والإبادة الجماعية لفخري والدويش، عبد الرحيم بن حسن حِربي، (نسخة مرقومة على الحاسب أمدني بها المؤلف).
٣٠. الفرائد في تاريخ المدينة المنورة والآبار والقبور والمساجد، الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي، (مخطوط بخزانة الشيخ القاضي محمد الحافظ بن موسى).
٣١. كناشة السيد عبد الحي الكتاني، (نسخة خطية أمدني بها الشيخ خالد بن المختار السباعي).
٣٢. مجموع لشعراء مدنيين، الشيخ حسين بن عبد الجليل برادة، (مخطوط في مكتبة خاصة).
٣٣. المختصر من نقش حيات، السيد حسين أحمد المدني، اختصار وترجمة: رحمة الله بن عبد الغني خليل، (نسخة خاصة مرقومة على الحاسب).
٣٤. المدينة المنورة في ذاكرة حسن الصيرفي، (نسخة خطية خاصة من إملاء حسن الصيرفي على المؤلف).
٣٥. المدينة المنورة بين الماضي والحاضر، الشريف إبراهيم العياشي، (نسخة خطية في خزانة القاضي محمد الحافظ).
٣٦. مذكرات الشريف إبراهيم العياشي المسماة بـ «من طقطق لسلام عليكم»، (نسخة خطية عند ابنه الشريف عبد الله بن إبراهيم العياشي).
٣٧. النخبة السنية في الحوادث المكية، أحمد أمين بيت المال، (عناية: حسام مكاوي، مرقوم على الحاسب لم ينشر بعد).
٣٨. نيل المراد لمعرفة رجال الإسناد، الشيخ محمد بن محمد الحجوجي، (مصورة من نسخة خطية محفوظة بخزانة المؤلف).

المصادر والمراجع والمقالات المنشورة:

٣٩. آثار الرسول ﷺ في جناح الأمانات المقدسة في متحف قصر طوب قابي بإسطنبول، حلمي أيدين، ترجمة: محمد صواش، (دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م).
٤٠. آثار المدينة المنورة، عبد القدوس الأنصاري، (دارة مجلة المنهل، ١٤٢٠هـ).
٤١. الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين المؤسس، مراجعة وتدقيق: عيسى الحسن، (الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠٠٩م).

٤٢. أبحاث ملتقى العقيق الخامس: دراسات في شخصية المدينة المنورة، (نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٣٦هـ).
٤٣. أبو جهل القرن الرابع عشر أمير مكة السابق حسين، (مطبعة الحقوق بدار الخلافة الإسلامية، ١٣٣٤هـ).
٤٤. الإتحاديون -دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية، الدكتورة نادية ياسين عبد، (دار ومكتبة عدنان، الطبعة الأولى ٢٠١٤م).
٤٥. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، الإمام أبو العباس أحمد بن أبي بكر البوصيري، (دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٠هـ).
٤٦. إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، تحقيق: محمد حجي، (دار الغرب الإسلامي، ١٤١٧هـ).
٤٧. أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، سحر بنت عبد الرحمن مفتي، (مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ).
٤٨. الأحاديث الواردة في فضائل المدينة: جمعاً ودراسة، الدكتور صالح بن حامد الرفاعي، دار الخضيري، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ).
٤٩. أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، العباس بن أبي بكر الضبي، تحقيق: سينة الشهابي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ).
٥٠. الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، د. دايل بن علي الخالدي، (دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٣٥هـ)
٥١. الإدارة العثمانية في المدينة المنورة، سلمان بن سالم المطيري، (مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٥هـ).
٥٢. أدبنا الحديث كيف نشأ وكيف تطور، عبد القدوس الأنصاري، (نادي المدينة المنورة الأدبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ).
٥٣. أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، محمد روحي الخالدي، تحقيق ودراسة: خالد زيادة، (رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م).
٥٤. أسرة الوادي المبارك في الميزان، د. محمد العيد الخطراوي، (مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٦هـ).
٥٥. الأسس والمنطلقات في تحليل وتفصيل غوامض فقه التحولات، السيد أبو بكر العدني بن علي المشهور، (مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ).

٥٦. أسيران مالطا: شيخ الهند مولانا محمود حسن وشيخ الإسلام مولانا حسين أحمد، سيد محمد ميان، بالأردو، (جمعية ببلي كيشنز، لاهور، ٢٠١٥م)
٥٧. الإشاعة بأشراط الساعة، السيد محمد بن رسول البرزنجي، عناية: حسين محمد علي شكري، (دار المنهاج، جدة، ١٤٢٦هـ).
٥٨. الإشراف على تاريخ الأشراف، عاتق بن غيث البلادي، (دار النفائس، لبنان، ١٤٢٣هـ).
٥٩. الأعلام، خير الدين الزركلي، (دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م).
٦٠. أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، محمد علي مغربي، الجزء الأول، (دار العلم للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ).
٦١. أعلام الحجاز، محمد علي مغربي في القرن الرابع عشر، الجزء الثاني، (طبعة خاصة، ١٤١٥هـ).
٦٢. أعلام الحجاز، محمد علي مغربي في القرن الرابع عشر، الجزء الثالث، (طبعة خاصة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ).
٦٣. أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق، بحيد بن الشيخ يربان الإدريسي، (دار النشر الدولي، ١٤٢٩هـ).
٦٤. أعلام العلم والأدب في جزيرة العرب: الشيخ عبد الحق العثماني، الشيخ عبد القدوس الأنصاري، (مجلة المنهل، سنة ١٣٧٧هـ).
٦٥. أعلام العلم والأدب في جزيرة العرب: الشيخ محمد العمري، الشيخ عبد القدوس الأنصاري، (مجلة المنهل، سنة ١٣٧٧هـ).
٦٦. الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي، (الإثنينية لعبد المقصود خوجة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ).
٦٧. أعمدة الحكمة السبعة، توماس إدوارد لورنس، ترجمة: محمد نجار، (الأعلية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ٢٠١٥م).
٦٨. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي، تحقيق وإخراج: حسن الأمين، (دار المعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ).
٦٩. الاقتصاد في الاعتقاد، الإمام أبو حامد الغزالي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ).
٧٠. الأمانات المنقولة من الحجرة النبوية إلى إستانبول أثناء الحرب العالمية الأولى،

د. سهيل صابان، (مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثاني، جمادى الآخرة- شعبان، ١٤٢٣هـ).

٧١. آل مبيريك شيوخ وأمراء رابغ، عبد الله ماهر بن مبيريك الغانمي، (طبعة خاصة، جدة، ١٤٣٣هـ).

٧٢. أهل الدار والإيمان، عبد الرحيم بن حسن حربي، (مطبعة سيد الشهداء، ١٤٢٢هـ)

٧٣. أوجز المسالك إلى موطأ مالك، الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، عناية: الدكتور تقي الدين الندوي، (دار القلم، ١٤٢٤هـ).

٧٤. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ).

٧٥. بذل المجهود في حل سنن أبي داود، الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، تحقيق: محمد زكريا الكاندهلوي، (ندوة العلماء، الهند، تصوير دار الكتب العلمية).

٧٦. بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد ابن طيفور، تصحيح: أحمد الألفي، (مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٣٢٦هـ).

٧٧. بناة العلم: السيد أحمد الفيض آبادي، الشيخ عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل.

٧٨. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: د. محمد حجي وآخرون، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ).

٧٩. بيان للأمة العربية عن حزب اللامركزية، الأمير شكيب أرسلان، إشراف وتحرير: د. سوسن النجار نصر، (الدار التقدمية، بيروت، ٢٠٠٩م).

٨٠. بيوت الصحابة حول المسجد النبوي لشريف، محمد إلياس عبد الغني، (طبعة خاصة، سنة ١٤٢٠هـ).

٨١. تاريخ دمشق، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، (دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٩هـ).

٨٢. تاريخ الدولة العثمانية، الأمير شكيب أرسلان، دار ابن كثير، (دمشق، ١٤٣٢هـ).

٨٣. تاريخ الدولة العلية العثمانية، الأستاذ محمد فريد بك المحامي، تحقيق: الدكتور إحسان حقي، (دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠١هـ).

٨٤. تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، (منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول، ١٤٠٨هـ).

٨٥. التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الدكتور عبد الباسط بدر، (طبعة خاصة، ١٤١٤هـ).
٨٦. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر، محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، (دار الفكر، دمشق، ١٤١٢هـ).
٨٧. تاريخ القاضي، إبراهيم بن محمد القاضي، تحقيق: د. فائز البدراني ود. مريم العتيبي، (مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، ١٤٣٧هـ).
٨٨. تاريخ المدينة المنورة، عمر ابن شبة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، (الناشر: السيد حبيب محمود أحمد).
٨٩. تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، السيد أحمد بن ياسين الخياري، (طبعة خاصة لورثة المؤلف، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ).
٩٠. تاريخ مكة، أحمد السباعي، (نادي مكة الثقافي، مطابع الصفا، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ).
٩١. تاريخنا القريب، عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي، (مجلة المنهل، محرم ١٣٨٣هـ، صفر ١٣٨٣هـ، ربيع الأول ١٣٨٣هـ).
٩٢. تاريخ نجد الحديث، أمين الريحاني، (دار الجيل، بيروت).
٩٣. تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، عبد الله فيلبي، تعريب: عمر الديراوي، (منشورات المكتبة الأهلية، بيروت).
٩٤. تاريخ ينبع، عبد الكريم محمود الخطيب، (مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ).
٩٥. تحذير المسلمين عن الوقوع في حبالة دسائس الإئتلافيين وبيان وجوب مجانبتهم ومجاهدتهم بنص الكتاب المبين، عبد الرحمن بن أحمد إلياس المدني، المطبعة العامرة بإسطنبول، ١٣٣٤هـ).
٩٦. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ٩ مجلدات، (مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٩-١٤٣٧هـ).
٩٧. ترجمة الأستاذ عبد الحق النقشبندي، عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل، صفر -ربيع الأول، سنة ١٤٠٠هـ، ص ١٥٤-١٥٨.
٩٨. تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، السيد عثمان حافظ، (طبعة خاصة، الطبعة الرابعة، ١٤٣٦هـ).

٩٩. التليد والطارف شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف، السيد أبو بكر العدني بن علي المشهور، (دار المعين للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٣٦هـ).

١٠٠. تهذيب التهذيب، الحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ).

١٠١. الثورة العربية الكبرى، أمين سعيد، (دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٥م)

١٠٢. الثورة العربية الكبرى، قدري قلعجي، (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، ١٩٩٨م).

١٠٣. ثورة في الصحراء، الكولونيل البريطاني: توماس إدوارد لورنس، دراسة وتحرير: د. أحمد إبيش، (هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، ٢٠١٣م).

١٠٤. جريدة القبلة، الأعداد: ٢٠، ٢٧، ٢٣، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٦، ٥٧، ٧٢، ٧٤، ٧٧، ٨٩، ٩١، ١١٠، ١٢٦، ١٥٥، ١٦١، ١٦٣، ١٦٧، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٧، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦١.

١٠٥. جريدة العرب، المجلد الأول، العدد ٧، تاريخ ٢٧ رمضان ١٣٣٥هـ.

١٠٦. جريدة المقتبس، تاريخ ١٧ رجب ١٣٣٥هـ.

١٠٧. الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، نجدة فتحي صفوة، المجلد الأول، (دار الساقي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م).

١٠٨. الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، نجدة فتحي صفوة، المجلد الثاني، (دار الساقي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م).

١٠٩. الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، نجدة فتحي صفوة، المجلد الثالث، (دار الساقي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م).

١١٠. الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، نجدة فتحي صفوة، المجلد الأول، (دار الساقي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م).

١١١. جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، (دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٠هـ)

١١٢. الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلان، زكريا بن عبد الله بيلا، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٧هـ).

١١٣. الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، الشيخ محمد المنتقى أحمد تال، (دار البراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م).

١١٤. حاج في الجزيرة العربية، عبد الله فيلبي، ترجمة: أ.د. عبد القادر محمود عبد الله، (مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢١هـ).

١١٥. حاج في مكة، آرثر ويفيل، ترجمة وتقديم: محمد عزب ومي موافي، (ليليت للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م).

١١٦. حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد الأمريكي، تعليق: الأمير شكيب أرسلان، (المكتبة العصرية، لبنان، ١٤٣٢هـ).

١١٧. حامية المدينة المنورة وثورة الشريف الحسين، مريم فريح المهوس، (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد السادس، رجب - رمضان، ١٤٢٤هـ).

١١٨. حكاية حسن صيرفي، محمد إبراهيم الدبيسي، (طبعة خاصة، سنة ١٤٢٩هـ).

١١٩. حلقة هامة من تاريخنا القريب، عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي، (مجلة المنهل، جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ، شعبان ١٣٨٢هـ).

١٢٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ).

١٢١. حياة الشريف الحسين وموته، أحمد عارف الزين، (مجلة الموسم، لصاحبها محمد سعيد الطريحي، عدد الملكية العراقية، هولندا، سنة ٢٠١٣م، الجزء ١٠١).

١٢٢. حياتي مع الجوع والحب والحرب، عزيز ضياء، (التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٢م).

١٢٣. حياتي، عبد الرشيد إبراهيم، عناية: منصور عبد الباقي بخاري، (دار الميراث النبوي، ١٤٣٥هـ).

١٢٤. خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، محمد الأمين المكي، ترجمة: الدكتورة ماجد مخلوف، (دار الآفاق العربية، ١٤٢٥هـ).

١٢٥. الخط الحديدي الحجازي، أ.د متين هولاكو، (دار النيل للطباعة والنشر، ١٤٣٢هـ).

١٢٦. خطط الشام، محمد بن عبد الرزاق كُرد علي، (مكتبة النوري، دمشق، ١٤٠٣هـ).

١٢٧. الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين، غالي محمد الأمين الشنقيطي، (دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ١٤١١هـ).

١٢٨. الدر المختار شرح تنوير الأبصار، محمد بن علي الحصكفي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ).

١٢٩. الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات، الشيخ يوسف النبهاني، عناية: بسام عبد الوهاب الجابي، (دار البيروتي، ٢٠٠١م).

١٣٠. دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، محمد صادق باشا، (دار النوادر، بيروت، مصورة من المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٣١٣هـ).

١٣١. الدولة العثمانية المجهولة، الأستاذ د. أحمد آق كوندز والأستاذ د. سعيد أوزتورك، (وقف البحوث العثمانية، إسطانبول، ٢٠٠٨م).

١٣٢. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، (منظمة المؤتمر الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، اسطنبول، ١٩٩٩م).

١٣٣. الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الدكتور عبد العزيز محمد الشناوي، (مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٣م).

١٣٤. الدولة العثمانية والملك عبد العزيز في ضوء المصادر العثمانية، د. سعيد بن محمد القحطاني، (دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٣٧هـ).

١٣٥. ديوان عمر بن إبراهيم بري، الدكتور محمد العيد الخطراوي، (مكتبة دار التراث، ١٤٠٦هـ).

١٣٦. ذكريات السلطان عبد الحميد الثاني، مراد بومان، ترجمة: أحمد عمر أحمد، (دار النيل للطباعة والنشر، ٢٠١٦م).

١٣٧. ذكريات طيبة وبحوث حول أسرار الحج والزيارة، الشيخ هاشم بن محمد دفتردار، (مكتبة الفقيه للشيخ جعفر بن إبراهيم فقيه، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٣٧٠هـ).

١٣٨. ذكريات علي الطنطاوي، علي الطنطاوي، الجزء الأول، (دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٢٢هـ).

١٣٩. ذكريات العهود الثلاثة، محمد حسين زيدان، (دار جداول، الكويت، ٢٠١١م).

١٤٠. ذكريات غير منسية، عبد القدوس الأنصاري، (مجلة المنهل، جمادى الآخرة ١٣٩٨هـ).

١٤١. رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، جون لويس بيركهارت، (مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠١٣م).
١٤٢. الرحلة الأنورية إلى الأصقاع الحجازية والشامية، محمد كرد علي، (دار صادر، بيروت).
١٤٣. الرحلة إلى المدينة المنورة، الشيخ محمود ياسين، (دار الفكر، دمشق، ١٤٠٧هـ).
١٤٤. رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ريتشارد بيرتون، ترجمة وتحقيق: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م).
١٤٥. الرحلة الحجازية، محمد لبيب البتنوني، مصورة، (مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ).
١٤٦. الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين إلى الحجاز، عبد العزيز دولتشين، (الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٨هـ).
١٤٧. رحلة التميمي القيرواني إلى الحج، الشيخ محمد صالح الجودي، نشر: حمد الجاسر، (مجلة العرب، س ١٦ و ١٧، سنة ١٤٠٢هـ).
١٤٨. ستة أشهر في الحجاز، جون ف. كين، ترجمة: سارة هادي، (الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٣٢هـ).
١٤٩. سفر برلكده جهت عسكريه جه وضع يد ايديله جك اموال غير منقوله حفنده قانون، حربيه نظارتي، باللغة العثمانية، (المطبعة العسكرية، إسطنبول، ١٣٣٢ رومي).
١٥٠. سكان المدينة المنورة، محمد شوقي بن إبراهيم مكي، (دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٥هـ).
١٥١. سكة حديد الحجاز، حسن بن مصطفى الصيرفي، (مجلة الإذاعة السعودية، العدد ٦٣، سنة ١٣٨٠هـ).
١٥٢. سكة حديد الحجاز، (مجلة العربي الكويتية، العدد ١٦٧، تاريخ ١ أكتوبر ١٩٧٢م).
١٥٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٢هـ).
١٥٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، (مكتبة المعارف، الرياض).
١٥٥. السلطان عبد الحميد الثاني: مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية، د. سيف الله آرباجي، (دار النيل، ١٤٣٢هـ).

١٥٦. السلطان وحيد الدين وأتاتورك، د. نعمة موسى جبلي، (دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٣م).

١٥٧. سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، أ.د فريد آمجان، ترجمة: د. جمال فاروق وأحمد كمال، (دار النيل للطباعة والنشر، ١٤٣٧هـ).

١٥٨. سنن ابن ماجه، الإمام محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، (دار الفكر، بيروت).

١٥٩. سنن أبي داود، الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (دار الكتاب العربي، بيروت).

١٦٠. سوق القماشة: تاريخ سقط من ذاكرة التاريخ، سعود بن جعفر عبد الغني، (نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٣٧هـ).

١٦١. السيد أحمد الفيض آبادي، عبد القدوس الأنصاري، (مكتبة دار التراث للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ).

١٦٢. سيدي ضياء الدين أحمد القادري رحمة الله عليه، محمد عارف قادري ضيائي، بالأردو، (حزب القادرية، لاهور، باكستان، ١٤٢٨هـ).

١٦٣. سيرة ذاتية، الأمير شكيب أرسلان، إشراف: د. سوسن النجار، (الدار التقدمية، لبنان، ٢٠٠٨م).

١٦٤. سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، عمر عبد الجبار، (الكتاب العربي السعودي، تهامة، جدة، ١٤٠٣هـ).

١٦٥. الشاعر المؤرخ عبيد مدني- حياته وشعره، إبراهيم بن عبد الرحمن المطوع، (طبعة خاصة، ١٤١٩هـ).

١٦٦. شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلي، (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٩٨م).

١٦٧. شخصيات متميزة في مجتمع المدينة المنورة، محمد صالح عسيلان، (دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٤هـ).

١٦٨. شرح صحيح البخارى، أبو الحسن علي بن خلف ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ).

١٦٩. الشريف الحسين بن علي والخلافة، نضال داود المومني، (منشورات لجنة تاريخ الاردن ، سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة، ١٩٩٦م).

١٧٠. شعراء الجزائر في العصر الحاضر، محمد الهادي الزاهري، (المطبعة التونسية، تونس، ١٣٤٤هـ).

١٧١. الشعر الحديث في الحديث، عبد الرحيم أبو بكر، (نادي المدينة المنورة الأدبي، المطبعة السلفية، ١٣٩٧هـ).

١٧٢. شفاء القلوب وإرشاد المضطر والمكروب إلى أهمية الدعاء وإلى الأدعية المأثورة المختصة بأزمنة الحروب، عبد الرحمن باشا بن أحمد إلياس المدني، دار الطباعة العامرة بإسطنبول، ١٣٣٤هـ).

١٧٣. الشوقيات، أحمد شوقي، مراجعة: د. يوسف البقاعي، (دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ).

١٧٤. الشيخ عبد القادر الشلبي، عبد الحق النقشبندي، (مجلة المنهل، سنة ١٤٠٢هـ).

١٧٥. الصحافة في المدينة المنورة – تاريخها وأثرها في الحركة الأدبية، محمد بن إبراهيم الدبيسي، (مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٩هـ).

١٧٦. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ).

١٧٧. صحيح الإمام مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت).

١٧٨. صديقي وزميلي الأديب الشاعر السيد أحمد العربي، الشيخ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي، مجلة المنهل.

١٧٩. صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة، د. عاصم حمدان، (الشركة السعودية للتوزيع، جدة، ١٤٢٢هـ).

١٨٠. صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ك. سنوك هورخرونيه، ترجمة: د. محمد محمود السراني ود. معراج نواب مرزا، (مركز تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٢هـ).

١٨١. صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث، خليل إبراهيم الرواف، (جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ٢٠١٣م).

١٨٢. صقر الجزيرة، أحمد عبد الغفور عطار، (طبعة خاصة، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ).

١٨٣. صور الحرمين الشريفين في العهد العثماني من ألبومات السلطان عبد الحميد الثاني ومجموعة فخر الدين باشا، (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، إسطنبول، ٢٠١٣م).

١٨٤. صور وأفكار، السيد عثمان حافظ، (تهامة، جدة، سنة ١٤٠٤هـ).

١٨٥. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ).
١٨٦. صور وذكريات، السيد عثمان حافظ، (نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٠٣هـ).
١٨٧. طيبة وذكريات الأحبة، أحمد أمين مرشد، الجزء الأول، (طبعة خاصة، ١٤١٦هـ).
١٨٨. طيبة وذكريات الأحبة، أحمد أمين مرشد، الجزء الثاني، (طبعة خاصة، ١٤١٦هـ).
١٨٩. طيبة وذكريات الأحبة، أحمد أمين مرشد، الجزء الثالث، (طبعة خاصة، ١٤١٦هـ).
١٩٠. طيبة وذكريات الأحبة، أحمد أمين مرشد، الجزء الرابع، (طبعة خاصة، ١٤٢٠هـ).
١٩١. طيبة وذكريات الأحبة، أحمد أمين مرشد، الجزء الخامس، (طبعة خاصة، ١٤٢٧هـ).
١٩٢. عبد القدوس الأنصاري وإسهاماته العلمية والثقافية، أبحاث ملتقى العقيق الثقافي، إعداد: محمد الدبيسي وعيد الحجيلي، (نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٢٩هـ).
١٩٣. العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني، أ.د. زكريا قورشون، (الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ).
١٩٤. عقد الجواهر في أخبار القرن الحادي عشر، محمد بن أبي بكر الشلي، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن سليمان المزيني وراشد بن سعد القحطاني، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ).
١٩٥. العلاقات السياسية بين شريف مكة الحسين بن علي وآل رشيد في حائل، عايشة سليمان السويدات، (مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ودار اليازوردي، الأردن، عمان، ٢٠١٣م).
١٩٦. علاقة العثمانيين بالإمام يحيى في ولاية اليمن، د. فؤاد عبد الوهاب الشامي، (مركز الرائد للدراسات والبحوث، صنعاء).
١٩٧. علماء وأدباء البحرين في القرن الرابع عشر الهجري، بشار بن يوسف الحادي، (بيت البحرين للدراسات والتوثيق، ١٤٢٦هـ).
١٩٨. عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، ناجي محمد حسن الأنصاري، (نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٦هـ).

١٩٩. عمدة الأخبار في مدينة المختار، الشيخ أحمد بن عبد الحميد العباسي، (المكتبة العلمية، المدينة المنورة).

٢٠٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ).

٢٠١. فخري باشا والدفاع عن المدينة: ملحمة ومأساة، ناجي كاشف كجمان، ترجمة: أديب عبد المنان، (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد السابع، ذو الحجة، ١٤٢٤هـ).

٢٠٢. فصول من تاريخ المدينة المنورة، السيد علي حافظ، (شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، ١٤١٧هـ).

٢٠٣. فضائل المدينة المنورة، الدكتور خليل ملا خاطر، (دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ١٤١٣هـ).

٢٠٤. الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، عبد المالك بن عبد القادر الطرابلسي، (دار الجزائر العربية، دمشق، ١٣٨٦هـ).

٢٠٥. في جوانب من تاريخ المدينة المنورة في العهد السعودي: وثائق وتعريف، محمد يعقوب تركستاني وعبد المجيد بن محمد الخريجي، (طبعة خاصة، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ).

٢٠٦. في منزل الوحي، د. محمد حسين هيكل، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤٣٤هـ).

٢٠٧. قديم الأدب وحديثه في بيئة المدينة المنورة، أ.د. عاصم حمدان، (نادي المدينة المنورة الأدبي، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ).

٢٠٨. قصة الأشراف وابن سعود، الدكتور علي الوردي، (شركة الوراق للنشر المحدودة، الطبعة الثانية، ٢٠١٠).

٢٠٩. قلب جزيرة العرب، فؤاد حمزة، (مصور عن الأصل، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٣٠هـ).

٢١٠. القول السديد في أخبار إمارة الرشيد، سليمان بن صالح الدخيل النجدي، تحقيق: أ.د. طارق نافع الحمداني، (دار الوراق للنشر، ٢٠١٥م).

٢١١. كتاب إصطنبول- تكلم التركية بكلمات عربية، أبو الفضل محمد بن عبد الله القونوي، (دار الميمنة للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ١٤٣٨هـ).

٢١٢. الكلية الصلاحية، الشيخ عبد القادر المغربي، (مجلة المقتبس، المجلد الثامن، الجزء الثامن).

٢١٣.لسان العرب، الإمام اللغوي محمد بن مكرم ابن منظور، (دار صادر، بيروت).
٢١٤.لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، الأمير شكيب أرسلان، إشراف وتحرير: د. سوسن النجار نصر، (الدار التقدمية، لبنان، ٢٠٠٨م).
٢١٥.لورنس الحقيقة والأكذوبة، صبحي العمري، (رياض الريس للكتب والنشر، لندن-قبرص، ١٩٩١م).
٢١٦.لورنس العرب بين الحقيقة والخيال، الدكتور حسيب إلياس حديد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣م).
٢١٧.مأساة المدينة المنورة: من ذاكرتي قبل نصف قرن، عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي، (مجلة المنهل، جمادى الأولى ١٣٨٢هـ).
٢١٨.المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، فاضل بيات، (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، ٢٠١٣م).
٢١٩.ماضي الحجاز وحاضره، حسين بن محمد نصيف، (التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م).
٢٢٠.المحاضرات، المجلد السادس، (النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤٠٩هـ).
٢٢١.المحدث الأكبر شيخ شيوخ الشام الشيخ محمد بدر الدين الحسني وأثر مجالسه في المجتمع الدمشقي، محمود بيروتي، (دار البيروتي، دمشق، ١٤٣٠هـ).
٢٢٢.محمد سعيد دفتردار مؤرخاً وأديباً، د. محمد العيد الخطراوي، (نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٢٤هـ)
٢٢٣.محمد بن يوسف الكافي التونسي، السيد علي الرضا الحسيني، (الدار الحسينية للكتاب، ٢٠٠٠م).
٢٢٤.المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين، يوسف جاغلار وصالح كولن، ترجمة: د. حازم سعيد منتصر وأحمد كمال، (دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٣٦هـ).
٢٢٥.المختار من تراجم الذين عاصرناهم من الرجال: الأستاذ عبد الحميد عنبر، الشيخ عبد الحق النقشبندي، مجلة المنهل.
٢٢٦.مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، الدكتور سهيل صابان، (دار جداول، الكويت، ٢٠١٣م).
٢٢٧.المدرسة الناصرية بالمدينة المنورة، (مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي، وزارة المعارف، ١٣٩٤هـ).

٢٢٨. المدوّنة الكبرى، الإمام مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: زكريا عميرات، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان).

٢٢٩. مدونة أحداث العالم الإسلامي ووقائعه، الأمير شكيب أرسلان، إشراف وتحرير: يوسف إيبش وتوما عويضة ويوسف خوري، (الدار التقدمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م).

٢٣٠. المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، الدكتور عاصم حمدان علي، (مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ).

٢٣١. المدينة المنورة عبر التاريخ، عبد السلام هاشم حافظ، (نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٠٢هـ).

٢٣٢. المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز، فهد بن مرزوق اللحياني، (مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ).

٢٣٣. مدينه منوره ده حادثات مؤالمه، عمر صبري، الجزء الأول، (طبعة قديمة باللغة العثمانية).

٢٣٤. مدينتا الجزيرة العربية المقدستان، إلدون رتر، ترجمة: د عبد الله بن محمد نصيف، (مركز تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٣هـ).

٢٣٥. المذكرات، محمد علي كرد علي، (دار أضواء السلف للنشر والتوزيع، الرياض).

٢٣٦. مذكرات جمال باشا السفاح، تعريب: د. علي أحمد شكري، (الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٥هـ).

٢٣٧. مذكرات السلطان عبد الحميد، تقديم وترجمة: الدكتور محمد حرب، (دار القلم، دمشق، ١٤٣٣هـ).

٢٣٨. مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية، الكابتن جز فورستر سادلر، ترجمة: أنس الرفاعي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م).

٢٣٩. مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي، الفريق الركن نوري السعيد، (الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٧م).

٢٤٠. مرآة الحرمين، إبراهيم رفعت باشا، مصور، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصور عن الأصل).

٢٤١. المراسلات المتبادلة بين الشريف الحسين والعثمانيين، د. كليب سعود الفوار، (المكتبة الوطنية، ١٩٩٧م).

٢٤٢. المستدرك على الصحيحين، الإمام أبو عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، مصور عن الطبعة الهندية، (دار المعرفة، بيروت).

٢٤٣. مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأناؤوط وآخرون، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

٢٤٤. مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، (دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ).

٢٤٥. مسند البزار، الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (دار العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٨٨-٢٠٠٩م).

٢٤٦. المشايخ: الطيب الطاهر الساسي وعبد الله الطاهر الساسي وعبد السلام الطاهر الساسي – لمحات من السيرة العلمية والعملية، د. صالح جمال بدوي، (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ).

٢٤٧. مشجرة الشريف علي بن منصور الكريمي، الشريف علي بن منصور الكريمي، دراسة وتعليق: الشريف حشيم بن غازي البركاتي، (دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣٧هـ).

٢٤٨. مشيخة ابن مبيريك في رابغ، محمد بن حميد الجحدلي، (طبعة خاصة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ).

٢٤٩. المصطلحات الحضارية في مكة المكرمة، حسام بن عبد العزيز مكاوي، (مركز تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٧هـ).

٢٥٠. المصطلح العلمي في اللغة العربية: عمقه التراثي وبعده المعاصر، الدكتورة رجاء وحيد دويدري، (دار الفكر، دمشق، ١٤١٣هـ).

٢٥١. مصور في الحج: رحلات محمد أفندي السعودي، فريد قيومجي كحيل وروبرت غراهام، ترجمة: د. سرى خريس، (هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، كلمة، ٢٠١١م).

٢٥٢. المصنف، الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ).

٢٥٣. المعارك الأولى- الطريق إلى دمشق، صبحي العمري، (رياض الريس للكتب والنشر، لندن- قبرص، ١٩٩١م).

٢٥٤. معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ، الدكتور المهندس عبد العزيز بن عبد الرحمن كعكي، الجزء السابع، المجلد الثاني، (طبعة خاصة، ١٤٣٤هـ).

٢٥٥. معجم الألفاظ المتداولة عند أهل المدينة المنورة، أ.د. عدنان بن درويش جلون، (مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ١٤٣٢هـ).

٢٥٦. المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، س. موستراس، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، (دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ).

٢٥٧. معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، الدكتور ف. عبد الرحيم، (دار القلم، دمشق، ١٤٣٢هـ).

٢٥٨. معجم الشيوخ، عمر بن فهد الهاشمي المكي، تحقيق وتقديم: محمد الزاهي، مراجعة: حمد الجاسر، (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٢هـ).

٢٥٩. معجم شيوخ الإسلام في العهد العثماني، أحمد صدقي علي شقيرات، (عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٤م).

٢٦٠. المعجم الكبير، الإمام سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، الموصل، ١٤٠٤هـ).

٢٦١. معجم معالم المدينة المنورة التاريخية، محمد براء محمد منير الملقي، (طبعة خاصة، المدينة المنورة، ١٤٣٦هـ)

٢٦٢. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، د. سهيل صابان، (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ).

٢٦٣. المعلم بفوائد مسلم، الإمام محمد بن علي التميمي المازري المالكي، تحقيق: الشيخ محمد الشاذلي النيفر، (دار الغرب الإسلامي، ١٤١٢هـ).

٢٦٤. مغامرات مع لورنس في جزيرة العرب، لويل توماس، ترجمة: د. أحمد إيبش، (هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ١٤٣٤هـ).

٢٦٥. مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، محمد بن محمد سعيد دفتردار، (مجلة المنهل، سنة ١٣٧٩هـ).

٢٦٦. مكة في القرن الرابع عشر، محمد عمر رفيع، تحقيق: حسام بن عبد العزيز مكاوي، (مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ).

٢٦٧. مكة المكرمة والمدينة المنورة- بحوث ودراسات من واقع الأرشيف العثماني والمصادر التركية، د. سهيل صابان، (مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٦هـ).

٢٦٨. ملوك العرب، أمين الريحاني، (دار الجيل، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٧م).

٢٦٩. من أعلام المدينة المنورة الشيخ إبراهيم بن عبد القادر بري، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
٢٧٠. من أعلام المدينة المنورة الشيخ إبراهيم بن محمد زين السمان، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
٢٧١. من أعلام المدينة المنورة السيد أحمد بن إبراهيم عباس، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
٢٧٢. من أعلام المدينة المنورة السيد أحمد بن أحمد الجزائرلي، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
٢٧٣. من أعلام المدينة المنورة السيد أحمد بن أسعد كماخي، حسن بن نزيل خاشقجي، جريدة المدينة المنورة.
٢٧٤. من أعلام المدينة المنورة السيد أنور بن مصطفى عشقي، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
٢٧٥. من أعلام المدينة المنورة السيد إسماعيل بن مصطفى حفظي، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
٢٧٦. من أعلام المدينة المنورة الشيخ حسن بن محمود الأكنلي، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
٢٧٧. من أعلام المدينة المنورة الشيخ حميدة بن الطيب الجزائري، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
٢٧٨. من أعلام المدينة المنورة الشيخ زين بن عثمان بري، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
٢٧٩. من أعلام المدينة المنورة السيد سالم بن محمد خليفة، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
٢٨٠. من أعلام المدينة المنورة الشيخ الطيب بن الطاهر الساسي، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
٢٨١. من أعلام المدينة المنورة السيد عبد الحي بن عبد الرحمن أبو خضير، محمد ابن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.
٢٨٢. من أعلام المدينة المنورة الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

٢٨٣. من أعلام المدينة المنورة السيد عمران بن موسى الحبوبي، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

٢٨٤. من أعلام المدينة المنورة السيد عبد الله بن حمزة مدني، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

٢٨٥. من أعلام المدينة المنورة الشيخ عثمان بن عبد السلام داغستاني، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

٢٨٦. من أعلام المدينة المنورة السيد علوي بن أحمد بافقيه، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

٢٨٧. من أعلام المدينة المنورة السيد محمد طاهر بن عبد المحسن سنبل، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

٢٨٨. من أعلام المدينة المنورة الشيخ محمد بن محمد الإخميمي، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

٢٨٩. من أعلام المدينة المنورة السيد ملا سفر بن محمد الكولابي، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

٢٩٠. من أعلام المدينة المنورة الشيخ نزيل الكرام خاشقجي، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

٢٩١. من أعلام المدينة المنورة السيد ياسين الخياري، محمد بن محمد سعيد دفتردار، جريدة المدينة المنورة.

٢٩٢. من أعلام المدينة المنورة الشيخ أبو بكر بن محمد التنبكتي، محمد بن محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، ١٣٨٦هـ.

٢٩٣. من أعلام المدينة المنورة الشيخ زاهد عمر زاهد، محمد بن محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، ١٣٧٩هـ.

٢٩٤. من أعلام المدينة المنورة الشيخ عبد الحق بن رفاقت علي، محمد بن محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، ١٣٨٦هـ.

٢٩٥. من أعلام المدينة المنورة الشيخ عمر بن إبراهيم بري، محمد بن محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، ١٣٨٠هـ.

٢٩٦. من أعلام المدينة المنورة الشيخ محمد بن أحمد العمري، محمد بن محمد سعيد دفتردار، مجلة المنهل، ١٣٧٩هـ.

٢٩٧. من ذكريات الشريف هاشم الدعيس، إعداد مجلة المنهل، (مجلة المنهل، سنة ١٤١٣هـ).

٢٩٨. من رجال المدينة المنورة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري السيد حمزة بن إبراهيم غوث، خالد بن حمزة غوث، (طبعة خاصة، ١٤٣٤هـ).

٢٩٩. من سير الخالدين بأقلامهم، جمع: حسن السماحي سويدان، (دار القادري، دمشق، ١٤١٨هـ).

٣٠٠. مناقب سيد الشهداء رضي الله تعالى عنه، السيد جعفر البرزنجي، (مطبعة حسان، القاهرة، ١٣٩٥هـ).

٣٠١. منتهى الأماني في تاريخ مكة والمدينة والعالم الإسلامي، السلطان غالب بن عوض القعيطي، (كنوز المعرفة، ١٤٣٣هـ).

٣٠٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ).

٣٠٣. منهج البحث التاريخي، الدكتور حسن عثمان، (دار المعارف، ٢٠١٠م).

٣٠٤. موطأ الإمام مالك، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، مصر).

٣٠٥. موقف البلدان المغاربية من مسألة الخلافة ١٩١٤- ١٩٢٦، إعداد: محمد الشعبوني، إشراف: عبد الجليل التميمي، (رسالة ماجستير، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٢م).

٣٠٦. مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وفي تاريخ العراق المعاصر، الدكتور محمد حسين الزبيدي، (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩م).

٣٠٧. نبذة من تاريخ حياة فقيد العلم والأدب الشيخ محمد سعيد دفتردار، عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي، (مجلة المنهل، سنة ١٣٩٢هـ).

٣٠٨. النخيل بين العلم والتجربة، الشيخ حليت بن عبد الله المسلم، (دار عكاظ للنشر والتوزيع، جدة).

٣٠٩. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر أو الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، السيد عبد الحي الحسني، (دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٩م).

٣١٠. نسب قبيلة حرب، عاتق بن غيث البلادي، (دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ).

٣١١. نسب قريش، المصعب بن عبد الله الزبيري، تحقيق: ليفي بروفنسال، (دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة).

٣١٢.نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، الدكتور سهيل صابان، (مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٢هـ).

٣١٣.نقش حيات- بالأردو-، السيد حسين أحمد صاحب مدني، (دار الإشاعة، كراجي).

٣١٤.نماذج وألوان من تراث أدبائنا وشعرائنا في المدينة المنورة، أحمد بن إبراهيم السمان، عناية: محمد فائز حواصلي، (طبعة خاصة، سنة ١٤٠٤هـ).

٣١٥.وثائق العلاقات السعودية العثمانية في السنوات المبكرة من حكم الملك عبد العزيز في الأرشيف العثماني، د. محمد بن عبد الله آل زلفة، (دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٨هـ).

٣١٦.وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ، الأفندي علي بن موسى، ضمن رسائل في تاريخ المدينة، تقديم وتعليق: حمد الجاسر، (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٢هـ).

٣١٧.وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، السيد نور الدين السمهودي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩).

٣١٨.يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، جورج أنطونيوس، ترجمة: الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباس، (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٧م).

٣١٩.يوميات رحلة عبر الجزيرة العربية، النقيب جورج فورستر سادلر، ترجمة: عدنان السيد محمد العوامي، (مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ١٤٣٧هـ).

المراجع الإنجليزية والتركية :

320. *A Prince of Arabia: The Emir Shereef Ali Haider, George Stitt, (George Allen & Unwin Ltd, London, 1948).*

321. *Arabic Documents 1899-1949, Kuwait Political Agency, vol.1, (Archive Edition, 1994).*

322. *Fahreddin Pasanin Medine Mudafaasi, Feridun kandemir, (Yagmur Yayinevi,Istanbul, 2015).*

323. *Fahrddin Pasa Ve Medine Mudafaasi, Suelyman Yatak, (Marmara University, Fen-Edebiyat Fakultesi Tarih Bol, Istanbul, 1990).*

324. *Hajj: the holy journey, Murat Kargili, (kaptan Yayincilik, Istanbul, 2014).*

325. *Medine Mudafaasi: Hicaz Bizden Nasil Ayrildi?, Naci Kasif Kiciman, (Sebil Yayinevi, Istanbul, 1994).*
326. *Sair Seyhulislam Arif Hikmet Beyefendi: Hayati-Eserlri-siirleri, Bilal Kemikli, Kitabevi, Istanbul, 2011).*
327. *Sultan Abdulhamid'in Hatira Defteri Meselesi, Ali Birinci, (Divan-Ilmi Arastirmalar, Sayi.19 (2005-2) s.177-194.*
328. *The Hejaz Railway, James Nicholson, (Stacey International, London, 2012).*

التسجيلات المسموعة :

٣٢٩. تسجيل مع الشيخ حسن بن مصطفى الصيرفي بتاريخ ١٠ ربيع الثاني سنة ١٤٢١هـ.
٣٣٠. تسجيل مع الأستاذ صالح بن مرزوق المزيني، بتاريخ ١٣ ذي القعدة سنة ١٤٣٧هـ.



فَهْرس الآيات القُرآنيَّة والأحَاديث النَّبويَّة

أولًا : الآيات القرآنية :

ثانياً : الأحاديث النبوية :

فَهرس الأبيَات الشِّعريَّة

البيت		الصفحة
(قافية الهمزة)		
أحمد الله مبدع الأشياءِ	منشئَ الخلق مستحقَّ الثناءِ	٢٣٢
(قافية الباء)		
رويداً بني حربٍ تغاديكم الحربُ	ويجتاح ما خولتمُ الطعن والضرب	٢٠٩
فقل لي متى وفت بعهدٍ لحاكم	فهل هو إلا العهد من بعده الغصب	٢٠٩
أمالك الخير والخيل التي حكمت	بعزه حين جد الأمر والطلب	٥٠٤
دع الغانيات الغيد يا أيها الصب	وذكراك هيفاءً بها يُفتَنُ اللبُّ	٥٦١
(قافية الراء)		
مني السلامُ والدعاء الوافرُ	كذا التحايا والثناء الزاخرُ	٢٣٥
الله أكبر نور الشرق قد ظهرا	فأبصرَ الغربُ هذا النور فانبهرا	٥٧
(قافية السين)		
يا طير يا أبو الغناس	لا تاكل زرع الناس	٣٨١



فهرس الأعلام

أ

ب

ت

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

فهرس الأماكن والمعالم

أ

ب

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرس الوثائق والصّور

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف



فهرس الموضوعات

SAFERBERLIK

THE EVACUATION OF THE PEOPLE OF MADINAH DURING WORLD WAR I 1916-1918

By
Dr. Saeed W Tawlah

الطَّبعةُ الثَّانِيةُ
مَزِيدَة وَمُنقّحَة

